جامعة يحيى فارس–المدية–
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

دور التجارة والحج في التواصل الثقافي بين الأندلس والحجاز خلال عصر الإمارة (2-4هـ)

أطروحة من متطلبات الحصول على شهادة الدكتوراه الطور الثالث

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

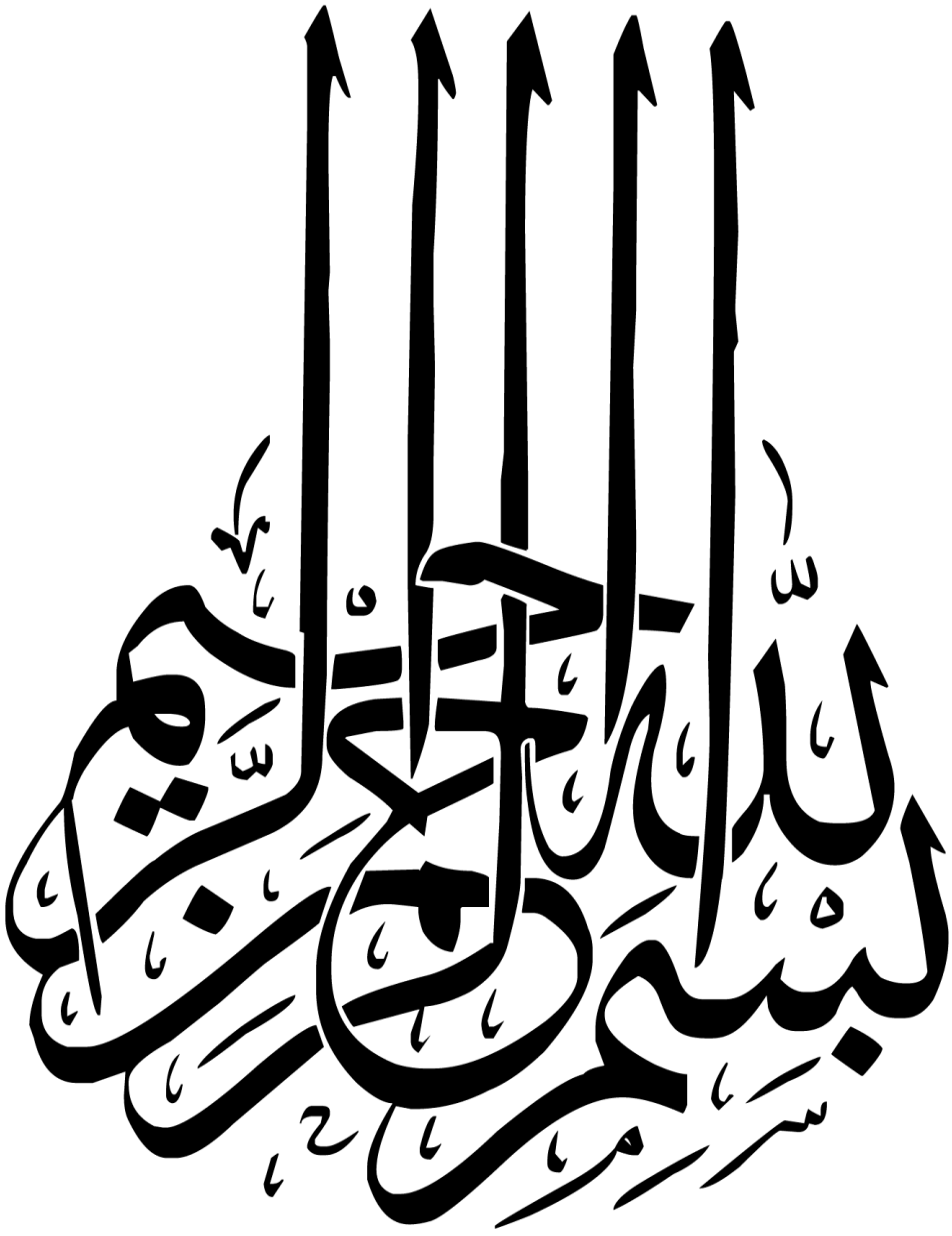
إعداد الطالب:
وليد بورويس

إشراف الأستاذ:
د. حمزة حاجي

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د توفيق مزاري عبد الصمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة يحيى فارس–المدية–	رئيسا
د. حمزة حاجي	أستاذ محاضر أ	جامعة يحيى فارس–المدية–	مشرفا ومقررا
أ.د موسى هيصام	أستاذ التعليم العالي	جامعة يحيى فارس–المدية–	عضوا مناقشا
د. بغداد سحيري	أستاذ محاضر أ	جامعة يحيى فارس–المدية–	عضوا مناقشا
أ.د عبد القادر بوعقادة	أستاذ التعليم العالي	جامعة البليدة 02	عضوا مناقشا
أ.د نبيلة عبد الشكور	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1443-1444هـ/ 2023-2024م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى رجال المقامة، أبطال عملية طوفان الأقصى
(7 أكتوبر 2023)
إلى أرواح أطفال وشهداء غزّة وفلسطين..
إلى والديّ الكريمين الذين ربّياني صغيرا ورعياني كبيرا..
إلى جميع أفراد أسرتي وجميع الأصدقاء الزّملاء..
إلى طلّاب العلم ..
إلى روح أستاذي الدكتور نور الدين موهوبي..
إلى جميع هؤلاء أهدي هذا الجهد العلمي المتواضع.

الباحث

الشكر والتقدير

قال –صلى الله عليه وسلم–: «لا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لا يَشْكُرُ النَّاسَ»

إنه لمن دواعي العرفان بعد شكر الله عزّ وجل أن أتقدم بجزيل الشّكر والتقدير إلى من كان له الفضل في إخراج هذا العمل: الدكتور حمزة حاجي، الذي منحني الكثير من وقته وجهده وتوجيهاته القيّمة، التي كانت بمثابة بوصلتي في إنجاز هذا العمل، أسأل الله عزّ وجلّ أن يجزيه عنّي خير جزاء..

كما أتوجّه بخالص شكري إلى أساتذتي، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور الغالي غربي، والأستاذ الدكتور موسى هيصام، والأستاذ الدكتور توفيق مزاري عبد الصمد، والدكتور حمزة عبد الصمد، وإلى كل أساتذتي في قسم التّاريخ بجامعة المدية على مابذلوه من عون ونصح طوال فترة دراستي؛ فجزاهم الله خيرا وختامًا أشكر كل من أسهم في إخراج هذه الرسالة..

والله ولي التوفيق.

الباحث

قائمة المختصرات

المختصر	معناه
ت	توفي
هـ	هجري
م	ميلادي
ق	قرن
ص	صفحة
ط	طبعة
ج	جزء
تح	تحقيق
تر	ترجمة
د ت	دون تاريخ
د ط	دون طبعة
ع	عدد
مج	مجلد

المقدمة

شهدت بلاد الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية(138-316هـ/756-928م) ازدهارا للحياة العلمية والثقافية، بفضل رحلات دائمة ومستمرة للكثير من الطلبة والعلماء والعباد والمهتمين بجمع المعرفة، وكذا للتجار نحو بلاد الحجاز، ومثّلت كل من التّجارة والحج المحرّك الرئيس لتلك الرّحلات؛ فالأندلس كانت تزخر بمقومات اقتصادية مهمّة، من زراعة متنوعة وصناعة يدوية مختلفة، ضف إلى ذلك الارتباط الرّوحي الكبير الذي ظلّ سائدا في نفوس الأندلسيين نحو المشرق خاصة بلاد الحرمين، ما سمح في انتقال الكثير من المعرفة والمستجدات الثقافية التي كانت تحصل هناك، بداية من التكوين العلمي الجيد للأندلسيين وتبادل للكتب والمصنفات بين القطرين، وانتقال الأفكار وغيرها من المنافع، ماسمح في حدوث تأثير وتأثر متبادل بين القطرين خاصة في المجال العلمي والثقافي والذي سرعان ما انعكس هذا التواصل على الحياة العلمية والثقافية بالأندلس خلال عصر الإمارة الأموية.

ومن هذا المنطلق؛ ارتأينا تناول موضوع ثقافي يهتم بالعلاقات والصّلات العلمية التي كانت تجمع الأندلس مع قطر مشرقي متمثلا في الحجاز خلال تلك الفترة.

لذلك جاء موضوعنا الموسوم بـ:

دور التّجارة والحج في التواصل الثقافي بين الأندلس والحجاز خلال عصر الإمارة (138-316هـ/756-928م).

1-إشكالية الدراسة:

أما الإشكالية المطروحة في دراستنا؛ فتتمحور في سؤال مباشر واضح المعالم شاملا لكل جوانبها، مع الأخذ بعين الاعتبار المادة العلمية المتوفرة؛ حتى نتمكّن من الإجابة عليها والوصول إلى نتائج علمية حولها، وقد جاءت كمايلي:

ماهو دور تجارة الحج في التواصل الثقافي بين الأندلس والحجاز خلال عصر الإمارة الأموية بالأندلس (138-316هـ/756-928م)؟ وفيما تتمثل أهم التأثيرات الحاصلة نتيجة هذا التواصل، في المجال العلمي والثقافي بين القطرين في تلك الفترة؟

وقد تفرّع عن الإشكالية الرئيسة جملة من التّساؤلات الفرعية، حاولنا الإجابة عنها من خلال معالجتنا لهذا الموضوع، نبرز أهمها في النّقاط التالية:

- هل شكّل الحج والتجارة أكبر سبل التواصل بين الأندلس والحجاز خلال تلك الفترة؟
- ماهي المجالات العلمية التي تأثّرت نتيجة التواصل الثقافي بين الأندلس والحجاز خلال الفترة(قرن2-4هـ)؟
- كيف أثر التّواصل الثّقافي بين الأندلس والحجاز على واقع الحياة العلمية والثقافية بالأندلس خلال عصر الإمارة؟

2-أسباب اختيار الموضوع:

وُجدت العديد من الأسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع، أوجزها في النقاط التالية:

- محاولة الربط بين العدوتين من خلال هذا الموضوع المتضمن رحلات الحج، والعمرة.
- إن الجانب الثقافي بين الأندلس والحجاز يحتاج إلى دراسات معمّقة (البحث في الجزئيات)، وكذا البحث في جديد الدراسات المغربية أو المشرقية حول الموضوع.
- لم تعطِ الدّراسات الثقافية حول الأندلس فترة عصر الإمارة حقها كاملة؛ حيث سلّطت غالبيتها على الفترات التي جاءت بعدها، كعصر الخلافة الأموية أو الفترات اللاحقة من تاريخها، وهو ما جعل الكثير من الأحداث غير مكتملة المعالم، من ضمنها موضوع الدراسة، فالحجاز لثقله كمركز للعوم الدينية خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين كان له الأثر البالغ في بناء حضارة متألقة، الأمر الذي دفعني إلى الخوض في الموضوع آملا الوصول إلى حقائق جديدة.
- إبراز أهمية طلب العلم والرحلة من أجل تحصيله في ازدهار ورقيّ الأمم.
- استحضار الفردوس المفقود من خلال إعادة رسم صورتها المشرقة في الجانب الحضاري.
- إبراز الجانب المذهبي، ودور التجارة ورحلات الحج في تفعيل العلاقات بين الأندلس والحجاز.

3- الدراسات السّابقة:

حسب اطلاعي لم يُتَطَرَّق إلى بحثنا بذلك الشكل، غير أنه وجدت بعض الدراسات خصصت له حيزا في موضوعها، وعلى رأسها نذكر:

– الرحلة الأندلسية إلى الجزيرة العربية من القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري، من إنجاز خالد عبد الكريم البكر، رسالة دكتوراه، جامعة الملك سعود.

هي دراسة أكاديمية جادّة، تحدثت عن العلاقات الثقافية التي جمعت الأندلس مع الحجاز واليمن من القرن الثاني حتى القرن السادس للهجرة، حيث حملت معلومات قيمة عن رحلات الأندلسيين خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، غير أنه بسبب تناول الباحث لفترة طويلة لم يتوسع في معلوماته المقدمة في عصر الإمارة، بالقدر الذي تحدث عنه في العصور اللاحقة.

– أشهر علماء الأندلس الذين كانت لهم رحلة إلى المشرق الإسلامي في القرنين (3–4هـ/9–10م)، للباحث علي عبد السلام كعوان، رسالة ماجستير، جامعة الفاتح، ليبيا 2007/2006.

جعل الباحث رسالته شاملة لرحلات الأندلسيين إلى كل بلاد المشرق، بما فيها مصر والشام والعراق والحجاز؛ حيث خصّص جزءا يسيرا من بحثة للحديث عن رحلات الأندلسيين في عصر الإمارة، ومع ذلك فقد احتوت على معلومات قيمة عن التعليم في الأندلس خلال تلك الفترة.

- أثر المشرق في الأدب الأندلسي في عصر دولة بني أمية بالأندلس(138هـ–418هـ) لأبو القاسم إبراهيم المهدي، رسالة دكتوراه، جامعة النيلين، دولة السودان، 2012م، رغم أن دراسته لم تكن شاملة؛ ركز الباحث في رسالته كما هو واضح من عنوانها على مجال اللغة والأدب في الأندلس، نجده تكلّم فيها عن رحلات الأندلسيين إلى المشرق وأشهر العلماء الذين قدموا الأندلس في هذا المجال.
- التجارة في الأندلس في عصر الدولة الأموية(138–422هـ/755–1030م)، التي قام بإنجازها الباحث محمد عطا الله سالم الخليفات، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، 2004م.

والملاحظ في هذه الرسالة أنها جاءت متوسطة الحجم ولم تغطِ جوانب واسعة للموضوع حيث تكلّم الباحث على كل مايتعلق بالتجارة في الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية، كالطرق البرية والبحرية مع إبرازه للعلاقات التجارية التي جمعت الأندلس بالمشرق الإسلامي ومع دول أخرى.

4-المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة على: المنهج التاريخي عن طريق سرد الأحداث وترتيبها، كما استخدمنا أيضا المنهج الإحصائي التحليلي من خلال جرد أسماء العلماء وتصنيفهم حسب الفترة الزمنية أو بحسب تخصصاتهم العلمية وغير ذلك، ومن ثَمَّ عمل تحليل لتلك المعطيات المحصل عليها بغية الخروج باستنتاجات حولها.

5-خطّة الدراسة:

اتبعنا في إعداد هذه الدراسة على خطة قسّمتها إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول وخاتمة وذيلناها بملاحق، وهي كمايلي:

*الفصل التمهيدي وعنوانه: جوانب عن أوضاع الأندلس من الفتح الإسلامي حتى قيام الإمارة الأموية(92-138هـ/711-756م)، بعد ضبط القطر الأندلسي من حيث التسمية والموقع الجغرافي، تحدثنا بعدها عن أوضاع الأندلس قبل قيام الإمارة الأموية، مع التركيز على الجانب السياسي والعسكري الذي طغى على أحداث تلك الفترة، ثم تطرقنا إلى جهود مؤسس الإمارة الأموية عبد الرحمان بن معاوية في إقامة دولة أموية بالأندلس.

*الفصل الأول عنوانه: العوامل والأسباب المساعدة على رحلات التجارة والحج الأندلسي(2-4هـ/8-10م).

تطرقنا فيه إلى مفهوم الرحلة لغةً واصطلاحا، مع بيان أهمية رحلتي التجارة والحج، ثم تتبع الطرق والمسالك التي سار عليها الأندلسيون للوصول إلى الحجاز، وتحدثنا فيه أيضا عن الأسباب والعوامل التي ساعدت وشجعت الأندلسيين القيام بتلك الرحلات، بداية من دوافع دينية واقتصادية وسياسية..إلخ، وفي الأخير تكلّمنا عن أبرز العقبات والصعوبات التي اعترضت المرتحلين الأندلسيين إلى الحجاز خلال تلك الفترة.

*الفصل الثاني والذي وضعنا له عنوان: مكانة الحجاز العلمية والثقافية حتى نهاية القرن(3هـ/9م).

حيث تحدثنا في هذا الفصل عن الحجاز، بداية ضبطنا القطر الحجازي من حيث التسمية والموقع الجغرافي، مع التركيز على الجانب العلمي والفكري، نظرا لما كانت عليه مكة والمدينة من رقيّ حضاري كمركز مهم للعلوم الدينية آنذاك.

* الفصل الثالث عنوانه: التبادل العلمي والثقافي بين الأندلس والحجاز خلال عصر الإمارة بالأندلس(138-316هـ/756-928م).

تناولنا فيه أنواع الرحلات التي عرفها الأندلسيون حتى ذاك الوقت، ومن ثمّ التطرق إلى تكوينهم العلمي على يد علماء الحجاز، ويأتي في مقدمتهم عالم المدينة الإمام مالك مبرزين فضله ومكانته عند أهل الأندلس، بالإضافة إلى عرض إسهامات الأندلسيين المرتحلين في المجال العلمي بالحجاز.

* الفصل الرابع جاء بعنوان: أثر التواصل بين الأندلس والحجاز على الحياة العلمية والثقافية بالأندلس (2-4هـ/8-10م).

خصصنا هذا الجزء من الدراسة، في عرض نتائج الرحلات الحجازية، فكانت بداية من النبوغ العلمي للكثير من الأندلسيين حتى بلغوا درجة الإمامة في العلم، وتقلدهم للمناصب العليا عند عودتهم إلى أوطانهم، كالقضاء والصلاة والوزارة في بعض الأحيان، وبعد ذلك التطرق إلى الأثر العميق الذي أحدثه اتصال الأندلسيين مع الحجازيين في ازدهار ورقي العلوم والفنون خلال عصر الإمارة الأندلسية.

* الخاتمة: جاءت عبارة عن جملة من الاستنتاجات، خرجنا بها عند معالجتنا لمختلف عناصر الموضوع.

ثم ذيلت الأطروحة بمجموعة من الملاحق، تنوعت بين جداول وخرائط وقصيدة شعرية وغير ذلك، مما رأينا أنها تخدم موضوعنا في الشكل والمضمون.

6-صعوبات الدراسة:

أما الصعوبات التي واجهتني في إنجاز هذه الدراسة؛ فبغض النظر عن الالتزامات الوظيفية والعائلية؛ فقد اعترضتني مجموعة من المشاكل نذكر منها:

– تماشيا مع طبيعة دراستي، موضوع ثقافي وفترة زمنية جد متقدمة من تاريخ الأندلس، دفعني ذلك إلى الاعتماد على المصادر بالدرجة الأولى لاسيما كتب التراجم والطبقات، ولأن المعلومات التي تخص دراستي كانت مشتّتة بين تراجم علماء الأندلس؛ فقد التزمت على قراءتها بشكل متأن مع تسجيل المعلومات في بطاقات توثيقية، ومن ثمّ إعادة ترتيبها، الأمر الذي أخذ مني جهدا جهيدا، ووقتا ليس بالقصير قبل الشروع في عملية التحرير.

– من المشاكل العويصة التي اصطدمت بها عند إعدادي لهذه الدراسة هو ندرة المعلومات حول العلاقات الاقتصاديّة، كالمبادلات التجارية وأيضا عن القوافل التجارية، من كان يقف عليها والعلاقات الاجتماعية والثقافية، التي كانت تحصل بين القوافل والطرق التجارية المتّجهة صوب الحجاز خلال تلك الفترة.

– عدم وجود مخطوطات محقّقة تصبّ في الموضوع بعينه.

– عند محاولتي وضع جداول إحصائية لاقيت صعوبة؛ من خلال تتبع العديد من المصادر التي تتحدّث عن الرجالات في تلك الفترة.

7– أهم المصادر والمراجع التي تمّ الاعتماد عليها:

وقصد الإلمام بالموضوع، تمّ الاطلاع والاستعانة بعدد كبير من المصادر التي لها علاقة بالدراسة إلى جانب الكثير من المراجع الحديثة.

أولا: المصادر

اقتضت طبيعة الدراسة الاعتماد على مجموعة متنوعة من المصادر، جاءت بين كتب التراجم والطبقات، وكتب التاريخ العام، وكتب الجغرافية والرحلات، وكتب اللغة والمعاجم، غير أن اعتمادي كان أكثر بهذه الكتب التاريخية لصلتها بالموضوع:

1– كتب التراجم والطبقات:

جاءت كتب التراجم والطبقات على رأس الكتب التي عملنا عليها، لما تحمله من أهمية بالغة في الدراسات العلمية والثقافية، التي موضوعاتها لا تخرج في أغلب الأحيان عن تقديم معلومات عن العلماء، والحياة العلمية والثقافية في مختلف البلاد الإسلامية، وهو ما ينطبق على دراستنا

القائمة على البحث في مجال ثقافي فكري، فما كان علينا إلا انتقاء المصادر المفيدة للموضوع، وجاءت المصادر المغربية على رأس الكتب التي استعنا بها في هذه الدراسة، نذكر أبرزها:

- **تاريخ علماء الأندلس** لابن الفرضي عبد الله بن نصر الأزدي القرطبي المتوفى سنة(403هـ/1013م)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط2 مصر ولبنان، 1410هـ/1989م.

الكتاب ينسب إلى ابن الفرضي، أحد فقهاء الأندلس خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، عرفت له رحلة إلى المشرق سنة(382هـ/992م)، حج وسمع خلالها من شيوخ الحرمين ومن علماء مصر والقيروان في طريق عودته إلى وطنه، كما أن المُؤلف أخذ مادته العلمية عن طريق الرواية من شيوخ قرطبة وغيرهم، واستعان كذلك بكتب من سبقوه كمؤلفات أحمد بن عبد البِّر، ومحمد بن حارث القروي صحاب كتاب تاريخ العلماء والمحدثين ومن غيرهم، كما سار ابن الفرضي على منهجية عند إعداد تراجمه التي جاءت في 1649ترجمة، فرتبها وفق حروف المعجم.

وجاء المُؤلف في جزأين، احتوى في طياته على تراجم كثيرة لعلماء أندلسيين ممن عرفت لهم رحلة إلى المشرق أو من لم تكن لهم رحلة، فاحتوى مؤلفه على تراجم لعلماء عاشوا خلال القرن الثاني الهجري وصولا إلى علماء القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، كما تضمّنت تراجمه على معلومات وفيرة عن الحياة العلمية والثقافية بالأندلس، إضافة إلى ذلك فقد امتاز هذا المؤرخ القرطبي بتحرّيه ودقة معلوماته، وبثقافته الواسعة بشهادة من ترجموا لشخصه؛ لذلك فهو يعد بجد مفخرة الأندلس في مجال التاريخ، الأمر الذي جعلنا نعول على معلوماته بجعلها المادة الأولى في دراستنا، كما مثل الفيصل في أغلب الأحيان في ترجيح الحوادث، أو تثبيت تواريخ أو نفيها وغير ذلك من الأمور التي تستدعي تحقيقا وترجيحا بين الروايات.

-**أخبار الفقهاء والمحدثين** لمحمد بن حارث الخُشَني المتوفى سنة(ت361هـ/971م) تحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، ترجمة المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي، دط، مدريد ،1991م.

يعتبر هذا المؤلف أقدم ما وصلنا من كتب تراجم علماء الأندلس، ومُؤلفه فقيه قيرواني الأصل، رحل واستوطن قرطبة حاضرة العلماء يومئذ، حيث سمع من أبرز شيوخها كابن أيمن

وقاسم بن أصبغ ومحمد بن عمر بن لبابة وغيرهم، وما يميز كتابه أنه ركز على فقهاء ومحدثي الأندلس الذين عاشوا خلال فترة القرنين الثالث والرابع الهجريين، كما احتوى على 527 ترجمة التي جاءت مرتبة وفق حروف المعجم.

أما الشيء الملاحظ في هذه الطبعة التي اشتغلنا عليها أنها جاءت سيئة للغاية، فالكتابة غير واضحة في الكثير من الأحيان، كما تعمّد المحقّق ترك فراغات في كل مرة دلالةً عن وجود مادة ناقصة، الشيء الذي جعل العمل على هذه النسخة متعبا، لكن ومما لا غبار عليه يعد هذا المُؤلف من المصادر الأصيلة التي تؤرخ للحياة العلمية والثقافية بالأندلس خلال عصر الإمارة؛ فقد حمل بين طياته تراجم كثيرة لعلماء أندلسيين رحلوا الحجاز، إضافة إلى احتوائه على معلومات غزيرة تخص الجانب الثقافي للمرتحلين، مثل تكوينهم العلمي، المناطق التي زاروها والمادة التي حصّلوها وغيرها من الأمور الفكرية التي تخص الأندلس خلال عصر الإمارة، فضلا على أنه عاش في فترة قريبة جدا من فترة الدراسة، لذلك استقينا منه معلومات قيمة وضفت عند بناء الفصلين الثالث والرابع للدراسة.

-**جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس** لمحمد بن عبد الله الحميدي المتوفى سنة(ت488هـ/1095م)، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي ط1، تونس، 1429هـ/2008م.

الكتاب من المصادر المتقدمة التي عنيت بتراجم علماء الأندلس، وصاحبه أندلسي عالم في الحديث، دفعه حبه للعلم وسعيه للرواية إلى الخروج من الأندلس سنة(448هـ/1056م)، فأدى الفريضة وسمع من علماء المشرق وطال به المقام هناك حتى أدركه أجله في مدينة السلام.

ولأهمية كتابه فقد نقل عنه عدد من المؤرخين الذين جاؤوا من بعده، ويأتي في مقدمتهم ابن عميرة الضبي(ت599هـ/1203م)، في كتابه بغية الملتمس، يُعدّ هذا الأخير نسخة ثانية من هذا الكتاب كونه اقتبس كل تراجمه تقريبا مع إضافته لتراجم جديدة، ومن الناقلين أيضا من كتاب الجذوة نجد ابن بشكوال(ت578هـ/1083م) في كتابه الصلة، ومنهم كذلك الحافظ الذهبي(ت748هـ/1374م) في كتابه تاريخ الإسلام وغيرهم.

المُؤلف جاء في جزء واحد كبير، تميز مؤلفِه بإتقانه للغة وبسعة اطلاعه، وهو ما انعكس على معلوماته المقدمة التي جاءت بلغة سليمة، إضافة إلى تحريه للدقة من خلال ورود أسماء

تراجمه كاملة، مع ذكر التّخصص وسنة الوفاة وأحيانا حتى تاريخ الميلاد، غير أن تراجمه البالغة 988 ترجمة غلب عليها الاختصار حتى عند وقوفه عند أعلام الأندلس، ما أسقط بعض المعلومات والأحداث الهامة، كما عمد المؤلف إلى ترتيب تراجمه وفق حروف المعجم، وقد استخدمنا هذا المصدر في التعريف ببعض علماء الأندلس وفي تثبيت بعض المعلومات التي تخص الجانب العلمي والثقافي بالأندلس خلال عصر الإمارة.

-**ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي المالكي المتوفى سنة(ت544هـ/1149م)، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1989م.

الكتاب يترجم لأعيان مذهب مالك والذي جاء في جزأين، غير أننا اعتمدنا في أغلب الأحيان على جزئه الأول نظرا لاحتوائه على مادة ثرية عن مالكية الحجاز والأندلس خلال فترة الدراسة، حيث تكلم عن الإمام مالك بن أنس بشكل مستفيض، كما أن تراجمه لأعلام الأندلس المالكية جاءت مطولة وافرة المعلومات.

-**بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس** للضَّبي أحمد بن يحي بن عميرة المتوفى سنة(599هـ/1203م)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط1 القاهرة وبيروت، 1410هـ/1989م.

الكتاب مصدر مهم في التعريف بعلماء الأندلس الذين عاشوا في حقبة واسعة، تمتد لأزيد من خمسة قرون من الفتح سنة(92هـ/711م) إلى غاية سنة وفاة المؤلف سنة(599هـ/1203م)؛ حيث جاء المؤلف في جزأين ضم 1602ترجمة، استخدم نفس المنهجية المتبعة من طرف علماء الأندلس عند تأليفهم لهذا النوع من الكتب، رتب تراجمه وفق حروف المعجم، غير أنه تعمّد تسبيق حرف الميم تيمنا بالنبي -محمد صلى الله عليه وسلم-، كما أخذ جل مادته العلمية عن المؤلفين الذين سبقوه في هذا الميدان، خاصة الحميدي في كتابه جذوة المقتبس وأيضا من كتاب تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي وغيرهما.

لقد استفدنا من المصدر بجزأيه معا؛ لاحتوائه على معلومات مهمة تمس الحياة العلمية والثقافية التي جاءت ضمن تراجمه في التعريف بالعلماء والعلوم الرائجة، وكذا ما تعلق بالتعليم

بالأندلس كالطرق المستعملة بالتعليم، وذكر أسماء كثيرة للمعلمين والمؤدبين وغير ذلك من الأمور العلمية بالأندلس خلال فترة الدراسة.

-**طبقات النحويين واللغويين** لمحمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة(379هـ/989م)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر، 1984م.

الكتاب مصدر أصيل لتراجم النحويين واللغويين، خاصة أن مُؤلفه عالم أندلسي إشبيلي الأصل، من العلماء المتميزين الذين برعوا في اللغة والنحو خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، ضم بين دفتي كتابه 296 ترجمة لعلماء مختلف البلاد الإسلامية، ممن برزوا في هذا المجال، بداية زمن أبي الأسود الدؤلي في صدر الإسلام إلى عهد شيخه أبي عبد الله الرياحي إمام اللغة والنحو بالأندلس في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، من بينهم الكثير من نحوي الأندلس، أما ما يميز كتابه أنه استقى مادته العلمية من مصدرين: الأول عن طريق الروايات الشفوية من شيوخ وعلماء الأندلس، ما رواه عن أبي علي القالي وقاسم بن أصبغ وأحمد بن حزم وغيرهم، والمصدر الثاني نقله من كتب مهمة في هذا المجال، كتاريخ اليعقوبي وكتاب الأغاني لإسحاق الموصلي وكتاب الخليل في اللغة وغير ذلك، وتبرز أهمية هذا الكتاب في دراستنا كونه أمدنا بمعلومات عن جانب الأدب واللغة، نظرا لاحتوائه على أسماء أندلسيين ممن برزوا في هذا المجال، إضافة إلى وجود معلومات تخص جانب التعليم عند تطرقه إلى معلمي ومؤدبي وقراء الأندلس خلال عصر الإمارة، لذلك لم يخل الفصلان الثالث والرابع من مادة هذا الكتاب القيم.

-**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** من تأليف ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين القاضي المالكي توفي سنة(799هـ/1397م)، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1417هـ/1996م.

مُؤلف الكتاب مشرقي ولد بالمدينة وتوفي بها؛ حيث عني في مؤلفه هذا بتأريخ أشهر علماء المالكية من مختلف الأمصار الإسلامية، شاملا فترة زمنية طويلة تمتد من زمن الإمام مالك بن أنس وصولا إلى القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، يحمل الكتاب بين دفتيه 632ترجمة مرتبة على حسب حروف المعجم، فقد شاعت هذه الطريقة في التأليف كثيرا في زمن ابن فرحون جاء من بين تراجمه الكثير من مالكية الأندلس، إضافة إلى معلومات تخص الحياة الثقافة خلال

ذات الفترة، أما الشيء الملاحظ حول تراجمه أنها جاءت مختصرة وتحمل معلومات غير شافية في أغلب الأحيان، استخدمنا الكتاب في الفصلين الثالث والرابع عند حديثنا عن علماء الأندلس ورحلاتهم وشيوخهم.

-**سير أعلام النبلاء** للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي المتوفى سنة(748هـ/1374م)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، بيروت 1405هـ/1985م.

المُؤلف عبارة عن موسوعة ضمت 25 جزءا، وهي من أضخم مؤلفات الذهبي، نظم مادته على طريقة الطبقات؛ حيث ضم مؤلفه هذا حوالي أربعين طبقة شملت حقبة زمنية طويلة تمتد من زمن الصحابة وصولا إلى عصره الذي عاش فيه، كما جاءت تراجمه شاملة لكافة أعلام العالم الإسلامي دون استثناء، أما الشيء المميز في تراجمه هو التنوع الكبير في الشخصيات التي تناولها؛ فنجده قد ترجم للخلفاء والأمراء والوزراء والقضاة والقراء والمحدثين والفقهاء والأدباء واللغويين والنحويين والشعراء والزهاد والفلاسفة والمتكلمين، رغم أن ميله إلى طائفة المحدثين كان واضحا في مؤلفه.

وتكمن أهمية هذا المصدر المهمفي عدد تراجمه وتنوعها، التي شملت مختلف علماء الإسلام سيما أعلام الحجاز والأندلس، إضافة إلى غزارة معلوماته التي احتوتها تراجمه؛ لذلك لم تستغن عنه دراستنا في كل فصولها دون استثناء.

-<u>كتب الجغرافية والرحلات:</u>

-**صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار** لمحمد بن عبد المنعم الحِميري(ت900هـ/1795م)، تحقيق لافي بروفينسال، دار الجيل، ط2، بيروت 1408هـ/1988م.

يعد من المصادر الجغرافية المهمة، امتدت معلوماته المقدمة إلى سنة(866هـ/1462م) وتكمن أهميته في المادة الثرية التي يحتويها عن مدن وقرى الأندلس، سيما تلك المعلومات التي تخص الاقتصاد والتجارة بالأندلس؛ لذلك فقد استفدنا من هذا المصدر الجغرافي التاريخي في التعريف ببعض الأماكن والمدن بالأندلس وإبراز مقوماتها الاقتصادية والتجارية.

-**كتاب المسالك والممالك** لأبي عبيد البكري(توفي في القرن5هـ/11م)، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، طبعة دار الغرب الإسلامي، (جزأين).

لا ريب أن البكري اشتهر بهذا المؤلف وهو يدخل ضمن كتب الجغرافية التاريخية، كونه يحتوي على معلومات جغرافية عن أسماء المدن والقرى والبلدات والطرق والمسالك البرية والبحرية، إضافة إلى معلومات تاريخية كثيرة، وقد استفدنا من الكتاب في التعريف ببعض الطرق التي سلكها الأندلسيون في رحلتهم إلى المشرق، إضافة إلى جوانب تجارية واقتصادية أخرى كالأسواق والتبادلات التجارية التي كانت تحدث في ذلك الزمن.

-**كتاب صورة الأرض** لابن حوقل أبو القاسم النصيبي(367هـ/977م)، طبعة منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

تكمن أهمية هذا المصدر الجغرافي أن مؤلفه عاش في فترة جد متقدمة؛ فقد عاصر الدولة الأموية فكان حيا خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، كما أنه زار الأندلس وبالتالي الكثير من معلوماته المقدمة كانت من مشاهداته، مما يضفي عليها دقة أكثر.

وقد استعملنا المصدر في حديثنا عن الجوانب الاقتصادية والتجارية للأندلس، وكذا عن المحطات والمدن التي كان ينزلها البحارة والمرتحلون الأندلسيون خلال تلك الفترة، وهو ما أعطانا صورة عما كانت عليه المنطقة خلال تلك الفترة من تاريخها.

-**كتاب البلدان** لأحمد بن أبي يعقوب الشهير باليعقوبي المتوفى سنة(284هـ/897م)، تحقيق محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1422هـ/2002م.

يعتبر أقدم كتاب جغرافي ضم معلومات غنية عن بلدان ومدن إسلامية، وقد استخدمنا هذا المصدر الجغرافي التاريخي القيم في التعريف بمدن الحجاز والأندلس معا.

- **سفر نامة** لصاحبه ناصر خسرو، ترجمة يحي الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية، القاهرة، 1993م.

الكتاب عبارة عن رحلة روحية إلى الحج، قام بها خسرو الخرساني، زار خلالها المؤلف بلدانا ومدنا كثيرة، منها مصر والحجاز قبل وصوله إلى مكة وتأديته للحج؛ حيث عكف المؤلف على تسجيل ملاحظاته ووصفه لمشاهداته التي تقع حوادثها بين سنة 437 وسنة 444هجرية.

أفادنا الكتاب عند وصفه لرحلته إلى الحج، وكذا احتوائه على معلومات قيمة عن مدن الحجاز.

2- **كتب التاريخ العام**

-**تاريخ الطبري** أوما يسمى **بتاريخ الرسل والملوك** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة(310هـ/922م)، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1970م.

من أشهر كتب الإسلام قاطبة على مر التاريخ، المؤلَّف عبارة عن موسوعة ضخمة جاءت في أحد عشر جزءا، بدأ كتابه من حوادث بداية الخلق وصولا إلى بعثت النبي -صلى الله عليه وسلم- وما أعقبه من أحداث، حتى مطلع القرن الرابع الهجري تحديدا إلى عام (302هـ/915م)، لقد استخدم المنهج الحولي في ترتيب الحوادث التاريخية؛ أي بذكر السنة وعرض أبرز الحوادث التي وقعت فيها، وتكمن أهمية مصنفه في كونه كتابا ثريا غزير المعلومات؛ حيث جمع أخبار من سبقه في ميادين عدة، تفسير ولغة وتاريخ وسير وغير ذلك.

وقد استخدمنا هذا الكتاب لا سيما أجزاءه الرابع والسادس والسابع والثامن والتاسع على وجه الخصوص، في تتبع الأحداث السياسية الهامة التي وقعت بالحجاز خلال القرن الثاني الهجري.

-**الكامل في التاريخ** لعلي بن محمد بن الأثر الجزري المتوفى سنة(630هـ/1233م)، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، 1407هـ/1987م.

الكتاب عبارة عن موسوعة تاريخية شاملة ضمت أحد عشر جزءا، اقتبس المؤلف الكثير من مادته من عدة مؤلفات سبقته في هذا المجال سيما كتاب تاريخ الطبري، وقد التزم المُؤلف ترتيب حوادثه وفق السنين؛ فجاءت حوادثه مرتبة منسقة مما سهل فهم الأحداث.

وتم الاستعانة بالكتاب الأجزاء (الثالث-الخامس-السادس- العاشر)، في الفصل الأول عند حديثنا عن الثورات التي ظهرت بالحجاز وما تعلق بها من أحداث.

-**البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب** لابن عِذاري المُرَّاكشي المتوفى بعد سنة(712هـ/1312م) الجزء الثاني، تحقيق كولان وبروفينسال، دار الثقافة، ط2، بيروت 1400هـ/1980م.

الكتاب جاء في أربعة أجزاء بالإضافة إلى جزء خاص، حيث خصص جزئه الثاني لعرض حوادث الأندلس، استطاع هذا المؤرخ المغربي العملاق تقديم معلومات مفصلة عن حوادث مهمة وقعت بالأندلس، بداية من أحداث الفتح وعصر الولاة، ثم سيرة حكام بني أمية وعلاقتهم بالعلماء والثورات التي عاشتها الدولة الأموية، مثل ثورة الربض وغيرها من الحوادث.

-**تاريخ افتتاح الأندلس**لابن القوطية محمد بن مزاحم القرطبي المتوفى سنة(367هـ/977م) تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة وبيروت 1410هـ/1989م.

ترجع قيمة الكتاب إلى المعلومات المقدمة حول حوادث فتح الأندلس، وكذا قيام الإمارة الأموية وسيرة أمرائها وما تخلل تلك الفترة من أحداث، خاصة علاقة العلماء بالأمراء، كما انفرد برواية الصميل التي تظهر وجود مؤسسة الكتاب قبل عصر الإمارة بالأندلس.

-**المقدمة** وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون والمسمى **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، لعبد الرحمان بن خلدون المتوفى سنة(808هـ/1406م)، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2001م.

الكتاب يتحدث عن ميادين العلوم المختلفة: كالتاريخ والسياسة، العمران وغيرها، زيادة على ذلك فقد تميز العلامة ابن خلدون باطلاعه الواسع وببصيرته العميقة، ما جعل مؤلفه لا غنى عنه في الكثير الدراسات التاريخية، وقد استخدمنا هذا المصدر في ضبط بعض المصطلحات في ميدان الفقه والحديث وأمور الحكم، وفي مواضع أخرى كلما استدعت الحاجة.

ثانيا المراجع:

استفدنا في دراستنا من مجموعة واسعة من الكتب الحديثة والمقالات والرسائل الجامعية التي لها صلة بموضوعنا، المألفة باللغة العربية أو المترجمة والبعض الآخر غيرمترجمة، نذكر:

-**دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية**، من تأليف سعيد عبد الفتاح عاشور وسعيد زغلول عبد الحميد وأحمد مختار عبادي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1996م.

الكتاب عبارة عن ثلاث دراسات منفصلة تم جمعها في مؤلف واحد، فشكلوا مرجعا مهما في تاريخ الحضارة الإسلامية؛ حيث تناول الكتاب جوانب عدة في الحضارة الإسلامية، فكريا واجتماعيا

واقتصاديا، مع وضع أمثلة في كل مرة من مواطن مختلفة بالبلاد الإسلامية، فاستفادت دراستنا في بعض الجوانب الاجتماعية والإدارية بالأندلس.

-**شيوخ العصر في الأندلس**، لحسين مؤنس، دار الرشاد، الطبعة الثانية، القاهرة 1417هـ/1997م.

عُرف عن المُؤلف بدراساته الجادة حول تاريخ الأندلس؛ حيث ترك لنا تراثا قيما في هذا الجانب؛ فقد عالج المؤلف فئة مهمة بالأندلس وهم العلماء أو كبار الفقهاء، فأظهر أدوارهم وتأثيراتهم سياسيا ودينيا فضلا عن إسهماتهم الفكرية.

واستخدمنا هذا المرجع في عدة نقاط بدراستنا: أمدّنا بمعلومات عن الخطط الدينية وبالأخص مالكية الأندلس، مع إظهار آراءه حول أسباب سيادة المالكية للأندلس في تلك الفترة.

-**التربية الإسلامية في الأندلس(أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية)**، جوليان ريبيرا، ترجمة طاهر أحمد مكي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994م.

المُؤلف رائد المدرسة الاستشراقية الإسبانية، المعروف بموضوعيته وإنصافه للحضارة الأندلسية؛ حيث تناول في دراسته هذه موضوع التربية والثقافة بالأندلس، واستخدمنا الكتاب في جانب التعليم بالأندلس، وكذا دور مختلف فئات المجتمع الأندلسي في الحياة العلمية خلال عصر الإمارة.

-**تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية**، لمؤلفه ليفي بروفنسال، ترجمة عبد الرؤف البمبي وآخرون، صدر عن المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الثالثة، 2000م.

لا شك في أن أعمال بروفنسال تمتاز بالقيمة والموضوعية العالية، لما تحتويه من معلومات قيمة يطبعها في كثير من الأحيان نقاشات وآراء عميقة، فهو مرجع مفيد لأي باحث في التاريخ الأندلسي، واستخدمنا كتابه في إظهار جهود أمراء الأندلس في مجالات عدة، وبعض المعلومات حول الأحداث الهامة التي وقعت في عصر الإمارة.

-**المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، لجواد علي، الطبعة الثانية، 1413هـ/1993م.

الكتاب عبارة عن دراسة مفصلة لتاريخ العرب في العصر الجاهلي، التي جاءت في عشرة أجزاء، تناولت كل نواحي الحياة في تلك الحقبة، سياسيا واجتماعيا ودينيا وأدبيا وغير ذلك، وقد

استفدنا من هذا الكتاب خاصة في الفصل الثاني عند التعريف بالحجاز، وكذا الأنشطة التي كانت سائدة بالمنطقة وعلى رأسها التجارة، إضافة عند الحديث عن ثقافة العرب قبل الإسلام.

-**دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، تأليف مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، 1400هـ/1980م.

الدراسة تخصّ ميدان العلوم الشرعية تحديدا علم الحديث الشريف، حيث ساير المؤلف السنّة النبوية منذ نشأتها الأولى وحتى تدوين الحديث، وهو كتاب قيم يحمل في طياته الكثير من المعلومات التاريخية عن النشاط الثقافي في العصر الإسلامي، استخدما الكتاب في ضبط بعض المصطلحات الشرعية، وكذا عند الحديث عن الطرق التعليمية بالحجاز.

كما لايفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان، إلى الأستاذ المشرف الدكتور حمزة حاجي، على كل مابذله من جهد ووقت في سبيل إخراج هذا العمل على أتم وجه؛ فكان دائما حريصًا على إشعار كل تفاصيل يلاحظها، يرى أنه يحتاج إلى تقويم أحسن، فجزاه الله عنا خيرا.

وأود أن أشكر أيضا أساتذتي الأفاضل على مجهوداتهم الكبيرة، التي لا تضاهى بثمن ولا يمكن اختزالها في بضع كلمات، وعلى وجه الخصوص أستاذي توفيق مزاري عبد الصمد وأستاذي موسى هيصام، وأستاذي الغالي غربي، فأعدّ نفسي من المحظوظين حقًا لأنني كنت في يوم من الأيام طالبا عندكم، ولأنني نهلت من بحور العلم على يديكم، بفضلهم تعلمنا واجتهدنا وحلمنا ووصلنا إلى ما طمحنا إليه، وإلى كافة أساتذة قسم التاريخ بجامعة المدية؛ فشُكرًا لكم جزيل الشكر.

وفي الختام نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا في عملنا هذا، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم ثم تقديم خدمة لهذا الوطن العزيز.

المدخل

جوانب عن أوضاع الأندلس من الفتح الإسلامي حتى قيام الإمارة الأمويّة(92-138هـ/711-756م)

أولًا: التّسمية والموقع الجغرافي للأندلس

ثانيًا: جهود المسلمين في فتح الأندلس(92-95هـ/711-714م)

ثالثًا: أوضاع الأندلس في عصر الولّاة(95-138هـ/714-756م)

رابعًا: قيام الإمارة الأموية في الأندلس(138هـ/756م)

مرّت الأندلس منذ الفتح الإسلامي سنة(92هـ/711م) وإلى غاية بدايات الرّبع الثّاني من القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي بمحطات تاريخية مهمّة، بداية من جهود الفاتحين، ثم تحوّلها إلى ولاية إسلامية خالصة تتبع الخلافة بالمشرق، وصولا إلى قيام إمارة أمويّة مستقلّة، تخلّلت الأندلس طيلة هذه الفترة أحداثا هامّة وخطيرة، من الجهاد والتوسع على حساب النّصارى، وأيضا ظهور ثورات وصراعات عصبية وقبليّة من أجل السلطة، استمرت لمدة طويلة من الزمن ما انعكس على الأوضاع العامة بالبلاد، وهي السّمة البارزة لتلك الفترة؛ لذلك سنركز حديثنا بشكل كبير على الجوانب السّياسية، والعسكرية للأندلس حتى نهاية عهد موطد الإمارة الأموية عبد الرحمان الداخل.

أولًا: التّسمية والموقع الجغرافي للأندلس

1- التّسميّة:

كلمة أندلس اشتقها العرب من كلمة واندلوس، نسبة إلى قبائل الوندال الجرمانية[1]، التي احتلت المنطقة واستقرّت في جنوب البلاد منذ القرن الثالث وحتى القرن الخامس الميلادي، فعندما قدم العرب الفاتحين عرّبوا الاسم إلى أندلس[2]، كما كانت تُعرف في القديم باسم إيبارية، ثم أطلق عليها الرومان اسم إسبانيا[3].

أما مصطلح الأندلس فيطلق على الأراضي التي سيطر عليها المسلمون في شبه الجزيرة الأيبيرية[4]، كما تنسب هذه الأخيرة إلى القبائل التي سكنت المنطقة منذ القدم عُرفوا بقبائل الأيبير[1].

---

[1] الجرمان: كانوا أقرب الشعوب البرابرة إلى حدود الإمبراطورية الرومانية، وأخذوا منذ القرن الأول والثاني الميلادي ينتشرون بالمنطقة خاصة في الجنوب والغرب، تمكن الوندال أحد عناصر الجرمان من السيطرة على أجزاء واسعة من إسبانيا، وشمال إفريقية خلال القرن الخامس الميلادي. انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، **تاريخ أوربا في العصور الوسطى**، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 1976، ص، ص57، 73.

[2] أحمد مختار العبادي، **في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دط، بيروت، دت، ص17.

[3] عبد الواحد ذنون طه، **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس**، دار المدار الإسلامي، ط1، ليبيا، 2004، ص65؛ محمد عبده حتاملة، **إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين**، وزارة الثقافة الأردنية، دط، عمان، 1996/1416، ص ص105،106.

[4] طه، المرجع نفسه، ص ص65،66 ؛ العبادي، المرجع نفسه، ص17.

2- الموقع الجغرافي:

تقع الأندلس جنوب البر الأوربي آخذةً شكلا مثلثا حسب وصف الجغرافيين العرب[2]، وبوصف أدق خماسية الشكل[3]، حيث يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث؛ ففي الشّمال والغرب تطل على بحر الظلمات، وجنوبا على بحر الروم، ومن ناحية الشرق نجد جبال البرانس أو البُرت أو البُرتات التي تفصلها عن بلاد الفرنجة[4]، كما يفصلها عن المغرب بحر ضيّق يُعرف بمضيق جبل طارق[5] أو ببحر الزقاق، الذي لا يزيد طوله عن اثنا عشر ميلا[6]، كما ساعدها موقعها المميز من توسطها بين شمال إفريقيّة وأوربا، وإشرافها على بحر الرّوم والظلمات، كل ذلك جعلها ممرّا هامّا للطّرق التّجارية بين الشرق والغرب[7].

غير أن الإطار الجغرافي للأندلس يقصد به الأراضي التي كانت تحت حكم الدولة الإسلامية، وقد تباينت رقعتها حسب الفترات التي مرّت بها[8].

ثانيّا: جهود المسلمين في فتح الأندلس(92-95هـ/711-714م)

تطلّع المسلمون إلى فتح الأندلس منذ سنة(27هـ/648م)، في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-[1]، غير أن العملية لم تتم حتى تمكّن العرب الفاتحين من إخضاع بلاد

---

[1] شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، ج1، مؤسسة هنداوي، دط، المملكة المتحدة، 2001، ص29.

[2] الحموي ياقوت شهاي الدين بن عبد الله(ت626هـ/1228م)، **معجم البلدان**، ج1، دار صادر، دط، بيروت، 1977/1397، ص262؛ الإدريسي أبو عبد الله بن محمد(ت559هـ/1166م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج2، مكتبة الثقافة الدينية، دط، القاهرة، 2002/1422، ص525.

[3] كولان، **الأندلس**، تر إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة ولبنان، 1980، ص61.

[4] العبادي، المرجع السابق، ص18.

[5] سمي بجبل طارق نسبة إلى الفاتح البربري طارق بن زياد، عندما تحصن به في حملته الكبرى لفتح الأندلس. انظر: الإدريسي، المصدر نفسه، ج2، ص540.

[6] المصدر نفسه، ج2، ص527؛ كولان، المرجع نفسه، ص62.

[7] حتاملة، الرجع السابق، ص ص18،19.

[8] الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص262.

المغرب كاملةً؛ ففي عهد القائد موسى بن نصير(79-95هـ/698-714م)[2]، تَمّ القضاء بشكل كامل على المقاومة البربرية ومَدِّ نفوذ المسلمين إلى أقصى بلاد المغرب، متّخذا من مدينة طنجة[3] قاعدة للمسلمين في تلك البلاد، فرسخ الوجود الإسلامي في بلاد المغرب ودخل البربر أفواجا في الإسلام، وكثر المرابطين في طنجة المتحمسين للجهاد[4]، لم يمكثوا طويلا حتى تطلّعوا إلى مدِّ نفوذهم نحو الجهة المقابلة، خاصة أن الأندلس كانت بمثابة امتداد جغرافي للمغرب، ولا يفصلهما عن بعضهما سوى مسافة ضيّقة من البحر تعرف ببحر الزّقاق أو المجاز، تقدر باثنا عشر ميلا بين مدينة طنجة بالمغرب وجزيرة جبل طارق الواقعة في جنوب الأندلس[5]، كما وجدت أسبابا أخرى ساهمت في عملية الفتح، متمثلة في تقديم يوليان حاكم مدينة سبتة[6] وما حولها المساعدة للمسلمين، وتعاونه بشكل فعلي في عملية الفتح[7].

---

[1]ابن الأثير أبي الحسن علي الجزري(ت630هـ/1233م)، **الكامل في التاريخ**، ج2، تح يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987/1407، ص486؛ ابن عذاري أحمد بن محمد(توفي نحو695هـ/1295م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج2، تح كولان وبروفينسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983، ص4.

[2] موسى بن نصير أبا عبد الرحمان مولى لخم يروي عن تميم الداري، والي القيروان وفاتح الأندلس، توفي سنة(97هـ/716م) بوادي القرى. انظر: ابن الفرضي عبد الله بن محمد الأزدي(ت403هـ/1013م)، **تاريخ علماء الأندلس**، ج2، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة وبيروت، 1989/1410، ص848-850.

[3] طَنجة: مدينة قديمة أزلية تقع على مسافة ميل من ساحل البحر المغربي تقابلها الجزيرة الخضراء الأندلسية. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص43.

[4] موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981، ص93؛ محمد الأمين محمد ومحمد علي الرحماني، **المفيد في تاريخ المغرب**، دار الكتاب، دط، الدار البيضاء، دت، ص ص44، 45.

[5]الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم الكرخي(ت346هـ/957م)، **مسالك الممالك**، مطبعة بريل، لندن، دط، 1927، ص68؛ المراكشي عبد الواحد(ت647هـ/1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث العربي، دط، دت، ص32؛ محمد سهيل طقوش، **تاريخ المسلمين في الأندلس**، دار النفائس، ط3، لبنان، 2010/1431، ص32.

[6] سَبتَة: مدينة مغربية شهيرة تقع على ساحل البحر يوجد بها مرسى ترتاده السفن، وهي أقرب مدينة للعدوة. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج3، ص ص182، 183.

[7]مجهول، **أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها -رحمهم الله- والحروب الواقعة بها بينهم**، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة وبيروت، 1989/1410، ص16؛ ذكر أن

بعد أن استقرت فكرة فتح الأندلس بهدف نشر الإسلام وإعلاء كلمة الله، راسل موسى بن نصير الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان(86هـ/705م-96هـ/715م)[1]، يَعرض عليه الأمر ويستأذنه في الغزو؛ فجاءه ردّ الخلافة أن يختبر قوة العدو بإرسال السرايا[2]، فأرسل من أجل ذلك حملة استطلاعية في شهر رمضان من سنة(91هـ/710م)، بقيادة طريف بن مالك المعافري في أربعمائة رجل معهم مائة فارس على متن أربعة مراكب، أعدّها لهم حاكم سبتة يوليان، تمكّن من الإغارة على مناطق قريبة من السّاحل، فدخل الجزيرة الخضراء[3]، وخرّب بلادهم قبل أن يعود سالما غانما إلى المغرب بالسبي والأموال[4]، لقد دفعت حملة طريف الموفقة وما حققته من مغانم وسبي وفير، إلى تطلع الناس للجهاد في الأندلس[5]، الشيء الذي ساعد موسى بن نصير المُضي قدما في خطته، فجهز جيشا كبيرا قوامه سبعة آلاف مقاتل جلهم من البربر والموالي مع قلة من العرب، بقيادة مولاه طارق بن زياد[6]، نقلوا على متن مراكب تجارية ليليان حتى لا يلحظهم أحد، ووصلت

يوليان حقد على ملك الأندلس لذريق بسبب اعتداء هذا الأخير على ابنته في قصره بقرطبة، ما جعله يصمم على الانتقام منه، فذهب بنفسه إلى موسى بن نصير في القيروان سنة(90هـ/709م) واخذ يرغبه في فتح الأندلس ويسهل عليه الصعاب ويصف له حسنها وخيراتها ووعده بتقديم المساعدة. انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، تح محمد يوسف الدقاق، ص264؛ ابن الكردبوس(ت القرن6هـ/12م)، **تاريخ الأندلس**، تح أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، دط، مدريد، 1971، ص ص44، 45.

[1] هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي، تولى الخلافة بعد وفاة والده عبد الملك بن مروان سنة(86هـ/705م) شيد الجامع الأموي الكبير بدمشق ووسع في المسجد النبوي، بلغت الخلافة في عهده اتساعا عظيما بعد الفتوحات التي تمت في الأندلس وبلاد الهند، توفي سنة(96هـ/715م). انظر: الذهبي شمس الدين بن عثمان (ت748هـ/1374م)، **سير أعلام النبلاء**، ج4، تح شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1985/1405، ص ص347، 348.

[2] النويري شهاب الدين أحمد(ت733هـ/1333م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج24، تح عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، دت، ص24.

[3] الجزيرة الخَضراء: منطقة متصلة ببر الأندلس يحيط بها البحر، تقابلها في العدوة المغربية مدينة سبتة، تبعد عن قرطبة مسافة خمس وخمسون فرسخاً. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص136.

[4] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج4، ص266؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص5.

[5] لقبال، المرجع السابق، ص92.

[6] هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهو بن ورفجوم بن ينغراسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو مولى موسى بن نصير، عامل طنجة وقائد جيش فتح الأندلس (92هـ/711م). انظر: ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص5.

طلائع جيش طارق بن زياد إلى الأندلس في شهر رجب من سنة(92هـ/711م)[1]، ويرى طقوش أن اختيار قائد بربري لتلك المهمّة يُعدّ تحوّلا كبيرا في علاقة العرب مع البربر من خلال فتح الباب لهم للمشاركة في عملية الفتح وإدارة البلاد[2]، وهي إحدى ثمرات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الذي اسفر في دخول الكثير من القبائل البربرية إلى الإسلام واصبحوا يمثلون القوة الضاربة في الجيش الإسلامي بالمنطقة، وبعد أن استقر الجيش كاملا زحف طارق وفق خطّة محكمة فكانت قرطاجنة[3]، أولى المدن الأندلسية التي افتتحت، وفي ظلّ تلك الأحداث سارع ملك إسبانيا رذريق[4] إلى حشد جهوده كافة لمواجهة المسلمين، تذكر بعض الرّوايات أنه جمع جيشا كبيرا قوامه مائة ألف مقاتل[5]، بينما قدّره ابن خلدون بأربعين ألفا من مختلف بلاد الأعاجم[6]، زحف الجيش القوطي[7] للقاء المسلمين وهو على ثقة كبيرة من تحقيق النّصر، يُصوّر لنا ابن كردبوس ذلك في قوله: "خرج إلى لقاء المسلمين في مائة ألف فارس، ومعه العجل تحمل الأموال والكسا..ومعه أعداد دواب لا تحمل غير الحبل لكتاف الأسرى، إذ لم يشك في أخذهم"[8].

---

[1] ابن عبد الحكم(ت257هـ/871م)، **فتوح مصر والمغرب**، ج1، تح عبد المنعم عامر، دار الذخائر، دط، القاهرة، دت، ص277؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص268؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص6.

[2] طقوش، المرجع السابق، ص ص36.

[3] قَرطاجنة: مدينة بالأندلس تقع بالقرب من جبل طارق. انظر: الحميري محمد بن عبد المنعم(ت900هـ/1495م)، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح ليفي بروفنسال، دار الجيل، ط2، بيروت، 1988/1408، ص151.

[4] لُذريق(91-93هـ/709-711م) قائد قوطي استولى على ملك اسبانيا. انظر: حتاملة، المرجع السابق، ص255.

[5] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج4، ص268؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص25؛ المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1632م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، ج1، تح إحسان عباس، دار صادر بيروت، دط، 1988/1408، ص231.

[6] ابن خلدون عبد الرحمان(ت808هـ/1406م)، **تاريخ ابن خلدون**، ج4، تح خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، دط، بيروت، 2000/1421، ص150.

[7] القُوط: أصلهم من سكندوناوة تركوا موطنهم واحتكوا بالرومان، مع مرور الوقت اعتنقوا المسيحية واستقروا في منطقة تمتد من تولوز على نهر الجارون إلى اسبانيا بعد تمكنهم من طرد الوندال عنها سنة 429ميلادية. انظر: عاشور، المرجع السابق، ص66-71.

[8] ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص47.

وقد علم طارق عبر العيون مدى حجم الجيش القوطي وأنه لا طاقة له به؛ لذلك راسل قائده موسى بن نصير في طنجة يطلب منه المدد، فأمدّه بخمسة آلاف مقاتل ليجتمع في جيش المسلمين بالأندلس إثنا عشر ألفا[1]، التقى المسلمون والقوط في وادي لكة بالقرب من كورة شذونة[2] في 28 من شهر رمضان سنة(92هـ/711م)، وبعد اقتتال شديد دام ثمانية أيام، تمكن المسلمون من تحقيق النصر وأخذوا في مطاردة فلول الجيش القوطي المنهزم[3]، وفي ظل حالة الفوضى والفزع الذي أصابهم واصل المسلمون زحفهم فانهارت مقاومة القوط، وتساقطت مدنهم تباعا بأيدي المسلمين؛ ففتحت استجة[4] وقرطبة[5] وطليطلة[6]، وقصد مساعدة جيش طارق في عملية الفتح، عبر موسى بن نصير في رجب من سنة(93هـ/712م)[7]، مع جيش كبير يضمّ أشراف العرب والموالي والبربر، تمكّن هو الآخر من فتح مدينة شذونة، وإشبيلية[8] وماردة[1]، ودخل بلاد جليقية[2] وخربها[3]،

---

[1]الطبري ابن جرير(ت310هـ/923م)، **تاريخ الطبري**، ج6، تح أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، مصر، 1977، ص468؛ ابن القوطية محمد بن عمر(ت368هـ/977م)، **تاريخ افتتاح الأندلس**، ج1، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة وبيروت، 1989/1410، ص36؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص268.

[2] شَذونة: كورة بالأندلس سكنها جند فلسطين من العرب. انظر: الحميري، المصدر السابق، ص100.

[3]ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص279؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، ج4، ص268؛ النويري، المصدر السابق، ج24، ص25؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص8.

[4] استجة: مدينة على نهر غرناطة، تبعد عن قرطبة مسافة خمس وثلاثين ميلا. انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص572.

[5] قُرطبة: مدينة كبيرة تقع وسط الأندلس ضلت عاصمة دولة بني أمية، تبعد عن البحر مسيرة خمسة أيام. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص324.

[6] طُلَيْطُلَةُ: مدينة أزلية مبنية على ضفة النهر الكبير المسمى تاجة، كانت دار ملك الروم عند افتتاحها. انظر: الإدريسي، المصدر نفسه، ج2، ص551.

[7] جاءت روايات متباينة حول تاريخ دخول موسى ابن نصير إلى الأندلس، يذكر النويري انه دخلها في شهر رمضان من سنة(93هـ/711م). انظر: **نهاية الأرب**، ج 24، ص26؛ بينما جعل كل من ابن عبد الحكم وعبد الواحد المراكشي تاريخ دخوله في شهر رجب من نفس السنة. انظر: **فتوح مصر والمغرب**، ج1، ص280؛ **المعجب**، ص34؛ كما يؤكد ابن الفرضي سنة دخول موسى بن نصير. انظر: **تاريخ ابن الفرضي**، ج2، ص848.

[8]إشبيلَيَة: تعرف أيضا بحمص الأندلس وهي مدينة كبيرة قريبة من البحر مبنية على نهر عظيم يقال له الوادي الكبير، تقع غرب قرطبة على بعد ثلاثين فرسخا. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص195.

يذكر المقري في هذا الصدد: "ولم تبق كنيسة إلا هدّمت ولا ناقوس إلا كسر، وأطاعت الأعاجم فلاذوا بالسلم وبذل الجزية وسكنت العرب المفاوز، وكان العرب والبربر كلما مر قوم منهم بموضع استحسنوه حَطوا به ونزلوه قاطنيين، فاتسع نطاع الإسلام بالأندلس"[4]، وبعد أن تمكّن موسى رفقة مولاه طارق من فتح الأندلس، وصله كتاب الخليفة من دمشق يطلب منه الخروج إليه، فقدم إليه بأحمال من الأمتعة والأموال والذهب والنفائس التي غنموها في الأندلس، مع ثلاثين ألفا من سبي القوط وأعيانهم[5] يذكر المقري عن فتح الأندلس: "وافتتحت الأندلس في أيام الوليد بن عبد الملك فكان فتحا من أعظم الفتوح الذاهبة بالصيت في ظهور الملة الحنيفية"[6].

[1] مَارِدَة: كورة واسعة تبعد عن قرطة مسافة ستة أيام. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص ص38، 39.

[2] جِلِيقِيَّة: منطقة في شمال الأندلس تقابل بلاد المغرب، قاعدتها مدينة أقش. انظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص66، 67.

[3] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص280؛ ابن القوطية، المصدر السابق، ج1، ص36.

[4] المقري، المصدر السابق، ج1، ص276.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج4، ص ص270، 271.

[6] المقري، المصدر نفسه، ج1، ص249.

ثالثًا: أوضاع الأندلس في عصر الولّاة(95-138هـ/714-756م)

يبدأ عصر الولاة من استدعاء والي إفريقية[1] القائد موسى بن نصير إلى دمشق سنة(95هـ/714م)[2]، وحتى قيام الإمارة الأموية بها في سنة(138هـ/756م) على يد عبد الرحمان بن معاوية[3] الملقّب بصقر قريش[4]، الذي كانت دولته مستقلّة سياسيا عن الخلافة العباسيّة بالمشرق، كانت الأندلس في عصر الولاة ولاية تابعة للخلافة بالمشرق، يتولّاها أمير أو والي يعين تارة من طرف والي إفريقية، ويعين تارة أخرى من طرف الخليفة نفسه[5]؛ حيث تداول على منصب الإمارة بالأندلس خلال هذا العصر عدد كبير من الولاة.

1- جهود ولّاة الأندلس في مدّ النّفوذ الإسلامي وإدارة البلاد:

بعد رحيل الفاتح موسى بن نصير عن الأندلس سنة(95هـ/714م)[6]، ترك ابنه عبد العزيز (95-97هـ/714-716م)[7]أميرًا على البلاد[8]، يذكر أنه كان رجلا تقيا ورعا قويا مثل والده؛

---

[1] إفريقية: اسم لبلاد واسعة امتدت حدودها من برقة شرقاً إلى طنجة غرباً، ومن البحر شمالاً إلى بلاد الصحراء جنوبا. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص228-231.

[2]ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، تح محمد يوسف الدقاق، ص120؛ المراكشي، المصدر السابق، ص34.

[3] هو عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ولد بدمشق وقيل بالعلياء من تدمُر سنة(113هـ/731م) وأمه أم ولد اسمها رَاح، خرج من المشرق هاربا من العباسيين، تمكن من الدخول إلى الأندلس سنة(138هـ/756م) وإعادة بعث دولة بني أمية من جديد، توفي سنة(172هـ/788م). انظر: الضبي أحمد بن يحيى بن ضميرة(ت599هـ/1203م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، ج1، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة وبيروت، 1989/1410، ص32؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص333.

[4]صقر قريش: لقب أطلقه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور على عبد الرحمان بن معاوية بعد تمكنه من إعادة بعث إمارة أموية جديد بالأندلس، رغم كل ما بذله العباسيين من جهود للتخلص منه واستعادتهم حكم الأندلس، التي لم تجدي نفعا أمام ذكاء وحنكة هذا الأمير الأموي. انظر: مجهول، المصدر السابق، ص108.

[5] الضبي، المصدر نفسه، ج1، ص31؛ طقوش، المرجع السابق، ص67.

[6] المقري، المصدر نفسه، ج1، ص277.

[7] يُعد عبد العزيز بن موسى بن نصير أول والي على الأندلس، تآمر عليه الجند وقتلوه وهو يصلي في المسجد بعدما أنكروا عليه أشياء كانت من عادات ملوك العجم، واتهموه بمحاولة الاستقلال بالأندلس. انظر: المراكشي، المصدر نفسه، ص35.

[8] النويري، المصدر السابق، ج24، ص29.

إذ تم في عهده استكمال فتح مدنا وبلدات كثيرة لم يصلها والده ولا طارق من قبل، كما قضى على بقايا جيوب المقاومة؛ فخضعت الأندلس لسلطة المسلمين في عهده[1]؛ ليتفرّغ بعدها إلى تنظيم أحوال البلاد وتقوية الجيش، يقول المقري في هذا الصّدد أنه: "ضبط سلطانها وضمَّ نَشَرها، وسدّ ثغورها وافتتح في ولايته مدائن كثيرة ممّا كان قد بقي على أبيه موسى منها، وكان من خير الولّاة.."[2]، غير أن ولايته لم تدم طويلا؛ فقد قتل على يد قواده سنة(97هـ/716م)[3].

عرفت الأندلس أحداثا مهمة في هذا العصر، متمثلة في تلك المكاسب العسكرية التي حققها أمراء الأندلس ببلاد الفرنجة[4]، سيما في عهد الواليين السمح بن مالك الخولاني(100-102هـ/719-721م)[5]، وفي ولاية عبد الرحمان الغافقي الثانية(113-114هـ/731-732م) عين الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز[6]، السمح بن مالك واليا على الأندلس في رمضان سنة(100هـ/719م)، وأمره بأن: "يحمل الناس على طريق الحق، ولا يعدل بهم عن منهج الرّفق... وأمتثل ما أمره به عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-"[7]، كما أصبحت الأندلس في عهده ولاية مستقلة عن إفريقية، فأخذ في تنظيم البلاد وأعاد بناء قنطرة قرطبة، وعني بالجيش عناية خاصة كما ركّز على الجهاد والتّوسع على حساب أعدائه، ويعد أول والي أندلسي ينقل نشاط الفتوحات

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص120.

[2] المقري، المصدر السابق، ج1، ص281.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص151.

[4] الفِرنجة أو الإفرنج: بلاد واسعة تفصلها عن الأندلس جبال البُرت، تتصل حدودها ببحر وبلاد الروم، وإلى بلاد الصقالبة في الشرق، وبلاد البشكيش في الغرب. انظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص26، 27.

[5] أمير الأندلس استشهد في نواحي طرشونة من سنة(102هـ/721م) كانت ولايته سنتان وثمانية أشهر. انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص341.

[6] عُمر بن عبد العزيز(99-101هـ/717-720م) ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي يكنى أبو حفص، العالم الزاهد أحد التابعين تولى الخلافة بعد وفاة سليمان بن عبد الملك في صفر سنة(99هـ/101م)، فكان خيرا عادلا في رعيته حتى سمي بالخليفة الراشد لاستقامة البلاد والعباد في عهده، توفي في رجب سنة(101هـ/720م). انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج5، ص114-148.

[7] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص26.

إلى ما وراء جبال البُرت[1] في بلاد الفرنجة[2]، عندما سيّر حملة كبيرة إلى بلاد الفرنجة تمكّن من فتح مدينة أربونة[3]، لتصبح هذه الأخيرة قاعدة للحملات الإسلامية في تلك البلاد، وتابع زحفه وأوغل حتى وصل إلى مدينة طولوشة[4]، ليستشهد بها في معركة دامية سنة(102هـ/721م)[5].

تولّى الأندلس بعده عنبسة بن سحيم الكلبي(103-107هـ/721-725م)، أخذ فترة ثلاث سنوات من ولايته في تنظيم البلاد وضبط أمورها، حتى قيل أنه استقامت به الأندلس وغزا الفرنجة[6]، ودانت الأندلس كلها بمدائنها وقراها ولم تبق سوى منطقة جبلية صغيرة بجليقية، تحصن فيها قائد قوطي يدعى "بلاي" مع بضعة مئات من رجاله، لم يتمكن المسلمون النيل منهم فتركوهم وشأنهم[7]، كما سيّر حملة جديدة عبر خلالها جبال البرت شمالا لفتح بلاد الفرنجة، استطاع فتح مدنا كثيرة، وأوغل حتى وصل إلى بلدة سانس التي تقع في عمق بلاد الفرنجة، وواصل جهاده حتى استشهد هناك في إحدى المعارك في شعبان من سنة(107هـ/725م)[8].

لقد استمر المدّ الإسلامي إلى ما وراء جبال البُرت، وهذه المرّة ستشهد بلاد الفرنجة أكبر غزوة إسلامية عدّة وعتادا، بقيادة أمير الأندلس عبد الرحمان بن عبد الله الغافقي(113-114هـ/731-732م) الذي حمل كل الصفات التي تجعله يمضي قدما في خطته لفتح بلاد الفرنجة، عُرف بشجاعته وعدله وبهمّتة العالية[9]، حيث برزت مهارته العسكرية عندما تمكّن من

---

[1] جبال البُرت: هي سلسلة جبلية عالية تفصل بين الأندلس وبلاد الفرنجة، طولها من الشمال إلى الجنوب مسيرة سبعة أيام. انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص730.

[2] عبد الرحمان علي الحجي، **التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة(92-897هـ/711-1492م)**، دار القلم، ط2، بيروت، 1981/1402، ص140.

[3] أربُونة: تقع وراء جبال البُرت على ساحل بحر الروم. انظر: الإدريسي، المصدر نفسه، ج2، ص739.

[4] طُولوشة: تقع المدينة على بعد ستين ميلا من جبال البُرت. انظر: المصدر نفسه، ج2، ص739.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص26؛ عصام محمد شبارو، **الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود**، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2002/1423، ص90.

[6] المقري، المصدر السابق، ج3، ص16.

[7] المصدر نفسه، ج3، ص17.

[8] المصدر نفسه، ج3، ص16؛ الحجي، المرجع نفسه، ص190.

[9] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج2، ص216.

إنقاذ الجيش الإسلامي المنهزم في معركة طولوشة سنة(102هـ/720م)، عقب استشهاد الأمير السمح بن مالك وانهزام المسلمين في تلك الموقعة[1]، قدم الغافقي الأندلس وهي مشتعلة فتنا بالصّراعات العصبية، تمكن خلال فترة وجيزة من إعادة الاستقرار وجمع شمل المسلمين ما استطاع إليه سبيلا، فكان عادلا مع الجميع حتى رضي به كل سكان الأندلس، عربهم وبربرهم على اختلافهم[2]، كما سارع إلى القيام بمجموعة من الإصلاحات، من تعيين أكفأ رجاله على الأقاليم وإصلاح الجيش وتنظيمه[3].

بعد أن تمكّن من ضبط أموره الداخلية، وحشد جيش كبير ومنظّم، شرع في حملته لفتح بلاد الفرنجة في أواخر سنة(114هـ/732م)؛ حيث سار شمالا وعبر جبال البُرت، وبفضل تنظيمه المحكم وحماسة جنوده تمكّن من التّوغل في أرض العدو؛ فتهاوت قلاعهم وفتحت مدنهم وغنم المسلمين غنائم كثيرة، حتى وصلوا إلى بلدة بواتيه فعسكروا هناك في سهل عظيم الاتّساع استعدادا لملاقاة جيش ملك الفرنجة شارل مارتل، الذي حشد هو الآخر جيشا كبيرا من مختلف بلاد الفرنجة ومن المتطوعين، ليصطدم الطّرفان في معركة ضارية في شهر رمضان من سنة(114هـ/732م) دامت عدّة أيام، أسفرت عن انهزام جيش المسلمين واستشهاد قائدهم عبد الرحمان الغافقي مع أعداد كبيرة من المسلمين[4]، وبعد تلك الهزيمة ضعف المدّ الإسلامي خارج الأندلس.

2- الفتن والنّزاعات في عصر الولّاة:

شهدت الأندلس خلال هذا العهد نزاعات داخلية امتدّت لأزيد من عشرين سنة(114-138هـ/732-756م)[5]، حدثت بين العرب أنفسهم، أو بين العرب والبربر كانت لها انعكاسات خطيرة على الوجود الإسلامي بالأندلس.

---

[1] محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس(العصر الأول- القسم الأول)**، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1997/1417، ص97.

[2] حسين مؤنس، **فجر الأندلس**، دار الحديث ودار المناهل، ط1، بيروت، 2002/1423، ص216.

[3] عنان، المرجع نفسه، ص85.

[4] ابن كثير، المصدر السابق، ج4، ص ص112، 113؛ المقري، المصدر السابق، ج3، ص16؛ عنان، المرجع نفسه، ص100؛ شبارو، المرجع السابق، ص93.

[5] المرجع نفسه، ص97.

أ- ثورة البربر في الأندلس(123هـ/741م):

تعد هذه الثورة امتدادا لثورة البربر المدمّرة، التي اجتاحت المغرب سنة(122هـ/740م)[1] قادها خارجي يدعى ميسرة المدغري أو الفقير، تمكّنوا بفضل الجموع الغفيرة التي انضوت تحتها من تحقيق هزائم متتالية بجيش الخلافة الأموية، كانت أشدّها وقعا في معركتي الأشراف، وبقدورة سنة(122هـ/740)[2]، ولم تنجُ فلولهم المنهزمة سوى الاحتماء داخل أسوار مدينة سبتة الحصينة[3] والتي سرعان ما انتقلت شرارتها إلى الأندلس، بعدما وصلتهم أخبار انتصارات بربر المغرب على جيش الخلافة، فأعلنوا الثورة على والي الأندلس عبد الملك بن قطن الفهري سنة(123هـ/741م) وأطلقوا سيوفهم على عرب الأندلس؛ فقتل منهم من قتل وفرّ من فرّ إلى وسط الأندلس حتى تمكنوا من السيطرة على شمال الأندلس، الذي أصبح يمثل معقل تجمعهم بالبلاد ما عدى سرقسطة[4] التي كان أغلب سكانها عربا[5]، جاء في أخبار مجموعة: "وثبوا في أقطار الأندلس فأخرجوا عرب جليقية وقتلوهم، وأخرجوا عرب أسترقة والمدائن إلى خلف الدُّروب، وانظم عرب الأطراف كلها إلى وسط الأندلس، إلا ما كان من عرب سرقسطة وثغرهم فإنهم كانوا أكثر من البربر، فلم يهيج عليهم البربر"[6]، وفي أثناء ذلك سارع والي الأندلس إدخال بلج بن بشر ومن معه من الجند الشاميين العشرة آلاف مقاتل، الذين كانوا في حالة سيئة من الجوع والعرى بسبتة، حملوا على متن مراكب إلى الأندلس، قصد الاصطفاف معا لكبح تمرّد البربر المتزايد.

وفي أثناء ذلك أقبلت البربر في حشود كبيرة، لملاقاة قوات عبد الملك بن قطن ومن معه من الشاميين؛ فحصلت بينهما معركة فاصلة بواد سليط بالقرب من طليطلة، انتصر فيها العرب

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص52.

[2] ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ج1، ص293؛ السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ الدولة العربية**، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، دت، ص400.

[3] مجهول، المصدر السابق، ص40.

[4] سَرَقُسطة: مدينة كبيرة مبنية على نهر، كانت تزرع بها أشجار الفواكه اشتهر أهلها بصناعة النسيج. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص213.

[5] شباروا، المرجع السابق، ص99.

[6] مجهول، المصدر نفسه، ص42.

انتصار حاسما وأخذوا في مطاردة فلول البربر المنهزمة حتى أفشى فيهم القتل بشكل مريع، وانتهت ثورة البربر بذلك الشكل[1].

ب- **الصّراع بين العرب البلديين وعرب الشام:**

بعد نجاح تحالف عرب الأندلس البلديين الذين ينحدرون من أهل الحجاز، مع جنود بلج بن بشر الشاميين الذين قدموا من سبتة، في القضاء على ثورة البربر، طَالب والي الأندلس عبد الملك بن قطن خُروج جُند الشام إلى المغرب حسب شروط الاتفاق المُبرم بينهما، فرفضوا جلائهم وتمردوا عليه؛ فجرت حرب بين عرب الأندلس انتصر فيها الشاميون، وقتل والي الأندلس عبد الملك بن قطن، وصلب على قنطرة قرطبة وهو شيخ كبير في التسعين من عمره، ليصبح قائد الشاميين بلج بن بشر أميرا على البلاد[2].

أدى مقتل والي الأندلس والاستيلاء على السلطة بتلك الطريقة إلى تعميق الخلاف بين العرب البلديين وعرب الشام من أصحاب بلج؛ فأقدم قطن وأمية ولدى والي الأندلس السابق عبد الملك بن قطن مع عبد الرحمان بن علقمة اللخمي عامل أربونة، وجَمع من البربر الناقمين على العرب الشاميين، تحالفوا ضدّ والي الأندلس في جيش كبير قدّر بأربعين ألف مقاتل، تحاربوا مع جيش الشام الأقل منهم عددا ضمّ حوالي اثنا عشر ألفا، جرت معركة دامية في قرية أقوة برطورة في سنة(125هـ/743م)، أبدى فيها جند الشاميين بلاءً حسنا وثبتوا في المعركة حتى أنزلوا الهزيمة بتحالف العرب البلديين مع البربر، غير أن بلج بن بشر أصيب وتوفي بعد أيام متأثرا بجرح أصيب به في المعركة، ليتولى الأندلس بعده ثعلبة بن سلامة العاملي[3]، الذي لم ينل قبول العرب البلديين والبربر فاستمر الصراع بينهما؛ حيث حشد العرب البلديين مع حلفائهم البربر جيشا كبيرا لمحاربته، فجرت معركة بالقرب من ماردة كان النّصر حليف والي الأندلس مع العرب الشاميين مرة أخرى،

[1]مجهول، المصدر السابق، ص ص43، 44؛ عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص401.
[2]ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص ص120، 121.
[3]ابن القوطية، المصدر السابق، ص42؛ شبارو، المرجع السابق، ص101.

واستغل ثعلبة بن سلامة العاملي اضطراب خصومه وتشتتهم إلى غزو مناطقهم؛ فهاجم مدنهم وسبى ذراريهم ونسائهم، قدّرت بنحو عشرة آلاف من السبي، عرضوا للبيع في المسارة بقرطبة[1].

وأمام تلك الظروف المضطربة، أرسل الخليفة هشام بن عبد الملك[2] أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي واليا على الأندلس سنة(125هـ/743م)، استطاع أخذ زمام السلطة؛ حيث سار بسيرة عادلة في أول عهده؛ فأطلق أسرى العرب وسبيهم وفرّق العرب الشّامية في مناطق مختلفة بالأندلس، وجمع الله به البلاد والعباد[3].

لم يدم الاستقرار طويلا بالأندلس بسبب العصبية مرة أخرى، فلم يلبث أبو الخطار أن انحاز إلى قومه عندما أساء إلى الصميل بن حاتم زعيم القيسية بالأندلس، هذا الأخير عزم الثأر من الإهانة التي لحقته، يصور لنا ابن الأثير ماجرى بينهما: "وكان الصميل بن حاتم بن أبي الجوشن قد قدم الأندلس في إمداد الشام فرأس بها، فأراد أبو الخطار أن يضع منه، فأمر به يومًا وعنده الجند؛ فشتم وأهين فخرج وعمامته مائلة، فقال له بعض الحجاب: ما بال عمامتك مائلة؟ فقال: فإن كان لي قوم فسيقيمونها.."[4]، وبالفعل فقد كان له ذلك؛ حيث التفّ حوله قومه والحانقين على أبي الخطار من اليمنية والشامية؛ فتحول النزاع هذه المرّة من العرب البلديين والشاميين إلى صراع بين المضرية واليمنية، أسفر في نهاية المطاف لصالح المضرية[5]، الذين اتفقوا على ثوابة بن سلامة الجذامي أميرا جديدا على الأندلس[6].

استمرّ الخلاف بين أهل الأندلس فأقاموا بلا والٍ مدة أربعة أشهر، وجعلوا عبد الرحمان بن كثير اللخمي على القضاء، قبل أن يتفقوا على التداول في حكم الأندلس؛ فقدمت المضرية يوسف

---

[1] مجهول، المصدر السابق، ص ص47، 48.

[2] هشام بن عبد الملك(105-125هـ/723-743م) أبو الوليد القرشي الدمشقي ولد بعد السبعين هجرية، تولى الخلافة في شعبان من سنة105 هجرية إلى أن توفي في ربيع الآخر سنة125للهجرة، كان حازما عادلا بين رعيته. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج5، ص351-353.

[3] ابن القوطية، المصدر السابق، ص44.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص121.

[5] عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص401.

[6] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج5، ص121.

بن عبد الرحمان الفهري سنة(129هـ/747م)، أميرا على البلاد؛ لكن سرعان ما عادت الفتنة من جديد[1].

أدّت تلك الصّراعات العصبية، إلى بعث الانتماءات القبلية التي كانت سائدة في زمن الجاهلية، فأصبح الرجل يترك بلده ويخرج إلى قومه ليتحاربوا ضد بعضهم البعض، يقول صاحب أخبار مجموعة: "وهي أول حرب كانت في الإسلام بهذه الدعوة، لم تكن حرب قبل هذه الوقيعة وهي الفتنة العظمى التي بها يُخاف بوار الإسلام بالأندلس"[2].

فعاشت الأندلس أوضاعا متقلبة خلال عصر الولّاة، بسبب كثرة النزاعات والثورات التي تغذيها العصبية في غالب الأحيان، ما جعل فقدان الأمن وعدم الاستقرار يخيّم على تلك الفترة رغم وجود فترات قصيرة من الهدوء، وإلى هذا ذهب الأستاذ الحجي متحدثا عن عصر الولاة يقول: "فقد تمتعت الأندلس بسنوات من الاستقرار، مملوءة بالإنجازات؛ في حين وجدت سنوات غيرها افتقد فيها قدر من الاستقرار المنشود"[3].

3-تداعيات الثورات والصراعات العصبية بالأندلس خلال عصر الولاة:

كان لانتقال الصراعات العصبية وتفشيها بالأندلس دورا كبيرا في قيام النّزاعات والثّورات بالبلاد؛ حيث كانت لها تداعيات خطيرة على بقاء الأندلس في كنف سلطة الخلافة، وعلى مستقبل الوجود الإسلامي بالأندلس، استطاع المسلمون استكمال فتح ماتبقى من الأندلس في عصر الولّاة، كما تمكّنوا أيضا من نقل صراعهم إلى ماوراء جبال البرت، وحققوا هناك فتحا ونصرا على حساب الفرنجة، غير أنه وقع خطأ عسكري جسيم، عندما تركت قوّات المسلمين حصار فلول القوط المنهزمة التي فرّت إلى منطقة جبلية صعبة التضاريس تعرف بصخرة بلاي أو مغارة كوفادونجا، تحصن بها قائد قوطي يدعى بلاي رفقة عشرات من أنصاره المخلصين، ذُكر أن المسلمين حاصروهم فترة طويلة من الزمن حتى ظنوا أن خطرهم قد زال، وقالوا قولتهم الشهيرة: "ثلاثون علجا

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص154.
[2] مجهول، المصدر السابق، ص59.
[3] الحجي، المرجع السابق، ص133.

ما عسى أن يكون أمرهم"[1]، هذه العصابة الصغيرة التي قلّل المسلمون من شأنها استطاعت أن تستغلّ الظروف العصيبة لمسلمي الأندلس نتيجة الصراعات العصبية، فقوت شوكتهم وتوسّعت رقعتهم على حساب المسلمين[2]، ففي خضم الصّراع بين العرب والبربر طُرد العرب من شمالي الأندلس، ثم لم يدم الأمر طويلا حتى انتقل البربر بدورهم أيضا عن تلك المناطق إلى جنوبي الأندلس لمحاربة خصومهم؛ فأفرغ شمال الأندلس من الوجود الإسلامي[3]، كما هجرت المزارع فقلّت المحاصيل الزراعية ما أدى إلى حدوث مجاعة بالبلاد[4].

ومع استمرار الصراعات العصبية التي بلغت أشدّها بين حسام بن ضرار الكلبي وثوابة بن سلامة الجذامي، وما انجر عنه من اختلال للأمن وتشتّت للمسلمين، جعل منها فرصة سانحة لتوسع النصارى الإسبان على حساب المسلمين[5]، وإلى ذلك يذهب الأستاذ مؤنس في أن الصراعات العصبية هي السبب الرئيس لظهور مقاومة القوط وتوسعهم[6]، عندما تمكّن القائد بلاي من تأسيس مملكته الصغيرة أستوريس، والوثوب على المناطق التي هجرها المسلمين في الشمال فاستولى على جليقية وأسترقة، ومناطق أخرى تقع خلف الجبل[7].

ومن انعكاسات هذه الثورات والصراعات أيضا، أنها لم تؤدِ إلى توقف الفتوحات وراء جبال البُرت[8] فحسب، بل مهدت الطريق أمام الفرنجة لاستعادة المناطق الإسلامية هناك، والمتمثلة في مدن وحاميات عسكرية، في ظل اشتغال والي الأندلس يوسف بن عبد الرحمان الفهري(129-138هـ/747-756م) بالفتن والثورات الداخلية، فتقاعس في نجدة المسلمين هناك، وترك الثغر يواجه مصيره المحتوم، ما أدى إلى استيلاء الفرنجة على معظم أملاك المسلمين وراء جبال البرت

[1] مجهول، المصدر السابق، ص34.
[2] المصدر نفسه، ص34؛ المقري، المصدر السابق، ج3، ص17؛ شبارو، المرجع السابق، ص95.
[3] مجهول، المصدر نفسه، ص42-44.
[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، 122.
[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص151.
[6] مؤنس، المرجع السابق، ص205.
[7] مجهول، المصدر نفسه، ص62.
[8] الحجي، المرجع السابق، ص ص206، 207.

ولم يبقَ لهم سوى منطقة أربونة أمنع القلاع الإسلامية في الشمال، التي ما لبثت أن سقطت هي الأخرى في سنة(142هـ/759م)[1].

رابعًا: قيام الإمارة الأموية بالأندلس(138هـ/756م)

1- استيلاء عبد الرحمان بن معاوية على السلطة بالأندلس:

عندما استولى العباسيون على الخلافة بالمشرق، قاموا باضطهاد الأمويين وطاردوا أمرائهم وكبار رجال دولتهم[2]، فقتلوا منهم الكثير وفرّ من فرّ نجاة بحياتهم، فكانت إفريقية إحدى أكثر البلاد الإسلامية التي لجأ إليها بنو أمية، ومن ضمن هؤلاء عبد الرحمان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك[3]، الذي تمكّن الفرار من الشام ودخول مصر رفقة أربعة من مواليه، مكثوا فيها بضعة أيام قبل مغادرتها إلى برقة[4]، ثم واصلوا سيرهم إلى إفريقية حيث نزل عبد الرحمان بن معاوية عند بني مغيث موالي جده عبد الملك بن مروان[5]، لقي عندهم كل الكرم والتّرحاب، غير أن الأمر لم يدم طويلا حتى وصل خبره إلى حاكم إفريقية عبد الرحمان بن حبيب الفهري، هذا الأخير لم يكن يعترف بالسلطة العباسية بعد، بل كان يخطّط للاستقلال بإفريقية وتورث الحكم لأبنائه من بعده؛لذلك عمد إلى سجن وقتل أمراء بني أمية ببلاده خوفا أن يزاحموه في الحكم، فجد في طلب عبد الرحمان بن معاوية و أرسل حرسه وبث العيون لتقصي مكانه[6]، ليخرج الأمير الأموي مستترا

---

[1] عنان، المرجع السابق، ج1، ص ص136، 137.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص155.

[3] للوقوف على ما مر به عبد الرحمان بن معاوية من محن وحوادث خلال رحلة فراره من المشرق نحو المغرب. انظر: المصدر نفسه، ج4، ص155؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص333.

[4] بَرْقَة: منطقة واسعة تشمل مدن وقرى عديدة، تقع بين الإسكندرية وإفريقية. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص388.

[5] عبد الملك بن مروان(65-86هـ/685-705م) ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية، ولد سنة 26 للهجرة، استخلف في شهر رمضان سنة65هجرية، كان فقيها ناسكا من دهاة العرب حازما عادلا في دولته وهو أول من ضرب الدنانير في الإسلام، توفي في شهر شوال سنة86 هجرية. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج4، ص246-249.

[6] مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، تح لويس مولينا، دط، مدريد، 1983، ص111.

من إفريقية نحو بلاد المغرب، فنزل واحتمى في كنف قبيلة نفزة البربرية وهم أخواله[1]، وواصل سيره غربا نحو بلاد زناتة فنزل قرية مغيلة الساحلية، وأخذ منها يتطلع العبور نحو العدوة الأندلسية[2].

وفي أثناء تواجده بالمغرب، وصلته أخبار الأندلس وما يشوبها من اضطراب وصراع على السلطة بين زعماء القبائل العربية؛ فأرسل مولاه بدرا في مهمة لينشر دعوته بين موالي بني أمية ومناصريهم من عرب الأندلس، ذَكر لهم ما لحق الأمويين من أذى في إفريقية، ويذكرهم بحقه عليهم[3]، ويبدو أن رسول عبد الرحمان قد نجح في استمالة الأتباع، ما دفع بعبد الرحمان بن معاوية العبور إلى العدوة الأندلسية في شهر ربيع الأول من سنة(138هـ/755م)[4]، وقيل في ربيع الآخر من نفس السنة[5]، فنزل في مرسى المُنكَب[6] ثم سار إلى قرية طرِش[7] من نواحي إلبيرة[8]، واستقبل استقبالا حافلا من طرف مواليه وأتباعه الأمويين، اتّخذ من طرش قاعدة لدعوته وبدأ يرسل الكتب إلى مختلف مناطق الأندلس، يدعو زعماء القبائل العربية الدخول في طاعته، فأجابته اليمنية كلها بينما لم يجبه من القيسية سوى ثلاثة رجال فقط، كما انضمت إليه الكثير من البربر[9].

وبعد أن كثر جمعه، وأيقن أنه لا توجد قوة بالأندلس يمكنها الوقوف في وجه، فوالي الأندلس يوسف بن عبد الرحمان بن حبيب الفهري كان يدبّ في قواته الضّعف والتشرذم، ولم يبق في صفّه سوى الفهريين والقيسية لمكانة زعيمهم الصميل منه[10]، زحف عبد الرحمان بقواته نحو قرطبة

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص41؛ طه، المرجع السابق، ص358.

[2] مجهول، المصدر السابق، ص111.

[3] مجهول، **أخبار مجموعة**، ص66؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص155.

[4] مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص112؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص123؛ ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص44؛ الحميري، المصدر السابق، ص186.

[5] مجهول، **أخبار مجموعة**، ص72.

[6] المُنَكَّب: مرسى صيفي به حصن كبير. انظر: الحميري، المصدر نفسه، ص186.

[7] طُرُش: ناحية بالأندلس. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص29.

[8] إلبِيرَة: كورة كبيرة في جنوب الأندلس تبعد عن قرطبة مسافة تسعين ميلاً. انظر: المصدر نفسه، ج1، ص ص244، 245.

[9] مجهول، المصدر نفسه، ص77.

[10] ابن خلدون، المصدر نفسه، ج4، ص155.

وانتصر انتصارا ساحقا على والي الأندلس في وقعة المصارة، ثم دخل قرطبة وصلى الجمعة في مسجدها وبايعه الناس البيعة العامة، حدث ذلك في العاشر من ذي الحجة سنة(138هـ/756م)[1].

2-جهود عبد الرحمان بن معاوية في بسط نفوذ الدولة ومواجهة الأعداء:

لقد واجهت أمير الأندلس الجديد تحديات جسام، متمثلة في ثورات وتمردات لم تنقطع طيلة مدة حكمه[2]، غير أنه استطاع بفضل حزمه الشديد وذكاؤه المنقطع النظير، مواجهتها بالشكل المناسب والتحكم في الأوضاع[3]، ويكفي أن نستدل بما قاله الخليفة القوي أبو جعفر المنصور[4] في وصفه له بصقر قريش وهو ألد أعدائه، فقال: "..صقر قريش عبد الرحمان بن معاوية الذي عبر البحر وقطع القفر، ودخل بلدا أعجميا منفردا بنفسه؛ فمصر الأمصار وجند الأجناد، ودون الدواوين وأقام ملكا عظيما بعد انقطاعه، بحسن تدبيره وشدة شكامته... وطّد الخلافة بالأندلس، وأفتتح الثغور وقتل المارقين، وأذلّ الجبّارين الثائرين"[5]، كما عُرف أيضا بالأمير الداخل، كونه أول أمراء بني مروان قدوما إلى الأندلس[6].

---

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص47؛ الضبي، المصدر السابق، ج1، ص32؛ عنان، المرجع السابق، ص154.

[2] انظر **الملحق رقم(02)**: جدول يظهر أبرز الثّورات التي ظهرت في عهد عبد الرحمان الداخل.

[3] عنان، المرجع نفسه، ص191.

[4] الخليفة أبو جعفر المنصور بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور ولد سنة(95هـ/713م) من أفحل بني العباس هيبة وشجاعة ورأيا وحزما، كان عالما اشتغل بالفقه والأدب، توفي في طريقه إلى الحج ببئر ميمون قرب مكة سنة(158هـ/775م) ودفن هناك. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج7، تح علي أبو زيد، ص83-89.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص ص59، 60؛ مجهول، المصدر السابق، ص ص107، 108.

[6] المقري، المصدر السابق، ج1، ص330.

3- المشاكل والتحديات التي واجهت عبد الرحمان الداخل:

من أبرز المشاكل والتحديات التي واجهت دولة عبد الرحمان الفتية نذكر:

أ- الثورات والتّمردات الداخلية:

عرفت فترة حكمه قيام الكثير من الثورات والتمردات في مختلف مناطق الأندلس نذكر منها:

- **تمرد يوسف بن حبيب الفهري(139-143هـ/757-761م)**

رغم الهزيمة التي مني بها والي الأندلس الأسبق يوسف بن حبيب الفهري وحليفه الصميل في موقعة المصارة، ومبايعة الناس عبد الرحمان الداخل بالإمارة، رغم ذلك فقد ظل يسعى لاستعادة السلطة من جديد؛ فأعلن الثورة في غرناطة[1] سنة(139هـ/757م)؛ لكن عبد الرحمان الداخل استطاع أن يطبق عليه الحصار، ويجبره على مبايعته مقابل العفو عن الثائرين، فكان من شروط الاتفاق أن يترك يوسف الفهري الدعاء للخليفة العباسي، ويسكن هو وحليفه الصميل مدينة قرطبة[2]،أراد عبد الرحمان الداخل بهذا الإجراء ضمان عدم خروجه عليه مرة أخرى، وأيضا الاستفادة من خبرة الرجلين في إدارة شؤون الأندلس؛ لذلك أكرمهما وجعلهما في منزلة المشاورين[3]، خاصة أنه كان من أولويات الأمير الأموي إطفاء نار الفتنة والانشقاق التي كانت حاصلة بالأندلس خلال تلك الفترة، ويبدو أن رغبة يوسف الفهري في السلطة تتعدى كل الحدود؛ففي سنة(141هـ/758م) هرب من قرطبة وأعلن تمرّده مرة ثانية؛ حيث انضمت إليه جموع كثيرة من أهل لَقْنِت[4] ومَارِدة[5]، حتى بلغ عدد مناصريه عشرين ألفا من العرب والبربر[6]، تمكن من الاستيلاء على ماردة، ولَقنت وواصل زحفه نحو إشبيلية؛ لكن والي المدينة عبد الملك بن عمر المرواني استطاع أن يلحق به الهزيمة وفرّ يوسف الفهري، ليقتل فيما بعد في نواحي طليطلة

---

[1] غَرنَاطَة: تقع في جنوب الأندلس تتبع كورة البيرة، وهي أقدم وأحسن وأمنع مدينة في تلك الناحية، تبعد عن قرطبة مسافة ثلاث وثلاثون فرسخاً. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص195.

[2] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص ص48، 49.

[3] مجهول، المصدر السابق، ص88.

[4] لَقنَت: مدينة صغيرة بها مزارع كثيرة. انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص558.

[5] مجهول، المصدر نفسه، ص89.

[6] ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص49.

سنة(143هـ/760م)، وحمل رأسه إلى عبد الرحمان الداخل، كما قتل الصميل أيضا في السجن بقرطبة[1].

- **ثورة البربري(151-160هـ/768-777م)**

قاد هذه الثورة رجل بربري يدعى تاشفين بن عبد الواحد، ادعى النسب الفاطمي[2]، ثار في شرق الأندلس وتمكّن من السيطرة على عدّة بلدات، أدى انتصاره على عامل الأمويين إلى انضمام جموع غفيرة من الناس في ثورته، حتى أصبح يمثل خطرا حقيقيا يهدد شرق الأندلس بأكمله، لم يتمكن الأمويين من القضاء عليه رغم إرسالهم عدّة حملات عسكرية، ويرجع سبب ذلك إلى أسلوبه في الحرب؛ فكان كلما أحسّ بالهزيمة يلجأ إلى التضاريس الوعرة والجبال المحيطة بالمنطقة، فيعيد الكرة مرة أخرى بالإغارة على المناطق التي تحت سلطة الأمويين[3]، الأمر الذي أطال من أمد هذه الثورة ولم تنطفئ إلا بمقتل زعيمها سنة(160هـ/777م)، على يد رجل من أصحابه، يرجح أن عبد الرحمان الداخل كان له يد في ذلك[4].

ب-الأخطار الخارجية:

إن الاستقلال السياسي الذي نهجه عبد الرحمان بن معاوية في دولته الفتية أدخله في نزاع غير مباشر مع الخلافة العباسية، من خلال سعي هذه الأخيرة استعادة الأندلس وضمها إلى كنف الخلافة من جديد؛ فمن أجل ذلك أرسلوا قوادهم ودعموا الثائرين والمناوئين للأمويين بشتى الطرق نذكر:

- **ثورة العلاء بن مغيث الجذامي**(146هـ/765م):

قدم هذا الثائر من إفريقية إلى الأندلس ليعلن ثورته في باجة[5]، تمكّن من السيطرة على مناطق عديدة في نواحي شرق الأندلس، والأخطر ما في ثورته أنه دعا للعباسيين ولبس السواد

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص49.
[2] مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص115.
[3] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص200.
[4] ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص154.
[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص157.

وحمل راياتهم، ووصله كتاب من المشرق يُأمِرُه على ولاية الأندلس تحت سلطة الخلافة العباسية فكثر أتباعه[1]؛ لكن عبد الرحمان الداخل واجه هذا الموقف الخطير بسرعة، حيث سار بقوات كبيرة تمكن بواسطتها سحق هذا التمرد بمقتل العلاء والكثير من أتباعه[2].

- **ثورة عبد الرحمان بن حبيب الفهري المعروف بالصقلبي(161-162هـ/778-779م)**

عبر عبد الرحمان بن حبيب من إفريقية إلى الأندلس، وأعلن خروجه على حاكم الأندلس والدعوة للخليفة العباسي، تمكن من السيطرة على تدمير[3]، وأخذ يدعو ولاة الأندلس في الشمال للدخول في طاعته، فكان والي برشلونة[4] ممن لم يجبه إلى ذلك، فحصل بينهما اقتتال شديد انتهى بانهزام جيش الصقلبي وانسحاب فلوله المنهزمة إلى تدمير؛ فسارع عبد الرحمان الداخل للإجهاز عليه، ففرّ الصقلبي واحتمى إلى الجبال، فأمر عبد الرحمان الداخل إحراق سفنه قصد التضييق عليه أكثر وجعل جائزة قدرها ألف دينار لمن يأتي برأسه، وهو ما حصل فقد قتله رجل من البربر سنة(162هـ/779م)[5].

- **خطر الفرنجة:**

يرجع سبب غزو الفرنجة أرض الأندلس إلى ثورة اندلعت في شمال الأندلس سنة(157هـ/774م) تزعّمها سليمان بن يقضان الأعرابي والي برشلونة وجيرونة، وحليفه الحسين بن يحي الأنصاري والي سرقسطة، منتهزين فرصة انشغال عبد الرحمان الداخل إخماد ثورات في مناطق مختلفة بالأندلس، لم يتوان عبد الرحمان الداخل في محاربة الخارجين في الشمال، فأرسل حملة عسكرية بقيادة ثعلبة بن عبيد الجذامي؛ لكنها منيت بالهزيمة وأسر

[1] مجهول، المصدر السابق، ص ص114، 115؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص178.

[2] مجهول، **أخبار مجموعة**، ص ص94، 95.

[3] تُدمير: كورة بالأندلس تقع شرق قرطبة على بعد مسيرة سبعة أيام للراكب. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص19.

[4] برشلونة: مدينة ساحلية بها مرسى وحصن منيع وربض. انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص734.

[5] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج5، ص ص239، 240؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص56؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص158.

قائدها[1]، أدرك سليمان وحليفه الأنصاري أن تحقيق النصر على عبد الرحمان الداخل ليس بالأمر الهيّن، الشيء الذي جعلهما يتحالفان مع شارلمان(151-199هـ/768-814م) ملك الفرنجة، وجرى اتفاق بينهم يفيد بأن يعاونهم شارلمان بقوة عسكرية للإطاحة بالأمير الأموي مقابل تسليمه مدنا في شمال الأندلس من بينها سرقسطة[2]، ويبدو أن دخول ملك الفرنجة في هذا الحلف لم يكن هدفه الإطاحة بالدولة الأموية فحسب، بل كان يطمح إلى توسيع رقعة مملكته في الأندلس؛ لذلك عبر جبال البرتات مع جيش كبير، وواصل طريقه إلى مدينة سرقسطة فحاصرها سنة(162هـ/778م)[3] قبل أن يفك الحصار عنها ويغادر الأندلس من تلقاء نفسه بسبب ظهور اضطرابات وثورات في مملكته[4].

بعد فشل حملة شارلمان، دبّ الخلاف والشّقاق بين المتحالفين؛ فقتل سليمان الأعرابي وحدث الأمر نفسه مع حليفه حسين الأنصاري؛ فقد تآمر عليه بعض رجاله وقتلوه سنة(166هـ/782م)[5].

والحقيقة أن فترة حكم عبد الرحمان الداخل تميّزت بكثرة الثورات والتّمردات؛ فكان ما إن ينتهي من إخماد ثورة إلا وقامت ثورة أخرى، ويرجع سببها إلى رغبة زعماء القبائل العربية بالأندلس الانفراد بالسلطة، الأمر الذي دفع بالأمير الأموي الاستعانة بالبربر والموالي على حساب العرب[6]، غير أنه تمكّن بعد سنوات من القضاء على كل المقاومات التي ظهرت في دولته، حتى دانت له الأندلس بشكل كامل[7].

---

[1] مجهول، المصدر السابق، ص ص102، 103.

[2] محمد مرسي الشيخ، **دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي(138-366هـ/755-976م)**، المؤسسة الثقافية الجامعية، دط، الإسكندرية، 1981/1401، ص140.

[3] وات مونتوجمري، **فضل الإسلام على الحضارة الغربية**، تر حسين أحمد أمين، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1983/1403، ص64.

[4] مرسي، المرجع السابق، ص147.

[5] مجهول، المصدر نفسه، ص103.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص158.

[7] عنان، المرجع السابق، ص156.

كما استعمل عبد الرحمان الداخل أسلوبا مميزا في إخماده للثورات والتمردات التي اعترضت دولته، منها معاجلة أعدائه قبل أن يكثر جمعهم ويستفحل خطرهم[1]، وأيضا تعامله بالقسوة والإرهاب وبثّ الرعب في قلوب أعدائه، حتى لا تسول لهم أنفسهم ويفكروا الخروج عن طاعته مرة أخرى، فعندما تمكّن من قمع ثورة هشام بن عروة في طليطلة أمر أن يحمل هذا الثائر رفقة كبار أصحابه في هيئة غير لائقة على ظهور الدّواب، ويُطاف بهم في شوارع قرطبة قبل أن يقتلوا ويصلبوا بالمدينة، وهذا حتى يُعتبر الناس[2]، وكذلك في ثورة العلاء بن المغيث التي سفك فيها الكثير من الدماء، ذكر أنه قتل سبعة آلاف من رجاله، وأمر بقطع رأس قائدهم وكبار رجاله وتعليق بطاقات في آذانهم تحمل أسمائهم، وإرسالها مع التجار لتلقى ليلا في أسواق القيروان[3] حتى يشاهدها الناس وينتشر الخبر بينهم، وقيل أنه أرسل برأس العلاء، ولواء العباسيين الأسود، وكتاب الخليفة المنصور الذي كان مع هذا الثائر وألقوا بها في مكة[4]؛ حيث تزامن في تلك السنة حج أبي جعفر المنصور، الذي أرعب هو الآخر من فعلته وقال مقولته الشهيرة: "الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان"[5].

نشاهد كذلك حزمه وقسوته في تعامله مع تمرّد أبو الصَّبَّاح والي إشبيلية المعزول، عندما تمكّن عبد الرحمان من استدراجه إلى قصره بقرطبة؛ حيث قدم إليه هذا الأخير رفقة أربعمائة من حرسه، فأمر عبد الرحمان بقتله فورا دون الاكتراث لهم، وصاح بين حرس أبو الصباح: "أن أبا الصباح قد قتل، فمن أراد أن يلحق ببلده فليلحق آمنا، فتفرقوا ولم يكن حدث"[6] وأحيانا يلجأ إلى طرق أخرى كتنفيذ اغتيالات، وتقديم الجوائز والعطايا لمن يظفر بأعدائه، كالذي جرى في ثورة

---

[1] مرسي، المرجع السابق، ص142.

[2] مجهول، **أخبار مجموعة**، ص ص95، 96.

[3] القيروان: من أعظم مدن المغرب اختطها المسلمون في حملة عقبة بن نافع الفهري سنة (55هـ/675م). انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص420.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص ص178، 179؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص52.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص52.

[6] مجهول، المصدر نفسه، ص97.

يوسف بن حبيب الفهري، حين قتله رجل من أصحابه وجاء برأسه إلى عبد الرحمان الداخل[1]، وأيضا في تعامله مع ثورة الصقلبي(161هـ/778م) حين أعلن منح ألف دينار لمن يأتي برأسه[2].

تمكّن عبد الرحمان الداخل الاستقلال بالأندلس، وإخراجها من دائرة الولاية الضيقة المتعثرة بمشاكلها الداخلية إلى إمارة أموية[3]، عندما قام بخطوة جريئة متمثلة في قطع الدعوة للعباسيين في المساجد وجعلها لنفسه، وإظهار عدائه للخلافة في المشرق[4]، وبعد فك الارتباط بالخلافة في المشرق بدأ بخطوات ثابتة بناء دولة أمويّة قوية في الأندلس[5].

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص49.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص240.

[3] إبراهيم بيضون، **الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة(92-422هـ/711-1031م)**، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، ط3، بيروت، 1986/1406، ص206.

[4] مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ص114؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، ج5، ص124.

[5] المقري، المصدر السابق، ج1، ص330.

الفصل الأول

العوامل والأسباب المساعدة على رحلات التّجارة والحج الأندلسي(2-4هـ/8-10م)

أولًا: مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا

ثانيًا: أنواع الرحلات التي عرفها المسلمون

ثالثًا: عوامل وأسباب الرحلات الأندلسية إلى الحجاز(2-4هـ/8-10م)

رابعًا: الطرق والمسالك المؤدية إلى الحجاز

خامسًا: المصاعب والعقبات التي اعترضت رحلات الأندلسيين إلى الحجاز (2-4هـ/8-10م)

نحاول في هذا الجزء الأول من البحث إبراز أهمية رحلتي الحج والتّجارة، مع التّطرق إلى أهم الطرق والمسالك التي اتبعها الأندلسيون في رحلاتهم إلى الحجاز، مظهرين العوامل والأسباب التي ساعدتهم على القيام بتلك الرحلات، خاصة أن المسافة بين القطرين طويلة للغاية؛ فالأندلس تمثل أبعد البلاد الإسلامية عن الحجاز، وللوصول إليه كان لابد من المرور ببر المغرب ومصر معا أو ركوب سفينة البحر، الأمر الذي جعل منها مهمّة في غاية الصّعوبة.

وتضافرت مجموعة من العوامل والأسباب مع العزيمة القوية التي امتلكها الأندلسيون، تمكنوا خلالها من تجاوز تلك العقبات، ما سمح لأعداد كبيرة منهم الرحيل إلى الحجاز ودخول مناطق أخرى بالمشرق خلال عصر الإمارة الأموية بالأندلس(2-4هـ/8-10م).

أولًا: مفهوم الرحلة لغة واصطلاحًا

1- معنى الرحلة لغة:

ذكرت المعاجم اللغوية عدّة تعاريف للرحلة، أهمها ماجاء في لسان العرب على أنها تعني: "التّرحُّل والارتحال، أي الانتقال وهو الرِّحلة والرُّحلة"، والرِّحلة اسم للارتحال وللمسير، يقال: دَنَتْ رِحْلَتُنَا، والرُّحلة بالضم وهو الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول: أنتم رُحلَتي أي الّذين أرتحل إليهم"[1].

وقيل في معجم مقاييس اللغة لابن فارس مفاده: "الراء والحاء واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مضيٍّ في سفَر، يقال: رَحَل يَرْحَلُ رِحْلَة، والرِّحلة: الارتحال"[2].

ونجد في القاموس المحيط للفيروز آبادي معنى آخر للرحلة يقال:"ارتحل البعيرُ؛ سار ومضى، والقومُ عن المكانِ انْتَقَلوا، كَتَرَحَّلوا، والاسمُ الرُّحْلةُ بالضم والكسر أو بالكسر؛ والارْتِحالُ بالضم الوَجْهُ الَّذي تَقْصِدُه، والسَّفْرَةُ الواحدةُ "[3].

---

[1]ابن منظور جمال الدين(ت711هـ)، **لسان العرب**، ج11، دار صادر، دط، بيروت، دت، ص279.

[2]فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، ج2، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، لبنان، 1989/1399، ص497.

[3]الفيروز آبادي مجد الدين بن يعقوب(ت817هـ/1441م)، **القاموس المحيط**، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 2005/1426، ص1005.

وتكاد المعاجم اللغوية الأخرى تكرر المعاني نفسها[1]، ويفهم من كل ذلك أن الرِّحلة في معناها تعني الانتقال والمسير من مكانٍ إلى مكانٍ آخر بعيد.

2- معنى الرحلة اصطلاحا:

تُعدّ الرحلة واقعا يعيشه الإنسان ويسعى إليه في حياته، فمنذ أن يولد وحتى وفاته يعرف ويعيش رحلات دائمة ومستمرة، والزمن والظروف وأحوال صاحبها هي من تحدّد شكلها[2].

كما يطلق على المسافات التي تقطع في سبيل الرحلة بالسَّفر وجمعها أسفار[3]، ومنه قوله -تعالى-: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾[4].

فالرحلة إذا تعني الانتقال من مكانٍ إلى مكانٍ آخر بعيدٍ، من أجل تحقيق هدف معين ماديًا كان أو معنويًا، وهذه الأخيرة هي من تحدّد نوع الرحلة كما سوف نرى.

ثانيًا: أنواع الرحلات التي عرفها المسلمون

تعتبر الرحلة من بين أهم مظاهر الحضارة الإسلامية؛ لذلك فقد أخذت جانبا مهما من اهتمامات المفكرين والباحثين، فوضعوا لها تقسيمات حسب أغراضها ومقاصدها، نجد:

حيث جعل الدكتور عبد الحكيم عبد اللطيف عدة أقسام للرحلة نذكر:

- رحلة طلب النجاة: من صورها الخروج من البلد خشية على النفس والمال.
- الرحلة في طلب الدين: طلب العلم الشرعي من فقه وحديث وغير ذلك، والرحلة لأداء فريضة الحج وزيارة الأماكن المقدّسة، من أجل العبرة الاتّعاظ.
- الرحلة لطلب الدنيا كالسفر لتحصيل المعاش، أو للتجارة.
- السّفارة.

---

[1] الرازي محمد بن أبي بكر، **مختار الصحاح**، دط، إخراج دائرة المعاجم مكتبة لبنان، بيروت لبنان، 1986، ص 52؛ الطاهر أحمد الزاوي، **ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة**، ج2، دار الفكر، ط3، بيروت، دت، ص316.

[2] فؤاد قنديل، **أدب الرحلة في التراث العربي**، الدار العربية للكتاب، ط2، القاهرة، 2002/1423، ص18.

[3] عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدي، **الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها**، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة ،1996/1416، ص 15؛ صلاح الدين الشامي، **الرحلة عين الجغرافية المبصرة**، دار منشأة المعارف، ط2، الإسكندرية، 1999، ص7.

[4] **سورة سبأ**، الآية 19.

- السياحة والتفسح[1].

كما يرى الأستاذ "أوليا جلبي" أن الرحلة كانت حاضرة بقوة في المجتمع الإسلامي، جاعلا أبرز أنواعها كالآتي:

رحلات الحج والعمرة، والرحلات العلمية إلى الحواضر العلمية، رحلات التجارة والكسب في مختلف أسواق العالم الإسلامي وغيره من البلاد، رحلات السفارة بين الملوك والحكام، رحلة السياحة أي رغبتهم في السفر والرحلة في حدّ ذاتها[2].

وهناك من صنفها حسب دوافعها، مثل الأستاذ فؤاد قنديل الذي رأى في هذه الأخيرة هي من تحدّد نوعها:

- دوافع دينية من حج وعمرة، وزيارة للأماكن المقدسة.
- دوافع علمية بهدف الاستزادة من العلم في بلد ما مشهور بعلمائه.
- دوافع سياسية كالوفود، والسفارات التي يبعث بها إلى بلد ما.
- دوافع سياحية وتتمثل في رغبة الإنسان في السفر والتّرحال.
- دوافع اقتصادية من أجل التجارة والكسب.
- دوافع صحيّة كالرحلة بغرض العلاج، والاستشفاء أوهربا من وباء.
- دوافع أخرى مثل الرحيل لضيق العيش في ذلك البلد، أو الهروب من عقوبة أو السّخط على الأوضاع السّائدة[3].

وذهب إلى ذلك أيضا الشيخ محمد بن أحمد السوسي(ت1189هـ/1775م) جاعلا أهم الرحلات: الرحلة السياسية والسفارة، طلب العلم، وأداء فريضة الحج أو ما يعرف بالرحلات الحجازية[4]، فكانت هذه باختصار أهم الرحلات التي عرفها المسلمون خلال تلك الفترة.

---

[1] عبد الحكيم الصعيدي، المرجع السابق، ص24-42.

[2] أوليا جلبي، **الرحلة الحجازية**، دار الآفاق، دط، القاهرة، 1999، ص10.

[3] فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص ص19، 20.

[4] أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي(ت1189هـ/1775م)، **الرحلة الحجازية**، تح عبد العالي المدبر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث الرابطة المحمدية للعلماء، ط1، الرباط، 2011/1432، ص9.

ثالثًا: عوامل وأسباب الرحلة الأندلسية إلى الحجاز (2-4هـ/8-10م)

لقد تضافرت مجموعة من العوامل والأسباب المساعدة على القيام بالرحلات الحجازية لأهل الأندلس، نبرزها فيما يلي:

1- عوامل دينية: مثل هذا العامل دافعا قويا ومهما في رحلات الأندلسيين خلال تلك الفترة من خلال:

أ- الحج:

يأتي الحج[1]على رأس بواعث الرحلات إلى المشرق الإسلامي[2]، وإليه يعود الفضل فيتحريك أغلب الرحلات في تلك الفترة[3]، وهو ما أكده العلامة ابن خلدون في مقدمته عند حديثه عن أهل الأندلس فقال:"إن رحلتهم كانت غالبًا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم"[4]، وبالرجوع إلى ديننا الحنيف نجد أن هذه العبادة العظيمة تكتسي أهمية ومكانة بالغة في الإسلام؛ فهو الركن الخامس للإسلام ومن أفضل العبادات وأجلها إلى الله عز وجل، لكون الحاج يجهد بدنه وماله معا عند تأديته لأعمال الحج[5]، زيادة على ذلك فهو تلبية لنداء الله -تعالى-؛ حيث ينال الحاج من وراء تأديته لهذا الركن الركين من الدين منافع دينية، ودنيوية كثيرة لما جاء في النص القرآني: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا

---

[1] الحج في الاصطلاح هو القصد إلى بيت الله الحرام لأداء أفعال مخصوصة من طواف وسعي والوقوف بعرفة وطواف الوداع وغيرها من الأعمال انظر: ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي(ت853هـ/145م)، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، ج5، تح شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، دار الرسالة العلمية، ط1، دمشق، 2013/1434، ص236.

[2] بنعيسي بويوزان، **فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين**، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، دط، مكة المكرمة، 1426، ص343.

[3] الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص68.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص568.

[5] ابن جماعة عبد العزيز بن محمد الكناني(ت767هـ/1366م)، **هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك**، ج1، تح صالح بن ناصر الخزيم، دار ابن الجوزي، دط، 2001/1422، ص115 .

تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[1]، كما أنه واجبٌ من الناحية الشرعية لمن توفرت فيه مجموعة من الشروط التي حددها العلماء[2]، ويكون لمرة واحدة في العمر، فما زاد على ذلك فهو تطوُّع[3].

مما جعل المسلمون يتحمّسون للرحيل إلى تلك البقعة المباركة عند اقتراب كل موسم حج[4] فيؤدون الفريضة في مكة المكرمة، ثم يزورون المقدسات الإسلامية بمكة، والمدينة النبوية لا سيما زيارة قبر النبي –صلى الله عليه وسلم–[5]، زيادة على ذلك فإن فضائل الحج والعمرة[6] كثيرة للغاية منها الفضائل الآتية:

– الحج المبرور من أفضل الأعمال عند الله –تعالى– بعد الجهاد في سبيل الله.

ففي الحديث المتَّفق عليه عن أَبِي هُرَيْرَةَ –رضيَ اللهُ عنهُ– قالَ:(سُئِلَ النّبيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أَيُّ الأعمالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُور)[7].

– من حج بيت الله الحرام رجع كيوم ولدته أمه.

---

[1] **سورة الحج**، الأية (27–28).

[2] للوقوف على شروط الحج انظر: النووي يحيى بن شرف الدين(ت676هـ/1277م)، **روضة الطالبين وعمدة المفتين**، ج3، تح زهير شاوش، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 1991/1416، ص3؛ ابن قدامة أحمد بن عبد الرحمان المقدسي(ت742هـ/1341م)، **مختصر منهاج القاصدين**، ج1، تح شيخ سعيد العارف، دار إحياء علوم الدين، ط2، بيروت، 1997/1418، ص69؛ نور الدين عتر، **الحج والعمرة في الفقه الإسلامي**، مؤسسة الرسالة، دط، دت، ص13؛ أحمد عبد الغفور العطار، **أحكام الحج والعمرة من حجة النبي وعمراته**، ط1، بيروت، 1977/1397، ص17.

[3] النووي، المصدر السابق ،ج3 ،ص3.

[4] الموسم بفتح الميم وسكون الواو وكسر مهملة، قال الأزهريُّ سميِّ بذلك لأنه معلمٌ يجتمع إليه الناس، مشتق من السِّمة وهي العلامة. ابن حجر، المصدر السابق، ج5، ص656.

[5] محمد متولي الشعراوي، **الحج المبرور**، مكتبة الشعراوي الإسلامية، دط، مصر، 1990، ص11.

[6] العمرة من الناحية الشرعية هي زيارة بيت الله الحرام على وجه مخصوص. انظر: إبراهيم الشوري، **أقوال المذاهب المختارة في الحج والعمرة والزيارة**، دار العربية للنشر، د ط، بيروت، 1393، ص121.

[7] الفاكهي أبي عبد الله محمد بن إسحاق ابن العباس(من علماء القرن3هـ/9م)، **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**، ج1، تح عبد الملك بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، بيروت، 1994/1414، ص428. وأخرجه البخاري انظر: البخاري أبي عبد الله إسماعيل(ت256هـ/870م)، **صحيح البخاري**، (حديث1519)، دار ابن كثير، ط1، دمشق، 2002/1423، ص370.

لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قَالَ: سمعتُ النّبيّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يقُولَ: (مَنْ حَجَّ للهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيومِ وَلَدَتْهُ أُمُّه)[1].

– العمرة تكفّر الذنوب والحج المبرور ليس له جزاء إلّا الجنة.

ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (العمرة إلى العمرة كفارات لما بينها، والحج المبرور ليس له جزاء إلّا الجنة)[2].

– الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنْ الْمَسَاجِدِ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلفِ صَلَاةٍ فِي مَسجدي)[3].

وعَن أَنَس بن مالك قال: قالَ رسولُ الله –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: (صَلاةُ الرَّجُلِ فِي بيته بصلاة، وصلاتُه فِي مسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة، وصلاتُه فِي المسجد الَّذِي يجمع فِيهِ بخمسمائة صلاة، وصلاتُهُ فِي المسجدِ الأقصى بخمسينَ ألف صلاة، وصلاته فِي مسجدي بِخمسينَ ألف صلاة، وصلاته فِي المسجد الحرام بمائة ألف صلاة)[4].

– الخروج إلى الحج والعمرة يكسب صاحبها الثواب كاملا حتى وإن مات بالطريق، وهو في ذمة الله –تعالى–.

ففي الحديث عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (من خرج مُجاهدًا فمات كَتبَ اللهَ أجرَهُ إلى يوم القِيامة، ومن خَرج حاجًا ومات كَتبَ الله أجرهُ إلى يوم القيامة، ومن خَرج معتمرًا فمات كتب الله أجره إلى يوم القيامة)[5].

---

[1] الفاكهي، المصدر السابق، ج1، ص430؛ أخرجه البخاري، المصدر السابق، (حديث1521)، ص370.

[2] البيهقي، **السنن الكبرى مع الجوهر النقي**، ج4، كتاب الحج، باب من اعتمر في السنة مرارا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ط، د ت، ص342.

[3] ابن ظهيرة نور الدين بن أبي بكر بن علي(ت986ه/1579م)، **الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف**، ط5، 1399/1979، ص95.

[4] عبد الله الغازي الحنفي، **إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام**، تح عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي للنشر والتوزيع، ط1، مكة المكرمة، 1430/2009، ص169-170.

[5] ابن جماعة، المصدر السابق، ج1، ص 146.

وعن جابر بن عبد الله قال: قال –رسول الله صلى الله عليه وسلم–:(من ماتَ بمكة أو في طَريقِ مكة بُعث في الآمنين)[1].

– يُضاعف الله أجر المنفقين لأموالهم في حج، وهي تعادل النفقة في سبيل الله.

فعن بُرَيدة –رضي الله عنه–: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:(النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله الدرهم بسبعمائة ضِعف)[2].

– الصوم في مكة مُضاعف الأجر والثَواب.

فعن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:(من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه، وقام منه ما تيسر كتب الله له مائة ألف شهر رمضان فيما سواه، وكتب له بكل يوم عتق رقبة، وبكل ليلة عتق رقبة، وكل يوم حملان فرس في سبيل الله، وفي كل يوم حسنة وفي كل ليلة حسنة)[3]، قال عنه الإمام ابن رجب الحنبلي في لطائف المعارف: إسناده ضعيف.

وعن الحسن البصري –رحمه الله– قال: صوم يوم بمكة بمائة ألف يوم، وصدقة درهم بمائة ألف وكل حسنة بمائة ألف[4].

– الحج من أفضل العبادات إلى الله –تعالى–.

قال أبو الشعثاء نظرت في أعمال البر فإذا بالصلاة تَجْهَدُ البدن والصوم كذلك، والصدقة تَجْهَدُ المال، والحج يجهدهما، فرأيته أفضل ووافق أبا الشعثاء على ذلك جماعة من العلماء[5].

إن فضائل الحج العظيمة جعلت من الأندلسيين يتشوقون كغيرهم من المسلمين إلى الإسراع لأداء الفريضة؛ حيث عرفوا رحلات الحج منذ البدايات الأولى للوجود الإسلامي بالأندلس، واستمرت بشكل دائم ومستمر طيلة فترة عصر الإمارة، هذا ما أشارت إليه كتب التاريخ والتراجم

---

[1]ابن جماعة، المصدر السابق، ج1، ص147؛ الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي(ت832هـ/1428م)، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، ج1، تح محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998/1419، ص214.

[2]ابن جماعة، المصدر نفسه، ج1، ص139.

[3]الغازي الحنفي، المرجع السابق، ج1، ص170.

[4]الفاسي، المصدر نفسه، ج1، ص214.

[5]ابن جماعة، المصدر نفسه، ج1، ص115.

التي تحدّثت عن علماء الأندلس خلال تلك الفترة من تاريخها[1]، وقد لمسنا الحضور القوي للأندلسيين لأداء فريضة الحج خلال عصر الدولة الأموية[2]، الذي واكبه في الكثير من الأحيان طلب العلم من علماء ومشايخ الحجاز، أو من العلماء الوافدين عليه؛ فمن عادة حجاج ومعتمري الأندلس بعد إتمامهم لمناسك[3] الحج جلوسهم في حلق علمية، كانت تقام بالمسجد النبوي وبالحرم المكي فيأخذون عنهم الكثير من المعارف، والكتب والتقاليد، والعادات الحجازية فينقلونها بعد عودتهم إلى بلدهم[4]، وهو ما أكده الأستاذ "عبد الله الترغي" بأن رحلات الحج كان يواكبها في أغلب الأحيان طلب العلم يقول: "الرحلة لطلب العلم، وأداء فريضة الحج عمل عرفه الغرب الإسلامي منذ عهوده الأولى، فمعظم علمائه كانت لهم رحلات علمية واسعة إلى المشرق لأداء فريضة الحج ولقاء الشيوخ، وجل المصنفات المتداولة في مجالس العلم بالغرب الإسلامي، وردت على يد علمائه الرحالة"[5]، كما أن كتب التراجم التي استعين بها في دراستنا هذه تفيض بذكر رحلات الحج، ثمَّ يأتي طلب العلم عن طريق عبارات توحي لنا بذلك، فورود عبارة رحل إلى المشرق كانت تعني في الكثير من الأحيان رحلة الحج بوجه الخصوص[6]، وهذه بعض العبارات التي جمعت بين الحج وطلب العلم معا في قولهم: حج وسمع بمكة، رحل حاجا وسمع بالمشرق، رحل إلى مكة وسمع

---

[1] مانويلا مارين، **ممارسات المسلمين الدينية في الأندلس بين القرنين 2و4 الهجريين 8و10الميلاديين**، تر يعقوب الدواني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1999، ص1229.

[2]للوقوف على جملة العلماء الأندلسيين الذين أدوا فريضة الحج. انظر: **الملحق رقم(04)**، العلماء الاندلسيون الذين رحلوا إلى الحجاز خلال عصر الإمارة.

[3]مناسك الحج: تنقسم إلى أربعة أركان، ومجموعة من الواجبات والسنن، فالركن لابد من فعله، وهي: الإحرام، والطواف والسعي والوقوف بعرفة أما الواجبات والسنن فهي عديدة ويصح الحج بترك بعضها. انظر: محمد بن سليمان آل جراح، **كفاية الناسك لأداء المناسك**، تح وليد عبد الله المنيس، دار البشائر، ط1، بيروت، 2001/1422، ص137.

[4] أبو القاسم سعد الله، **التبادل الثقافي بين مكة والمغرب الإسلامي**، مجلة ثقافتنا، دع، الجزائر، دت، ص11؛ محمد نصيف حردان، **رحلة الحج عند الرحالة المغاربة التجيبي السبتي أنموذجا**، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد23، العدد5، العراق، ماي 2016، ص52.

[5]عبد الله مرابط الترغي، **فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، تطوان، 1999/1420، ص134.

[6] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص، ص 882 ،899؛ نفسه، ج1، ص، ص 371، 441.

أدى الفريضة وسمع وغيرها من العبارات[1]، فاقتران العلم بالحج كهدف ثان يبغي الحاج الأندلسي تحقيقه، كان شائعا عند المرتحلين الأندلسيين في تلك الفترة، يقول في هذا الصدد الأستاذ محمد بن شقرون: "ويقول أن هؤلاء الرحالين كانوا يقصدون كذلك أغراضا أخرى، منها الاتصال بالعلماء والشيوخ وكبار الفقهاء والمحدثين للأخذ عنهم والتحقيق في سندهم والروايات التي تكون قد صدرت عنهم، وجوابنا على هذا الاعتراض هو أن ذلك صحيح، لكننا نرى أن الغاية كانت لا تختلف جوهريا، إذ العلوم التي كان يقصدها الرحالة المغربي تكاد لا تتجاوز ميدان الشريعة الإسلامية من فقه وحديث وتفسير وقراءات، فليس إذن فرق مادامت الغاية ترمي إلى التضلع والتبحّر في العلوم الدينية"[2].

ب-الرحلة التجارية:

تحتل الرحلة من أجل التجارة المكانة الثانية بعد الحج إلى الحجاز، ومع أن هدفها هو الكسب من خلال عملية البيع والشراء في الأسواق، إلّا أن دوافعها كانت هي الأخرى نابعة من الدين؛ فقد أولى الإسلام أهمية بالغة للتجارة ودعا إلى مزاولتها، من خلال ورود آيات عديدة تحث على القيام بذلك منها قوله -تعالى-: ﴿..فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، وأيضا في قوله جل وعلا: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ..﴾[4]، فالآية الأولى تعني التجارة، والثانية تقصد التجارة في طريق الحج[5]، وأما من السنة المطهرة فقد جاءت أحاديث كثيرة عن التجارة منها، عن ابن عباس -رضي الله

---

[1] للوقوف على الرحلات الحجازية في فترة الدولة الأموية. انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1 وج2؛ عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي(ت544ه/1149م)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج1 و2، تح محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1998/1418؛ المقري، المصدر السابق، ج2.

[2] محمد بن أحمد بن شقرون، **مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني**، منشورات مطبعة النجاح الجديدة، دط، الدار البيضاء، 1985/1406، ص ص171، 172.

[3] **سورة الجمعة**، الآية 10.

[4] **سورة البقرة**، الآية 198.

[5] محمد بن الحسن الشيباني(ت189ه/805م)، **كتاب الكسب**، تح أبو الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، 1997/1417، ص86.

عنه- قال: كانت عُكاظ[1]ومجنَّة[2] وذو المجازِ[3] أسواقًا في الجاهلية، فلما كان الإسلام فكأنهما تأثَّمُوا فيه فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4] في مواسم الحج، هكذا قرأها ابن عباس[5]، كما أن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وطائفة من الصحابة -رضي الله عنهم- جميعا مارسوا التجارة، فتذكر الرواية أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يتاجر بأموال السيدة خديجة -رضي الله عنها-[6]، فقد خرج في رحلة إلى الشام يتاجر بأموالها؛ فباع بضاعته التي خرج بها ثم رجع إلى مكة[7]، وأيضا وجد عدد من الصحابة من امتهنوا التجارة منهم أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-[8] اشتهر من بين الصحابة بتجارته حتى أصبح بفضلها من أثرياء القوم، فعند بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم- كان عنده أربعون ألف درهما، أنفقها بسخاء على الفقراء والمحتاجين، واستمر يمتهن التجارة لفترة، ولم يتركها إلا عندما بُويع بالخلافة خشية أن تشغله عن أمور المسلمين[9]، نجد كذلك عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- كان يتاجر في الأَدم، وعثمان بن

---

[1] سوق للعرب في الجاهلية، سمي بهذا الاسم لأن العرب كانوا يجتمعون فيه ويتفاخرون وينشدون الشعر، كان يقام في شهر شوال من كل سنة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص142.

[2] سوق للعرب في الجاهلية، يقع بمرّ الظهران قرب جبل يقال له الأصفر في أسفل مكة على قدر بريد منها، كان يقام في العشر الأخيرة من ذي القعدة. انظر: المصدر نفسه، ج5، ص59.

[3]سوق للعرب في الجاهلية بالقرب من عرفة على بعد فرسخ منها، كان يقام ثمانية أيام من ذي الحجة. انظر: المصدر نفسه، ج5، ص ص50، 59.

[4] **سورة البقرة**، الآية 198.

[5] البخاري، المصدر السابق، كتاب البيوع، حديث رقم 2050، وحديث رقم2099، ص 494، 506.

[6] خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزَّى بن قصي القرشية الأسدية أم المؤمنين زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وأول من آمن به، كانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال، توفيت قبل الهجرة بثلاث سنين. ابن الأثير، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2012/1433، ص1502.

[7] ابن هشام عبد الملك بن هشام الحميري(ت213ه أو218ه)، **السيرة النبوية**، ج1، تح عمر بن عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، 1990/1410، ص ص212، 213.

[8] هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرَّة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي أبو قحافة يعرف بابي بكر الصديق، أول من أسلم من الرجال وصاحب النبي صلى الله عليه وسلم، تولى الخلافة من(11ه/632م) إلى سنة وفاته (13ه/634م). انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ص700.

[9] ابن سعد محمد بن منيع الزهري(ت230ه/844م)، **كتاب الطبقات الكبير**، ج3، تح علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2001/1421، ص158، 170.

عفان[1]، وعلي بن أبي طالب[2]–رضي الله عنهما– كان تاجرين أيضا[3]، ووجد من الصحابة من كان يخرج في رحلات تجارية عن طريق البحر مثل طلحة بن عبيد الله[4]، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[5]، تذكر الرواية أن ابن المبارك(181هـ/798هـ)[6]سأل عن تجارة البحر فذكر أنه كان يتاجر في البر والبحر معا[7].

أسهمت هذه النّظرة الإيجابيّة–التي أولاها الإسلام للتجارة–إلى تنشيط الرحلة التجارية سواء كانت رحلة برية أو بحرية، حيث نظمها وطهرها من الحرام ونشّطها بشكل فعّال، حتى تلعب دورها المنوط في الحياة الاقتصادية والسياسية والحضارية[8]، فكانت بلاد الأندلس تربطها علاقات تجارية مزدهرة مع دول المغرب والمشرق الإسلاميين، عن طريق شبكة واسعة من الطرق البرية والبحرية التي سوف نتطرق إليها في هذا الجزء من البحث[9].

---

[1]هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي، تولى الخليفة بعد وفاة أبي بكر الصديق (24هـ/645م– 35هـ/656م). انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ص897.

[2]هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، و أول من أسلم من الصبيان وسنه لا يتجاوز 10سنوات، تولى الخلافة(35–40هـ/656–661م). انظر: المصدر نفسه، ص871.

[3] الشيباني، المصدر السابق، ص89.

[4] طلحة بن عبد الله بن عثمان يعرف بطلحة الخير وبطلحة الفَيَّاض من السابقين في الإسلام، توفي في وقعة الجمل سنة(36هـ/657م). انظر: ابن الأثير، المصدر نفسه، ص595.

[5] سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد السابقين الأولين في الإسلام، هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معه الوقائع، توفي سنة(50–51هـ/670–671م). انظر: المصدر نفسه، ص484.

[6] عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي المروزي مولى تميم، من أئمة الحديث البارزين عرف بجهاده وكثرة رحلاته في طلب العلم توفي سنة(181هـ/798هـ). انظر: السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر(ت911هـ/1506م)، **طبقات الحفاظ**، تح مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983/1403، ص123–125.

[7] ابن أبي الدنيا أبي بكر بن محمد بن سفيان(ت281هـ/894م)، **إصلاح المال**، تح محمد بن عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت، 1993/1414، ص ص76، 77.

[8] صلاح الدين الشامي، المرجع السابق، ص113.

[9] عصام كاطع الشويلي ووجدان عبود، **أنواع الطرق والمواصلات الاقتصادية بين الأندلس وبلدان المشرق الإسلامي**، العدد24، جوان2018، ص3.

ومن العوامل المساعدة على الرحلة الحجازية نذكر: أسباب سياسية واقتصادية، اهتمام الحكام بالعلم والعلماء، تسهيل السبل للوصول إلى الحجاز وغير ذلك كما سوف نرى.

2- الأسباب السياسية:

إن المتفحّص للأحداث التي عاشها الحجاز خلال القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي يدرك طبيعة العلاقات التي ربطت سكان هذه البلاد ببني العباس في بغداد، فالحجاز كان ميدانا نشطا للعديد من الحركات المسلحة الرافضة للحكم العباسي، على غرار ثورة محمد صاحب النفس الزكية(145هـ/762م-763م)، وثورة الحسين بن علي(169هـ/785م)[1]، كما أن الكثير من سكان الحجاز بما فيهم العلماء قد انخرطوا في تلك الحركات ودعموها بشكل أو بآخر، فتذكر الرواية أن الفقيه ابن هرمز(ت148هـ/766م)[2] خرج علنا مع المقاتلين الطالبيين تحريضا للقتال بالمدينة[3] وأيضا أفتى الإمام مالك بن أنس(179هـ/796م)[4] بجواز نقض بيعة العباسيين عندما أراد الكثير من سكان المدينة الانضمام إلى ثورة محمد النفس الزكية[5]، فانجرّ عن هذه الأحداث إلى تخييم علاقة غير ودية لفترة من الزمن، خاصة أن الإمام مالك قد تعرض إلى مضايقات وأوذي من طرف السلطة العباسية[6]، ومن جانب آخر فقد طبعت علاقة أموي الأندلس بالعباسيين في المشرق

---

[1] سيتم التطرق إليها وإلى ابرز الثورات والأحداث التي عاشها الحجاز خلال القرنين(2هـ-3هـ/8م-9م) في الجزء المتبقي من الفصل الأول.

[2] هو أبو بكر عبد الله بن يزيد الأصم يُعرف بابن هرمز أحد التابعين، فقيه ومفتي المدينة وأستاذ الإمام مالك الذي مكث عنده مدة طويلة يأخذ العلم، توفي سنة(148هـ/766م). أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج6، ص ص380،379.

[3] الأزدي أبو زكريا يزيد بن محمد(ت334هـ/945م)، **تاريخ الموصل**، تح علي حبيبة، لجنة إحياء التراث، القاهرة، 1967/1387، ص188.

[4] هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر أبو عبد الله الأصبحي المدني إمام دار الهجرة، أحد أشهر محدثي وفقهاء الإسلام أخذ عنه العلم كبار العلماء منهم سفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد، وتلميذه الإمام الشافعي وغيرهم، من أشهر مؤلفاته كتاب الموطأ. انظر: السخاوي شمس الدين(ت902هـ1496م)، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، ج3، تح اسعد طرابزوني الحسني، دط، 1980/1400، ص ص442، 443.

[5] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص560؛ الناصري أحمد بن خالد السلاوي(1315هـ/1898م)، **الاستقصاالأخبار دول المغرب الأقصى**، ج1، تح جعفر الناصري وأحمد الناصري، دار الكتاب، دط، الدار البيضاء، 1954، ص149.

[6] عياض، المصدر السابق، ج1، ص112-124.

بالعداء الشديد خلال نفس الفترة، وسعى كل منهما إلى إضعاف الطرف الآخر من خلال محاولة التحالف وربط علاقات مع النصارى أعداء أعدائهم؛ حيث كان الأندلسيون على اتصال مع البيزنطيين في القسطنطينية، ونفس الشيء حدث مع العباسيين الذين ربطتهم علاقات ودية مع الإفرنج في الغرب تطورت إلى عقد معاهدات وعلاقات تجارية[1]، وفي إطار التنافس على النفوذ تذكر لنا الرواية أن الخليفة أبي جعفر المنصور(136-158ه/754-775م) سعى في سنة(146ه/763م) إلى استعادة الأندلس من الأمويين عن طريق إشعاله لثورة كبيرة قادها أبو العلاء بن المغيث الجذامي[2]؛ حيث دعا للعباسيين والتف حوله خلق كثير، غير أن الأمير عبد الرحمان الداخل(138-172ه/756-788م) تمكّن من القضاء على هذه الثورة بمقتل قائدها والكثير من أتباعه بعدما هددت الوجود الأموي بالأندلس[3]، وكرد فعل عدائي من الأمويين قام عبد الرحمان الداخل بوضع خطّة عسكرية سنة(163ه/779م) تهدف إلى استعادة ملك أجداده بالشام والثأر من العباسيين؛ لكن أوضاع الأندلس الداخلية حالت دون الشروع في حملته[4].

وأمام تلك الأوضاع سعى أموي الأندلس إلى كسب ود أهل الحجاز، ويبدو أنهم تمكنوا من تحقيق ذلك عندما حدث اتصال وتقارب بين الطرفين، روي أن حُجاج الأندلس نقلوا إلى الإمام مالك سيرة الأمير هشام بن عبد الرحمان(172-180ه/789-796م)[5]، التي تظهره الروايات على أنه كان جاريا في مضمار خيار رجال الأمة، وصف بالأمير الورع التقي والعادل المنصف بين رعيّته، لذلك شبه بعمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-، قال عنه المقري في كتابه نفح الطيب: "وكان هشام يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز، وكان يبعث بقوم من ثقاته إلى الكور فيسألون الناس عن سِير عُماله ويخبرونه بحقائقها، فإذا انتهى إليه حَيفَ من أحدهم أوقع به

---

[1] شكيب أرسلان، **تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا والبحر المتوسط**، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، دت، ص116.

[2] للمزيد من المعلومات حول ثورة العلاء بن المغيث في الأندلس. انظر: **الفصل التمهيدي**.

[3] ابن القوطية، المصدر السابق، ص54؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص ص51، 52.

[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص245؛ المقري، المصدر السابق، ج3، ص54.

[5] الأمير هشام بن عبد الرحمان بن معاوية(172-180ه/789-796م) عرف بحسن سيرته عادلا بين رعيته، كريما جوادا، متواضعا كان يشهد الجنائز زاهدا في حياته، مجاهدا في سبيل الله. انظر: ابن القوطية، المصدر نفسه، ص62.

وأسقطه وأنصف منه ولم يستعمله بعد"[1]، فأعجب الإمام مالك بسيرته وأثنى عليه، حيث قال: "وَدِدتُ أن الله زيَّن موسمنا به"[2]، بينما وجدت رواية أخرى نقلها الناصري تذهب أن المعني بالمقولة هو مؤسس الدولة الأموية عبد الرحمان الداخل الذي وصف: "أنه يأكل الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله، فقال مالك: ليت الله زين حرمنا بمثله"[3]، وبصرف النظر عَمَّن تقصده الرواية، فهي تصور لنا مدى الاتصال المستمر للأندلسيين مع أهل الحجاز؛ حيث كان كل طرف على علم بما يجري في القطر الآخر، وفي نفس الوقت تظهر أن الإمام مالك لم يكن راضيا عن سياسة بني العباس في وقته، نتيجة تصرف بعض عمالهم الطائش بالمدينة[4].

3- توفر الأمن والاستقرار السياسي في الأندلس:

يعتبر هذا العامل مهما جدا في ازدهار مختلف الأنشطة العلمية، والاقتصادية واستقرار السكان بالمدن والقرى؛ حيث حرص حكام بني أمية في الأندلس على إرساء الأمن والاستقرار بدولتهم، فهذا مؤسس الإمارة عبد الرحمن الداخل(138-172ه/755-788م) حرص منذ توليته الإمارة على توفير دعائم الأمن والاستقرار، عندما تمكن بفضل ذكائه وحزمه وشدّة تعامله مع الثورات التي تضاهي ما كان عليه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[5]، من القضاء على الفوضى والصراعات بالأندلس[6]، وشجع الصناعة والزراعة والتجارة[7]، كما اهتم بإقامة المنشآت العمرانية كالقصور والمساجد والمتنزهات، وحصن مدن الأندلس[8]، وقصد إبعاد الخطر الخارجي فقد اهتم بالبحرية بشكل كبير عندما بادر سنة(177ه/793م)، إلى بناء دور الصناعة في مراسي

---

[1] المقري، المصدر السابق، ج1، ص ص336، 337.

[2] مجهول، **أخبار مجموعة**، ص109؛ ابن القوطية، المصدر السابق، ص62. المقري، المصدر نفسه، ج3، ص230.

[3] الناصري، المصدر السابق، ج1، ص139.

[4] الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص 79، 318.

[5] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص280.

[6] للوقوف على الثورات والصعاب التي اعترضت عبد الرحمان الداخل راجع **الفصل التمهيدي** للدراسة، **والملحق رقم(02)** جدول يظهر ابرز الثورات التي ظهرت في عهد عبد الرحمان الداخل.

[7] جهاد غالب مصطفى الزغلول، **الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، الجامعة الأردنية، 1994، ص73.

[8] المقري، المصدر نفسه، ج1، ص ص545، 546.

طرَّكونة[1] وطرطوشة[2]، وقرطجنة وإشبيلية وغيرها[3]، لتعرف صناعة السفن تطورا، وازدهارا بالأندلس منذ عهد مؤسس الدولة، خاصة مع توفر المواد اللازمة لتلك الصناعة كالخشب والحديد والنّحاس والألياف النّباتية والزفت والقطران، والكبريت والكتان في مختلف مناطق البلاد[4].

وفي عهد حكم بن هشام(180-206هـ/ 796-821م)[5]، شهدت الأندلس سياسة حُكم مختلفة، تميّزت بالقسوة والشدّة في أغلب الأحيان، حتى أنه عُرف بالحاكم الرَبضي واقترانه بهذا الاسم يعود إلى قسوته الشديدة في معالجة ثورة الربض[6]، تذكر الروايات أن الحَكم كان في بداية حكمه على سيرة حميدة[7]؛ لكن سرعان ما تغيرت تلك السيرة الحسنة بانغماسه في التسلية والعبثية[8]، الأمر الذي أنكره عليه مجموعة من كبار الفقهاء فأرادوا الإطاحة به ووضعوا خطة محكمة في ذلك لكنهم فشلوا[9]، كما لم يكتف الحكم الربضي بإفشال محاولة تمرّد الفقهاء عليه، بل أراد أن يضفي

---

[1] طَرَّكُونَة: مدينة ساحلية بالأندلس متصلة بأعمال طرطوشة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص29.

[2] طَرطُوشَة: مدينة قريبة من البحر تقع شرق مدينة قرطبة. انظر: المصدر نفسه، ج4، ص ص30، 31.

[3] أرسلان، المرجع السابق، ص193.

[4] الزغلول، المرجع السابق، ص106.

[5] هو الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية يكنى أبى العاص تولى حكم الأندلس وسنة اثنان وعشرون سنة، كان شديدا قاسيا طاغية على الخارجين عليه توفي سنة(206هـ/821م). انظر: الضبي، المصدر السابق، ج1، ص34.

[6] هي عبارة عن ثورات متوالية قام بها ثائرون من حي الربض وغيرهم من سكان مدينة قرطبة ضد الأمير الحكم بن هشام حملت نفس الشعارات والأسباب في إنكار أفعال الحكم ومحاولة تغييره، امتدت لعدة سنوات أبرزها: ثورة الربض الأولى(189هـ/805م)، وثورة الربض الثانية(202هـ/817م). انظر: محمد خالد مصطفى المومني، **الفقهاء وثورة أهل الربض في الأندلس(180-206هـ/796-821م)**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الأندلسي، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1995/1416، ص ص137، 138.

[7] ابن القوطية، المصدر السابق، ص64؛ ابن الأبار محمد بن عبد القضاعي(ت658هـ/1260م)، **الحلة السيراء**، ج1، تح حسين مؤنس، دار المعرف، ط2، القاهرة، 1985، ص43؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص ص78، 79.

[8] الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص254.

[9] تعرف هذه الحادثة بثورة الربض الأولى(189هـ/805م) بدأت شرارتها عندما عزم مجموعة من كبار الفقهاء والعلماء وأعيان الناس الخروج عن طاعة الأمير الحكم بن هشام، فعقدوا اجتماع سري قرروا فيه خلع أمير الأندلس واستبداله بمحمد بن القاسم المرواني غير أنه وقعت وشاية وعلم الحكم بالمكيدة فبطش بهم وقتل اثنين وسبعين من المتآمرين. انظر: ابن عذاري، المصدر نفسه، ج2، ص71.

على انتصاره نوعا من القسوة والبطش لأجل إرهاب خصومه، عندما أقدم على صلب اثنين وسبعين من المتآمرين عليه على نهر قرطبة، كانوا جميعهم من الفقهاء والعلماء، بينما ذهب بعضهم أن عددهم كان زهاء مائة وأربعين عالما وعابدا[1]، وبعد مرور اثناعشرة سنة عن تلك الحادثة الأليمة وقعت ثورة الهيج(202ه/817م)، وهي من تبعات ثورة الربض الأولى، حيث انفجر حقد وكراهية الناس على الأمير الحكم عندما وجدوا فرصة سانحة للثورة، أدت إلى حدوث اقتتال شديد بين الطرفين، تمكّن الحكم مرة أخرى من إخمادها بعد مقتل عدد كبير من المتمردين[2]، وبالرغم من أفعاله وما شاب عصره من اضطرابات وفتن[3] إلا أنه تمكن في نهاية المطاف من التّغلّب عليها، بفضل شجاعته وحزمه مع أعدائه، يقول ابن قوطية في ذلك: "وأذعنت الأندلس كلها بالطاعة للحكم بن هشام.."[4] فتمكن من توطيد الملك لمن بعده بالأندلس[5]،

أما في عهد عبد الرحمان الأوسط(206-238ه/821-852م)[6]، فقد استتب الأمن بالبلاد بشكل غير مسبوق وأصبحت أيامه أيام هدوء وسكون[7]، بفضل انتصاراته المتتالية على أعدائه حيث تمكن من درء خطر النّصارى على ثغور المسلمين بالأندلس[8]، كما تمكن بفضل دار

---

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص204.

[2] تعرف بثورة الهيج أو بثورة الربض الثانية حدثت سنة(202ه/817م) تُعد إحدى اخطر الثورات الشعبية التي شارك فيها الفقهاء إلى جانب عامة الشعب ضد قوات الأمير الحكم، نشب قتال شديد بين الطرفين انتهى بتغلب قوات الحكم، عمد بعدها إلى إحراق بيوتهم وطردهم من قرطبة. انظر: ابن سعيد المغربي(ت685ه/1286م)، **المغرب في حلي المغرب**، ج1، تح شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1993، ص ص42، 43.

[3] ابرز الثورات التي ظهرت في فترة حكم الأمير الحكم: ثورة المولدين في طليطلة(181ه/797م)، وثورة الربض في قرطبة(189ه)، ثورة أصبغ بن عبد الله في ماردة(191ه/806م)، وثورة حزم بن وهب في باجة(191ه/806م)، وثورة الهيج في قرطبة(202ه/871م). انظر: ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص344-346؛ المومني، المرجع السابق، ص87-92.

[4] ابن القوطية، المصدر السابق، ص70.

[5] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج5، ص466.

[6] هو عبد الرحمان بن الحكم وعرف أيضا بعبد الرحمان الأوسط أو الثاني(206-238ه/ 822-852م) سار بسيرة حسنة كان يكرم أهل العلم ويقربهم إليه، كما اهتم بتقوية الأسطول الحربي بعد تعرض إشبيلية في عهده لغزو المجوس. انظر: ابن القوطية، المصدر نفسه، ص75.

[7] أرسلان، المرجع السابق، ص126.

[8] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص91.

الصناعة بإشبيلية من بناء أسطول بحري قوي لردع الغزاة بعدما تعرضت الأندلس لهجمات النورمان[1]، ما لم يمتلكه حاكم أندلسي من قبل[2]، ودليل على تطور البحرية الإسلامية في الأندلس هو تمكن عبد الرحمان الأوسط من بناء أسطول بحري ضخم يتكون من ثلاثمائة مركب، استطاع وقتها فتح جزيرتي ميورقة[3] ومنورقة[4] سنة(234هـ/848م)[5]، وبعد فتح هتين الجزيرتين زال خطر النصارى على مراكب المسلمين، فتحرر الطريق التجاري البحري وأصبح أكثر أمنا من ذي قبل، فانفتحت الأندلس للتجار على مختلف البلاد الإسلامية، وتدفّقت السلع على اختلافها من بغداد وغيرها[6].

4-تحسّن الأوضاع الاقتصادية بالأندلس:

لقد حبا الله -تعالى- بلاد الأندلس بإمكانات طبيعية وجغرافية مميزة، إذ هي من أكثر البلدان الإسلامية تساقطا للأمطار وجريًا للأنهار، وبها أخصب الأراضي الزراعية وأكثرها إنتاجا للمحاصيل بالمنطقة، ناهيك عن مناخها الملائم للكثير من النشاطات[7]، كما وجد بها الكثير من المعادن كالحديد والنحاس والفضة والزئبق والقصدير وغيرها مما عرفه أهلها في ذلك الوقت[8]، وكذا

---

[1] النورمان: ويطلق عليهم في المصادر الإسلامية اسم المجوس لأنهم كانوا يشعلون النار في كل موضع يمرون به لهذا السبب حسبهم المسلمون مجوسا، وهم جنس آري قديم سكن شبه جزيرة إسكندناوة وجوتلند وما يجاورها منذ القدم، حيث تعرضت السواحل الغربية للأندلس منذ سنة(229هـ/844م) لهجمات النورمان. انظر: السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس**، ج1، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 1969، ص152.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 147، 160.

[3] مَيُورقَة: جزيرة كبيرة في شرقي الأندلس. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص246.

[4] مَنُورقَة: جزيرة كبيرة عامرة بالسكان في شرق الأندلس قرب ميورقة. انظر، المصدر نفسه، ج5، ص216.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص89.

[6] المصدر نفسه، ج2، ص92

[7] الحميري، المصدر السابق، ص1-3.

[8] البكري أبو عبيد عبد الله(ت487هـ/1094م)، **كتاب المسالك والممالك**، ج2، دار الغرب الإسلامي، دط، بيروت، 1992، ص898.

الثروات الطبيعية كالخشب الجيد الموجه لبناء السفن[1]، والأصواف المستخرجة من الماشية وغير ذلك[2].

أما أهم مراكزها الزراعية والتجارية نذكر: قرطبة قاعدة البلاد وحاضرتها الكبرى، التي يدخل ضمنها عدة أقاليم وكور، مثلت كذلك مركزا تجاريا مهما داخل الأندلس[3]؛ حيث اشتهرت بكثرة خيراتها وبأسواقها الفسيحة المنظمة، والانتشار الكبير للحمامات والفنادق بها، إضافة إلى نظافة شوارعها، فكانت أبهى مدينة بالأندلس، ولم تكن تضاهيها في ذلك الوقت مدينة بالمغرب ولا حتى في مصر، نظرا لجمال مبانيها ونظافة شوارعها واتساع عمرانها[4]، كما راجت بها الصناعات المختلفة خاصة الجلدية، وازدهرت تجارتها وجنى أصحابها أموالا طائلة وعمّ الرخاء بأهلها[5].

ومن المراكز المهمة أيضا إشبيلية، إحدى كبريات مدنها آنذاك، التي عرفت نشاطا زراعيا مزدهرا نظرا لتربتها الصالحة للزراعة، أما عن أشهر محاصيلها فنجد زيت الزيتون ذو الجودة العالية الذي يحمل إلى مختلف مدن الأندلس، كما يصدّر إلى خارج البلاد عبر السفن إلى أسواق بلاد المغرب ومصر وغيرها من البلدان[6]، كذلك عرفت مدينة طليطلة ازدهارا لنشاطها الزراعي حيث اشتهر أهلها بتجارة الحنطة، يروى أنه كانت تخزن الحنطة في المطامير التي تحفر تحت الأرض، والعجيب في الأمر أنها تبقى على حالتها لعشرات السنين دون أن تفسد، وبها يتجهّز تجارها إلى أسواق الأندلس[7]، كما امتازت بلنسية[8] في الشرق التي تبعد عن قرطبة ستّة وعشرون يوما، بسهولها المنبسطة وعليها بساتين الفواكه من كل مالذّ وطاب، يتجهّز به عبر سفن إلى باقي

---

[1] الحميري، المصدر السابق، ص198.

[2] ابن حوقل أبي القاسم النصيبي(ت367هـ/977م)، **صورة الأرض**، مكتبة الحياة للنشر والتوزيع، دط، بيروت، 1992، ص109.

[3] أوليفيا ريمي كونستيل، **التجارة والتجار في الأندلس**، تر فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، دط، دت، ص61.

[4] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص107.

[5] الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص ص575، 576.

[6] الحميري، المصدر نفسه، ص19.

[7] البكري، المصدر السابق، ج2، ص907.

[8] بَلَنْسِيَة: مدينة كبيرة شرق الأندلس قريبة من ساحل البحر على بعد فرسخ. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص ص490، 491.

الأسواق[1]، واشتهرت مدينة جيان[2] بإنتاج الحرير الذي يتمّ تصديره إلى مختلف المناطق[3]، وكان أهل بجانة[4] ذو شهرة واسعة في صناعة الألبسة الكتانية ذات الجودة العالية، التي كانت تصدّر إلى مختلف أسواق بلاد المغرب والمشرق، كمصر ومكة واليمن[5]، أما جزيرة ميورقة فكانت يصدر منها مختلف الزروع والماشية[6]، بالإضافة إلى الكثير من مناطق الأندلس التي عاشت هي الأخرى نشاطا مزدهرا في تلك الفترة.

كما ساعدت الموانئ التي أقيمت على طول شواطئها،في ازدهار نشاطها التجاري الذي شمل مناطق واسعة من الأندلس، خاصة أنه كانت هذه الموانئ بمثابة أسواق وأماكن للتوقف على طول مسالك البحر الرومي[7]، فمن موانئها نذكر ميناء مالقة[8]، الذي منه كانت تحمل الكثير من البضائع والصنائع إلى بلادي المغرب والمشرق[9]، ويوجد أيضا ميناء تجاري نشط يقع على بعد ثلاثة أميال من بلنسية[10]، كذلك قرطاجنة التي عُرف ميناؤها حركة نشطة للمراكب الكبيرة والصغيرة بفضل مرساها المهيأ بشكل جيد[11]، وكان يوجد بالجزيرة الخضراء دار لصناعة المراكب، وميناء نشط يستقبل مختلف السفن والمراكب[12]، كما استعملت الأنهار الكبرى في الملاحة مثلما حصل في

---

[1] ابن حزم وابن سعيد والشنقندي، **فضائل الأندلس**، ج1، تح صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط1، 1968، ص59.

[2] جَيان: مدينة تقع شرق قرطبة على بعد سبعة عشر فرسخا، يوجد حولها الكثير من القرى. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص195.

[3] ابن حزم، المصدر نفسه، ج1، ص55.

[4] بَجَّانة: مدينة من أعمال إلبيرة، تبعد عن غرناطة مائة ميل. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج3، ص339.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص109.

[6] ابن حزم، المصدر نفسه، ج1، ص59.

[7] أوليفيا ريمي، المرجع السابق، ص56، 59.

[8] مالقة: مدينة حصينة تقع جنوب الأندلس بها أسواق عامرة وفنادق وحمامات، تبعد عن قرطبة من ناحية الشمال مسيرة أربعة أيام. انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج2، ص565-570.

[9] الإصطخري، المصدر السابق، ص42.

[10] الإدريسي، المصدر السابق ، ج2، ص556.

[11] المصدر نفسه، ج2، ص ص559،558.

[12] المصدر نفسه، ج2، ص539.

طرطوشة[1]، التي كانت المراكب تقلع منها محمّلة بالبضائع عبر نهرها وصولا إلى البحر[2]، ولم يقتصر تصديرهم للمنتجات الزراعية والصناعات اليدوية باختلافها فحسب، بل شكلت تجارة الرقيق من الجواري والغلمان وسبي النصارى، موردا مهما كان يتجر به عبر المراكب إلى بلاد المشرق[3].

سمحت هذه الحيوية الاقتصادية التي عاشتها الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية في تنشيط الرحلة باختلافها، فكثيرا ماتخبرنا كتب التراجم عن أندلسيين سلكوا رحلات تجارية إلى الحجاز، أو إلى المشرق بشكل عام، فهذا عبد الله بن مسرة(ت286هـ/899م) رحل تاجرا إلى الحجاز[4]، نجد أيضا عبيد الله بن يحي الليثي(ت298هـ/910م)، من أغنياء قرطبة رحل حاجا وتاجرا في نفس الوقت[5]، كذلك كانت لأحمد بن واضح(ت339هـ/950م) رحلات تجارية عديدة إلى المشرق[6]، ورحل محمد بن معاوية المرواني(ت356هـ/967م) قبل نهاية القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، من أجل التجارة فدخل الحجاز وبغداد[7] وغيرهم لا يتسع المقام لذكرهم.

كما شكّلت الأندلس قبلة للتّجار من مناطق مختلفة، الذين كانوا يقصدونها بشكل منتظم للمتاجرة في أسواقها أو للتزوّد من بضائعها[8]، حتى أنه وجد منهم من اختص بجلب الكتب من بلاد

---

[1]طَرطُوشَة: مدينة قريبة من البحر تقع شرق مدينة قرطبة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص ص30، 31.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص556

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص105، 106.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص376.

[5]المصدر نفسه، ج1، ص429.

[6]الخشني محمد بن حارث القروي(ت361هـ/971م)، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، تح ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ومعهد التعاون مع العالم العربي، دط، مدريد، 1991، ص ص26، 27.

[7]الحميدي محمد بن فتوح(ت488هـ/1095م)، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تح بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2008/1429، ص133-135.

[8] أوليفيا ريمي، المرجع السابق، ص136.

المشرق لبيعها في أسواق الأندلس[1]، مثل كتاب العروض للخليل الفراهيدي(ت170ه/786م)[2]أدخله التجار في عهد عبد الرحمان الأوسط[3].

إن هذا النّشاط الاقتصادي المزدهر من شأنه المساهمة في تحسين حياة أهل الأندلس، وهو ما ينعكس بدوره على الأوضاع العامة ككل، خاصة إذا علمنا أن رواج أسواقها وتجارتها الخارجية كان يدرُّعلى خزينة الدولة أموالا طائلة، جرّاء المكوس والضرائب التي تفرض على المزارعين والتّجار، مما يتيح للدولة القيام بإنشاءات عمرانية كبيرة، من بناء للمساجد والكتاتيب[4]والقصور والحدائق وغيرها من أمور العمران.

5-تشجيع حكام الأندلس للحياة العلمية:

تميز حكام الأندلس[5]بمشاركتهم ودورهم البارز في الرقي الحضاري من خلال تبني سياسة حكم رشيدة قائمة على توفير الأمن، وتنشيط الحياة العلمية والثقافية؛ حيث قربوا إليهم العلماء وبالغوا في إكرامهم واستمروا على ذلك الحال طيلة فترة عصر الإمارة الأموية، يقول ابن حزم:"أن ملوكها كانوا يتواضعون لعلمائهم ويرفعون أقدارهم ويصدرون عن آرائهم، وأنهم كانوا لا يقدمُون وزيرا ولا مشاورا مالم يكن عالما.."[6]، فهذا مؤسس الدولة عبد الرحمان بن معاوية(138-172ه/756-788م) كان من أهل العلم وسار بسيرة الإنصاف والعدل بين رعيته[7]، فما إن

---

[1] خوليان ريبيرا، **التربية الإسلامية في الأندلس**، تر الطاهر أحمد المكي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994، ص152.

[2] هو أبو عبد الرحمان الخليل بن أحمد الفراهيدي العالم العابد، كان إماما في اللغة العربية و يُعد منشئ علم العروض له مؤلف شهير كتاب العروض، ولد سنة(100ه/718م) وتوفي بعد (160ه/776م) وقيل في سنة(170ه/786م). انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج7، ص ص430، 431.

[3]الزبيدي أبو بكر محمد(ت379ه/989م)، **طبقات النحويين واللغويين**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر 1984، ص268.

[4] الكُتاب جمعه كتاتيب، وهو موضع تعليم الصبيان. انظر: الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص128

[5]للوقوف على أسماء أمراء الأندلس وفترة حكمهم في عهد الإمارة. انظر: **الملحق رقم(03)**، جدول حكام الأندلس خلال عصر الإمارة.

[6] ابن حزم، المصدر السابق، ج1، ص52.

[7] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص60.

استتب له الأمر بالأندلس[1] حتى بدأ في بناء المساجد في مدنها المختلفة، ففي حدود سنة(170هـ/786م) شرع في بناء الجامع الأموي الكبير بقرطبة[2] جالبًا إليه الأعمدة الفخمة والرخام المنقوش بالذهب والفضة، حتى أنه أنفق عليه زهاء مائة ألف دينار، غير أن الأجل أدركه قبل أن يكمله فأتمه ابنه هشام من بعده[3]، ومن صور اهتمامه بالعلم أيضا حرصه على جلب العلماء إلى دولته؛ ففي عهده دخل الأندلس معاوية بن صالح الحضرمي(ت158هـ/775م)[4] أحد أعلام علماء الحديث بالشام الذي نال مكانة خاصة عند الأمير[5]، بالإضافة إلى حرصه على تولية مناصب دولته إلى علماء الأندلس وفقهائها ممن اتصفوا بالسيرة الحسنة، فقلّد منصب قضاء قرطبة الفقيه عَمرو بن عبد الله المعروف بالقُبعة(توفي في أيام الداخل)، المعروف بعلمه وورعه الشديد[6].

أما في إمارة ابنه هشام بن عبد الرحمان(172-180هـ/788-796م) كان -رحمه الله- فوق شغفه بالجهاد والغزو محبًا للإصلاح والإنشاء؛ فشيد هو الآخر العديد من المساجد في قرطبة وغيرها من مدن الأندلس، إضافة إلى الكثير من الأبنية والحدائق، فضلا عن كونه كان يؤثر مجالس العلم والأدب سيما حلقات الحديث والفقه[7]، وتبوأ الفقهاء مكانة بالدولة أكثر مما سبق في عهد والده[8]، كما عاشت الأندلس في ظل حكمه فترة من الهدوء النّسبي؛ حيث لم تظهر سوى

---

[1] شهدت السنوات الأولى من حُكم عبد الرحمان الداخل نشوء الكثير من الثورات والتمردات، ففي كل شهر تقريبا كانت تقوم ثورة ضد حكمه، وقد أرجعها حسين مؤنس إلى عدم تسليم الأندلسيين بفكرة الاستقلال عن الخليفة في المشرق الأمر الذي جعله يبحث عن سند شرعي عبر الفقهاء ورجال الدين. انظر: Hussain Mones, **Le Role Des Hommes De Religion Dans L'Histoire De L'Espagne Musulmane Jusqu à La Fin Du Califat**, StudiaIslamica, No 20, Brill, 1964. P49.

[2] لمعلومات أكثر عن مسجد قرطبة انظر: Nuhakhoury**, The Meaning of The greatMosque of cordoba in The Tenthcentury**, Vol 13, Brill, 1996.

[3] ابن القوطية، المصدر السابق، ص79؛ عنان، المرجع السابق، ص ص201، 202.

[4] معاوية بن صالح الحضرمي أصله من الشام، قدم الأندلس قبل قيام الإمارة الأموية، كانت له رحل إلى الحج في دولة عبد الرحمان بن معاوية، يُعد أحد أئمة الحديث بالأندلس حدث وسمع منه الكثير من الأندلسيين والمشارقة. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج8، تح محمد نعيم العرقسوسي، ص158.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص841.

[6] ابن القوطية، المصدر نفسه، ص86.

[7] عنان، المرجع نفسه، ص229.

[8] Hussain Mones, Op.Cit. P51.

بعض التّمردات التي تمّ التعامل معها بسرعة مما قلل من آثارها؛ فساعد ذلك على استقرار السكان وعدم انقطاع الطرق التجارية التي هي شريان الحياة الاقتصادية في تلك الفترة[1].

كذلك في عهد الحكم بن هشام(180-206ه/ 796-821م) رغم ما شاب عصره من اضطرابات وفتن إلا أن الحياة العلمية لم تتأثر كثيرا جراء تلك الأحداث، حيث ازدهرت الآداب والعلوم وكثر العلماء بالأندلس، إذ وجد بقرطبة لوحدها زهاء أربعة آلاف عالم[2]، ولعب هذا الأمير الأموي الشّجاع دورا في هذا الجانب من خلال تقريبه للفقهاء وأهل العلم وحرصه على تولية مناصب دولته لأكثرهم علمًا ودراية، فاختار لمنصب قضاء قرطبة محمد بن بشير(ت198ه/813م)، العالم العابد الذي يُضرب بعدله المثل، أحد المرتحلين الأندلسيين من رواة الإمام مالك بن أنس(ت179ه/795م)[3].

استمر تشجيع حكام الأندلس للحياة الفكرية؛ ففي عهد عبد الرحمان بن الحكم(206-238ه/822-852م) الذي كان هو نفسه من أهل العلم البلغاء[4]، عُرف بتقريبه لأهل العلم وإكرامه لهم وجلبه للكتب النفيسة من بلاد المشرق[5] خاصة أن فترة حكمه شهدت فترة هدوء واستقرار مقارنة بفترة أبيه التي اشتعلت فتنا واضطرابا[6]، كما برزت مكانة الفقهاء في فترة حكمه، حتى أصبح نفوذهم واضحا جليا في جوانب عدة، تذكر الروايات أن فقيه قرطبة يحي بن يحي الليثي(ت234ه/848م)[7] قد نال من الحظوة والمكانة مالم يصلها عالم أندلسي من قبل، إذ أنه كان لا يُقلد أحدهم منصب القضاء إلا بعد أخذ رأي ومشورة يحي بن يحي[8]، ومن صور تشجيعه

---

[1] ليفي بروفنسال، **تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية(711م-1031م)**، تح علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، المطبعة الأميرية، ط3، مصر، 2000، ص130.

[2] الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص255.

[3] ابن القوطية، المصدر السابق، ص64.

[4] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص113.

[5] الزبيدي، المصدر السابق، ص269.

[6] بروفنسال، المرجع السابق، ص170.

[7] يحيى بن يحيى الليثي فقيه مالكي مشهور في الأندلس، رحل إلى الحجاز وسمع من الإمام مالك وروى عنه الموطأ. انظر: عياض، المصدر السابق، ج1، ص310 وما بعدها.

[8] ابن القوطية، المصدر نفسه، ص75؛ عياض، المصدر نفسه، ج1، ص311؛ الحميدي، المصدر السابق، ص ص567، 568.

للمعرفة جلبه للكتب في مختلف المجالات من بلاد المشرق، مثل كتب الزيجات، والفلسفة والموسيقى والحكمة والطب والنجوم[1]، كما سار على سيرته ابنه محمد بن عبد الرحمان(238-273ه/852-886م)[2]، كان هو الآخر محبا للعلم والمعرفة، مشجعا للعلماء، قال عنه الذهبي في كتابه الأعلام: "كان محبًا للعلم يؤثر أصحاب الحديث مكرمًا لهم حسن السيرة"[3].

لاشك أن سياسة الأمويين بالأندلس أسهمت بشكل كبير على إقبال علماء المشرق الإسلامي على اختلافهم إلى هذا القطر الإسلامي البعيد جغرافيا ومن ثمّ الاستقرار به؛ حيث نلمس ذلك من خلال كتب التراجم التي عنيت بعلماء الأندلس تحت مسمى العلماء الذين دخلوا الأندلس من أهل المشرق، وأحيانا تم وضع لهم تسمية العلماء الغرباء ويظهر من خلالها أن أعدادهم كانت كبيرة[4]، نذكر منهم زيد بن الحباب العكلي(ت203ه/819م) محدث كوفي[5]، ومن أهل العلم شمر بن نمير أصله من المدينة، تولى بني أموية قدم الأندلس في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمان(172-180ه/789-822م)[6]، ومنهم أيضا بشر بن عبد الملك بن بشر بن مروان، قدم الأندلس في دولة عبد الرحمان بن معاوية(138-172ه/756-788م)، كان من فتيان قريش وأدبائهم وشعرائهم[7] وهو ما أسهم في الازدهار العلمي والثقافي بالأندلس خلال تلك الفترة من تاريخها.

---

[1] مجهول، **ذكر بلاد الأندلس**، ج1، ص138.

[2] هو محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان بن معاوية يكنى أبا عبد الله، كان عالما محبا للعلم وأهله سار بسيرة حسنة بين رعيته في عهده وقعت الحادثة الشهيرة لمحدث الأندلس بقي بن مخلد حينما أراد فقهاء الأندلس التخلص منه فانتصر له الأمير محمد وقدم له الحماية ونهاهم أن يتعرضوا له، استمرت ولايته حتى سنة وفاته(273ه/886م). انظر: الضبي، المصدر السابق، ج1، ص36.

[3] الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص260.

[4] للوقوف على اسماء المشارقة الذين قدموا الأندلس خلال عصر الدولة الأموية. انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1 وج2؛ المقري، المصدر السابق، ج3.

[5] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص283.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص347.

[7] ابن سعيد، المصدر السابق، ص60.

6- الاهتمام بالحج والطرق والمسالك التجارية المؤدّية إلى الحجاز:

أ- توطيد العلاقات مع دول المغرب الإسلامي:

نظرا لأهمية الطرق والمسالك البرية أو حتى البحرية منها، حاول حكام الأندلس تجذير العلاقات التاريخية التي تربطهم بدول المغرب الإسلامي[1]، بجعلها أكثر ودية[2] باعتبار هذه الأخيرة تمثل حلقة وصل الأكثر أمنا مع المشرق، مثلما حصل في عهد عبد الرحمان الأوسط(206-238هـ/822-852م) الذي ازدهرت الأندلس في عهده ازدهارا كبيرا؛ حيث قام هذا الأخير سنة(214هـ/829م) بإرسال حملة بحرية كبيرة قوامها ثلاثمائة سفينة حربية، أقلعت من ميناء طرطوشة صوب جزيرة صقلية[3] لمساعدة الأغالبة[4] المجاهدين هناك ضدّ الروم، توجت ببسط الأغالبة سيطرتهم على معظم صقلية[5]، كما سعوا أيضا إلى ربط علاقات قوية مع الرستميين[6] نظرا

---

[1] من الدول المغربية التي عاصرت الإمارة الأموية بالأندلس نذكر: دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى(172-375هـ/758-990م)، والدولة الرستمية بالمغرب الأوسط(160-296هـ/777-909م)، والدولة الأغلبية في المغرب الأدنى(إفريقية) (184-296هـ/800-909م). للمزيد حول علاقات هذه الدول بالأندلس انظر: عبد العزيز الفيلالي، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1999.

[2] تجدر الإشارة إلى أن صلة المغرب بالأندلس تعود إلى زمن الفتح العربي حيث اجتازت قبائل بربرية وعربية بأكملها إلى العدوة الأندلسية في شكل موجات متعاقبة استقرت بها في نهاية المطاف، مشكلة وحدة بشرية وثيقة الصلة مع بلاد المغرب. انظر: المرجع نفسه، ص39.

[3] صِقلِّيَّة: جزيرة كبيرة في البحر تقابل بلاد إفريقية افتتحها أسد بن الفرات سنة(212هـ/827م)، بها الكثير من المدن والقرى امتازت بأرضها الخصبة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص416-419.

[4] الأغالبة: قامت دولة الأغالبة في افريقية على يد مؤسسها إبراهيم بن الأغلب سنة (184هـ/800م) محتفظة بالتبعية والولاء للخلافة العباسية بالمشرق، استمرت الدولة إلى غاية سقوطها سنة(296هـ/909م). انظر: محمود إسماعيل، **الأغالبة(184هـ-296هـ) سياساتهم الخارجية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط3، مصر، 2000، ص25.

[5] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص104.

[6] الدولة الرستمية: دولة قامت في المغرب الأوسط عاصمتها تيهرت، مؤسسها عبد الرحمان بن رستم (160هـ/776م- 296هـ-907م) كانت مستقلة تماما عن الخلافة العباسية بالمشرق. انظر: محمد عيسى

لموقعهم المميز وسط المغرب، زيادة على ذلك فقد ازدهرت عاصمتهم تاهرت[1] في فترة من فتراتها حتى أصبحت حاضرة للمغرب أجمع، لتتطور إلى علاقات تجارية نشطة بين الطرفين[2]، محتفظة بصلة الجوار، مدفوعة بعلاقات اقتصادية وثقافية، ورغم وجود بعض الخلافات السياسية والمذهبية مع دول المغرب فإنها لم ترق إلى تعكير جو العلاقات بين العدوتين، وهذا ما أكده الأستاذ "محمدالطالبيّ" عندما تكلم على قوة العلاقات التي تجمع الأندلس بدول المغرب فقال: "لم تسجل أدنى قطيعة على صعيد العلاقات الاقتصادية، والبشرية والثقافية بين القيروان وقرطبة....فكانت تمر على طريق القيروان وفي الاتجاهين منتوجات الصناعة والفكر، وتقاطر الطلبة من الأندلس إلى عاصمة الأغالبة.."[3].

ب- الاهتمام بالحرمين والحجيج:

لقد أولى حكام المسلمين أهمية قصوى بالحرمين وقدموا خدمات للحجيج؛ حيث مثل توفير الماء بمكة والطرق المؤدية إليها من أكبر أبواب البر، ونلمس ذلك الاهتمام منذ عهد الخلفاء الراشدين؛ فقد حفر أبي بكر الصديق بئر تدعى بئر الياقوتة، وبئر أبي موسى الأشعري وبئر شوذب التي كانت عند باب المسجد الحرام، وبئر وردان بفخ، وبئر الصلاصل عند العقبة بمنى[4]، كما أجرى معاوية بن أبي سفيان(ت60ه/679م)[5]في الحرم عيونًا واتخذ لها حوائط عليها النخل

الحريري، **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي، حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296ه)**، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، الكويت، 1987/1408، ص73 وما بعدها.

[1] تاهرت: حاضرة المغرب الأوسط وعاصمة الدولة الرستمية، بناها عبد الرحمن بن رستم سنة(144ه/761م) بلغت درجة كبيرة من الرقي العلمي والازدهار التجاري حتى سميت بعراق المغرب. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص7-9؛ الحميري، المصدر السابق، ص ص126، 127.

[2] السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الإسكندرية، دت، ص482.

[3] محمد الطالبيّ، **الدولة الأغلبية التاريخ السياسي(184ه-296ه/800م-909م)**، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1995/1415، ص ص428 ،429.

[4]الأزرقي أبو الوليد محمد(ت250ه/865م)، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ج2، تح رشيد صالح ملحسن، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1983/1403، ص224-226.

[5]هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الأموي المكي، اسلم قبل أبيه ولم يظهر إسلامه إلا يوم فتح مكة، حدث وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له الوحي، تولى الخلافة وأصبح أميرا للمؤمنين في شهر ربيع الأول سنة(41ه/661م) عام الجماعة، استمرت خلافته حتى سنة وفاته

والزرع[1]، واهتموا أيضا بالكعبة المشرفة وبكسوتها، ذكر أن عمر بن الخطاب كان يكسي الكعبة القباطي التي كانت تحاك بمصر خصيصا لها، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان أضاف كسوة ثانية للكعبة من الديباج[2]، وعرف أيضا المسجد النبوي توسيعات في عهد الخلفاء الراشدين[3].

ليشهد الاهتمام بالحجاج والمعتمرين أوجه خلال العصر العباسي؛ ففي زمن أبي جعفر المنصور(136-158هـ/745-775م) ثاني خلفاء بني العباس، شهد المسجد الحرام توسعة على جانبيه الشامي والغربي ضعف ماكان عليه من قبل التي استمرت به الأعمال طيلة ثلاث سنوات من سنة(137هـ/755م) حتى انتهاء الأعمال سنة(140هـ/758م)[4].

وعندما حج الخليفة المهدي(158-169هـ/775-786م)[5] أمر بنزع كسوات الكعبة بعدما تراكمت فوقها خوفا عليها، وألبسها كسوة جديدة من الديباج المذهب وقسّم بين أهلها الأموال والعطايا بلغت أكثر من خمسمائة ألف درهم، وفرق خمسين ألف من الثياب، كما قام أيضا بتوسعة المسجد النبوي[6].

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد(170-193هـ/787-809م)[7]، ازداد اهتمام العباسيين بالحج، عُرف الرشيد بكثرة حجه وكان في كل مرة يُقدم الأموال العظيمة والعطاءات على أهل الحرمين والمتواجدين بها، كما حدث في سنة(170هـ/787م) أدى الفريضة واتبعها بتقسم الأموال والعطاءات[8]، وأيضا في حجة سنة(186هـ/802م) توجه إلى المدينة أولا وأعطى أهلها أموالا لم

(60هـ/679م). انظر: الذهبي، المصدر السابق، تح محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، ج3، ص119-162.

[1] الأزرقي، المصدر السابق، ج2، ص227.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص ص255، 256.

[3] الحربي، الحربي إبراهيم بن إسحاق(ت285هـ/899م)، **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تح حمد جاسر، دار اليمامة، دط، الرياض، 1969/1389، ص373.

[4] الفاسي، المصدر السابق، ج4، ص ص409، 410؛ المقدسي محمد بن أحمد(ت380هـ/990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ج1، تح شاكر لعيبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، 2001، ص93.

[5] انظر ترجمته: المسعودي أبو الحسن علي(ت346هـ/957م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج4، تح كمال حسين مرعي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2005/1425، ص256.

[6] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص132-134؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص236.

[7] انظر ترجمته: المسعودي، المصدر نفسه، ج4، ص279.

[8] الطبري، المصدر نفسه، ج8، ص234.

يشهدوها من قبل وكذلك فعل في مكة[1]، وحصل الأمر نفسه في آخر حجة له التي كانت سنة(188هـ/804م) عندما قدم لأهل مكة والمدينة أموالا بسخاء[2]، وحرصا منه على راحة الحجيج قام بتوفير الماء بمكة بإنجازه عين تسمى الرشا، كانت تسكب في بركة عند المسجد الحرام[3].

كما قامت السيدة زبيدة(ت216هـ/832م)[4] زوجة هارون الرشيد بإجراء عين من جبل يسمى جبل طاد يقع في طريق الطائف[5]، وأوصلتها إلى مكة عبر قنوات[6]، ويبدو أن للسيدة زبيدة إنجازات عديدة في مجال الري؛ فقد ذكر الأزرقي لها عينًا أخرى تدعى عين النعمان، التي تمرّ عبر قنوات لتصب في برك بعرفات فيشرب وينتفع بها الحجاج[7]، وأنشأ أيضًا ابن شاد أحد أمراء عدن مجرى للماء تحت الأرض وأنفق عليها أموالًا طائلة، انتفع به أهل المدينة وعلى حافتيه مغروسة كلها بالأشجار وصولا إلى عرفات[8].

وقام عمر بن فرج أحد وزراء الخليفة العباسي المتوكل(232-240هـ/846-854م)[9] بإصلاح أحد المسالك التي تربط العراق بالمدينة ومكة يُعرف بطريق لبنة؛ حيث حفر ثلاث آبار وأحدث حوضا وأصلح بركة عتيقة، وعشرين بئر قديمة وبنى على رؤوسها حياضا، وعمل لهذا

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص275.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص327.

[3] الأزرقي، المصدر السابق، ج2، ص230.

[4] السيدة زبيدة: تعرف أيضا بأم جعفر وهي ابنة جعفر بن الخليفة أبي جعفر المنصور، زوجة الخليفة هارون الرشيد و والدة الأمين محمد بن الرشيد كانت عظيمة الجاه والمال، محسنة كثيرة الصدقات لها آثار طيبة في طريق الحج. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج10، تح محمد نعيم العرقسوسي، ص241.

[5] الطائف: بلدة صغيرة على طرف واد، طيبة الهواء بها بساتين وزروع من مختلف الأصناف كانت تمثل سلة فواكه مكة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص9.

[6] المصدر نفسه، ج2، ص327. إبراهيم رفعت، **مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية**، ج1، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1925/1344، ص210.

[7] الأزرقي، المصدر نفسه، ج2، ص328؛ انظر أيضا: المقدسي، المصدر السابق، ج1، ص93.

[8] ناصر خسرو أبو معين الدين المروزي(ت481هـ/1088م)، **سفر نامة**، تح يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، مصر، 1993، ص140.

[9] هو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، تولى الخلافة بعد موت أخيه الواثق في ذي الحجة سنة(232هـ/846م)، شهدت فترة حكمه حملات ضد الروم وأعداء الدولة العباسية، توفي مقتولا سنة(240هـ/854م). انظر: الذهبي، المصدر نفسه، ج12، ص30-41.

الطريق أعلاما صغار وبنى مواقيد[1]، واستمرت مشاريع الري وإصلاح الطرق بمكة عبر مختلف فترات العهد العباسي[2].

7-ازدهار النشاط التجاري في الحجاز:

عرف الحجاز إلى جانب النشاط الثقافي ازدهارا للحياة الاقتصاديّة، من خلال انتشار الأسواق والمراكز التجارية بمدنه وحواضره الكبرى[3]، نقصد على وجه التحديد مكة والمدينة، ومدينة جدة ما جعلها تستقطب العباد والصالحين والتجار الأندلسيين على حدّ سواء.

أ- مكة:

لقد اشتهرت مكة بتجارتها، والحقيقة أن أهل مكة عرفوا باشتغالهم في التجارة وتفوقهم فيها قبل الإسلام؛ حيث تطورت وراجت أكثر في الفترة الإسلامية، ما سمح لأهلها من جني أموالًا طائلةً، يُشير الإدريسي إلى ذلك عند وصفه لأهلها: "ولأهلها أموالٌ صامتة وأحوالٌ فاشية، ودواب وجمال ولا زرع بها ولا حنطة .."[4]، فكانت تُقام الأسواق حول الحرم، نذكر سوقا كان متواجدا في جانبه الشرقي يمتد من الشمال إلى الجنوب بين الصفا والمروة[5]، ومن الأسواق الأخرى سوق العدو وسوق رأس الردم وسوق الليل[6]، كما وجدت أزقة خاصة بكل حرفة، مثل زقاق العطارين وسوق الحدادين[7]، أما في أيام المواسم التي يجتمع فيه الناس من مختلف البلاد الإسلامية[8] ونقصد بها الموسمان، الأول من شهر رجب والثاني موسم الحج[9]، فتصير فيها أسواق مكّة عامرة عظيمة تُوجد

---

[1] الحربي، المصدر السابق، ج1، ص ص286، 287.

[2] الأزرقي، المصدر السابق، ج2، ص328.

[3] للوقوف على مدن الحجاز وحواضره الكبرى انظر: المقدسي، المصدر السابق، ج1، ص93.

[4] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص141.

[5] ناصر خسرو، المصدر السابق، ص138.

[6] المقدسي، المصدر نفسه، ج1، ص92.

[7] الأزرقي، المصدر نفسه، ج2، ص256.

[8] ابن جبير محمد بن أحمد الكناني(ت614هـ/1217م)، **رحلة ابن جبير**، دار صادر ، دط، دت، ص97.

[9] الإدريسي، المصدر نفسه، ج1، ص141.

بها كل البضائع والسّلع والذخائر المختلفة، التي تجلب إليها من كل مكان ويستمر ذلك طيلة مدّة الموسم[1].

كما أن حجم البضائع والسلع التي كانت تجلب وتباع في أسواق مكة في أيام الموسم كثيرة ومتنوعة[2]، مثل الذخائر النفيسة من جواهر وياقوت، وسائر الأحجار الثمينة، كذلك مختلف أنواع العطور كالعنبر والعود والمسك والكافور وأحسن العقاقير وغيرها من السلع التي تأتي من بلاد الهند والحبشة، بالإضافة إلى أجود الأمتعة العراقية واليمانية والخراسانية، والبضائع المغربية ومن مختلف البلاد، بل حتى الخضر والفواكه كان لها نصيب وافر، وقد أبدى ابن جبير تعجبه مما شاهده خلال رحلته الشهيرة إلى مكة فقال: "فكنا نظن أن الأندلس اختصت من ذلك بحظ له مزية على سائر حظوظ البلاد حتى حللنا بهذه الأرض المباركة، فألفينا ما تَغُص بالنعم والفواكه كالتين والعنب والرمان والقثّاء والخيار، وإلى جميع البقول كلها كالبذنجال واليقطين والسَلجَم والجزر والكُرنب والبطيخ لا يكاد ينقطع مع طوال العام، ولكل نوع من هذه الأنواع فضيلة موجودة في حاسة الذوق، يفضل بها نوعها عن سائر البلاد"[3].

ويستمر نشاط أسواق مكة حتى في باقي أيام السنة أي في غير المواسم؛ فكانت تجلب إليها السلع والبضائع من اليمن ومن مختلف بلاد الجزيرة العربية[4]، حتى صارت الفواكه المختلفة متوفرة في الشتاء وطوال أيام السنة[5].

ب-المدينة النبوية:

ومثل كل العرب وسكان الحجاز اشتغل أهل المدينة بالتجارة أيضا؛ فكانوا يخرجون إلى أسواق الشام فيتاجرون بها[6]، ونظرًا لموقعها في عمق الحجاز على بعد حوالي ثلاثة أيام من البحر

---

[1]ابن جبير، المصدر السابق، ص97.

[2]المصدر نفسه، ص97.

[3]المصدر نفسه، ص97؛ ناصر خسرو، المصدر السابق، ص141.

[4]ابن جبير، المصدر نفسه، ص97

[5]ناصر خسرو، المصدر نفسه، ص141.

[6]جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ج4، جامعة بغداد، ط2، 1993/1413، ص141.

فقد مثلت مدينة الجار[1] التي هي من أعمال المدينة، مرفأً للمدينة النبوية، ما جعلها تشتهر بتبادلاتها التجارية المزدهرة بفضل مينائها النشط، فقد روي عنه: "أن المراكب إليها قاصدة ومقلعة والمحملة بالبضائع للقادمين من مصر"[2]، كما صخبت المدينة بأسواقها العامرة، سيما ذلك السوق الذي كان قائما بالقرب من المسجد النبوي الموصوف بالنور والبهاء[3].

ج- مدينة جُدَّة:

تقع مدينة جُدة على ساحل بحر القلزم[4]، وهي فرضة مكة المكرمة على بعد مرحلتين منها، كانت مدينة واسعة العمران كثيرة السكان، عُرفت منذ القدم بتجارتها وبأسواقها الرائجة[5]، فكان بها موسم للتجارة قبيل وقت الحج، تجلب إليه البضائع والأمتعة والسلع الجيدة والذخائر النفيسة من كل مكان، ومثلت أكثر الأسواق رواجًا بالمنطقة، حتى قيل أنه ينفق فيها كل ما يجلب إليها، هذا ما انعكس على أهل جدة ووصفوا بأنهم مياسير، وأكثر أهل الحجاز مالًا وأحسنهم حالًا[6].

أما اقتصاد المدينة فكان قائما على التّجارة، حتى ذكر أنه لا يوجد بالحجاز بعد مكة أكثر مالًا وتجارات من أهل جدة، فقد مارسوا التجارة مع الكثير من الشعوب، حتى أصبحت أكثر مبادلاتهم التجارية قائمة مع الفرس[7]، ليتطور بهم الأمر بأن صار هؤلاء التجار الفرس من أكثر

---

[1] الجار: هي فرضة المدينة النبوية تبعد عنها بثلاث مراحل وصفت بالقرية الآهلة العامرة القائمة على ساحل البحر والمراكب إليها قاصدة مقلعة. أنظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص39؛ الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص144.

[2] اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق(ت284هـ/897م)، **البلدان**، تح محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002/1422، ص152.

[3] المقدسي، المصدر السابق ،ج1، ص98.

[4] بحر القلزم: هو البحر الذي يحيط بجزيرة العرب من جهة الغرب من أطراف اليمن ويلي الحجاز يبلغ طوله حوالي ثلاثين مرحلة وعرضه أوسع ما يكون غير مسير ثلاث ليالي ولا يزال يضيق حتى يرى بعض جنباته. أبو الفداء عماد الدين إسماعيل(ت732هـ/1332م)، **تقويم البلدان**، دار صادر، دط، بيروت، دت، ص77

[5] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص39؛ الإدريسي، المصدر نفسه، ج1، ص138؛ المقدسي، المصدر نفسه، ج1، ص97؛ الإصطخري، المصدر السابق، ص19.

[6] الإدريسي، المصدر نفسه، ج1، ص138.

[7] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص39.

ساكني المدينة، وامتازوا بثرائهم الفاحش وببنائهم للقصور التي وصفت بالعجيبة[1]، كما شَهد ميناء جُدة حركية تجارية نشطة، بفضل المراكب التي تأتيها من جهات مختلفة محملة بالسلع والبضائع[2].

رابعا: الطرق والمسالك المؤدية إلى الحجاز

تقع الأندلس في أقصى غرب العالم الإسلامي، وهي تمثل أبعد الأمصار الإسلامية عن الحجاز، آخذة شكل شبه جزيرة كبيرة يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث، ويفصلها عن العدوة المغربية البحر المتوسط[3]، لذلك لزم على المرتحلين منها صوب المشرق أن يركبوا البحر سواء اختار المرتحل الطريق البحري، أو البري للوصول إلى وجهته المنشودة[4]؛ حيث اتبعوا في مسيرهم إلى الحجاز مسارين إما عن طريق البحر، أو عبر طريق البر يتخللهما في بعض المناطق السفر برًا أو بحرًا كما سوف نبينه.

1- الطريق البحري إلى الحجاز:

لقد اعتاد الأندلسيون ابتداء رحلاتهم نحو المشرق عبر الطريق الوسطى الكبير، الذي يعبر مدنا وبلدات كثيرة على غرار سرقسطة وطليطلة، ليواصل إلى قرطبة فإشبيلية، كما زود هذا الطريق بشبكة واسعة من المواصلات النهرية التي تسمح بالوصول بسرعة إلى السواحل الشرقية لبحر الروم[5]، فكانوا يبدؤون رحلاتهم إلى الحجاز من إحدى المراسي الأندلسية[6] المنتشرة على طول الساحل الشرقي لبحر الروم[7]، مستقلين نوعا خاصا من السفن؛ فكانت المراكب ذات الحجم الكبير تستعمل في التجارة، وهناك نوع آخر تعرف بالسفن السفرية خصصت لقطع المسافات الطويلة[8]،

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، ج1، ص97.

[2] الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص138.

[3] الحميري، المصدر السابق، ص33.

[4] لتتبع مسار رحلات الأندلسيين إلى الحجاز. انظر: **الملحق(06)** خريطة طرق الرحلات إلى الحجاز.

[5] موريس لومبار، **الإسلام في مجده الأول من القرن 2إلى القرن5هـ(8-11م)**، تر إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط3، المغرب، 1990/1411، ص ص111، 112.

[6] لمعلومات أكثر عن موقع المدن الساحلية والموانئ الأندلسية. انظر: **الملحق(05)** خريطة تظهر مدن وحواضر الأندلس.

[7] كونستيل، المرجع السابق، ص55.

[8] الإدريسي، المصدر نفسه، ج2، ص252.

كما كانوا يتوقفون عند الحاجة في المرافئ المنتشرة على طول الساحل المغربي[1]، منها بالمغرب الأقصى مرسى مليلة[2] وسبتة، هذه الأخيرة كان بها مرسى موسى أحد أفضل مراسي المغرب[3]، أما محطات المغرب الأوسط نذكر مرسى مدينة وهران[4]، الذي كان مهيئا بشكل جيد لنزول المراكب ومن أكثر مرافئ المغرب التي ينزلها التجار الأندلسيون[5]، والشأن نفسه مع مرسى مدينة تنس[6] الذي كان ينزله الأندلسيون بمراكبهم[7]، بالإضافة إلى مراسي أخرى مثل مرسى الخرز الذي احتوى على دار لصناعة السفن، وتوفره أيضا على مادة المرجان الثمينة التي كان يتزوّد بها التجار القادمون إلى الميناء[8]، نجد كذلك مرسى جيجل ومرسى خطاب ومرسى إسكيدة ومرسى ملر ومرسى صنهاجة ومرسى فروخ[9] وغيرها.

كما كانوا ينزلون أيضا في إفريقية نظرا لكثرة الموانئ والمراسي بسواحلها[10]، نذكر منها مدينة تونس[11] الساحلية كان بها الكثير من الأسواق الرائجة والمتاجر والحمامات والفنادق، وميناؤها مجهز بشكل جيد الذي كان مرساها مدعم بالحجارة المتينة، ومزودا بسلسلة حديدية لزيادة حماية المراكب المتواجدة بالمرسى ومنع دخول سفن العدو إليه، وبه أيضا دار لصناعة السفن[12] ما جعله

---

[1] كانت المراسي منتشرة على طول سواحل المغرب الأوسط منها المحروسة وغير المحروسة، مثل تنس ووهران وغيرهما. انظر: ابن حوقل، المصدر السابق، ص، ص77 ،79.

[2] مليلة: مدينة ساحلية تقع بالقرب من سبتة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص197.

[3] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص80.

[4] وهران: مدينة ساحلية بناها التجار الأندلسيون سنة(290هـ/903م) متخذين من مرسى المدينة محطة رئيسة في تنقلاتهم البحرية. انظر: البكري، المصدر السابق، ص70.

[5] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص80.

[6] تنس: مدينة ساحلية بناها التجار الأندلسيون سنة(262هـ/876م) متخذين من مرسى المدينة محطة رئيسة في تنقلاتهم. انظر: البكري، المصدر نفسه، ص61.

[7] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص78-80.

[8] البكري، المصدر نفسه، ص55.

[9] اليعقوبي، المصدر السابق، ص188.

[10] للوقوف على المراسي التي كانت منتشرة بالسواحل المغربية. انظر: البكري، المصدر نفسه، ص81-86.

[11] تُونس: مدينة ساحلية بإفريقية، اختطها الفاتح حسان بن النعمان سنة(70هـ/669م) على أنقاض مدينة قرطاجنة البيزنطية كان يتواجد بها ميناء نشط ودار لصناعة السفن. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج2، ص60-62.

[12] اليعقوبي، المصدر نفسه، ص ص39، 40.

معبر رئيسي لأهل الأندلس[1]، نجد أيضا مدينة سوسة[2] الساحلية التي تبعد عن القيروان حوالي ستة وثلاثون ميلا حسب تقدير الجغرافيين، التي امتازت أسواقها بكثرة الأمتعة والبضائع واللحوم وغيرها من المتاع بأسعار معقولة، ما جعلها مقصدا للباعة والتجار، ولها مرسى محروس ومجهز بشكل جيد؛ حيث كانت به منارة تهتدي بها السّفن وحوله الكثير من المحارس والرباطات أشهرها محرس المنستير الذي بني سنة(180هـ/796م)، إضافة إلى دار لصناعة السفن[3]،وحتى السواحل التي تلي إفريقية إلى غاية الإسكندرية[4]؛ فقد ملأت هي الأخرى بالموانئ والمراسي، نذكر مدينة طرابلس الساحلية كانت مدينة كبيرة بها أسواق رائجة وحمامات وفنادق وميناؤها تجاري نشط تقصده السفن باستمرار من الأندلس وغيرها من البلاد طوال أيام السنة[5]، كذلك مدينة سرت[6] كان بها هي الأخرى الكثير من الأسواق والحمامات، والفنادق ومرساها تقصده السفن الأندلسية[7]، وأيضا طبرقة[8] الساحلية رغم أنها كانت مجرّد بلدة صغيرة، مع ذلك فقد اشتهرت نتيجة نشاطها التجاري الكبير الحاصل في ميناؤها؛ حيث كانت مقصدا للتجار الأندلسيين[9]، وغيرها من المراسي التي تقع على طريقهم.

كما كانوا يتنقلون أيضا عبر الجزر ببحر الروم التي كانت تحت السيادة الإسلامية في ذلك الوقت، كجزيرة ميورقة وصقلية وقبرص[10] وغيرها، وتجدر الإشارة إلى أن المراكب المقلعة من

---

[1] اليعقوبي، المصدر السابق، ص190.

[2] سُوسَة: مدينة في إفريقية يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص ص281، 282.

[3] البكري، المصدر السابق، ص ص35، 36؛ اليعقوبي، المصدر نفسه، ص187.

[4] الإسكَندَريَّة: مدينة ساحلية تقع بمصر فتحها المسلمون بقيادة عمرو بن العاص سنة(20هـ/641م) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص182-189.

[5] البكري، المصدر نفسه، ص7؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص71، 72.

[6] سُرت: مدينة على ساحل بحر الروم (البحر المتوسط)، تقع بين برقة وطرابلس على بعد عشرة مراحل من طرابلس المغربية. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج3، ص ص206، 207.

[7] البكري، المصدر نفسه، ص6.

[8] طَبَرقة: مدينة ساحلية في شرق افريقية اشتهرت بأسواقها العامرة. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص16.

[9] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص75، 76؛ البكري، المصدر نفسه، ص58.

[10] قبرص: جزيرة كبيرة في بحر الروم يقدر طولها مسيرة ستة عشر يوما. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص305.

الأندلس باتجاه المشرق فضلت الملاحة بالقرب من السواحل المغربية؛ فكانت مراكبهم تنتقل من مرسى إلى مرسى حتى تبلغ وجهتها المنشودة، خاصة أن السواحل المغربية قد ملأت بالمراسي، فبعضها كان لا يتعدى في كونه مجرد مرفأ تلجأ إليها السفن كلما دعت الحاجة بسبب الرياح العاتية أو عطل حلّ بالسفينة وغير ذلك[1]، وشكل ميناء الإسكندرية الذي كان مهيئا بشكل جيد لاتساع مرفأه، ولاحتوائه على منارة مضيئة في غاية الإتقان تهتدي المراكب عبرها بمثابة محطة توقف معظم المراكب القادمة من جهة الغرب[2]، ومنه تكمل طريقها إلى أحد الموانئ المتواجدة على الساحل الشامي مرورا بعدة محطات أبرزها جزيرة دبقوا، ثم إلى غزة[3]وعسقلان[4] وعكا[5] وصور[6] وصيدا[7]، طرابلس[8] وأنطاكية[9]، وقد قدرت المسافة المستغرقة من الأندلس إلى الشّام عبر البحر حوالي أربعة أشهر في أحسن الأحوال[10]، ومن ثمّ يكمل المرتحلون المسافة المتبقية إلى الحجاز عن طريق البر ويبدو أنها كانت تستغرق بضعة أشهر، بينما نجد من اختاروا طريق مصر يكملون طريقهم صوب مكة إما عن طريق الصحراء وهو الطريق المعتاد الذي تسلكه معظم القوافل المتجهة إلى الحجاز، أو بركوب البحر مرة أخرى عبر بحر القلزم وصولا إلى ميناء الجار[11] أو

---

[1] لومبار، المرجع السابق، ص96.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص، ص182،141.

[3] غَزّة: مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص202.

[4] عَسقلان: مدينة ساحلية تقع في الشام بها أسواق عامرة، فتحها معاوية بن أبي سفيان صلحا سنة(23هـ/644م). انظر: الحميري، المصدر السابق، ص420.

[5] عكا: تقع على ساحل بحر الشام، بها ميناء نشط تقصده السفن. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص143.

[6] صُور: مدينة تقع على ساحل بحر الشام، افتتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت خلال القرن2 و3 الهجريين مقصدا للعلماء والزهاد لحصانتها ولاشتغال أهلها بالعلم. انظر: المصدر نفسه، ج3، ص ص433، 434.

[7] صيدَا: مدينة على ساحل بحر الشام تبعد عن مدينة صور بستة فراسخ، وتدخل ضمن أعمال دمشق. انظر: المصدر نفسه، ج3، ص ص437، 438.

[8] طرابلس الشام: مدينة تقع على الساحل الشامي. انظر: المصدر نفسه، ج4، ص26.

[9] البكري، المصدر السابق، ص86.

[10] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص21.

[11] ميناء الجار: يقع على ساحل بحر القلزم وهو ميناء عامر ترفأ إليه السفن الذاهبة والقادمة من مصر والحبشة والشرق. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج2، ص ص92، 93.

ميناء جُدة[1] بالحجاز، ثم يكملوا المسافة المتبقية عبر البر حتى يبلغوا المدينة النبوية في ثلاثة أيام، ثم إلى مكة التي تبعد بمسافة ثمانية أيام عن المدينة[2]، وقد أظهرت وثائق جنيزة أن السفن مثلت وسيلة هامة للمواصلات في تلك الحقبة الزمنية[3].

كما أمدتنا كتب التراجم بمعلومات حول سلوك الأندلسيين في الطريق البحري مظهرة خطورة ركوب البحر؛ فقد رحل الفقيه معاوية بن صالح الحضرمي(ت158هـ/775م) في رحلة رسمية عبر رحلة بحرية مباشرة من الأندلس إلى الشام[4] وأيضا رجع الفقيه عبد الرحمان بن موسى الهواري(توفي خلال القرن2هـ/8م)[5] إلى الأندلس فحدث عطب للسفينة التي كانت تقله بسبب عارض أصابها في البحر، فضاعت كتبه التي جمعها[6]، كما أن محمد بن عيسى بن رفاعة(ت327هـ/939م)[7] عاد من رحلة حجه سنة(289هـ/902م) عبر البحر، استقل سفينة من دمياط[8] بمصر كانت متوجهة إلى الأندلس، غير أنها قد أصابها عطل في الطريق بالقرب من برقة[9]، ثم واصلوا طريقهم فنزلوا في طرابلس[10] ومنها أبحروا حتى وصلوا إلى الأندلس

---

[1] ميناء جُدَّة: ميناء نشط على بحر القلزم، كان يستقبل المراكب من أماكن مختلفة. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص ص114، 115.

[2] ناصر خسرو، المصدر السابق، ص137.

[3] جواتياين، **دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية**، تر عطية القوصي، وكالة المطبوعات، ط1، الكويت، 1980، ص217.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص838-840.

[5] عبد الرحمان بن موسى الهواري من مدينة إستجة رحل إلى الحجاز ولقي الإمام مالك بن أنس وجلة من العلماء، كان حافظا للفقه مفسرا عارفا باللغة. انظر: المصدر نفسه، ج1، ص439.

[6] عياض، المصدر السابق، ج1، ص294.

[7] محمد بن عيسى بن رفاعة الخولاني يعرف بابن القلاس من مدينة ريَّة رحل إلى الحجاز وسمع من علي بن عبد العزيز وغيره من علمائها، كان يروي الحديث بمدينة رية، اشتهر بالعلم وقصده الطلاب من قرطبة وغيرها توفي سنة(337هـ/949م). انظر: ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص713.

[8] دِمياط: مدينة قديمة تقع بين تنّيس ومصر، وهي إحدى الثغور المهمة للمسلمين كان بها حصن كبير لحماية سواحلها من تحرشات البيزنطيين خلال القرن الثالث الهجري. انظر: الحموي، المصدر نفسه ، ج2، ص202.

[9] بَرْقَة: منطقة واسعة تشمل مدن وقرى عديدة، تقع بين الإسكندرية وإفريقية. انظر: المصدر نفسه، ج1، ص388.

[10] طَرابلس: ويقال أيضا أطرابلس، مدينة على ساحل البحر بها مرسى يقصده البحارة والتجار لبيع سلعهم في أسواق المدينة. انظر: المصدر نفسه، ج4، ص ص25، 26.

سنة(290هـ/903م)[1]، بل هناك من هلك في عرض البحر مثلما حدث مع ربيع بن محمد بن مسلمة التميمي(توفي خلال القرن3هـ/9م)[2]؛ فمخاطر ركوب البحر جعلت السفن تتجنب الإبحار في فترة الشتاء من شهر نوفمبر وحتى شهر مارس[3]، إضافة إلى تحرّشات الروم على السواحل الشامية والمصرية، عن طريق شن الغارات على تلك النواحي وقرصنة السفن وتدميرها[4].

2- الطريق البري إلى الحجاز:

بينما نجد هناك من فضل الطريق البري الذي يبدأ من أقصى بلاد المغرب وصولا إلى بلاد الحجاز، وهو طريق طويل يستغرق أشهرا عدة، يقطع المرتحلون خلاله حواضر كثيرة، ومحطات هامة، أبرزها تاهرت والقيروان حاضرتي المغرب، فالإسكندرية قبل وصولهم إلى وجهتهم المنشودة كما يمكن أن نقسم هذا الطريق البري إلى ثلاثة مسالك كبرى:

أ - الطريق من المغرب الأقصى إلى المغرب الأوسط: كانت المدن الساحلية المغربية الواقعة في أقصى الغرب بمثابة منطلق هذا الطريق؛ ففي أغلب الأحيان كان ينزل الرحالة الأندلسيون القادمون عبر البحر في تلك المراسي المنتشرة بالقرب من المدن الساحلية، مثل مدينة طنجة ومدينة سبتة التي وصفت بكثرة بساتينها وعيونها العذبة، وأيضا مدينة مليله، ثم يكملون مسيرهم عبر طريق بري قريب من البحر، ومن مجمل البلدات والأماكن التي يمرون عليها نذكر مدينة أرجكوك التي تبعد عن الساحل بنحو ميلين، ثم مدينة واسلن التي وصفت بالمدينة الخصبة كثيرة الغلاة وصولا إلى مدينة وهران[5].

ب - الطريق من المغرب الأوسط إلى إفريقية: يبدأ هذا الطريق من مدن وقرى قريبة من الساحل آخذا في التوغل أكثر نحو الداخل، من أبرز محطاته نجد:

---

[1] الخشني، المصدر السابق، ص177.

[2] ربيع بن محمد بن سليمان التميمي يعرف بابن بنوش سمع من ابن وضاح ومن غيره عُرف باعتنائه بالعلم واجتهاده في طلبه توفي أثناء عودته من المشرق عن عمر ثلاث وثلاثين سنة، وهو من وفيات القرن 3هـ/9م. انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص267.

[3] عبد السلام الجعماطي، **دراسات في تاريخ البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2012، ص36.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص186.

[5] المصدر نفسه، ص ص79، 80.

– مدينة تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، اختطت بعد سنة(144هـ/791م) على يد عبد الرحمان بن رستم مع جماعة من أتباعه الإباضية[1]، عرفت المدينة توسعا عمرانيا وازدهارا ثقافيا وتجاريا كبيرا خلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، حتى سميت بعراق المغرب[2]، سمح النمو التجاري المتسارع لتاهرت إلى إنشاء مدينة ثانية قريبة منها لتصبح عبارة عن مدينتان كبيرتان بها الكثير من الأسواق الرائجة والحمامات والخانات[3]، وقدرت المسافة المقطوعة إلى تاهرت نحو خمسة وعشرين يوما[4].

– بلاد الزاب: يكمل المرتحلون طريقهم بالتوغل أكثر إلى الداخل، عبر قطعهم بلاد الزاب[5] مرورا بمدينة طبنة[6] حاضرة تلك البلاد، وهي مدينة حصينة يتوفر بها الماء والزروع، كما ازدهرت بها التجارة وقصدها التجار من مختلف بلاد المغرب والأندلس[7]، ويبدو أن هذا المسلك في غاية الصعوبة لوجود جبال الأوراس التي تطيل من مسافة الطريق بجعل مساره أكثر انحناءً، ثم يواصلوا مسيرهم إلى غاية مدينة القيروان[8]، حيث قدر ابن خُرداذبة مسافة هذا الطريق بنحو مسيرة شهر على الإبل[9].

ج – الطريق من إفريقية إلى مصر: يبدأ هذا المسلك من مدينة القيروان، يمرّ المرتحلون عبره على العديد من المدن والقرى والأماكن، مثل قلشانة، ثم غدير الأعرابي، فقصر للس، وأيضا عين الزيتونة غير آهلة بالسكان وهذه أهم محطاته:

---

[1] الحموي، المصدر السابق، ج2، ص9.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص192.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص86؛ الإدريسي، المصدر السابق، ص ص255، 256.

[4] ابن خُرداذبة أبي القاسم عبيد الله(عاش في القرن3هـ/9م)، **المسالك والممالك، مطبعة بريل**، دط، ليدن، 1883/1306، ص88.

[5] الزاب: منطقة من أعمال إفريقية تقع على أطراف الصحراء بها مدن عديدة منها طبنة وتهودة، تنتشر في أراضيها غابات النخيل والعيون تبعد عن القيروان نحو عشرة مراحل. انظر: الحميري، المصدر السابق، ص ص281، 282.

[6] طُبنَة: مدينة تقع في الطرف الغربي لإفريقية على ضفة الزاب، فتحها موسى بن نصير وتعد من أكبر المدن المغربية التي تقع في طريق إفريقية سجلماسة بالجنوب. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص21.

[7] الإدريسي، المصدر نفسه، ج2، ص263.

[8] اليعقوبي، المصدر نفسه، ص190.

[9] ابن خرداذبة، المصدر نفسه، ص88.

– مدينة قابس[1] وهي أولى المدن على ذلك المسلك الواقعة على ساحل البحر، عرفت بكثرة الماء والثمار، تقع على بعد أربعة مراحل من القيروان[2]، كانت أسواقها مزدهرة بفضل منتجاتها الصوفية ودباغة الجلود التي تحمل إلى مناطق مختلفة[3].

– مدينة طرابلس تعد المحطة الثانية على هذا المسلك، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات بها أسواق رائجة وحمامات كثيرة، امتهن أهلها التجارة وتفوقوا فيها ويظهر ذلك من خلال معاملاتهم الطيبة للغرباء الذين يدخلون بلادهم من تجار وغيرهم، كما أن الطريق المؤدي إليها محمي ومجهز جيدا لمرور القوافل التجارية عن طريق إنشائهم للقصور، مثل قصور حسان والراشدة وغيرهما وحفرهم للآبار والعيون وبناء المحارس لحماية القوافل التجارية من قطاع الطرق[4].

– مدينة سرت تقع على بعد عشرة مراحل من طرابلس[5].

– مدينة أجدابية[6] التي تبعد عن سرت بخمسة مراحل، ثم يكمل المرتحلون طريقهم باتجاه مدينة برقة على مسافة أربعة مراحل[7].

وهناك مسلك آخر يبدأ من طرابلس، يكون أكثر توغلا نحو الداخل من محطاته:

– جبل نفوسة الذي يبعد عن طرابلس مسيرة ثلاثة أيام[8].

– مدينة زويلة، للوصول إليها تسير القوافل التجارية في طريق صحراوي مقفر لمدة تقرب عن عشرين يوما، يتخلل هذا المسلك بعض الواحات، مثل بلد يسمى تامرما كثير النخل والماء وصولا إلى زويلة كانت هذه الأخيرة مدينة عامرة كثيرة الأسواق والحمامات، ومكانا مفضلا للقوافل

---

[1] قابِس: مدينة على مقربة من الساحل وهي من أعمال إفريقية، تقع بين طرابلس وسفاقس، تمتاز بكثرة الفواكه وبها أجود أنواع الحرير، كانت تضم أسواقا وفنادقا وحمامات وأرباضا للعرب والبربر، كما كان مرفأها نشطاً يستقبل المراكب من مختلف الجهات. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص289.

[2] اليعقوبي، المصدر السابق، ص185، 186.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص72.

[4] البكري، المصدر السابق، ص ص6، 7.

[5] المصدر نفسه، ص6.

[6] أجدابية: بلدة تقع بين برقة وطرابلس. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص100.

[7] اليعقوبي، المصدر نفسه، ص181.

[8] البكري، المصدر نفسه، ص9.

التجارية نظرا لموقعها المميز في وسط الصحراء، كما تعد أيضا سوقا هاما للرقيق الأسود الذي يجلب إليها من بلاد السودان[1].

– برقة مثلت هذه الأخيرة إحدى أكثر مدن المغرب ازدحاما بالتجار والرحالة، كونها كانت ملتقى رئيسي للقوافل التجارية القادمة من المغرب نحو بلاد المشرق أو ما يعرف طريق الجادة إلى مصر[2]، نلمس ذلك من وصف ابن حوقل لها: "وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت مالا ينقطع طلابًا لما فيها من التجارة، وعابرين عليها مُغربين ومشرقين، ذلك أنها تنفرد بالتجارة بالقطران.."[3]، ثم يكمل المرتحلون السير إلى مصر مرورا بمجموعة من المدن والقرى والمناطق، مثل وادي المخيل الذي كان عبارة عن أسواق عامرة، مقام عليها سوق ومحارس لتوفير الأمن للقوافل التجارية، إضافة إلى وجود برك للماء بالمنطقة، كما يمرون أيضا على منطقة تسمى الرمادة وقصر الشماس والطاحونة وذات الجمام، ثم الدير الكبير والمنى وهي كلها قرى تقع بالقرب من الساحل، قبل أن يصلوا إلى الفسطاط بمصر[4].

د – الطريق من مصر إلى الحجاز: حيث كان يتجمع الناس في مصر على شكل قوافل تمهيدا لدخول الحجاز عبر طريق الصحراء[5]، مثلما حصل مع عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852)[6]، الذي أكمل رحلته إلى الحجاز مع جماعة من الناس بعد وصوله إلى مصر[7]، ثم يتوجه المرتحلون المتواجدون في هذا الشطر من الطريق نحو الشرق، حيث يمرون على عدة قرى وأماكن، مثل جب عميرة وهو موضع يجتمع فيه الحجاج المتوجهون إلى مكة، ثم

---

[1] البكري، المصدر السابق، ص ص10،11.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ج1، ص211.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص69.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص180.

[5] ناصر خسرو، المصدر السابق، ص101.

[6] عبد الملك بن حبيب السلمي رحل إلى الحجاز سنة(208هـ/824م) وسمع من كبار علمائها كابن الماجشون وعبد الله بن المبارك وغيرهما، يعتبر أحد أشهر شيوخ المالكية بالأندلس، أتقن علوم عديدة كالفقه واللغة والشعر والتاريخ وغيرها، كما صنف كتبا كثيرة في مختلف العلوم توفي سنة(238هـ/852م). انظر: ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين المالكي(ت799هـ/1397م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح مامون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996/1417، ص253.

[7] المصدر نفسه، ص254.

موضع آخر يقال له القرقورة، ثم إلى عجرود من أجل التزود من الماء، حتى يبلغوا مكان يعرف بالقلزم ويواصلون مسيرهم في طريق صحراوي مقفر حتى يصلون إلى مدينة أيلة[1] الساحلية على بعد ست مراحل عن القلزم[2]، ويضيف ناصر خسرو أن معظم القوافل القادمة من مصر المتجهة نحو مكة تسلك هذا الطريق[3].

ومن مدينة أيلة يصل المرتحلون إلى مكة بعد المرور عبر طريق ساحلي مليء بالقرى والبساتين كثيرة الماء، مثل عينون وظبة والجار والجحفة، وقديد[4] ومدين وبدا[5] وغيرها من المواضع التي يمرون عليها بطريقهم إلى مكة والمدينة[6].

ويبدو أنه قد فضل المرتحلون، والتجار الأندلسيون سلوك الطريق البري للذهاب إلى الحجاز ويعود سبب ذلك إلى وجود محطات علمية وتجارية مهمة في طريقهم، على غرار مدينة تاهرت التي ارتقت لتصبح مركزا تجاريا نشطا بالمغرب الأوسط، حيث كانت القوافل التجارية تتدفق عليها من المشرق والمغرب معا، إضافة إلى ازدهار الحياة الفكرية بالمدينة؛ فقد قصدها العلماء والطلبة على حد سواء لحضور المجالس العلمية، والمناظرات التي كانت تعقد بين المذاهب المختلفة في جو من التسامح الديني[7]، كما أسهم حكام الدولة الرستمية بشكل فعال في هذا النهضة الحضارية لتاهرت من خلال تنظيمهم للأسواق التجارية، وتأمين الطرق المؤدية إلى تاهرت حفاظا على سلامة القوافل التي تمر عبرها[8]، والشأن نفسه عاشته مدينة القيروان التي مثلت مركزا رئيسيا للدراسات الدينية بإفريقية، ومعقلا مهما للمالكية بالغرب الإسلامي منذ أواخر القرن الثاني وبداية

---

[1] أَيلَة: مدينة على ساحل بحر القلزم بين الفسطاط ومكة، اشتهرت بكثرة تجارتها وفيها كان يجتمع حجاج الشام ومصر والمغرب. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص292؛ اليعقوبي، المصدر السابق، ص178.

[2] المصدر نفسه، ص178-180.

[3] ناسر خسرو، المصدر السابق، ص101.

[4] قُديد: موضع بالقرب من مكة المكرمة. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص ص313 ،314.

[5] بَدا: عبارة عن وادٍ قرب مدينة أَيلة على الساحل، وقيل بوادي القرى وغير ذلك. انظر: المصدر نفسه، ج1، ص ص356، 357.

[6] اليعقوبي، المصدر نفسه، ص178-180.

[7] ابن الصغير المالكي(القرن3ه/9م)، **أخبار الأئمة الرستميين**، تح محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، دط، دت، ص ص32، 102.

[8] المصدر نفسه، ص ص91، 102.

القرن الثالث للهجرة[1]، وأيضا ملتقى للطرق التجارية، خاصة أن الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد(242هـ-249هـ/856م-863م) قد اهتم بالجانب الاقتصادي من خلال تنظيم الأسواق وتأمين الطرق والمسالك المؤدية إلى القيروان[2].

كما لم تخلو بقية المحطات الأخرى التي كانوا ينزلونها من أسواق وبساتين ومياه عذبة، مثل مدينة سرت الواقعة على شاطئ البحر، كانت بها أسواق وبساتين ومياه عذبة[3]، كذلك مدينة برقة التي وجد بها هي الأخرى أسواق عامرة[4]، حتى ذكر أنه كان لا ينقطع عنها التجار القادمون من مختلف البلاد الإسلامية[5]، ورغم وقوع المدينة في الصحراء غير أن الطريق الموصل إليها مليء بالبساتين[6]، زيادة على ذلك فقد لاقى المرتحلون والتجار في تلك المحطات معاملة حسنة مما ولد لديهم نوعا من الارتياح، فيصف ابن حوقل أن أهل مدينة طرابلس التي كانت في طريق القوافل التجارية المؤدي إلى المشرق: "أنهم أناس ذو عشرة حسنة ورحمة مستفيضة ونيات جميلة ومعاملة محمودة، ومحبة للغريب.. ولهم في الخير مذهب من طريق العصبية لايدانيهم أهل بلد"[7].

---

[1] ممدوح حسين، **إفريقية في عصر إبراهيم الثاني الأغلبي قراءة جديدة**، دار عمّار، ط1، الأردن، 1997/1417، ص70.

[2] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص327؛ ممدوح حسين، المرجع نفسه، ص54.

[3] البكري، **المسالك والممالك**، ج2، ص651.

[4] اليعقوبي، المصدر السابق، ص181.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص69.

[6] البكري، المصدر نفسه، ج2،ص650.

[7] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص72.

خامسا: المصاعب والعقبات التي اعترضت رحلات الأندلسيين إلى الحجاز خلال الفترة (2-4هـ/8-10م)

لقد وجدت مجموعة من المصاعب والعقبات التي زادت من وطأة ما يتعرض له المرتحلون من تعب ومشقة الطريق، إضافة إلى أهوال البحر؛ لذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح: (السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِن العذَابِ، يَمْنَعُ أَحدَكم طَعامَهُ وشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى نَهْمَتَهُ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ)[1]، وهذه أبرزها:

1- فرض الضرائب والمكوس بالطرق والأسواق التجارية:

كانت الضرائب تفرض على التجار والباعة، والحجاج بالأسواق والطرق التجارية في مختلف مناطق البلاد الإسلامية[2]، ويشير اليعقوبي أن الخليفة العباسي المهدي(158-169هـ/774-785م)، هو أول من وضع الضريبة على التجار بأسواق بغداد، وتولى جمعها سعيد الحرشي[3] لتنتقل بعدها إلى المغرب حيث فرضت على أسواق القيروان، وأشار إلى ذلك المقدسي عند وصفه للمدينة في قوله: "أن الضرائب موضوعة على أصحاب الدكاكين، تعيشهم في صبرة، وأسواق المصر معطلة"[4]، كما وجدت أيضا بطرابلس حيث كان يتعين على القوافل التي تمرّ بطريق طرابلس دفع ضريبة يتولى جبايتها عامل خاص عن كل جمل محمل وحِمل، ونفس الشيء بلبدة وهي قرية في شرق طرابلس تبعد عنها مرحلتان، كانت تفرض ضريبة على الجمال والأحمال والمحامل والبغال والحمير والرقيق، وأيضا بقابس فرضت الضرائب على التجار واليهود[5]، ويبدو أن علماء المغرب قد أباحوا فرض ضريبة السوق؛ ففي أحد النوازل والفتاوى الفقهية للونشريسي وضح أن الضرائب في الإسلام هي أصناف الزكاة التي جاءت في الكتاب والسنة كالفيء والرِّكاز، وإرث

---

[1] ابن حجر، المصدر السابق، ج6، باب السفر قطعة من العذاب، حديث رقم1804، ص ص52، 53.

[2] أدم متز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ج1، تر محمد عبد الهادي أبو ريدة، المركز القومي للترجمة، دط، القاهرة، 2008، ص197.

[3] اليعقوبي، المصدر السابق، ج2، ص343.

[4] المقدسي، المصدر السابق، ج1، ص212.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص ص71، 72.

من يورثه بيت المال الذي تنفق في مصالح المسلمين المختلفة، غير أنه يمكن أن تفرض على المسلمين ضريبةً، إذا عجز بيت المال تحقيق مصالح المسلمين، ويكون ذلك وفقا لشروط[1].

وفي المشرق لم يختلف الحال كثيرا، ففي مصر كانت تفرض ضرائب ثقيلة متفاوتة المقدار خاصة في تِنيس[2]، ودِمياط[3] والفُسطاط[4] والقلزم وتأخذ أيضا بالإسكندرية على المراكب الآتية من الغرب[5]، وكان يُؤخذ في جُدّة عن كل حِمل من الحنطة نصف دينار وكيل من البعير المحمل بالطعام والمتاع، وعلى سفط ثياب الشطوي ثلاثة دنانير وعلى سفط الدبيقي ديناران، وعن حمل الصوف ديناران وعلى سلة الزعفران دينار، وفرضت أيضا على رؤوس الرقيق[6]، كما كانت تؤخذ ضرائب أخرى في المراصد البرية المنتشرة على طول الطريق التجاري[7]؛ ففي كل من قلود جدة بالقرين، وبطن مُر كان يؤخذ نصف دينار عن كل حمل، وفي باب زبيد فرض دينار واحد على حمل من المسك، وعلى حمل من الثياب نصف دينار، وبقية المراصد الأخرى تُعطى مبلغا أقل حتى قدر أنه يصل إلى خزينة السلطان ثلث أموال التجار جراء تلك الضرائب[8].

زيادة على ذلك فقد كانت تُحصل الضرائب من التجار، والمرتحلين بطريقة مهينة في بعض الأحيان، فقد ذكر ابن جبير قصة حدثت معه بعد وصول المركب الذي كان يقله إلى الإسكندرية قال: "فمن أول ما شهدنا فيها يوم نزولنا، أن طَلَع أمناء إلى المركب من قبل السلطان بها لتقييد جميع ما جُلب فيه؛ فاستُحضر جميع من كان فيه من المسلمين، واحدا واحدا وكتب أسماؤهم وصفاتهم وأسماء بلادهم، وسُئل كل واحد عما لديه من سلع أو ناض، ليؤدي زكاة ذلك كله دون أن

---

[1] أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي(ت914هـ/1508م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، ج11، تح محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دط، المملكة المغربية، 1981/1401، ص ص128، 129.

[2] تِنِّيْس: جزيرة في مصر قريبة من البر، مشهورة بصناعاتها. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص51-54.

[3] دِميَاط: مدينة قديمة على مصب نهر النيل بالبحر. انظر: المصدر نفسه، ج2، ص472-475.

[4] الفُسطَاط: مدينة اختطها عمرو بن الخطاب في زمن فتح مصر، تقع على وادي النيل بالقرب من البحر. انظر: المصدر نفسه، ج4، ص261-265.

[5] المقدسي، المصدر السابق، ج1، ص207.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص118.

[7] أدم متز، المرجع السابق، ج1، ص ص197، 198.

[8] المقدسي، المصدر نفسه، ج1، ص ص118، 119.

يُبحث عما حال عليه الحولُ من ذلك أو ما لم يحُل، وكان أكثرهم متشخصين لأداء الفريضة لم يصحبوا سوى زاد لطريقهم، فلزموا آداء زكاة ذلك...وأمروا بالنزول من المركب كل مع متاعه ليقوم المكلفون بالتفتيش بجرد جميع المتاع ..ثمّ استحلفوا بعد ذلك هل عندهم غير ما وجدوا أم لا"[1].

2- ظهور الثورات والمحن بالحجاز(2-3هـ/8-9م)

شهدت مدن الحجاز العديد من الثورات والتمردات خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة[2]، التي أدت إلى فقدان الأمن والإستقرار في بعض الأحيان، وهذه أهمها:

- **ثورة محمد النفس الزكية**(145هـ/762م-763م) تُعدّ من أشهر الحركات المسلحة التي قامت في الدولة العباسية[3]، كان ميدانها الرئيسي المدينة النبوية، وسرعان ما امتدت إلى منطقة مكة، تزعمها أحد أبرز قادة العلويين محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية[4]، لقد وجدت عدة أسباب دفعت بمحمد بن عبد الله الخروج على الحُكم العباسي، منها اعتراف الكثير من الناس بأحقيته في الإمامة، ودخول أهل الحجاز في دعوته[5]، كما تمّ مبايعته في العديد من الأمصار، وفي تلك الأثناء أعلن محمد صاحب النفس الزكية الثورة بالمدينة سنة(145هـ/763م)[6] وأخذ يستعد لمواجهة سلطة الخلافة بالعدة والرجال، فأقدم على حفر خندق حول المدينة بغية التحصن بها هو

---

[1] ابن جبير، المصدر السابق، ص13.

[2] للوقوف على الثورات والفتن في الحجاز خلال القرنين 2و3 للهجرة، وأثرها على الحياة السياسية والاقتصادية والعلمية. انظر: جلال عليبي، **الحياة العلمية في الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة**، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2005، ص80 ومابعدها.

[3] يذهب احد الباحثين إلى أن إرهاصات دعوة محمد صاحب النفس الزكية بدأت في حدود سنة(108هـ/726م) غير أن الدعوة المنظمة حصلت بعد سنة(127هـ744م). انظر: مهران محمود الزعبي، **حركة محمد بن عبد الله النفس الزكية(الدعوة والتنظيم، دراسات)**، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد43، العدد4، الجامعة الأردنية، الأردن، 2016، ص1712.

[4] هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويكنى أبا عبد الله، سمي بالنفس الزكية لأنه كان أفضل أهل بيته دينا علما وزهدا وأخلاقا وشجاعة كما سمي بالمهدي لاعتقادهم أنه الذي في الحديث النبوي الشريف(المهدي المنتظر). انظر: أبي الفرج الأصفهاني(ت356هـ/967م)، **مقاتل الطالبيين**، تح أحمد صقر، منشورات شريف الرضى، ط2، إيران، 1996/1416، ص ص206، 207.

[5] للوقوف على الأسباب الأخرى التي دفعته الخروج على العباسيين. انظر: عبد الله بن علي المسند، **العلويين في الحجاز(132-203هـ)**، دار المنار، ط2، 1993/1414، ص123 وما بعدها.

[6] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص552؛ المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص245.

والثائرين معه[1]؛ لكن سرعان ما وصلت أخباره إلى الكوفة حيث أبو جعفر المنصور(136-158هـ/754-775م)، الذي سره خروجه في تلك المنطقة بالذات، واعتبرها فرصة سانحة للإجهاز عليه، روي أنه قال حين سماعه للخبر: الحمد لله ظهر حيث لامال ولارجال، ولا سلاح ولا كراع[2].

كُلف القائد العباسي الكبير عيسى بن موسى لإطفاء ثورة المدينة، فانطلق على رأس جيش قوامه أربعة آلاف فارس، ولحقته في الطريق قوات أخرى بقيادة محمد بن قحطبة؛ فصار جيش كبير ليس لثوار المدينة قبل لهم به[3]، وعند اقتراب الجيش العباسي إلى مشارف المدينة، فر عنها الكثير من أهلها إلى شعاب الجبال، ولم يبق مع محمد النفس الزكية سوى عدد قليل من المخلصين له[4]؛ ليصطدم الطرفان في معركة حاسمة غير متكافئة في شهر رمضان، لم يصمد خلالها جيش العلويين الصغير فانهزموا وقتل محمد صاحب النفس الزكية في ساحة القتال بعد أن أبدى شجاعة منقطعة النظير، واجتزوا رأسه وأرسلوا به إلى أبي جعفر المنصور[5]، وهكذا انتهت ثورة محمد النفس الزكية بالفشل وبتلك السرعة.

ب- ثورة الحسين بن علي بن الحسين(169هـ/785م): قامت هذه الثورة ضد حُكم الخليفة العباسي الهادي(169-170هـ/786-787م) قادها أحد كبار العلويين الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[6]، وترجع أسبابها إلى سياسة والي المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله، الذي كان يعامل العلويين بالقسوة والشدة، مما أثارهم عليه وعزموا الخروج وإعلان الثورة ضد الحُكم العباسي، لقد اتفق العلويين وتواعدوا مع أنصارهم من أهل الكوفة وغيرهم، على الظهور في موسم الحج بمكة سنة(169هـ/785م)[7]، في أول الأمر انطلقت شرارة الثورة بالمدينة عندما بادر أنصار الحسين بن علي بمهاجمة الجند العباسيين هناك، فحدث اقتتال شديد بين الطرفين استمر لعدة أيام، غير أن العلويين لم يتمكنوا من القضاء على الجند العباسيين

[1] الأصفهاني، المصدر السابق، ص234.
[2] الطبري، المصدر السابق، ج7، ص578.
[3] المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص245.
[4] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص158.
[5] الطبري، المصدر نفسه، ج7، ص594، 601؛ الأصفهاني، المصدر نفسه، ص236.
[6] الطبري، المصدر نفسه، ج8، ص192؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، ج5، ص265.
[7] الطبري، المصدر نفسه، ج8، ص193؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، ج5، ص266.

الذين صمدوا وبقوا متحصنين بالمدينة، إذ يرجع سبب إخفاقهم إلى عدم انخراط أهل المدينة في ثورة الحسين بن علي، الذين آثروا البقاء في منازلهم وتجنبوا المواجهة مع أي طرف من أطراف الصراع[1]، ليخرج بعدها الحسين بن علي وأصحابه ومن معه إلى المكان الذي اتفقوا التوجه إليه، فنزلوا بفخ على بعد ستة أميال من مكة في انتظار التحاق شيعته وأنصاره الذين بايعوه من أهل العراق[2]، ويبدو أن العباسيين كانوا يترصدون حركة العلويين بدقة، فباغتوهم في جيش كبير ضم كبار قادتهم كالعباس بن محمد وموسى بن عيسى؛ ففي صبيحة يوم التروية من ذي الحجة سنة(169هـ/785م)، جرت معركة ضارية بين الطرفين، انتهت بمقتل قائد العلويين الحسين بن علي مع الكثير من أصحابه وأنصاره[3]، ولم ينجو منهم سوى القلة الذين هربوا واحتموا بين الحجيج في مشهد مروع، وتصف لنا المصادر ذلك الحدث المؤلم الذي قطع فيه رأس الحسين بن علي والكثير من العلويين، وتعمدوا ترك جثثهم مرمية في ساحة المعركة حتى أكلتها السباع والطيور[4]؛ لذلك قيل: "لم تكن مصيبة بعد كربلاء أشد وأفجع من فخ"[5].

ج- ثورة إسماعيل بن يوسف العلوي[6](251هـ/866م): هي ثورة علوية أخرى جرت في الحجاز، قادها إسماعيل بن يوسف العلوي الذي قام بمهاجمة مكة سنة(251هـ/865م)، استطاع من بسط سيطرته عليها، وعمل على سلب كل ما يمكن حمله من متاع، فأخذ الأموال التي كانت مخصصة لإصلاح عين في مكة، بل حتى الكعبة المشرفة لم تسلم من هذا الثائر، فحمل الذهب والفضة التي كانت بها وأخذ كسوتها، كما سلب أموال الناس بالباطل فدخل البيوت وأحرق بعضها واستمر عبث إسماعيل العلوي في مكة خمسين يوما كاملا، ثم واصل زحفه إلى المدينة النبوية من

[1] الطبري، المصدر السابق، ج8، ص195.

[2] المصدر نفسه، ج8، ص195؛ المسعودي، المصدر السابق، ج3، ص271.

[3] للوقوف أكثر عن أشهر من شاركوا في ثورة الحسين بن علي في موقعة فخ. انظر: الأصفهاني، المصدر السابق، ص266.

[4] الطبري، المصدر نفسه، ج8، ص197؛ المسعودي، المصدر نفسه، ج3، ص27؛ الأصفهاني، المصدر نفسه، ص262.

[5] الحموي، المصدر السابق، ج4، ص238؛ الأصفهاني، المصدر نفسه، ص266؛ المسعودي، المصدر نفسه، ج3، ص271.

[6] هو إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. انظر: الطبري، المصدر نفسه، ج9، ص346.

أجل الفتك بعاملها هناك لكنه فر قبل أن يدركه، ليعود مرة أخرى إلى مكة فحاصرها حتى مات بعض أهلها جوعًا وعطشا[1]، لقد صور لنا الطبري محنة ساكني مكة، جراء أعمال هذا العلوي التخريبية، عندما قال: "لقي أهل مكة منه كلَّ بلاء"[2].

لقد واصل إسماعيل تتبع عمال العباسيين بالحجاز، فدخل هذه المرة جُدّة من أجل سلب خيرات تجارها وأصحاب المراكب هناك، فتمكن من تحصيل أموال عظيمة منهم[3]، وأمام تلك الأوضاع الصعبة سارعت السلطة العباسية لرده عن الحرم، فأرسلت حملة عسكرية إلى مكة من أجل كبح هذا الثائر العلوي، إلا أنه استطاع التغلب عليها، وعاث في مكة فسادا من جديد، حيث قتل الكثير من الحجاج قُدر بنحو ألف ومائة نفس، ونهب أموالهم ولم يتمكن الحجاج في ذلك الموسم من الوقوف بعرفات، خوفا من بطشه، مكث إسماعيل أياما في مكة قبل أن يرحل عنها إلى جُدّة مرة أخرى لأجل سلب ونهب خيرات أهلها، بعد أن زرع الرعب والفساد بالمنطقة[4]، وشاء الله سبحانه أن ينهي هذه الثورة بهلاك قائدها إسماعيل سنة(252هـ/866م) فتفرق أتباعه وزال خطرهم[5].

كما شهدت الدولة العباسية ثورة خطيرة في العراق عرفت **بثورة الزنج**[6](255-270هـ/869-883م)، والتي كادت أن تعصف بالدولة الإسلامية[7]، خاصة أنها قامت بالقرب من عاصمة الخلافة بغداد، إذ ترجع أحداثها إلى تمرد عدد كبير من العبيد في نواحي البصرة لسوء أحوالهم

---

[1] الطبري، المصدر السابق، ج9، ص346؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص181.

[2] الطبري، المصدر نفسه، ج9، ص346.

[3] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج6، ص181.

[4] الطبري، المصدر نفسه، ج9، ص347؛ ابن الأثير، المصدر نفسه، ج6، ص181.

[5] أحمد السباعي، **تاريخ مكة**، ج1، دط، المملكة العربية السعودية، 1999/1419، ص190.

[6] ثورة قام بها العبيد في العراق تزعمها رجل فارسي يدعى علي بن محمد حملت عدة شعارات إصلاحية منها نصرة المظلومين وتحرير العبيد، استطاعت تحقق مكاسب عديدة على حساب العباسيين من خلال استيلائهم على الكثير من القرى والمدن بعد تكبيد عدوهم هزائم كبيرة، انتهت هذه الحركة بالقضاء عليها عسكريا على يد الخليفة الموفق سنة(270هـ/883م) بعدما عاثت فساداً في أرض الخلافة. انظر: كارل بروكلمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، تر نبيه أمين فارس و منير البعلبكي، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1973، ص215-220.

[7] للمزيد حول ثورة الزنج. انظر: شوقي ضيف، **العصر العباسي الثاني**، دار المعارف، ط2، مصر، دت، ص26.

الاجتماعية والاقتصادية[1]، وفي إطار صراعهم مع السلطة العباسية وجه صاحب الزنج المدعو علي بن محمد جيشا إلى مكة، استطاع طرد العباسيين منها وإخضاعها، وولى أمرها لمحمد بن عيسى المخزومي[2]، غير أن ولي العهد الموفق(229-278هـ/844-891م)[3]استطاع أن يعيد مكة إلى نفوذ السلطة العباسية من جديد، عندما هزم محمد بن أبي الساج قوات الزنج هناك سنة(266هـ/880م)[4]، لقد قاست مكة كثيرا في ظل تردي الأوضاع الأمنية نتيجة ظهور ثورة الزنج، حيث توقفت القوافل ودبّ الرعب بين ساكنيها، وشهدت ضيقا شديدا فبلغت الأوقيتين من الخبز درهما[5].

د- **حملة أحمد بن طولون على مكّة**(269هـ/883م)، تعود أحداث هذه الحملة العسكرية إلى قيام أحمد بن طولون صاحب مصر في عام(269هـ/882م) بتسيير جيشا إلى مكة مع قائدين له، وعند وصول الطولونيين إلى مكة استخدموا الأموال التي حملوها معهم من مصر ووزعوها هناك على الحناطين، والجزارين وعلى عامة الناس بغية استمالتهم والاستعانة بهم ضد والي مكة هارون بن محمد، إلا أن العباسيين سارعوا إلى إرسال حملة عسكرية قوية، استطاعوا من خلالها طرد الطولونيين، وإجلائهم عنها بعد أن كبدوهم خسائر كبيرة في الأرواح، لتعود مكة من جديد إلى نفوذ السلطة العباسية[6].

هـ- تحرشات الأعراب المتكررة:

من الأحداث الخطيرة التي كان يتعرض لها الحجاز كثيرا هي غزوات الأعراب المتكررة على الطرق التجارية بها، وعلى بعض القرى والبلدات هناك، لقد تمادت بنو سليم في إفساد القرى

---

[1] للوقوف على أسباب ثورة الزنج بشيئ من التفصيل. انظر: أحمد علبي، **ثورة الزَّنج وقائدها علي بن محمد**، دار الفرابي، ط3، بيروت، 2007، ص125-176.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص ص290، 291.

[3] هو أبو أحمد طلحة بن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد العباسي، أخو الخليفة المعتمد وولي عهده، ووالد الخليفة المعتضد، نال مكانة عالية في الدولة وأصبح بيده الحل والعقد، توفي سنة(278هـ/891م). انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص ص169، 170.

[4] الطبري، المصدر السابق، ج9، ص ص553، 554.

[5] أحمد السباعي، المرجع السابق، ج1، ص191.

[6] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج6، ص ص328، 329؛ أحمد السباعي، المرجع نفسه، ج1، ص192.

والبلدات التي حول المدينة المنورة؛ حيث كانوا يدخلون أسواق الحجاز ويأخذون السلع والبضائع بأي سعرٍ أرادوا، بل تمادوا في إفسادهم فقتلوا عددا من بني كنانة وباهلة بغية سلبهم، الأمر الذي جعل عامل المدينة آنذاك حماد بن جرير الطبري يصمم على مواجهتهم، فأرسل حملة من مئتي فارس مع العديد من الجنود وتطوع معه الكثير من الناس في هذه الحملة بغية كسر شوكة الأعراب بمنطقتهم، فالتقوا بهم سنة(230ه/845م) في مكان يسمى الرُوَبثة، فحصل اقتتال شديد بين الطرفين إلا أن الغلبة مالت إلى كفّ الأعراب، عندما تمكنوا من قتل قائد الحملة حماد وعدد كبير من الأنصار والقرشيين، ففشلت حملة عامل المدينة وخسروا المعركة ليطلق بنو سليم العنان للسلب والنهب في القرى والبلدات مابين مكة والمدينة، مما أدى إلى قطع الطريق في ذلك العام بين مكة والمدينة[1]، كما لم تسلم مكة هي أيضا من شرّ الأعراب، حيث هاجموها في موسم الحج سنة(266ه/880م)، فنهبوا وخربوا المدينة وسرقوا كساء الكعبة المشرفة، وأخذوا أموال الحجاج ومتاعهم، الأمر الذي أحدث هلعا كبيرا بين الحجيج وساكني مكة[2]، ما أسفر عن قلة الأقوات وحدوث غلاب فاحش بمكة وسائر بلاد الحجاز[3]، وغير بعيد عن تلك السنة قام الأعراب مرة أخرى في سنة(269ه/883م) بمهاجمة قوافل الحجيج بالحجاز فسلبوهم أموالهم ومتاعهم وساقوا معهم نحو خمسة آلاف بعير بأحمالها، كما خطفوا الكثير من الناس[4].

ولعل ذلك كان عرض سريعا لأهم الأحداث التي ألمّت بالحجاز خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة، غير أن الذي زاد من وطأتها ضعف الخلافة العباسية في عصرها الثاني(232-334ه/847-946م)[5]، حيث حلّت بها كوارث عديدة سيما تلك الثورات التي نشبت واستنزفت موارد الدولة[6]؛ فأصبحت الأوضاع بالحجاز متردية خلال تلك الفترة، الأمر الذي انعكس على الحياة العلمية خاصة أن حاضرتي الحجاز مكة والمدينة كانتا ساحة للعديد من الفتن والثورات؛

---

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج6، ص81.

[2] الطبري، المصدر السابق، ج9، ص553.

[3] ابن الأثير، المصدر نفسه، ج6، ص ص290، 291.

[4] المصدر نفسه، ج6، ص329.

[5] عطية القوصي، **تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية**، مكتبة دار النهضة العربية، دط، مصر، 1992-1993، ص8.

[6] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص26.

فكثيرا ما كان يحدث اضطراب في مواسم الحج، بسبب غارات الأعراب على قوافل الحجيج وقطعهم للطرق المؤدية إلى مكة، هذا ما أظرَّ بالتجارة وعلى النشاط العلمي بالحجاز.

الفصل الثّاني

مكانة الحجاز العلميّة والثّقافية حتّى نهاية القرن (3هـ/9م)

أولًا: طبيعة الحجاز (التسمية والموقع)

ثانيًا: الحياة العلمية والثقافية في الحجاز حتى نهاية القرن(3هـ/9م)

ثالثا: المراكز والمؤسسات العلمية في الحجاز خلال القرنين(2-3هـ/8-9م)

نحاول من خلال هذا الفصل تقديم الحجاز من الناحية الجغرافية والعلمية والثقافية حتى نهاية القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، معرجين الحديث عن أوضاعه العلمية بداية من العصر الجاهلي، حتى نقف على حجم التغير الذي طرأ عليه في العصر الإسلامي، عندما تحول الحجاز إلى حاضرة علمية خاصة لعلوم الشريعة من فقه وحديث وعلوم القرآن.

أولا: طبيعة الحجاز (التسمية والموقع الجغرافي)

لقد ارتبط اسم الحجاز بالجانب الطبيعي للمنطقة، ويرجع ذلك إلى أصل التسمية والحِجاز في اللغة بكسر الحاء التي يرجعها العرب إلى عدة أشياء: حاجز بين شيئين أو بين منطقتين إقليم واسع، سلسة من الجبال كما سوف نبيّنه.

1- تسمية الحجاز:

الحِجاز في اللغة هو الفاصل بين الشيئين والحِجَاز الاسم[1]، تَقول العرب حَجَزَ الرّجلُ بعيره يحجُزهُ حجزًا، إذا شدَّهُ شدًّا يُقيده به، وعَقدُ الحَبلِ يُقال له حِجازًا، ويُطلق اسم الحِجاز على المنطقة التي تقع فيها سلسلة جَبال السراوات، التي تمتد من اليمنِ جنوبًا وصولًا إلى أطرافِ الشام شمالًا، كما يُطلق أيضا على جبال السروات نفسها اسم الحجاز فسميت حجاز السراة، حيث مثلت تلك الجبال فاصلًا وحاجزا بين تهامة[2]، ونجد[3] مانعةً من التقاء المنطقتين ببعضهما ومنها جاءت تلك التسمية[4].

---

[1]ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص331؛ الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص507.

[2]تهامة: هي ساحل شبه الجزيرة العربية على البحر الاحمر تمتد من العقبة شمالاً وصولا إلى عدن جنوباً، تتألف من تهائم أي أقسام ساحلية كتهامة الحجاز وتهامة اليمن. أنظر: عمر فروخ ، **تاريخ الجاهلية**، دار العلم للملايين، دط، بيروت، 1964/1384، ص36.

[3] نَجد: منطقة واسعة في جزيرة العرب، تبدأ من تهامة واليمن وتنتهي عند العراق والشام. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص ص261، 262.

[4]المصدر نفسه، ج2، ص ص218، 219؛ الهمداني الحسن بن أحمد بن يعقوب(ت336هـ/947م)، **صفة جزيرة العرب**، تح محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد،، ط1، صنعاء، 1990/1410، ص85؛ الفيروزابادي، **المغانم المطابة في معالم طابة**، تح حمد جاسر، دار اليمامة، ط1، الرياض، 1969/1389، ص102؛ الحربي، المصدر السابق، ص532-538؛خليفة بن خياط(ت240هـ/855م)، **تاريخ خليفة بن خياط**، تح أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط2، الرياض، 1985/1405، ص202.

2- الحدود الجغرافية للحجاز:

ذكر المؤرخون والجغرافيون أن الحجاز عبارة عن منطقة في جزيرة العرب[1]، غير أنهم لم يتفقوا في تحديد حدودها الطبيعية، وفي نفس الوقت لم يعطوا لنا تحديدا دقيقا لها[2].

لقد أشرنا إلى أن العرب أطلقوا اسم الحجاز على سلسلة من الجبال التي تمتدُ من أقصى اليمن جنوبًا وصولًا إلى حدود الشام شمالًا، أو ما تعرف بجبال السراة[3]، حيث جعل هشام الكلبي في كتابه افتراق العرب السراة كلها حِجازا، أو كما في قول سعيد بن المسيب: "السراة أعظم جبال العرب وأذكرها، فإنه أقبل من ثغره باليمن حتى بلغ أطراف الشام فسمته العرب حجازا، لأنه حجز بين الغور[4] وهو هابط، وبين نجد وهو ظاهر"[5]، ويقول أيضا أبو الفداء[6]: "أما الحجاز فهو جبل يقبل من اليمن حتى يتصل بالشام وفيه المدينة وعمان[7]".

كما يقصد به أحيانا جزءًا محددًا من سلسلة جبال السراة، التي حجزت بين نجد وتهامة وذلك حسب كلام ياقوت: "أن جبل السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها، أَقبل من قعره اليمن حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حِجازاً"[8].

أو ما ذكره أبو الفداء، أن الحجاز ما كان بين تهامة ونجد فهو حجاز[9]، وأيضا من كلام الأصطخري أنه يدخل في حدوده كل من مكة والمدينة واليمامة[1] ومخاليفها[2].

---

[1]الواقدي محمد بن عمر(ت207هـ/823م)، **المغازي**، ج2، تح مارسدن جونس، مطبعة أكسفورد، دط، لندن، 1966، ص530، 654، 676، 721، 729؛ ابن هشام، المصدر السابق، ج2، ص158؛ وأيضا نفسه، ج3، ص8، 124،227؛ ابن سعد الزهري، **الطبقات الكبرى الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم**، تح زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، ط2، المدينة، 1987/1408، ص186.

[2]أمين مدني، **التاريخ العربي وجغرافيته**، دار القوافل للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، 2008/1429، ص94.

[3]**موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج1، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1998/1418، ص3442.

[4]الغَوْر هو المنخفض من الأرض، لذلك قال الزَّجاج الغَور أصله ما تداخَل وما هبط فمن ذلك غَوْرُ تهامة. الحموي، المصدر السابق، ج4، ص216، 217.

[5]المصدر نفسه، ج2، ص220؛ الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص103.

[6]أبو الفداء، المصدر السابق، ص78.

[7]عَمّان: بلد في طرف الشام وكانت قصبة أرض البلقاء بها قرى ومزارع، كثيرة الحبوب والأنعام تنتشر فيه الانهار. انظر: الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص151.

[8]المصدر نفسه، ج2، ص219.

[9]أبو الفداء، المصدر نفسه، ص84.

في حين نجد هناك من ضبط القطر الحجازي أكثر، قال الأصمعي: الحجاز من تخوم صنعاء[3] من العبلاء[4]، وتبالة[5] إلى تخوم الشام، وإنما سمي حجازا لأنه حجز بين تهامة ونجد[6].

ونخلص في الأخير إلى قول المستشرقين الذين وضعوا تحديدا أكثر دقة ووضوحا في تحديدهم للحِجاز[7]، فعندما يعني الحجاز قسم من أقسام الجزيرة العربية، ذكروا أنه صقع في جزيرة العرب على بحر القلزم ليس له حدود معينة، كما يطلق في الخِطط عند العرب على جبال السراة الذي يفصل بين المرتفعات وهي نجد، عن السواحل المنبسطة وهي تهامة، أما عندما يعني الحجاز قطرا من أقطار الجزيرة العربية، قالوا أنه اسم ناحية يقتصر على ذلك القسم من الساحل الغربي الذي لا يدخل في اليمن، أو هو إذا تحرينا المزيد من الدقة تلك الأرض الممتدة على بحر القلزم من عَكْرمة إلى اللَيْث[8] وما يناوحها، ولا يدخل نجاد عسير[9] في الجنوب ولا بلاد مدين[10] القديمة ولا حِسْمى[11] في الشمال في الحجاز بمعناه الصحيح وإن غلب إدخالها فيه[12].

---

[1]اليمامة: أرض سكنتها ربيعة ومضر، وهي ثالث مدن الحجاز من حيث اتساع العمران بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة .انظر: الاصطخري، المصدر السابق، ص19؛ ابن حوقل، المصدر السابق، ص38.

[2]الأصطخري، المصدر نفسه، ص16.

[3] صَنعاء: حاضرة اليمن وهي مدينة قديمة كانت تسمى أزل، تعتبر أحسن مدن اليمن وأحصنها. انظر: الحموي، المصدر السابق، ج3، ص425-430.

[4]العَبْلاء وقيل العَبَلات: بلدة كانت لخثعم، كان يتواجد بها صنم ذي الخلصة، وهي من أرض تبَالة. انظر: المصدر نفسه، ج4، ص80.

[5]تَبَالة: قرية صغيرة بها عيون ومزارع ونخل، أهلها من خثعم فتحها المسلمون سنة عشرة للهجرة وتقع بالحجاز في طريق مكة من اليمن وتبعد عنها نحو مسيرة ثمانية أيام. انظر: اليعقوبي، المصدر السابق، ص154؛ الحموي، المصدر نفسه، ج2، ص10؛ الحميري، المصدر السابق، ص129.

[6]الحموي، المصدر نفسه، ج2، ص219.

[7]أمين مدني، المرجع السابق، ص101.

[8]اللَّيثُ: هو واد بأسفل السراة يصب في البحر أو موضع بالحجاز. الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص28.

[9]عسير: منطقة بين الحجاز واليمن، والاسم حديث. أنظر: عمر فروخ، المرجع السابق، ص36.

[10]مدين: هي مدينة قوم شعيب عليه السلام قيل تقع بين وادي القرى والشام كما قيل أنها تقع في اتجاه تبوك بين المدينة والشام على ست مراحل. الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص77 .

[11]حِسْمى: أرض ببادية الشام سكنتها قبيلة جُذام بينها وبين وادي القرى ليلتان من المسير عُرفت بقلة مائها وقسوة العيش. المصدر نفسه، ج2، ص258.

[12]**موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ج1، ص3439.

ثانيا: الحياة العلمية والثقافية في الحجاز حتى نهاية القرن(3هـ/9م)

1- الحياة الثقافية في الحجاز خلال العصر الجاهلي:

قد يتبادر إلى ذهننا أن العصر الجاهلي كان خاليا من أي صور الثقافة أو الحضارة، لكن سرعان ما تزول تلك الفكرة عندما ندرك أن لفظة "جاهلية" تعني العصر الذي سبق الإسلام، عندما لم يكن لدى العرب نبي ولا كتاب[1]، فهي في حقيقة الأمر لا تعني انعدام العلم والمعرفة أوغياب للأخلاق عندهم، في هذا الصدد يذكر عمر فروخ: أن الجاهلية كانت من الجهل الذي هو ضد الحلم، لا من الجهل الذي هو نقيض العلم[2]، كما أنهم لم يعيشو في عزلة سياسية ولا اقتصادية، بل كانوا على اتصال وثيق ومستمر مع البلاد المجاورة لهم كالعراق والشام، واليمن التي كانت على قدر لابأس به من الحضارة في تلك الفترة[3]، بل وجد منهم سيما عرب الجنوب الذين عرفوا حضارة لايستهان بها[4]، لقد أشار إلى هذه الفكرة عدد من الباحثين في التاريخ العربي قبل الإسلام[5]، لأجل ذلك لابد من إلقاء نظرة حول النشاط العلمي للعرب في العصر الجاهلي، حتى نعرف ماتسرب وماتم تطويره بالحجاز خلال العصر الإسلامي.

---

[1] محمد فريد وجدي، **دائرة معارف القرن العشرين**، ج3، دار المعرفة، ط3، بيروت، 1971، حرف الجيم، ص263؛ فيليب حتي، **العرب تاريخ الموجز**، دار العلم للملايين، ط6، بيروت، 1991، ص32.

[2] عمر فروخ، **تاريخ الأدب العربي**، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 1981،ص73.

[3] السيد محمد علي الاشقر، **لمحات من تاريخ القرآن**، دار المحيط للمطبوعات، دط، العراق، دت، ص36؛ أحمد أمين، **فجر الإسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، مصر، 2012، ص21.

[4] يزعم لوبون وجود حضارة لدى العرب قبل الإسلام بقوله: "وقد أثبتت الآثار والوثائق التي بأيدينا وجودها، وأنها لم تكن على ما يحتمل دون حضارة الآشوريين وحضارة البابليين..". انظر: غوستاف لوبون، **حضارة العرب**، تر عادل زعتر، دار هنداوي، دط، مصر، 2012، ص91.

[5] جواد علي، المرجع السابق، ج1، ص40؛ أحمد إبراهيم الشريف، **مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول**، دار الفكر العربي، دط، الإسكندرية،1985، ص9؛ فيليب حتي، **تاريخ العرب المطول**، ج1، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، دط، بيروت، 1951، ص117.

تشير بعض المصادر التاريخية على أن العرب عرفوا القراءة والكتابة في الجاهلية، من خلال وجود عدد منهم في منطقة الحيرة[1]، كانوا يحسنون القراءة والكتابة، وعن طريقهم انتقلت إلى أمكنة أخرى من البلاد العربية من ضمنها مكة[2]، كما وجد أيضا عند عرب الحيرة المناذرة كتبا تحتوي على شيء من أخبارهم وأنسابهم، إضافة إلى درايتهم بالتاريخ الفارسي[3]، أما الحجاز فعرف هو الآخر الكتابة من خلال وجود إشارات تؤكد ذلك مارواه البلاذري نقلا عن الواقدي أن الكتابة وجدت عند الأوس والخزرج في يثرب[4] لكنها كانت قليلة[5]، كما يضيف القلقشندي أن عددهم بلغ بضعة عشر نفر ممن يعرفون الكتابة[6]، غير أن نشاطهم اقتصر في كتابة بعض القصائد الشعرية لأن الكتابة لم تكن منتشرة في تلك الفترة، في ظل اعتمادهم على الرواية الشفوية بشكل كبير[7] ويبدو أن عرب الحجاز لم يعرفوا الكتابة إلا قبيل الإسلام، رغم أنهم كانوا محاطين بأمم من العرب المتحضرة شمالًا وجنوبًا، مثل حمير في اليمن الذين كتبوا بالحرف المسند، والأنباط في الشمال كتبوا بالحرف النبطي، وربما يكمن السبب في طبيعة عرب الحجازية فغالبيتها من مُضر التي طغت عليهم البداوة، والكتابة تدخل ضمن الصناعات الحضرية هذا ماجعل انتشارها محدودًا جدًا، غير أنه يعود الفضل في ظهور الكتابة بالحجاز قبيل الإسلام، إلى أولائك الذين رحلوا إلى الشام والعراق من أجل التجارة والكسب، فاكتسبوا أخلاق الحضر، ورجعوا إلى بلادهم وأصبح عدد منهم يعرف الكتابة النبطية أو العبرانية أو السريانية[8]، فتشير بعض الروايات إلى وجود عدد من الأفراد

---

[1] الحِيرة: تقع منطقة الحيرة على بعد ثلاثة أميال إلى الجنوب من الكوفة، كان لأهلها دور في نشر العلوم بتعليمهم الكتابة والقراءة، كما ساعدوا على نشر النصرانية بالجزيرة العربية. انظر: محمد مبروك نافع، **عصر ماقبل الإسلام**، مؤسسة هنداوي، دط، المملكة المتحدة، 2018، ص ص110، 111.

[2] البلاذري، المصدر السابق، ص534؛ القلقشندي أبي العباس أحمد(ت821هـ/1418م)، **صبح الأعشى**، ج3، المطبعة الأميرية، دط، القاهرة، 1914/1332، ص14.

[3] مصطفى شاكر، **التاريخ العربي والمؤرخون**، ج1، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1983، ص53.

[4] يَثرب: الاسم القديم للمدينة المنورة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها عام(14للبعثة /622م) ويذكر الزجاجي أن اسم يثرب يعود إلى من بناها وهو يثرب بن قانية بن مهلائيل بن أرم بن عبيل بن أرم بن سام بن نوح. انظر: إبراهيم رفعت، المرجع السابق، ج1، ص407.

[5] البلاذري، المصدر نفسه، ص540.

[6] القلقشندي، المصدر نفسه، ج3، ص15.

[7] كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، ج1، دار المعارف، دط، القاهرة، 1983، ص ص64، 65.

[8] جورجي زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي**، ج3، مؤسسة هنداوي، دط، القاهرة، 2012، ص66.

كانوا يحسنون القراءة والكتابة، مثل ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة –رضي الله عنها– ذكر أنه كان يكتب بالعبارانية[1]، ومع ذلك فقد ظل انتشار الكتابة في بلاد العرب، والحجاز خاصة بطيئا رغم المكانة السياسية والدينية التي تبوأتها مكة منذ القدم، والدليل على ذلك أنه في البدايات الأولى للإسلام لم يوجد سوى عدد قليل ممن يحسنون القراءة والكتابة، ففي مكة وجد سبعة عشر رجلا فقط من قريش ممن يعرفون الكتابة[2]، كما ذكر البلاذري روايات تشير إلى وجود عدد من النساء كن يعرفن الكتابة مثل عائشة التي تعلمت الكتابة من والدها، وأيضا كريمة بنت المقداد كانت هي الأخرى تحسن الكتابة، وتخبرنا الرواية عن وجود عدد من النسوة كن يقرأن ولا يحسن الكتابة كالسيدة عائشة التي كانت تقرأ المصاحف، ومنهن أيضا أم سلمة كانت تقرأ هي الأخرى لكنها لا تكتب[3]، هذا ماقد يفسر لنا أن التعليم كان موجودا فعلا بالحجاز قبل الإسلام، لكنه كان بسيطًا ومحدود الانتشار[4].

بيد أن الرواية الشفوية قد طغت على تراثهم الثقافي في العصر الجاهلي؛ حيث شكل الشعر أهم فنون الأدب في المرحلة الجاهلية[5]، يقول اليعقوبي في ذلك: "كانت العرب تقيم الشعر مقام الحكمة...فيه كانوا يختصمون وبه يتمثلون وبه يتفضلون...وبه يعابون"[6]، وهو ما أكده الجمحي عندما قال: "وكان الشعر في الجاهليَّة عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حُكمهم، وبه يأخذون وإليه يصيرون"[7]، فشكل الحجاز بيئة أساسية لهذا النشاط؛ ففيه كانت تقام إحدى أشهر الأسواق التي يرتادها العرب، كسوق عكاظ فإلى جانب كونه كان سوقا تجاريا يقصده التجار والباعة من مختلف مناطق الجزيرة العربية، فقد مثل أيضا سوقا أدبيا موسميا يجتمع فيها الشعراء والخطباء والمغنين

---

[1] الأصفهاني أبو الفرج(ت356هـ/967م)، **الأغاني**، ج3، دار الكتب المصرية، دط، القاهرة، 1929/1347، ص120.

[2] البلاذري، المصدر السابق، ص536.

[3] المصدر نفسه، ص ص537، 538.

[4] عبد اللطيف الطيباوي، **محاضرات في تاريخ العرب والإسلام**، دار الأندلس، دط، بيروت، دت، ص21.

[5] شوقي ضيف، **الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية**، دار المعارف، ط3، مصر، 1976، ص70.

[6] اليعقوبي، المصدر السابق، ج1، ص315.

[7] الجمحي محمد بن سلام(ت231هـ/846م)، **طبقات فحول الشعراء**، ج1، تح محمود محمد شاكر، دار المدني، دط، جُدة، دت، ص24.

وغيرهم من مختلف أصقاع أرض الجزيرة[1]، كما كانت مدن الحجاز الكبيرة مثل مكّة، ويثرب والطائف بمثابة مراكز هامة لهذا النشاط[2].

كما نجد الخطابة من أبرز وجوه النشاط الثقافي في العصر الجاهلي[3]، إذ يُعد الحجاز إحدى بيئاتها الرئيسية؛ ففي مكة اشتهر وراج هذا النشاط بحكم دورها الديني والتجاري، تمثل ذلك من خلال إلقاء المواعظ والنصائح للحجيج وعرف انتشاره أيضا في أسواقها، فسوق عكاظ الذي تفد إليه مختلف القبائل العربية، لم تمارس فيه التجارة فحسب بل كان بمثابة ساحة أدبية نشطة؛ ففيها كان ينشد الشعراء ويخطب الخطباء[4]، كما وجدت فضاءات أخرى للخطابة مثل دار الندوة بمكة ففيها كان يجتمع سادة قريش للنظر في أمورهم ويخطبون ويتحاورون، الأمر الذي ساعد على ازدهار هذا النشاط، نجد أشهر خطبائهم: عتبة بن ربيعة وهو خطيب قريش يوم بدر، وهاشم وأمية، ونفيل بن عبد العزى[5]، وعبد المطلب الذي كان يخطب قومه في الملمات والأمور العظيمة[6] وفي يثرب أيضا برز خطباء مشهورين من أمثال قيس بن الشماس وسعد بن الربيع[7].

نجد أيضا من النشاطات الثقافية في تلك الفترة الغناء، الذي عرف انتشارا في بلاد العرب وساد الحجاز وازدهر به، حيث أشار إلى ذلك الأبشيهي حينما قال: "كان أهل الغناء ومعدنه في أمهات القرى فاشيا ظاهرا، وهي المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادي القرى، ودومة الجندل واليمامة"[8]، إلى جانب مكة التي شكلت مركزا مهما للغناء في العصر الجاهلي بحكم ماكانت عليه من مال وثراء، بفضل تجارتها الرائجة ووجود سوق عكاظ مجمع الشعراء والخطباء وكذا المغنيين

---

[1] جواد علي، المرجع السابق، ج7، ص ص377،378.

[2] الجمحي، المصدر السابق، ج1، ص215.

[3] جواد علي، المرجع نفسه، ج8، ص771.

[4] جورجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص44.

[5] شوقي ضيف، **الفن ومذاهبه في النثر العربي**، دار المعارف، ط10، القاهرة، 1983، ص30.

[6] جواد علي، المرجع نفسه، ج8، ص778.

[7] شوقي ضيف، المرجع نفسه، ص30.

[8] الأبشيهي محمد شهاب الدين(ت1346هـ/1927م)، **المستطرف في كل فن مستظرف**، تح محمد مهنا، مكتبة الإيمان، دط، المنصورة، 2006، ص719.

والمغنيات[1]، وأيضا شكلت قصص أيام العرب[2] محل اهتمام سكان الجزيرة بما فيهم الحجازيون فحروب العرب وغزواتهم في الجاهلية مثل تاريخا شفويا ثريا عن العلاقات التي كانت قائمة بين القبائل العربية نفسهم، وبين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم[3]، كما كثر النسابون في الجاهلية، حتى أنه وجد في القبيلة العربية الواحدة أكثر من نسَّابة[4].

كان هذا عرضا موجزا لواقع الحياة الثقافية في جزيرة العرب بصفة عامة، والحجاز بصفة خاصة خلال العصر الجاهلي، الذي سيشهد بدوره تحولا كبيرا في المجال العلمي في العصر الإسلامي، والتي ظهرت لبناته الأولى في حاضرتي الحجاز الكبرى مكة المكرمة والمدينة المنورة بداية من القرن الأول للهجرة كما سوف نرى في بقية مادة هذا الفصل.

2- الحياة العلمية في الحجاز خلال القرنين(2-3هـ/8-9م)

شهد الحجاز منذ بداية القرن الأول الهجري السابع الميلادي، ظهور نشاط علمي متزايد في حاضرتيه مكة والمدينة، تمثل في بروز عدد من العلماء في صفوف الصحابة، ومن ثم في الجيل الذي خلفهم من العلماء التابعين[5]، شمل مختلف ميادين الشريعة الإسلامية، ساهموا بشكل كبير في إثراء الحياة العلمية في مكة والمدينة، عددهم ابن حبان في مصنفه "مشاهير علماء الأمصار": 169 تابعيًا بالمدينة، و50تابعيًا آخر في مكة، وكلهم كما قال من العلماء مشهورين بالعلم الثقات،

---

[1]شوقي ضيف، **الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية**، ص179.

[2]أيام العرب: يقصد بها تلك الحروب والمناوشات التي وقعت بين القبائل العربية فيما بينها، أو مع ملوك اليمن، أو بين الفرس والعرب، أو بين ملوك العرب والقبائل وهي تمثل مادة تاريخية ثرية تناقلها الأخباريون في العصر الجاهلي. أنظر: جواد علي، المرجع السابق ،ج5، ص341.

[3]إبراهيم شمس الدين، **مجموع أيام العرب في الجاهلية والإسلام**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2002/1422، المقدمة، ص4.

[4]جورجي زيدان، المرجع السابق، ج3، ص46.

[5] ظهر بالحجاز(مكة والمدينة) مجموعة من الأئمة الأفذاذ وكبار المفتين، منهم الفقهاء السبعة بالمدينة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وخارجة بن زيد، وأبى بكر بن عبد الرحمان بن الحارث، وسليمان بن يسار، وعُبيد الله بن عبد الله بن عتبة وغيرهم، كما ظهر بمكة عطاء بن رباح، ومجاهد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعبد الله بن أبي مليكة، وعمرو بن دينار وغيرهم. انظر: ابن قيم الجوزية(ت751هـ/1351م)، **أعلام الموقعين عن رب العالمين**، ج2، تح أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار ابن الجوزي، ط1، المملكة العربية السعودية، 2003/1423، ص41-43.

وفي نفس الكتاب تطرق ابن حبان لأتباع التابعين في الحجاز، فعدد 130أتباع التابعين بالمدينة و57من أتباع التابعين في مكة، وكلهم حسب كلامه علماء ثقات من الحجاز أو من العلماء المجاورين في مكة[1].

أ- ازدهار علوم القرآن(القراءة والتفسير)

أبدى أهل الحجاز تفوقهم العلمي في مختلف علوم الشريعة؛ ففي ميدان علوم القرآن ظهر مجموعة من الصحابة تفوقوا في القراءات واختصوا بها نذكر منهم، عثمان بن عفان(ت35هـ/656م)، وعلي بن أبي طالب(ت41هـ/662م)، وأبَيّ بن كعب(ت30هـ/651م)[2] وعبد الله بن مسعود(ت32هـ/653م)[3]، وزيد بنثابت(ت45هـ/665م)[4]، وأبي موسى الأشعري(ت44هـ/664م)[5]-رضي الله عنهم- جميعاً[6]، كان هؤلاء من أعلم الناس بالقرآن الكريم؛ فمثلا أبَي بن كعب أحد أكثر الصحابة حفظاً وعلما وفهما للقرآن الكريم؛ لذلك أشاد به النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال عنه: (أقرأُ أُمّتي أبَيّ بن كعب)[7]، وروي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يَعرض على عبد الله بن مسعود القرآن في كل رمضان مرة[8]، كما شجع -عليه الصلاة

---

[1]ابن حبان محمد بن أحمد ابن حاتم(ت354هـ/965م)، **مشاهير علماء الامصار**، تح محمد بن منصور الشوري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1995/1416، ص79 ومابعدها.

[2]أُبي بن كعب: هو علقمة بن خالد بن الحارث الفقيه ومن الصحابة المعمرين ذكر أنه توفي بالكوفة وقد قارب سنه مائة عام، توفي سنة(86هـ/705م أو88هـ/707م). انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص428-430؛ الأصفهاني، المصدر السابق، ج1، ص250-256.

[3] عبد الله بن مَسعود: من الصحابة المهاجرين السابقين وشيخ قراء المسلمين اشتهر بقراءته وتعليمه للقرآن الكريم. انظر: المصدر نفسه، ج1، ص124-139.

[4] زيد بن ثابت: الإمام الكبير وشيخ المقرئين ومفتي المدينة، يُعد من المسلمين القلائل الذين كانوا يحسنون القراءة الكتابة في بداية الإسلام، تعلم السريانية بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم وكان من كتاب الوحي، اختلف في سنة وفاته يرجح أنه توفي في حدود سنة 45 هجرية. انظر: الذهبي، المصدر نفسه، ج2، ص426-441.

[5]أبو موسى الأشعري: هو عبد الله بن قيس بن سُليم بن خضّار بن حرب، من كبار الصحابة كان عالماً بالفقه وشيخ المقرئين حدّث عنه عدد من الصحابة والتابعين، شارك في عمليات الفتح. أنظر: المصدر نفسه، ج2، ص380-390.

[6]الذهبي، **معرفة القراء الكبار**، ج1، ص24-40.

[7]ابن سعد الزهري، **الطبقات الكبير**، ج2، ص295.

[8]المصدر نفسه، ج2، ص295.

والسلام– على قراءة القرآن عن ابن مسعود، فقال: (من أراد أن يقرأ القرآن غَضًّا كما أنزل فليقرأ قراءة ابن أمِّ معبد)[1] وأما أبي موسى الأشعري، فكانت له قراءة حسنة تُعجب النبي –صلى الله عليه وسلم–[2]، وتبوأت المدينة مركز الصدارة في علم القرآن الكريم طيلة القرن الأول الهجري السابع الميلادي، حيث ظهر أعلام في علم القراءات، فمن كبار قراء المدينة نذكر عبد الله بن عيَّاش(ت78هـ/697م) المكي ثم المدني، ساهم ابن عيَّاش في ازدهار علم القراءات بالمدينة؛ حيث تتلمذ على يديه جلة من قراء المدينة المشهورين[3].

كما عاشت مكة خلال الفترة نفسها حالة من الازدهار العلمي، فنجد من أبرز قراءهم مجاهد بن جبير(ت103هـ/722م)، أحد أعلام التفسير والقراءات بمكة[4]، كما ظهر عدد من الصحابة في علم التفسير[5]، خاصة أنه توجد في القرآن الكريم آيات تبدو معانيها للناس عند تلاوتها، وهناك من الآيات لا تبدو معانيها إلا للنبي –صلى الله عليه وسلم–، أو الراسخون في العلم؛ فكان الصحابة على دراية بهذا العلم منذ عصر النبوة، ونفهم ذلك من خلال قصة معاذ بن جبل[6] الذي بعثه النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى اليمن، ثم قال له –صلى الله عليه وسلم–: بما تحكم؟ فقال معاذ بكتاب الله، فقال له النبي –صلى الله عليه وسلم– فإن لم تجد؟ فأجابه معاذ: بسنة رسول الله، ثم قال له النبي –صلى الله عليه وسلم– مرة أخرى فإن لم تجد؟ فأجابه: أجتهد برأيي، فضرب النبي – صلى الله عليه وسلم– في صدره وقال: الحمد لله الذي وفق رسولَ رسولهِ لما يرضي الله[7].

---

[1]الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص34.

[2]ابن سعد، المصدر السابق ، ج2، ص297.

[3]الذهبي، المصدر نفسه، ج1، ص ص 57، 58.

[4]المصدر نفسه، ج1، ص ص 66، 67.

[5]لمعرفة أكثر عن أصناف التفسير التي ظهرت في التاريخ الإسلامي. أنظر: محمد خضر حسين، **بلاغة القرآن**، ج2، تح محمد رضا حسني، دار النوادر، ط1، سورية ولبنان، 2010/1431، ص25–29.

[6] معاذ بن جبل: الصحابي الجليل وإمام العلماء أشاد النبي صلى الله عليه وسلم بعلمه وصدقه في عدة أحاديث، كما قال عنه ابن مسعود معاذ كان أمة قانتاً لله حنيفة، توفي سنة (18هـ/639م). انظر: الأصفهاني، المصدر السابق، ج1، ص229–244.

[7]ابن تيمية تقي الدين أحمد الحَراني(ت728هـ/1328م)، **الفتاوى**، ج13، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط3، المنصورة، 2005/1426، ص195.

هذا ماجعل الكثير من التابعين يتعاطون هذا العلم بعد وفاته عليه الصلاة والسلام من الصحابة أنفسهم، كمجاهد بن جبير(ت104هـ/723م)[1]، الذي قال:"عرضت المصحف على ابن عباس أوقفه عند كل آية منه وأسئلة عنها"[2]، ومنهم أيضا سعيد بن جبير(ت95هـ/714م)[3] وعطاء بن رباح(ت114هـ/732م)[4]، وغيرهم من كبار علماء التابعين الذين اهتموا بهذا العلم واجتهدوا في تحصيله[5].

وممن اشتهر بإلمامه وإتقانه لعلم القراءات من العلماء الحجازيين خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين نجد: عبد الله بن كثير(ت120هـ/738م)، يُعد شيخ قراء مكة حيث تصدر الإقراء بالحرم مدة طويلة، وكانت له مساهمة في تعليم هذا العلم بمكة، حيث قرأ عليه كبار قراء الحجاز وغيرهم من الوافدين، مثل أبو العلاء بن العلاء وشبل بن عباد، وإسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين وغيرهم من مشاهر القراء خلال القرن الثاني الهجري[6].

وخلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، اشتهر عدد من قراء المدينة نذكر منهم: عيسى بن وردان الحذَّاء المدني(ت160هـ/777م)، أخذه عن أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وشيبة بن ناصح ومن صاحبه شيخ قراء المدينة نافع بن أبي نعيم، وقد أسهم ابن وردان في تعليم القراءات بالمدينة[7]، ومن أشهر قرّاء المدينة أيضا خلال القرن الثاني الهجري نافع بن أبي نعيم(ت169هـ/786م) شيخ قراء المدينة، أصله من أصبهان، أخذ القراءة عن سبعين من التابعين فصار عالمًا في هذا المجال العلمي، قال عنه الإمام مالك "نافع إمام الناس في القراءة" بل اعتبر

---

[1] مجاهد بن جبير: من كبار التابعين في مكة، كان عالما بالفقه والحديث، وشيخ المقرئين وكبير المفسرين في الإسلام توفي سنة(104هـ/723م). انظر: الذهبي، **الأعلام**، ج4، ص449-457.

[2] ابن تيمية، المصدر السابق، ج13، ص177؛ الذهبي، المصدر نفسه، ج4، ص450.

[3] سعيد بن جبير الإمام الحافظ المفسر المقرئ، كان كثير الرواية عن ابن عباس وأخذ عنه القراءة، توفي مقتولا على يد الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (95هـ/714م) بعد خروجه عليه في ثورة القراء سنة (82هـ/701).انظر: المصدر نفسه، ج4، ص321-343؛ وأيضا الأصفهاني، المصدر السابق، ج4، ص272.

[4] عطاء بن أبي رباح: فقيه الحرم ومحدث مكة، ذكر انه كانت له حلقة للفتوى في المسجد الحرام. انظر: المصدر نفسه، ج3، ص310-325.

[5]ابن تيمية، المصدر نفسه، ج13، ص186؛ محمد خضر حسين، المرجع السابق، ج2، ص24.

[6] الذهبي، **معرفة القراء الكبار**، ج1، ص ص86، 87.

[7]السخاوي، المصدر السابق، ج3، ص388.

قراءته سنّة، وتصدر نافع الإقراء بالمدينة حيث قرأ عليه عدد معتبر من كبار القراء والعلماء مثل الإمام مالك وقالون وإسماعيل بن أبي أويس وغيرهم[1]، وبرز مقرئ آخر بالمدينة خلال القرن الثاني الهجري هو إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري(ت180هـ/796م) ذكر أنه برع في القراءة[2]، وفي نفس الفترة اشتهر قارئ آخر وهو عيسى بن مينا بن وردان المعروف بقالون(ت220هـ/835م) أخذ الإقراء عن نافع وهو الذي سمّاه قالون، وهي لفظة رومية تعني القراءة الجيدة الماهرة، حتى اشتهر وأصبح يُعرف بقارئ المدينة، حيث أسهم هذا الأخير في تنشيط وازدهار هذا العلم بالمدينة، من خلال تدريسه للقراءة فتعلم على يديه عدد غفير من الطلبة، تفوّق منهم الكثير وصاروا من كبار القراء خلال القرن الثالث للهجرة[3]، كما خلفه ابنه أحمد بن قالون(3هـ/9م) في الإقراء بالمدينة المنورة[4].

إن الازدهار الكبير لعلم القراءات بالمدينة جعلها تتصدر أقطاب علم القراءة في العالم الإسلامي، الأمر الذي جعلها الوجهة المفضلة للكثير من العلماء من مختلف الأقطار فهذا الأصمعي كان يأتي إلى المدينة من أجل تعلم هذا العلم من عالمها نافع المقرئ[5]، كما أن الإمام أحمد بن حنبل كان يوصي ابنه عبد الله أن يأخذ هذا العلم من علماء المدينة المنورة[6].

كما عرفت مكّة في نفس الفترة ازدهارا لعلم القراءات من خلال بروز أعلام في هذا المجال نذكر منهم إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين المخزومي(ت190هـ/806م) شيخ قراء الحرم؛ حيث تعلم عنه القراءة عدد من علماء مكة، منهم وهب بن واضح وعكرمة بن سليمان والإمام محمد بن إدريس الشافعي وغيرهم[7]، ونجد أيضا وهب بن واضح(ت190هـ/806م) الذي انتهت

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص ص107، 108.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص ص144، 145.

[3] المصدر نفسه، ج1،ص155.

[4] المصدر نفسه، ج1،ص224.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص110.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص108.

[7] المصدر نفسه، ج1،ص141.

إليه رئاسة الإقراء بمكة، أخذ عنه القراءة عدد كبير من قراء مكة الذين برزوا خلال القرن الثالث للهجرة[1].

وشهد القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ظهور عدد من القراء بمكة، مثل محمد بن عبد الرحمان المخزومي المعروف بقُنبل(ت291هـ/904م)، أخذ القراءة عن أشهر قراء المسجد الحرم عن البَزِّي وعن أبي الحسن القواس، وقد تبوأ قُنبل مكانة عالية وتصدر الإقراء في كل الحجاز، ما جعل له مساهمة كبيرة في تنشيط هذا العلم؛ حيث قرأ عليه عدد معتبر من العلماء والقراء، منهم أبو بكر بن مجاهد وأبو الحسن شنبوذ، ومحمد بن عيسى الجصاص وغيرهم ممن رحلوا إليه واشتهروا في هذا المجال في تلك الفترة[2]، ونجد أيضا من مشاهير قراء الحجاز خلال تلك الفترة إسحاق بن أحمد الخُزاعي(ت308هـ/921م) الإمام ومقرئ المسجد الحرام، وصف أنه كان إماما في القراءات؛ حيث تعلم عنه القراءة عدد من العلماء والقراء ومن مساهماته العلمية أيضا تصنيفه كتابا في القراءات جمع فيه اختلاف المكيين واتفاقهم[3].

كما أسهم العلماء الوافدين على الحجاز في إثراء وتنشيط هذا العلم، نجد أبرزهم المقرئ عبد الله بن يزيد الأهوازي(ت212هـ/827 أو213هـ/828م) من أهل البصرة رحل إلى الحجاز وجاور في مكة وأصبح شيخ الحرم؛ حيث مكث هناك مدة طويلة يقرئ الناس[4]، نجد كذلك أبو القاسم بن سلام البغدادي(ت224هـ/839م) الذي حج سنة(219هـ/834م) ومكث بعدها مجاورا في مكة حتى توفي بها، ولكونه كان عالما في اللغة وإماما في علم القراءات؛ فقد ساهم في تلقين هذا العلم وإقراء الناس بالمسجد الحرام[5].

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج1،ص 146.

[2] المصدر نفسه، ج1،ص 230.

[3] المصدر نفسه، ج1 ،ص ص227، 228.

[4] الذهبي، **الأعلام**، ج10، ص ص166، 167.

[5] الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج2، ص6.

وهذا جدول يظهر أشهر قراء الحجاز(مكة والمدينة) خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة

م	اسم العالم	موطنه	تاريخ وفاته	المصدر
1	عيسى بن وردان الحذاء	المدينة	160هـ/777م	السخاوي، التحفة اللطيفة، ج3، ص389. ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج1، ص543.
2	نافع بن أبي نعيم	المدينة	169هـ/786م	الذهبي، معرفة القراء، ج1، ص107.
3	إسماعيل بن جعفر بن كثير	المدينة	180هـ/797م	الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص144.
4	إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين	مكة	190هـ/806م	الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص141.
5	وهب بن واضح	مكة	190هـ/806م	الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص146.
6	عبد الله بن يزيد الأهوازي	مكة أصله من البصرة	213هـ/829م	الذهبي، الأعلام، ج10، ص166.
7	عيسى بن مينا بن وردان قالون	المدينة	220هـ/835م	ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص ص542، 543.
8	إسماعيل بن أبي أويس	المدينة	226هـ/841م أو 227هـ/842م	الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص391.

9	أحمد بن محمد البَزِّي	مكة	250هـ/865م	الذهبي، المصدر السابق، ج12، ص50.
10	محمد بن عبد الرحمان قُنبل	مكة	291هـ/904م	الذهبي، معرفة القراء، ج1، ص227. الذهبي، الأعلام، ج14، ص84.
11	محمد بن إسحاق بن وهب بن أعين	مكة	294هـ/907م	الفاسي، العقد الثمين، ج3،ص110. ابن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص89.
12	المفضّل بن محمد الجَندي	مكة أصله من نيسابور	308هـ/921م	الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص258.
13	إسحاق بن أحمد بن نافع	مكة	308هـ/921م	الفاسي، المصدر السابق، ج3، ص183. ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص142.

يمثل الجدول أعلاه صورة لأعلام القراء بالحجاز خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، كما يمكن أن نستخلص منه ومما سبق عن علم القراءات بالحجاز مايلي:

– ظهر في الحجاز خلال تلك الفترة الكثير من العلماء ممن اعتنوا بالقراءات، وبرز منهم عدد من الأعلام في هذا المجال سيما خلال القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي، والذي مثل العصر الذهبي لعلم القراءت بالحجاز.

– شكلت كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة بيئتين هامتين لعلم القراءات، وقد نالتا المكانة المرموقة والشهرة الواسعة في هذا المجال، بفضل قراءها الكبار، ليس في الحجاز فحسب بل في دار الإسلام أجمع.

- ازدهار علم التفسير بالحجاز خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة:

يعتبر علم التفسير من العلوم التي شهدت اهتماما من طرف العلماء الحجازيين، خاصة أنه يوجد ارتباط وثيق بين علم التفسير مع علم القراءات التي عرفت ازدهارا بالحجاز كما رأينا، يرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن الحجازيين تفوقوا في هذا المجال العلمي وازدهر عندهم، مقارنة بغيرهم من علماء الأمصار الأخرى، وأرجع سبب ذلك إلى أخذهم التفسير من أصحاب ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم أعلام المفسرين في الإسلام وكذا ظهور مفسرين كبار بالمدينة المنورة[1].

لقد برز في هذا المجال العلمي عدد من كبار المفسرين، ساهموا بشكل كبير في تنشيط الحياة العلمية في الحجاز خلال تلك الفترة، ومن أبرز هؤلاء نذكر: زيد بن أسلم العَدوي(ت136هـ/754م) الذي روى عنه كبار علماء الحجاز كالإمام مالك، وهشام بن سعد والسفيانين، وعبد العزيز الدراوردي وغيرهم من الأعلام، كما صنف كتابا في التفسير[2]، ومن مشاهير علماء التفسير خلال القرن الثاني الهجري نذكر عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج(ت150هـ/767م) الذي كان إماما في الفقه، اشتغل بالتفسير وبرع في هذا العلم من خلال تأليفه لكتب في هذا المجال العلمي، التي لاقت قبولا واشتهارا بين الناس، وممن روى تفسيره حجاج بن محمد المصيصي[3]، ومن المفسرين المشهورين عبد الله بن المبارك(ت181هـ/797م) الذي اشتغل هو الآخر بالتفسير وترك كتبا في هذا المجال العلمي[4]، ونجد أيضا ممن تخصصوا في التفسير عبد الرحمان بن زيد بن أسلم العُمري(ت182هـ/798م) حيث برز من خلال تصنيفه لكتاب في التفسير والناسخ والمنسوخ[5]، ومنهم أيضا سفيان بن عيينة(ت198هـ/814م) الذي عرف بعلمه الواسع واجتهاده الكبير، فكان التفسير من ضمن العلوم التي تفوق فيها، قال ابن مهدي:

---

[1] ابن تيمية، المصدر السابق، ج13، ص186.

[2] الداودي شمس الدين محمد(ت945هـ/1539م)، **طبقات المفسرين**، ج1، تح مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، دت، ص183.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص358.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص250.

[5] الذهبي، **الأعلام**، ج8، ص349.

"عند سفيان بن عيينة من المعرفة بالقرآن وتفسير الحديث مال لم يكن عند الثوري"[1]، ومنهم كذلك محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري(ت318هـ/930م) نزيل مكة، ذكر أنه كان إماما مجتهدا ومن المفسرين الكبار، صنف في علوم عديدة من بينها كتابا في التفسير في بضعة عشر مجلدا[2].

وهؤلاء أشهر المفسرين بالحجاز(مكة والمدينة) خلال القرنين(2-3هـ/8-9م):

م	اسم العالم	موطنه	تاريخ وفاته	المصدر
1	زيد بن أسلم العدوي	المدينة	136هـ/754م	الداودي، طبقات المفسرين، ج1، ص183.
2	عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج	مكة	150هـ/767م	الداودي، المصدر السابق، ج1، ص358. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج1، ص130.
3	عبد الله بن المبارك	مكة أصله من خراسان	181هـ/797م	الداودي، المصدر السابق، ج1، ص250.
4	عبد الرحمان بن أسلم العُمري	المدينة	182هـ/798م	الذهبي، الأعلام، ج8، ص 349.
5	سفيان بن عيينة	مكة أصله من الكوفة	198هـ/814م	الداودي، المصدر السابق، ج1، ص198.
6	محمد بن إبراهيم بن المنذر	مكة أصله من خراسان	318هـ/930م	السيوطي، طبقات المفسرين، ص91. الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص492

[1] الداودي، المصدر السابق، ج1، ص198.

[2] السيوطي، **طبقات المفسرين**، ص91.

يتبين من خلال الجدول الذي يضم قائمة اشهر مفسري الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة، أن الحجاز مثل بيئة مواتية لهذا العلم من خلال بروز مفسرين كبار، وشكلت مكة المعقل الرئيس للتفسير وحلت المدينة بعدها، كما شهد علم التفسير تطورا خلال القرن الثاني الهجري بظهور أعداد كبيرة من المفسرين من بينهم خمسة علماء كبار في هذا الحقل العلمي فيما سجل تراجعا ملحوظا خلال القرن الثالث الهجري، حيث قل عدد المشتغلين بالتفسير ولم يبرز غير عالم واحد فقط.

ت-تفوق علماء الحجاز في علمي الفقه والحديث:

-علم الفقه:

عرف الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، حركة فقهية نشطة تمثلت في وجود عدد معتبر من الفقهاء والمفتين بالمدينة ومكّة، حيث برز عدد من هؤلاء وأصبحوا من كبار فقهاء ذلك العصر، وقد تعدى نشاطهم العلمي الحجاز ليشمل مناطق مختلفة من البلاد الإسلامية.

لقد أشار المقدسي في سياق حديثه عن المذاهب المنتشرة بالجزيرة العربية، أن أهل مكة كانوا سنَّة على مذهب الإمام مالك بن أنس، مع انتشار للفرق العقدية في مناطق متفرقة من الحجاز كالمعتزلة[1]، هذا ماسوف يعطينا تصورا بأن الفقه المالكي هو الذي كان سائدا على الدراسات الفقهية سواءً في مكة، أو بالمدينة.

كما شهد الحجاز نشاطا ثريا، وازدهارا للفقه من خلال ظهور علماء من أهل الحجاز، ومن مختلف الأمصار الإسلامية الوافدين عليه ممن اشتهروا بالعلم والفقه، فساهموا بشكل كبير في تنشيط وازدهار علم الفقه بالحجاز، مما جعل الفقه المالكي ينتشر بسرعة ويتعدى إلى بعض الأقطار الإسلامية.

ومن الذين تألقوا في هذا المجال العلمي نذكر: ربيعة أبي عبد الرحمان المعروف بربيعة الرأي(ت136هـ/754م) من فقهاء المدينة المشهورين، وكبير المفتين بها في ذلك الوقت، روى عنه أشهر العلماء كالإمام الأوزاعي وسفيان الثوري والإمام مالك وسليمان بن بلال، وابن عيينة وشعبة

[1] المقدسي، المصدر السابق، ج1، ص108.

وغيرهم، قال عنه الخطيب أنه كان حافظا للفقه[1]، ونجد أيضا ابن أبي الزَّناد(ت174هـ/791م) فقيه مدني، روي أنه كان كثير العلم له كتاب الفقهاء السبعة[2].

ونجد أيضا الفقيه عبد العزيز بن سلمة بن دينار(ت180هـ أو 184هـ/796م أو 800م) يُعرف بابن أبي حازم من أشهر فقهاء المدينة في عصره، قال عنه الإمام أحمد بن حنبل: "لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه منه"[3].

ونذكر أيضا نزيل مكة مسلم بن خالد بن سعيد المعروف بالزنجي(ت180هـ/796م) أصله من الشام وسكن مكة[4]، أخذ العلم في بادئ أمره من كبارعلمائها حتى أصبح فقيه الحرم، عرف بالعلم قال عنه ابن حاتم: "إمامٌ في العلم والفقه"[5].

كذلك من فقهاء القرن الثاني الهجري المغيرة بن عبد الرحمان المخزومي(ت188هـ/804م) عُد المغيرة فقيه المدينة بعد الإمام مالك، بل أنه تبوأ مكانة علمية مرموقة من خلال جلوسه للفتوى في زمن حياة الإمام مالك، ومن مساهماته العلمية أنه جعل داره مجلسا لتعليم الناس الفقه، أخذ عنه العلم جلة من العلماء كابن مهدي ومصعب بن عبد الله وابن مريم وابن مصعب الزهري وغيرهم[6].

لكن يُعد الإمام مالك بن أنس(ولد سنة 93هـ/712م، وتوفي سنة 179هـ/796م)، أبرز فقهاء هذه المرحلة على الإطلاق، فقد كان تأثيره عميقا على الحركة العلمية والفقهية بالحجاز؛حيث امتد تأثيره إلى الأجيال اللاحقة في البلاد الإسلامية، لقد أسهبت المصادر باختلاف أنواعها الدينية وكتب التراجم وكتب التاريخ المختلفة في التعريف بهذا العالم الفقيه الحجازي مبينة مكانته وعلوه في الفقه والكثير من العلوم الأخرى.

---

[1]السخاوي، المصدر السابق، ج2، ص57.

[2]الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص ص67، 68.

[3]السخاوي، المصدر نفسه، ج3، ص ص25، 26.

[4]ابن سعد، المصدر السابق، ج8، ص61.

[5]الذهبي، المصدر نفسه، ج8، ص176-178.

[6]عياض، المصدر السابق، ج1، ص157-159.

ظهر نبوغ وتفوق الإمام مالك منذ صغره، فقد جلس يفتي ويلقي الدروس في المسجد النبوي وسنة لا يتعدى إحدى وعشرون سنة[1]، روي أنه لم يقدم على هذه المهمة إلا بعدما شهد له سبعون شيخا من أهل العلم أنه أهل لذلك[2]، فشهد له شيخه ابن هرمز(ت148هـ/766م)[3] بالعلم ووصفه بأنه أعلم الناس في وقته[4]، كان تفوّق الإمام مالك في علوم الشريعة واضحا، ويأتي في مقدمتها علم الفقه، قال عنه الإمام الشافعي:"لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز"[5]، بل أن عدد من العلماء الأعلام اعتبروه هو المعني بحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة" وقال بذلك سفيان بن عيينة وآخرون من علماء المالكية[6].

كما يُعتبر الإمام مالك ذروة ازدهار الدراسات الفقهية بالحجاز، من خلال الأوصاف التي نالها جراء ذلك النبوغ العلمي الكبير، بأنه إمام دار الهجرة، وأعلم علمائها على الإطلاق فلم يظهر عالم بالمدينة بقدر مالك من ناحية العلم والفقه من بعد التابعين، يقول الذهبي مؤكدا تفوق مالك على سائر علماء عصره: "ولم يكن بالمدينة عالمٌ من بعد التابعين يُشبه مالكا في العلم والفقه والجلالة والحفظ، فقد كان بها بعد الصحابة مثل سعيد بن المسيب والفقهاء السبعة، والقاسم وسالم وعكرمة، ونافع وطبقتهم ثم زيد بن أسلم، وابن شهاب وابن أبي الزناد، ويحي بن سعيد وصفوان بن سالم، وربيعة بن عبد الرحمان وطبقتهم، فلما تَفانَوا اشتهر ذِكرُ مالك بها، وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن الماجشون وسليمان بن بلال، وفليح بن سليمان بن بلال والدَّراوردي وأقرانهم؛ فكان مالكٌ هو المُقدَّم فيهم على الإطلاق والذي تُضربُ إليه آباط الإبل من الآفاق"[7]، كما فضله الإمام ابن

---

[1]الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص55.

[2]الأصفهاني، المصدر السابق، ج6، ص316.

[3]هو أبو بكر عبد الله بن يزيد يُعرف بابن هرمز، فقيه المدينة وأستاذ الإمام مالك الذي مكث عنده مدة طويلة يأخذ العلم، توفي سنة(145هـ/763م). أنظر: الذهبي، المصدر نفسه، ج6، ص ص379، 380.

[4]عياض، المصدر السابق، ج1، ص34.

[5]السخاوي، المصدر السابق، ج3، ص443.

[6]عياض، المصدر نفسه، ج1، ص32، 33؛ الذهبي، المصدر نفسه، ج8، ص56.

[7]المصدر نفسه، ج8، ص58.

حنبل على الإمام الأوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد وحماد والحكم في العلم، ووصفه بأنه كان إمامًا في الحديث والفقه[1].

وممن برعوا في مجال الفقه من أهل الحجاز، عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بابن الماجشون(ت 212هـ/827م أو214هـ/829م)، ينحدر من عائلة عرفت بالعلم فقد كان والده فقيها بارعا، وتفقه ابن الماجشون من والده، وعن جملة من كبارعلماء بلده كالإمام مالك وابن أبي حازم وابن دينار وغيرهم، هذا ماجعله يجمع علما كثيرا فصار فقيها بارزا ومفتي بلده، فأثنى عليه كبار العلماء، قال عنه الإمام سحنون: "هممت أن أرحل إليه وأعرض عليه هذه الكتب، فما أجاز منها أجزت، وما رد رددت"[2].

ونجد أيضا فقيه مكة محمد بن إدريس الشافعي(ت204هـ/820م) أخذ الفقه على أشهر رجالات عصره من سفيان ابن عيينة بمكة، ومن الدراوردي وعبد الله بن نافع الصائغ، ومن الإمام مالك بن أنس بالمدينة الذي لازمه حتى توفي سنة (ت179هـ/796م)[3]، كان الحميدي يقول: "هو سيد الفقهاء"[4].

كما برز عدد من الفقهاء خلال القرن الثالث الهجري، نذكر منهم: مطرِّف بن عبد الله ابن يسار(ت220هـ/835م) يُعرف بأبي مُصعب من أهل المدينة، رغم أنه كان ضعيف السمع[5]، إلا أن ذلك لم يقف عقبة في وجهه وأخذ يزاحم الطلبة والعلماء في مجلس مالك، حتى روي أنه صحبه مدةسبع عشرة سنة، وتفقه عليه وعن عبد العزيز بن الماجشون وابن أبي حازم، وابن أبي دينار وغيرهم من علماء المدينة الكبار، وأصبح أبو مصعب عالما كثير الفقه[6].

ومنهم أيضا أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزبيري(ت241هـ/856م أو242هـ/857م) تفقه عن الإمام مالك، ومن أصحابه بالمدينة كالمغيرة وابن دينار، يُعد ابن مصعب أحد فقهاء المدينة البارزين في تلك الفترة، ومن إسهاماته في هذا المجال تصنيفه كتاب يُعرف بالمختصر في قول

---

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص35.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص208.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص222.

[4] السخاوي، المصدر السابق، ج3، ص517.

[5] ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص616.

[6] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص ص206، 207.

مالك، روي أنه كان على درجة كبيرة من العلم حتى خرج عنه الشيخان البخاري، ومسلم في صحيحهما[1]، ومنهم كذلك الفقيه المالكي محمد بن أحمد الجَمحي(270هـ/884م) تفقه على يد أصحاب الإمام مالك فصار إمام في الفقه ومفتي المدينة[2].

كما كان للمجاورين والرحالة الذين يقصدون الحجاز، دورًا في إثراء وتنشيط الفقه هناك، مثل الفقيه محمد بن إبراهيم بن المنذرالنيسابوري(ت318هـ/930م) الذي نزل مكة وأخذ ينشر علمه بين الطلبة، وتبرز مكانته العلمية من خلال مصنفاته في الفقه نذكر منها، الإشراف في اختلاف العلماء وكتاب المبسوط، وكتاب الإجماع وغيرها[3]، كما جاور الإمام أحمد بن حنبل(ت241هـ/856م) بعد آدائه المناسك سنة(197هـ/813م) حيث مكث مدة سنتين في مكة فاستفاد من علمائها وأفاد هو أيضا، كونه كان من أئمة الفقه[4].

وهذه قائمة أشهر الفقهاء بالحجاز(مكة والمدينة) خلال القرنين(2-3هـ/8-10م)

الرقم	اسم العالم	موطنه	سنة وفاته	المصدر
1	ربيعة أبي عبد الرحمان (ربيعة الرأي)	المدينة	136هـ/754م	السخاوي، التحفة اللطيفة، ج2، ص57.
2	المغيرة بن عبد الرحمان	المدينة	180هـ/797م	الذهبي، الأعلام، ج8، ص166.
3	عبد الرحمان بن الفقيه أبي الزناد	المدينة	174هـ/791م	الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص167-170
4	الإمام مالك بن أنس	المدينة	179هـ/796م	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص34. السخاوي، المصدر السابق،

[1]عياض، المصدر السابق، ج1، ص ص296، 297.

[2]الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص118.

[3]المصدر نفسه، ج14، ص492.

[4]المصدر نفسه، ج11، ص184.

				ج3، ص443.
5	مسلم بن خالد بن سعيد (الزنجي)	مكة أصله من الشام	180هـ/796م	الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص 176.
6	عبد العزيز سلمة بن دينار (أبي حازم)	المدينة	180هـ/796م أو 184هـ/800م	السخاوي، المصدر السابق، ج3، ص25.
7	المغيرة بن عبد الرحمان	المدينة	188هـ/804م	عياض، المصدر السابق، ج1،ص157.
8	محمد بن إدريس الشافعي	مكة	204هـ/820م	السخاوي، المصدر السابق، ج3، ص517. الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص5.
9	عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون	المدينة	212هـ/827م أو 214هـ/829م	عياض، المصدر السابق، ج1، ص208.
10	عبد الله بن نافع الزبيري (ابن نافع الصغير)	المدينة	216هـ/831م	الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص374.
11	مطرف بن عبد الله بن يسار (أبي مصعب)	المدينة	220هـ/835م	ابن سعد، الطبقات، ج7، ص616.
12	عبد الله بن الزبير الحميدي	مكة	219هـ/834م أو 220هـ/835م	الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص616
13	أبو مصعب أحمد الزبيري	المدينة	241هـ/856م أو 242م/856م	عياض، المصدر السابق، ج1، ص296.
14	محمد بن أحمد بن يزيد الجُمحي	المدينة	270هـ/884م	الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص118.

15	محمد بن إبراهيم بن المنذر	مكة أصله من نيسابور	318هـ/930م	الفاسي، العقد الثمين، ج3، ص106. الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص490

يتبين من خلال هذه القائمة لفقهاء الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة وجود عدد معتبر من الفقهاء المبرزين في الحجاز، رغم أننا استغنينا عن ذكر اسماء كثير منهم نظرا لكثرتهم أو لاشتهارهم في علم آخر، هذا مايفسر لنا أن الحجاز مثل قطبا هاما لهذا المجال العلمي، وبعد استقصائنا للنشاط العلمي في الحجاز خلال فترة الدراسة تبين لنا أن الفقه مثل المرتبة الأولى من حيث الدراسة والاهتمام من طرف الحجازيين، وكانت المدينة المركز الرئيس للفقه في الحجاز بينما حلت مكة بعدها في هذا المجال، وأيضا عرف الفقه أوج ازدهاره في الحجاز خلال فترة القرنين الثاني والثالث للهجرة.

-علم الحديث:

يحتل الحديث أو السنة النبوية[1] المرتبة الثانية بعد كتاب الله -تعالى- في الأهمية، فمن دونه لا يمكن فهم القرآن الكريم على حقيقته، ولا يُعلم مُرادَ الله في الكثير من آياتِ الأحكام إلا بالرجوع إلى حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، الذي أنزل الله عليه الكتاب ليبين للناس ما نزِّل إليهم من ربهم[2].

كما أن الحديث أو السنة النبوية لم تدون كما دون القرآن الكريم، فقد ثبت نهي النبي -صلى الله عليه وسلم- على القيام بذلك خشية اختلاطها بالقرآن الكريم[3]، فكانت محفوظة في صدور

[1]السنة في اصطلاح الأصوليين هي ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أوعمل أو تقرير. انظر: مصطفى السباعي، **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، دار الوراق والمكتب الإسلامي، ط2، 2000، ص65.

[2]المرجع نفسه، ص411.

[3]طاهر الجزائري(ت1337هـ/1919م)، **توجيه النظر في أصول الأثر**، ج1، تح عبد القتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط1، بيروت، 1995/1416، ص45.

الصحابة –رضي الله عنهم–، فنقلوها بدورهم بكل أمانة إلى الجيل الذي خلفهم من التابعين مشافهةً وتلقيناً[1].

ليشهد القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي تطورا جديدا عندماعرف تدوين الحديث النبوي الشريف، وتعود الأسباب التي دفعتهم للقيام بذلك في تلك الفترة المتقدمة إلى بداية ظهور الخلافات السياسية لدى المسلمين منذ أواخر خلافة عثمان بن عفان، وفي خلافة علي[2]، ما جعل الخليفة عمر بن عبد العزيز يأمر بجمع الحديث من مختلف الأمصار الإسلامية، ويعد ابن شهاب الزهري المدني(ت124هـ/742م)[3] أول من دون الحديث بالحجاز، لذلك تُعد أصح الأحاديث ما اتصل إسنادها بابن شهاب الزهري[4].

ليتبوأ علم الحديث مكانة الصدارة إلى جانب الفقه في الدراسات والأنشطة العلمية بالحجاز؛ حيث لاقى اهتماما كبيرا من طرف الحجازيين، ويظهر ذلك من خلال الإقبال الكبير على هذا الميدان العلمي وأيضا من حجم الإنتاج العلمي المعتبر في مجال الحديث، بالإضافة إلى ظهور عدد معتبر من العلماء وبروز عدد منهم في الحديث[5]، وكانت غايتهم من دراسة هذا المجال هو حفظ السنة المطهرة من التزييف والوضع[6]، لقد صور لنا ابن شهاب الزهري(ت124هـ/742م) مدى انتشار الكذب والوضع في الحديث الشريف عندما قال: "تُخرج الحديث شبرًا، فيرجع ذراعاً"[7]

---

[1]مصطفى السباعي، المرجع السابق، ص122؛ للمزيد حول جهود الصحابة رضوان الله عليهم في حفظ السنة وكذا الطرق المتبعة في تدوين الحديث. انظر: المرجع نفسه، ص108 ومابعدها.

[2]للوقوف على الأسباب التي أدت إلى الوضع في الحديث الشريف. انظر: عمر سليمان الأشقر، **الوضع في الحديث النبوي**، دار النفائس، ط1، عمان الأردن، 2004/1424، ص66.

[3]محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري يُعد من تابعي أهل المدينة المنورة، عرف بكثرة مجالسته لسعيد بن المسيب حيث مكث سبع سنين يأخذ عنه العلم والحديث، فأصبح الزهري فقيها كثير الحديث، لم يُعرف أحد في زمانه أكثر جمعا للحديث منه توفي سنة (124هـ/742م). انظر: ابن سعد، **الطبقات الكبرى الجزء المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم**، ص157–186.

[4]طاهر الجزائري، المرجع السابق، ج1، ص48.

[5]لمعلومات أكثر حول ازدهار علم الحديث بالحجاز خلال القرنين الأول والثاني للهجرة. انظر: محمد المختار ولد أبّاه، **تاريخ علوم الحديث في المغرب والمشرق**، منشورات ايسيسكو، دط، الرباط، 2010/1431، ص35–76.

[6]عرف العلماء الوضع في الحديث النبوي بأنه الحديث المُختلق المصنوع. انظر: الأشقر، المرجع السابق، ص17.

[7]ابن سعد، المصدر نفسه، ص171.

خاصة أنه قد برز أعلام في الحديث تصدوا للوضاع والكذابين، وأسهموا بشكل كبير في تطوير وازدهار هذا العلم[1].

فمن جملة العلماء المحدثين الذين ظهروا بالحجاز خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة نجد:

الضّحاك بن عثمان(ت153هـ/770م) محدث مدني وأحد أصحاب الإمام مالك[2]، عُرف بعلمه وتثبته في الرواية، روى عنه الثوري وابن أبي فُديك وغيرهما، ذكر أنه كان كثير الحديث[3].

الإمام مالك بن أنس(ت179هـ/796م) تزعم مدرسة المدينة، فعلم الحديث يعد من العلوم التي برع فيها الإمام مالك، بل عُد وريث حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم–،اشتهر عنه أنهلا يروي إلا الحديث الصحيح، ولا يحدّث إلا عن ثقة من علماء المدينة[4]، لذلك قال عنه عبد الرحمان بن مهدي: "مابقي على وجه الأرض أحد آمن على حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من مالك بن أنس"[5]، وكان الشافعي يوصي أصحابه بقبول الحديث عن مالك والتمسك به[6].

عبد الله بن المبارك(ت181هـ/797م) من مشاهير أئمة عصره في الحديث، أصله من خراسان، يعد من العلماء الرحالة دخل الكثير من البلاد الإسلامية من أجل الحديث، الحجاز والشام ومصر والعراق، خراسان، كما أخذ العلم من التابعين الذين لقيهم أثناء مكوثه في الحج بمكة والمدينة[7]، قال عنه أبو موسى الفزاري: "ابن المبارك إمام المسلمين، إلى جانب كونه كان من الفقهاء الكبار، كان محدثًا أيضا"[8]، روى عنه كبار المحدثين كالثوري وأبو إسحاق الفزاري وابن

---

[1]ابن صلاح أبو عمر وعثمان الشهرزوري(643هـ/1246م)، **علوم الحديث**، تح نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، بيروت ودمشق، دط، دت، ص99.

[2]عياض، المصدر السابق، ج1، ص164.

[3]ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص ص 550، 551.

[4]السخاوي، المصدر السابق، ج3، ص443.

[5]الأصفهاني، المصدر السابق، ج6، ص318.

[6]ابن حزم عبد الرحمان بن أبي حاتم الرّازي(ت327هـ/939م)، **تقدمة الجرح والتعديل**، تح محمد بن علي البيضاني، دط، دت، ص85.

[7]الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص379.

[8]عياض، المصدر نفسه، ج1، ص169.

وهب وابن مهدي وأبو داود والكثير من مشاهير العلماء[1]، قال عنه الذهبي حديث ابن المبارك حجة وهو في الأسانيد والأصول[2].

سفيان بن عيينة(ت198هـ/814م) يُعد من أشهر محدثي مكّة في زمانه، أصله كوفي وسكن مكة، اشتهر بكثرة حجه ولقائه للكثير من علماء البلاد الإسلامية، ذُكر أنه كان محدثًا ثقة[3].

كما تظهر لنا كتب التراجم أسماء الكثير من المحدثين البارزين خلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، منهم عبد الرحمان بن مهدي العنبري(ت198هـ/814م) صحب الإمام مالك كثيرا وأخذ عنه العلم والحديث، وأبدى تفوقه في هذا المجال حتى صار عالما بالحديث، فقد روي أن الإمام الشافعي كان يصحبه مع الإمام أحمد ويقول لهما: "ماصح عندكما من الحديث فأعلماني لأتبعه لأنكما أعلم مني بالحديث"[4]، كما أخرج عنه البخاري ومسلم في صحيحهما[5]، ونذكر أيضًا مَعْن بن عيسى بن يحي بن دينار(ت198هـ/814م) يُعرف بالقزاز من أصحاب الإمام مالك الملازمين له كثيرًا[6]، وأكثر أصحابه روايةً عنه للحديث وأوثقهم، لذلك أخرج له البخاري ومسلم في صحيحهما[7]، ومنهم أيضا يعقوب بن محمد بن عيسى، أخذ العلم من كبار أصحاب مالك بالمدينة حتى صار حافظًا للحديث[8].

وخلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، ظهر بالحجاز عدد من المحدثين البارزين منهم عبد الله بن الزُّبير الحميدي(ت219هـ/834م) روي أنه كان ثقة كثير الحديث[9]، وأيضًا يحي بن يحي بن بكير الحنظلي(ت226هـ/841م) أصله من نيسابور نزل المدينة المنورة، وأخذ العلم من الإمام مالك بعد أن لازمه مدة وأصبح من أصحابه، كما سمع من الليث بن سعد ومن ابن

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص379.

[2] المصدر نفسه، ج8، ص380.

[3] ابن سعد، المصدر السابق، ج8، ص ص59، 60.

[4] عياض، المصدر السابق، ج1، ص233.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص233.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص212.

[7] ابن سعد، المصدر نفسه، ج7، ص615.

[8] المصدر نفسه، ج7، ص619.

[9] المصدر نفسه، ج8، ص63.

المبارك وغيرهما من علماء الحجاز، ويُعد يحي من المحدثين الثقات؛ فقد كان شديد التحري فيه حتى سمي بالشكاك لكثرة شكه في الروايات، الأمر الذي جعل رواياته مقبولة لدى غالبية العلماء وقد روى عنه أشهر الأئمة كإسحاق بن راهويه والذهبي، وأخرجا له الإمامين البخاري ومسلم الكثير من الأحاديث في صحيحهما[1]، نذكر كذلك أبو مصعب الزهري(ت242هـ/857م) من رواة موطأ الإمام مالك، أخذ منه العلم ومن علماء الحجاز، فصار من أشهر المحدثين وأوثقهم، كما أخرج عنه البخاري ومسلم في صحيحهما، وأخرج له كذلك أبو داود وابن ماجة والترمذي والنسائي، وبَقي بن مخلد وغيرهم من أئمة الحديث[2]، ومن علماء الحديث خلال تلك الفترة إبراهيم بن المنذر(ت236هـ/851م) الذي كان يحدث بالمدينة فاشتهر بالعلم وبتوثيقه للحديث، وروى عنه البخاري وابن ماجة، وأخرج له أحاديث كل من الترمذي، وابن ماجة وبقي بن مخلد[3].

كما أسهم المجاورون، والعلماء الذين قدموا إلى مكة للحج من مختلف الحواضر الإسلامية في إثراء وتنشيط علم الحديث بالحجاز، نجد أبرزهم شُعيب بن حرب المدائني(ت196هـ/812م) أصله من خرسان، كان من أئمة العلم في بغداد، روي أنه كان من أعلام علماء الحديث الذين يشد إليهم الرحال ببلدهم، رحل إلى مكة وجاور إلى أن توفي بها[4]، ومنهم أيضًا مُؤمل بن إسماعيل (ت206هـ/822م) من علماء الحديث بالبصرة، قدم مكة ومكث فيها مجاورا يعلّم الحديث إلى أن توفي بها[5]، وأيضا عبد الله بن يزيد الأهوازي البصري(ت213هـ/829م) كان هو الآخر من مشاهير علماء الحديث ببلده، روى عنه أعلام المحدثين كالإمام البخاري والإمام أحمد وغيرهما ذكر أنه جلس يعلم الحديث بمكة خمسًا ثلاثون سنة حتى توفي بها[6].

كما كان الكثير من مشاهير العلماء يترددون على الحجاز خاصة إلى مكة من أجل الحج كما هو الحال مع عبد الرحمان بن مهدي البصري(ت198هـ/814م) الذي يعد من أصحاب مالك المتفوقين ومن أشد تلامذته ملازمة له، فقد أشاد كل من ابن المديني والإمام أحمد بن حنبل

---

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص ص238، 239.

[2] الذهبي، المصدر السابق، ج11، ص ص436، 437.

[3] المصدر نفسه، ج10، ص689.

[4] المصدر نفسه، ج9، ص188

[5] المصدر نفسه، ج10، ص ص110، 111.

[6] المصدر نفسه، ج10، ص167.

والشافعي بإمامته في الحديث؛ فكان يحج إلى مكة في كل سنة ويجلس يعلم الطلبة الحديث خلال تواجده في الحج ما جعله يشارك في تنشيط هذا العلم بالحجاز[1]، وكذلك من العلماء المحدثين الذين أثروا البقاء في مكة محمد بن يحي المدني(ت243هـ/858م) أخذ العلم من علماء مكة حتى أصبح من العلماء المبرزين في هذا المجال، وروى عنه الإمام مسلم والترمذي وابن ماجة، وبقي بن مخلد والكثير من أعلام الحديث[2]، نجد أيضا محدث قزوين وعالمها محمد بن مسعود القزويني(ت306هـ/919م) كانت له رحلة علمية إلى المدينة، لقي خلالها علمائها كمصعب الزهري وغيره من أعلام المدينة، ذكر أن القزويني جلس يمارس التعليم هناك، حيث أخذ يكتب عنه العلم عدد كبير من الطلبة والمهتمين بالحديث[3]، إضافة إلى تردد أئمة الحديث والحفاظ مثل محمد بن عيسى التَّرمذي(ت279هـ/919م) صاحب الجامع وأحمد بن شعيب النسائي(ت303هـ/915م)، قدموا طلبا للعلم وجمعا للحديث[4] فنشطت بذلك الدراسات الحديثية وازدهرت بفضل جهود أولئك العلماء.

وهذه قائمة أشهر محدثي الحجاز(مكة والمدينة) خلال القرنين(2-3هـ/8-9م)

الرقم	اسم العالم	موطنه	سنة الوفاة	المصدر
01	الضحاك بن عثمان	المدينة	153هـ/770م	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص164.
02	زهير بن محمد	مكة (خرساني الأصل)	162هـ/779م	الذهبي، الأعلام، ج8، ص ص187-189.
03	محمد بن موسى القطري	المدينة	170هـ/787م	الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص164.
04	ابن أبي الزناد	المدينة	174هـ/791م	الذهبي، المصدر السابق،

[1]الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص192-197.

[2]الفاسي، المصدر السابق، ج2،ص287.

[3]الذهبي، المصدر نفسه، ج14، ص225.

[4]المصدر نفسه، ج13، ص271؛ وأيضا نفسه، ج14، ص127.

				ج8، ص ص168،167.
05	الإمام مالك بن أنس	المدينة	179هـ/796م	السخاوي، التحفة اللطيفة، ج3، ص443.
06	مسلم بن خالد الزَّنجي	مكة	180هـ/797م	الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص176.
07	عبد الله بن المبارك	مكة (خرساني الأصل)	181هـ/797م	الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص379.
08	عبد الله بن عبد العزيز العُمري	المدينة	184هـ/800م	الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص ص373-378.
09	يوسف بن أبي سلمة الماجشون	المدينة	185هـ/801م	الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص ص372،371.
10	عبد العزيز بن محمد الدّراوردي	المدينة (خرساني الأصل)	187هـ/803م	الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص ص366-369.
11	حاتم بن إسماعيل	المدينة (كوفي الأصل)	187هـ/803م	الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص518.
12	عبد الله بن رجاء	مكة (بصري الأصل)	190هـ/806م	الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص379.
13	حَكَّام بن سلم	مكة (جاور بمكة)	190هـ/806م	الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص ص188
14	شعيب بن حرب	مكة (خرساني الأصل)	196هـ/812م	الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص88.
15	حاتم بن إسماعيل	المدينة (كوفي الأصل)	187هـ/803م	الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص518.
16	سفيان بن عيينة	مكة	198هـ/797م	ابن سعد، الطبقات،ج8،

		(كوفي الأصل)		ص ص60،59.
17	عبد الرحمان بن مهدي	المدينة (بصري الأصل)	198هـ/814م	عياض، المصدر السابق، ج1، ص233.
18	مَعن بن عيسى بن دينار(القزاز)	المدينة	198هـ/814م	عياض، المصدر السابق، ج1، ص212.
19	محمد بن إسماعيل ابن أبي فُديك	المدينة	200هـ/816م	الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص486.
20	يعقوب بن محمد بن عيسى	المدينة	لم نقف عند تاريخ وفاته	ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص619.
21	عبد المجيد بن أبي رواد	مكة	206هـ/822م	الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص ص434-436.
22	عبد الرحمان بن عبد الملك الحِزامي	المدينة	لم نقف عند تاريخ وفاته	الذهبي، المصدر السابق، ج11، ص128.
23	مكي بن إبراهيم بن بشير	مكة (خرساني الأصل)	214هـ/830م	الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص551.
24	عبد الله بن مسلمة القَعنبي	المدينة	221هـ/836م	الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص257-264.
25	يحي بن يحي بن بكير الحنظلي	المدينة (نيسابوري الأصل)	226هـ/841م	عياض، المصدر السابق، ج1، ص ص239،238.
26	أحمد بن شبيب	مكة (بصري الأصل)	229هـ/844م	الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص653.
27	إبراهيم بن المنذر الحِزامي	المدينة	236هـ/851م	الذهبي، المصدر السابق، ج11، ص158.
28	يعقوب بن حميد بن كاسب	مكة	241هـ/856م	الذهبي، المصدر السابق،

		(أصله مدني)		ج10، ص689
29	أبو مصعب الزهري	المدينة	242هـ/857م	الذهبي، المصدر السابق، ج11، ص437.
30	الحسن بن علي الريحاني	مكة (حلواني الأصل)	242هـ/857م	الذهبي، المصدر السابق، ج11، ص398.
31	محمد بن إسماعيل الصائغ	مكة (بغدادي الأصل)	276هـ/890م	الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص ص162،161.
32	علي بن عبد العزيز ابن المارزُبان	مكة (نزيل مكة)	286هـ/899م	الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص348.
33	محمد بن علي بن زيد الصَّائغ	مكة	287هـ/900م	الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص428.
34	عبد الله بن علي بن الجارود	مكة (نيسابوري الأصل)	307هـ/920م	الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص239.
35	محمد بن المنكدر	المدينة	314هـ/927م	الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج3، ص ص12،11.

يتبين من خلال الجدول الذي يضم مجموعة من أشهر محدثي بلاد الحجاز، سواء كانوا من أهلها أو من علماء الحديث المجاورين، أن الحديث أخذ الصدارة من بين العلوم الدينية التي اشتغل عليها الحجازيون وازدهرت خلال القرنين 2و3 الهجريين، ومن بين القائمة التي تظم 35محدّثا نجد أن القرن الثاني للهجرة مثّل أوج ازدهار علم الحديث بالحجاز، بينما بدأ هذا النشاط العلمي يخفت نوعا ما في القرن الثالث للهجرة، كما استأثرت المدينة بهذا النشاط من خلال بروز 19 محدثًا مشهورًا، هذا ما يؤكد أن المدينة كانت بمثابة مركزا رئيسيا للحديث في الحجاز، بينما احتلت مكة المكانة الثانوية في هذا المجال بتعداد 16 محدثا.

ج- العلوم الإنسانية والأدبية:

-علم اللغة والنحو:

عرفت علوم اللغة اهتماما من طرف الحجازيين، كونها تدخل ضمن العلوم الأساسية التي تتطلبها الكثير من الدراسات الدينية التي عرفت ازدهارا ورواجا في الحجاز خلال القرن الثاني والثالث الهجريين، مثل علم القراءات والتفسير وغيرهما من العلوم الشرعية الأخرى.

لقد أشار المقدسي أن العربية هي لغة الجزيرة العربية[1]، وأن أهل مكة يمتازون بفصاحتهم[2] كما أوضح أن لغة هذيل أحد أشهر قبائل الحجاز، هي أصح اللغات بالجزيرة العربية كلها[3] بالإضافة إلى خلو الحجاز من تأثيرات الأعاجم مما حافظ على أصالة لغتهم العربية، الأمر الذي ساعد علمائها على إتقان اللغة والنحو بشكل جيد، الشيء الذي جعل الدراسات العلمية بالحجاز لا تركز على هذا المجال، كونه مثل حقلا علميا متحكم فيه[4]، هذا مايفسر قدوم علي بن حمزة الكساني الكوفي(ت189هـ/805م)[5] إلى الحجاز، تحديدا إلى باديتها كي يتعلم العربية، والنحو من قبائلها[6].

ومع ذلك فقد وجد عدد من العلماء اهتموا باللغة والنحو، مثل الإمام محمد بن إدريس الشافعي(ت204هـ/820م) الذي برع في اللغة والشعر[7]، بل ذكر أنه كان من العلماء الذين يأخذ عنهم هذا العلم[8]، ونجد أيضا عيسى بن مينا قالون المقرئ(ت220هـ/835م) قارئ المدينة، برع هو

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، ج1، ص108.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص61.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص108

[4] نلمس ذلك من خلال تعلم اللغة واتقانها لدى العلماء الحجازيين قبل خوضهم في علوم الشريعة خاصة الفقه وغيره، وهو ماحصل مع الإمام الشافعي(ت204هـ/820م) فقد أبدى عناية بالأدب والشعر واللغة لفترة حتى اتقنها لينتقل بعدها إلى دراسة الفقه وغيره من علوم الشريعة. انظر: ابن كثير، **مناقب الإمام الشافعي**، تح خليل إبراهيم ملا خاطر، مكتبة الإمام الشافعي، ط1، الرياض، 1992/1412، ص203.

[5] علي بن حمزة الكساني الكوفي المقرئ أحد كبار علماء اللغة والنحو في عصره، وامهر قراء الكوفة، كان مأدب ابن الخليفة الرشيد الأمين، توفي سنة(189هـ/805م). أنظر: الذهبي، **معرفة القراء الكبار**، ج1، ص120-128.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص125.

[7] الداوودي، المصدر السابق، ج2، ص102.

[8] ابن كثير، المصدر نفسه، ص206.

الآخر في اللغة حيث كان نحويا جيدا وذكر أنه جلس يعلم قراءة القرآن الكريم، والعربية لفترة طويلة[1]، وكذلك الإمام مالك كان هو الآخر على دراية كبيرة بالنحو واللغة[2].

كما أسهم القادمون إلى مكة والمجاورين بها، في إثراء وتنشيط اللغة والنحو كما هو الحال مع أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي(ت224هـ/839م) تلميذ الأصمعي، يعد من أشهر العلماء النحويين بالبصرة، صنف كتبا كثيرة في اللغة والنحو، من أجل مصنفاته كتاب الغريب، ويبدو أن مصنفاته كانت ذات قيمة لغوية عالية مما جعل الكثير من المهتمين بهذا المجال يشدون إليها الرحال لشهرتها الواسعة، مكث أبو عبيد البصري مجاورا في مكة حتى توفي بها، ولا شك أن عالما في اللغة كثير التصنيف، قد اتخذ مجلسا للتعليم طيلة فترة بقائه في مكة، ما أسهم في تنشيط الحركة العلمية بالحجاز في مجال اللغة والنحو[3].

لقد أخذ النشاط اللغوي يبرز في الحجاز من خلال المجالس العلمية التي كانت تعقد في حواضره العلمية مكة والمدينة فيما يرويه أحد اللغويين: "اجتمعنا بمكة أدباء كل أفق فتذاكرنا أمر العلماء فجعل أهل كل بلد يرفعون علمائهم ويصفونهم ويقدمونهم حتى جرى ذكر الخليل[4]، فلم يبق أحد إلا قال الخليل أذكى العرب وهو مفتاح العلوم ومصرفها"[5]، وشكل الحوار العلمي فضاءً لازدهار الكثير من العلوم سيما في مجال اللغة والنحو، كالذي جرى بين عالمين في اللغة والنحو يحي بن المبارك اليزيدي[6]، مع يس الزيات بالمسجد الحرام، حول بضع مسائل من كلام العرب[1]

---

[1]الذهبي، **الأعلام**، ج10، ص326؛ الذهبي، **معرفة القراء الكبار**، ج1، ص ص155، 156.

[2]التنوخي أبي المحاسن المفضل(ت442هـ)، **تاريخ العلماء النحويين**، تح عبد الفتاح محمد الحلو، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، دط، السعودية، 1981/1401، ص230.

[3]الذهبي، **الاعلام**، ج10، ص ص492، 493.

[4]هو الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري من كبار علماء اللغة والنحو والشعر وعلوم العرب أبدع في اللغة من خلال وضعه لعلم العروض، أشهر مؤلفاته كتاب العين، عُرف بكثرة رحلاته إلى الحجاز توفي سنة(170هـ/786م). انظر: اللغوي أبو الطيب عبد الواحد الحلبي(ت351هـ/963م)، **مراتب النحويين**، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، دط، القاهرة، دت، ص27-38.

[5]المصدر نفسه، ص29.

[6]هو يحيى بن المبارك لغوي وأديب بصري من تلامذة أبي عمرو بن العلاء أحد أعلام اللغة والنحو بالعراق، عمل مؤدباً وأشتغل في تأديب المأمون توفي بخرسان سنة(202هـ/818م). انظر: الزبيدي، المصدر السابق، ص61-66.

وأيضا حدوث مناظرات علمية في مكة بين كبار اللغويين في ذلك العصر؛ فقد تناظر الأصمعي[2] وعلي بن المبارك الأحمر[3] في الشعر والعديد من المسائل في غريب اللغة[4].

كما نلمس بعض المساهمات في مجال اللغة والنحو من خلال مؤلفات العلماء في هذا المجال، فقد ألف علي الجمل المدني كتابا في النحو، وألف كذلك ابن قسطنطين في مكة كتابا في النحو[5]، وتميزت الكثير من مؤلفات الحجازيين بلغتها الفصيحة، ذات قيمة نحوية عالية، كما هو الحال مع ابن جريج(ت150هـ/767م) الذي حدثت له قصة طريفة مع ابن المبارك ذكرها هذا الأخير: "كان رجلٌ يقرأُ للنَّاس كتب ابن جُريج عليهِ، فغاب يوما فلم يجدوا أحدا يقرأُ عليهِ، وهابه النَّاس أن يقرؤُا عليه لإعرابه للكلام، وفصاحته فأخذتُ الكتاب أنا فقرأتهُ عليهِ، فجعل ابن جُريج يتعجَّبُ ويقولُ: خُرسانيٌّ يقرأ هذه القراءة"[6]، ونشاهد نفس القيمة اللغوية والأسلوب العلمي القوي مع تفسير بن عيينة[7]، ونجد الأمر نفسه في مصنفات الإمام الشافعي؛ فهي مليئة بالظواهر اللغوية المتنوعة[8]، كما هو الحال في مصنفه الشهير الأمّ الذي فيه من الفصاحة وقوة معانيه وأسلوبه الفريد[9].

---

[1]الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمان بن اسحاق(ت340هـ/952م)، **مجالس العلماء**، تح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، دط، القاهرة، دت، ص228.

[2]هو عبد الملك بن قريب الباهلي من أشهر علماء اللغة البصريين، كان عالماً بالنسب والشعر، كما عني أيضا بالحديث ثقة فيه، توفي بمرو خرسان سنة(216هـ/831م). انظر: الزبيدي، المصدر السابق، ص167-174.

[3]من علماء النحو المشهرين اشتغل مؤدبا للأمير الأمين، عرف بتقدمه في النحو واتساع حفظه، توفي في طريق مكة سنة(194هـ/810م).انظر: القفطي جمال الدين(ت624هـ/1227م)، **أنباه الرواة على أنباه النحاة**، ج2، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية، ط1، القاهرة وبيروت، 1986/1406، ص313-317.

[4]المصدر نفسه، ج2،ص ص314ن 315.

[5]اللغوي، المصدر السابق ص ص100، 101.

[6]المروذي أبي بكر أحمد بن الحجاج(ت275هـ/889م)، **أخبار الشيوخ وأخلاقهم**، تح عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، ط1، لبنان، 2005/1426، ص167.

[7]أحمد صالح محايري، **تفسير بن عيينة**، المكتب الإسلامي، ط1، الرياض، 1983/1403، ص367 ومابعدها.

[8]لقد أشار إليها الباحث في دراسته. انظر: نافع سليمان جاسم الزوبعي، **لغة الإمام الشافعي في مؤلفاته**، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، 2005/1426.

[9] ابن كثير، المصدر السابق، ص43.

-علم التاريخ:

عرف أهل الحجاز اهتماما بعلم التاريخ منذ فترات متقدمة من تاريخه الإسلامي، حيث يعود نشأته إلى دوافع دينية؛ لذلك تمحورت الدراسات التاريخية بالحجاز حول سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وأخبار غزواته، وشكلت مكة والمدينة مركز نشاط الحركة التاريخية في تلك الفترة[1].

ومن أهم المؤرخين الحجازيين نجد الواقدي(ت207هـ/823م) الذي كان عالما بالمغازي والسير وتاريخ الإسلام، تنسب إليه العديد من المؤلفات التاريخية في المغازي والطبقات وسيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- والكثير من الأحداث التي حصلت في عصره[2]، كذلك من أبرز الإخباريين خلال القرن الثالث الهجري الزبير بن بكار المدني(ت256هـ/870م) ولي قضاء مكة روي أنه كان عالما بالأنساب عارفا بأخبار المتقدمين[3]، وللزبير بن بكار مؤلفات عديدة في التاريخ نذكر منها: كتاب أخبار العرب وأيامها، كتاب نسب قريش وأخبارها، كتاب نوادر أخبار النسب، كتاب مزاح النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكتاب أخبار الأوس والخزرج وغيرها[4]، ويعتبر علماء الحجاز من أوائل المسلمين المصنفين في التاريخ المحلي؛ حيث ألف كل من الأزرقي(ت250هـ/864م) والفاكهي(ت280هـ/894م) كتبا عن مكة[5]، ونجد أيضا اهتمام الحجازيين بالتاريخ يمتد إلى كبار فقهائه مثل الإمام الشافعي(ت204هـ/820م) ذكر أنه كان عالما بالسير والمغازي وأيام العرب وأحداثها وأحداث الإسلام[6].

وعلى العموم فقد ظل التاريخ حتى نهاية القرن الثاني مقتصرا على أخبار العرب في العصر الجاهلي، وعن السيرة النبوية المطهرة وأحداث صدر الإسلام، ليشهد علم التاريخ لدى المسلمين

---

[1] السيد عبد العزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، دار النهضة العربية، دط، بيروت، دت، ص53.

[2] البغدادي أبو بكر أحمد الخطيب(ت463هـ/1071م)، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، ج3، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 2004/1425، ص ص213، 214.

[3] المصدر نفسه، ج8، ص468.

[4] ابن نديم محمد بن إسحاق(ت385هـ/996م)، **الفهرست**، دار المعرفة، ط1، بيروت، 1978، ص ص160،161.

[5] فرانز روزنثال، **علم التاريخ عند المسلمين**، تر صالح أحمد العلى، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1983/1403، ص224.

[6] ابن كثير، المصدر السابق، ص204.

تطورا كبيرا منذ القرن الثالث الهجري من حيث اتساع الأحداث التي تم تناولها، وكذا دقة وتحري المؤرخين[1].

3- مدرسة أهل الحجاز ومكانتها العلمية:

شهد القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد حدثًاعلميًا هامًا تمثل في بداية التدوين لدى المسلمين، واكبه بروز عدد من العلماء المجتهدين كونوا لهم أتباع وموردين، وبذلك بدأت تتشكل اللبنات الأولى للاتجاهات الفقهية، وسرعان ما تحولت إلى مدارس فقهية أمتاز كل منها بمنهج الخاص ميزها عن غيرها من المدارس الفقهية الأخرى[2]، وهو ماحصل في الحجاز؛ حيث ظهرت مدرسة أهل المدينة التي عُرفت فيما بعد بمدرسة أهل الحديث، أحد أعرق وأبرز المدارس الفقهية الكبرى التي ظهرت في التاريخ الإسلامية[3].

لقد شكلت المدينة المنورة مركزًا هامًا لمدرسة الحجاز العلمية، إذ ترجع جذورها إلى عصر النبوة، فكان النبي –صلى الله عليه وسلم– أول من أرسى قواعدها كونه كان سراج المعرفة ومعلم الصحابة في زمانه، ليكتمل بناؤها في عصر الصحابة والتابعين، ومن ثم جاء أتباع التابعين الذين نهجوا نهج الصحابة وعلماء التابعين بالمدينة[4]، على رأسهم كبار فقهاء القرن الثاني الهجري الذين عُرفوا بالفقهاء السبعة[5]، فإليهم يعود الفضل في وضع الأسس الأولى للمنهج الفقهي[1]، ثم خلفهم جلة من العلماء المبرزين نذكر منهم:

---

[1]أحمد عبد الباقي، **معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، 1991، ص370.

[2]ظهرت ثلاثة مدارس فقهية كبيرة خلال القرن الثاني الهجري وهي: مدرسة أهل الحديث بالمدينة، ومدرسة أهل الرأي بالكوفة، ومدرسة أهل الظاهر، انظر: عمر سليمان الأشقر، **مدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية**، دار النفائس، ط2، الأردن، 198/1418، ص11.

[3]المرجع نفسه، ص11.

[4]موسى إسماعيل، **عمل أهل المدينة وأثره في الفقه الإسلامي**، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2004/1424، ص113.

[5]هم مجموعة من الفقهاء التابعين: سعيد بن المسيب(ت94هـ/713م)، عروة بن الزبير(ت94هـ/713م)، محمد بن القاسم بن أبي بكر(ت112هـ/731م)، أبو بكر بن عبد الرحمان(ت94هـ/713م)، عبد الله بن مسعود(ت102هـ/721م)، خارجة بن زيد بن ثابت(ت100هـ/719م)، سليمان بن يسار(ت107هـ/726م) أنظر:

ابن أبي ذئب(ت158هـ/775م) وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون(ت160هـ/777م) وأبو بكر بن أبي سيرة القرشي(ت172هـ/789م)[2]، ويُعد الإمام مالك بن أنس أبرز علماء مدرسة المدينة وأشهرهم على الإطلاق؛ فقد كان أحفظ أهل زمانه في الفقه، وفي معرفة مواطن الاتفاق والاختلاف وأثبتهم في النقل، والذي نسب إليه المذهب يقول عنه ابن تيمية: "مالك أقوم الناس بمذهب أهل المدينة رواية ورأيا، فإنه لم يكن في عصره ولا بعده أقوم بذلك منه كان له من المكانة عند أهل الإسلام الخاص منهم والعام مالا يخفى على من له بالعلم أدنى إلمام"[3]، لذلك نجد تأثيره في مجال الفقه والحديث عميقا، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون عندما قال: "وأما أهل الحجاز فكان إمامهم مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة –رحمة الله عليه–، واختص بزيادة مُدرك آخر للأحكام غير المَدارِك المُعتبرة عند غيره، وهو عملُ أهلِ المدينة لأنه رَأى أنهم فيما يَتفقون عليه من فعلٍ أو تركٍ مُتابِعُون لمن قبلهُم ضَرورةً لدِينهم واقتِدائِهم، وهذا إلى الجبل المُباشرين لفعل النبي – صلى الله عليه وسلم– الآخذين ذَلك عنه، وصَارَ ذلك عنده من أصُولِ الأدلة الشّرعيَّة ..."[4]، ولأن الإمام مالك –رحمه الله– كان من العلماء المعمرين فقد أخذ عنه العلم عدد لايحصى من الناس؛ حيث جعلهم الحافظ أبو بكر الخطيب نحو ألف وسبعمائة ممن رووا العلم عن الإمام مالك[5]، وصنف كتابه الموطأ[6] الذي يعد أقدم كتاب يصلنا كاملا، جمع فيه المنهج الذي تلقاه عن أسلافه من علماء التابعين، ومن قبلهم صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–[7]؛ فكان مؤلفا قيما حيث اعترف بذلك تلميذه الإمام الشافعي عندما قال أنه لا يوجد كتاب بعد القرآن الكريم أكثر صوابا من الموطأ[8]، وهو ما أكده الإمام البخاري فقال: "أصح الأسانيد مالك عن نافع بن عمر"[1].

الشيرازي أبو إسحاق الشافعي(ت476هـ/1084م)، **طبقات الفقهاء**، تح إحسان عباس، دار الرائد العربي، دط، دت، ص59.

[1]الأشقر، المرجع السابق، ص13.

[2]الشيرازي، المصدر نفسه، ص ص67، 68.

[3]ابن تيمية، المصدر السابق، ج20، ص176.

[4]ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص565.

[5]ابن تيمية، المصدر نفسه، ج20، ص176.

[6]كما تتجلى مكانة الموطأ من خلال ماقيل فيه من الشعر. انظر: **الملحق رقم(01)** ماقيل في الموطأ من الشعر.

[7] الأشقر، المرجع نفسه، ص13.

[8]الاصفهاني، المصدر السابق، ج6، ص329؛ ابن تيمية، المصدر نفسه، ج20، ص178.

وأما منبع الفقه المدني[2] فيرجع فقهائها إلى كتاب الله –تعالى– أولًا، وإلى السنّة النبوية المطهرة ثانيًا، ومن ثمّ يرجعون إلى أقضية وفتاوى الخلفاء الراشدين، وفقهاء الصحابة ثم التابعين بعدهم فكانت بحق أصيلة وصافية المنبع[3].

ولو بحثنا عن الأسباب التي جعلت من مدرسة الحجاز أو بالأحرى مدرسة المدينة بشكل أدق محط أنظار المسلمين من مختلف الأمصار، فقد أشار إلى تلك النقطة شيخ الإسلام ابن تيمية في سياق حديثه عن المكانة العلمية للمدينة المنورة فقال: "فأما الأعصار الثلاثة المفضلة فلم يكن فيها بالمدينة المنورة بدعة ظاهرة ألبتّة، ولا خرج منها بدعة في أصول الدين ألبتّة كما خرج من سائر الأمصار"[4]، والشيء الآخر يكمن في منهج علمائها وتحريهم الحثيث في الرواية حتى اشتهروا بالتحري والصدق، وهذا ما نشاهده عند الإمام مالك نتاج تفوق مدرسة المدينة؛ حيث كان إذا شك في صحة الحديث طرحه كله[5]، وأشاد ابن تيمية بمنهج مدرسة أهل الحجاز، فذكر أن أهل المدينة لم يُعرف منهم أحد بالكذب غير أنه قد وجد تفاوت بين علمائها، فكان منها من يضبطون وجماعة لايضبطون في رواياتهم[6]، وتصور لنا رواية عن واقع مدرسة الحجاز من خلال قصة طريفة حدثت لوكيع وهوفي مجلسه يُحدث طلبته، كان إذا حدَّث عن الإمام مالك يقول: حدثني الثبت، فكان طلبته يحسبون أن الثبت اسم رجل، فسألوه عنه في أحد الأيام فذكر أن الثبت يقصد

---

[1]ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج10، تح مأمون محمد الصاغرجي، دار ابن كثير، دط، سوريا، 2015/1436، ص440.

[2]لمعلومات أكثر عن قواعد الفقه المدني، انظر: أحمد محمد نور سيف، **عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وأراء الأصوليين**، دار البحوث للدراسات الإسلامية، ط2، الإمارات، 2000/1421، ص77–80.

[3]موسى إسماعيل، المرجع السابق، ص118.

[4]ابن تيمية، المصدر السابق، ج20، ص166.

[5]الراعي شمس الدين محمد(ت853هـ/1450م)، **انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك**، تح محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1981، ص176.

[6]ابن تيمية، **تفضيل مذهب الإمام مالك وأهل المدينة وصحَّة أصوله**، تح أحمد مصطفى الطهطاوي، دار الفضيلة، دط، القاهرة، 2006/1415، ص56.

به الإمام مالك[1]، فأصبحت الحجاز وبالخصوص مدرسة المدينة تمتاز بالتحري والدراية والصدق في العلم رواية ورأيا، كما أن حديثهم هو أصدق الأحاديث[2].

-اعتداد علماء الأمة وثقتهم بمدرسة الحجاز:

عاش الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة نشاطا علميا مزدهرا، ما جعل منه منارة علمية متميزة للدراسات الشرعية، فرحل إليه الطلبة والعلماء من مختلف الأقطار الإسلامية، وسوف نكتفي بعرض جُملة من شهادات وأقوال أشهر علماء الأمة التي تظهر مدى التفوق الكبير الذي وصل إليه أعلام مدرسة أهل الحجاز في علوم الشريعة، مع الوقوف على المكانة العلمية المرموقة التي اكتسبها الحجاز خلال تلك الفترة من تاريخه.

لقد أشاد واعترف بتفوق مدرسة أهل الحجاز العلمية أئمة الفقه وأصحاب المذاهب السنية؛ حيث سجلت لنا الكتب الدينية تلك المناظرة التي وقعت للإمام الشافعي مع محمد بن الحسن، حول أكثرهم علما ودراية، هل الإمام مالك أم الإمام أبي حنيفة، فسأله من أعلم بالقرآن والسنة، وبأقاويل الصحابة المتقدمين، فكان في كل مرة يجيبه الشافعي بكل صدق وإنصاف، أنه الإمام مالك[3].

وذكر أن الإمام أحمد بن حنبل كان يفضل رأي مالك عن سائر الأئمة كسيفان الثوري أعلم أهل العراق في زمانه[4]، كما تبرز مكانة الدراسات العلمية في الحجاز من خلال تفضيله أخذ العلوم الشرعية من علم القراءات وعلم الحديث، وكذا الفقه عن علماء المدينة[5].

وروي أن أئمة الفقه في تلك الفترة إذا أتو المدينة ووجدوا فقهاء المدينة يرون خلاف ما يذهبون إليه تراجعوا عن فتواهم، وهو ماحصل مع القاضي أبو يوسف(ت182هـ/799م)[6] ومحمد بن الحسن الشيباني(ت189هـ/800م)[7] لما حضرا إلى المدينة ولقيا الإمام مالك تراجعا عن الكثير

---

[1]الراعي، المصدر السابق، ص190.

[2]ابن تيمية، **مجموعة الفتاوى**، ج20، ص174.

[3]الشيرازي، المصدر السابق، ص68؛ ابن تيمية، **تفضيل مذهب الإمام مالك**، ص72؛ الرَّازي، المصدر السابق، ص81 ومابعدها.

[4]ابن تيمية، المصدر نفسه، ص72.

[5]الراعي، المصدر نفسه، ص144.

[6]انظر ترجمته: الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص535.

[7]انظر ترجمته: المصدر نفسه، ج9، ص134.

من المسائل التي كانا يقولان بها، حتى قيل أنهما خالفا الإمام أبا حنيفة في أكثر من ثلث مذهبه[1] بل ذكر أن القاضي أبو يوسف قال لو أن صاحب المذهب الإمام أبا حنيفة سمع تلك المسائل عن مالك لراجع هو الآخر أقواله[2].

كان خلفاء بني أمية يرجحون علماء الحجاز على علماء الشام، وهو ماحصل من بعدهم في زمن العباسيين، مثل المنصور والمهدي والرشيد وهم سادات خلفاء بني العباس فكانوا يرجحون علماء الحجاز وقولهم على علماء أهل العراق[3]، فهذا الخليفة هارون الرشيد(ت193هـ/809م) كان يكن للإمام مالك الكثير من الاحترام، ويكرمه كلما سمحت له الفرصة، وأيضا يستشيره ويستأثر برأيه عن سائر علماء دولته[4]، وقد بين ابن تيمية أن عصر الإمام مالك وأصحابه العلماء من أهل الحجاز مثلوا العصر الذهبي لمدرسة أهل الحجاز، كما فضلوا على سائر علماء الأمصار[5].

وذهب ابن تيمية أيضا أن سائر أمصار المسلمين كانوا منقادين لعلم أهل المدينة، لا يعدُّون أنفسهم أكفاءهم في العلم كأهل الشام ومصر، مثل الإمام الأوزاعي ومن قبله ومن بعده من الشاميين، مثل الليث بن سعد ومن قبله ومن بعده من المصريين، وأن تعظيمهم لعلم أهل المدينة وأتباعهم لمذاهبهم القديمة ظاهر بين، كذلك علماء أهل البصرة، كأيوب وحماد بن زيد وعبد الرحمان بن مهدي وأمثالهم[6].

وتبرز مكانة هذه المدرسة إلى احتياج أهل الأمصار إلى علم أهل الحجاز؛ فقد رحل إليه الكثير من العلماء والمهتمين بالعلم الشرعي،ما لم يعرفه بلد آخر، فكانوا يقدمون إلى المدينة لطلب الحديث ولم يحدث العكس، فليس هناك تابعي أو تابع له لم يُعرف الأخذ من علماء الحجاز ويعرض مالديه من الروايات عليهم، فكانوا المرجع في هذا الشأن[7].

---

[1] الراعي، المصدر السابق، ص170.

[2] ابن تيمية، المصدر السابق، ص34.

[3] ابن تيمية، **مجموعة الفتاوى**، ج20، ص176.

[4] الأصفهاني، المصدر السابق، ج6، ص332.

[5] المصدر نفسه، ج20، ص176.

[6] ابن تيمية، **تفضيل مذهب الإمام مالك**، ص ص53، 54.

[7] نور سيف، المرجع السابق، ص74.

كما ذهب علماء الحجاز إلى الأمصار قضاة ومعلمين، كهاشم بن عروة(ت146هـ/764م) ومحمد بن إسحاق(ت150هـ/767م) ويحي بن سعيد الأنصاري(ت144هـ/762م)، وحنظلة بن أبي سفيان الجمحي(ت151هـ/768م) وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون(ت164هـ/781م) وغيرهم[1].

وبذلك يكون الحجاز قد شكل قاعدة أساسية للعلوم الشرعية، قصده الطلبة والعلماء من مختلف الأمصار الإسلامية من أجل الأخذ من علمائه وكبار مشايخه ورواية العلم عنهم، فكانت مدرسة عربية إسلامية أصيلة مزدهرة للغاية لتلقي علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه وأصوله، ولم ينافسها في ذلك قطر من أقطار المشرق الإسلامي خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة، كما يبدو لنا أن دورها اقتصر على مجال العلوم الشرعية، فلم نلمس لها مساهمة كبيرة في بقية المجالات العلمية المتصلة بتلك العلوم، بالمقارنة بما عاشته تلك العلوم من ازدهار ورواج في بقية الحواضر العلمية بالمشرق الإسلامي خلال نفس الفترة.

ثالثا: المراكز والمؤسسات العلمية في الحجاز خلال القرنين(2-3هـ/8-9م)

يعدُ الحجاز إقليمًا واسعًا، ضم مدن وحواضر تميزت بمقوماتها الاقتصاديّة والعمرانية والسياسية والدينية، ما جعلها تستقطب الكثير من التجار والعلماء وطلبة العلم، الذين كانوا يقدمون إليه من مختلف البلاد الإسلامية، فنشطت الرحلة إلى الحجاز من أجل الحج، والتزود من العلوم ولقاء أعلام علمائه المشهورين سيما في حاضرتيه العلميتين، مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهما من أشرف بقاع الأرض قاطبةً، اللتين شع منهما الإسلام ومهد علوم الحضارة الإسلامية.

وسوف نقتصر حديثنا عن مكة والمدينة لتركز الدراسات العلمية بهما، ومن ثم التطرق لأهم المؤسسات العلمية التي اهتمت بالتعليم وعملت على تنشيط الحياة العلمية والثقافية بالحجاز.

1- المراكز العلمية

نقصد بالمراكز العلمية المدن الكبرى التي عرفت نشاطا علميا مزدهرا، فبرزت في الحجاز مدينة مكة المكرمة والمدينة المنورة، التي شكلتا مركزين علميين استقطبا الرحالة من مختلف بقاع العالم الإسلامي في تلك الفترة.

[1] ابن تيمية، المصدر السابق، ص43.

أ- مكة المكرمة:

ظلت مكة المكرمة محطّ أنظار جميع المسلمين ومنتهى آمالهم، فهذه المدينة المقدسة شرفها الإسلام وزاد من قدرها، حيث ذكرت في القرآن الكريم في ثمانية مواضع بأسماء مختلفة: مكة وبكة وأم القرى، والقرية والبلد والبلد الأمين، والبلدة ومعاد[1]، يقول عنها الإمام النووي:"لا يعلم بلد أكثر اسما من مكة، والمدينة لكونهما أفضل بقاع الأرض"[2]وكما كانت أحب البلاد إلى قلب نبينا –صلى الله عليه وسلم–، فقد روي عنه أنه قال لما خرج منها:«واللهِ إنَّكِ لَخيرُ أرْضِ اللهِ، وأحَبُّ أرْضِ اللهِ إلى اللّهِ، ولوْلَا أنِّي أُخرِجْتُ مِنْكِ ما خَرجْتُ»[3].

ويقول صاحب إثارة الترغيب عبارات بليغة في فضل مكة المشرفة زادها الله شرفا في قصيدة لرجل يفتخر بالحرمين الشريفين :

أَرْضٌ بَهَا الـبَيْتُ الْمُحَرَّم قَبْلَـــةً لِلْعَالَمِيْنَ لَهُ الْمَسَاجِـدُ تَعْـــــدِلُ

حَرَمٌ حَرَامٌ أَرْضُـــهَا وَصُيُودهـــا وَالصَّيْدُ فِي كُلِ البِـلاد مُحَـلَّلُ

وَبِهَا الْمَشَاعِرُ وَالْمَنَاسِكُ كُلِّـهَـا وَإِلَى فَضِيْلَتِهَا الْبَرِيَّـةُ تَرْحـــلُ

وَبِهَا اَلْمَقَامُ وَحَوْضُ زَمْزَمُ مترعـا وَالحِجْرُ وَالرُّكْن اَلْذِي لا يَرْحَـــلُ

وَاَلْمَسْجِدُ اَلْعَالِي المُمَجَّدُ وَالصَّفَـا وَاَلْمَشْعَرَانِ لِمَنْ يَطُوفُ ويَرْمُـــلُ

وَبِمَكَّةَ اَلْحَسَنَاتُ يَضْعُفُ أَجْرُهَـا وَبِهَا المُسيءُ عَنِ اَلْخَطِيْئَةِ يُغْسَلُ

يُجْزَي المُسيءُ عَنِ اَلْخَطِيئَةِ مِثْلُهَا وَتُضَعَّفُ اَلْحَسَنَـاتُ مِنْهُ وَتُقْبَـــلُ

مَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُفَاخِرَ يَـا فَتَـى أَرْضا بِـــهَا وُلِـدَ اَلْنَّبِيُّ اَلْمُرْسَـلُ

بِالشِّعَبِ دُونَ اَلْرَّدْم مَسْقطَ رأسِـهِ وَبِـهِ نَشَا صَـلَّى عَلَيْهِ المُرْسِـــلُ

وَبِهَا أَقَامَ وَجَـاهُ وَحْيُ السَّمَـــا وَسَرَى بِهِ الْمَـلِكُ الرَّفِيْعُ اَلْمَنْـزِلُ

---

[1]الفاسي، المصدر السابق، ج1،ص204.

[2]ابن ظهيرة، المصدر السابق، ص98.

[3]الفاسي، المصدر نفسه، ج1، ص212.

وَنُبُوّة الْرَّحْمَـن فِيْهَا أُنْزِلَـــــتْ وَالـــدِّيْنُ فِيْـهَا قَبْلَ دِيْنـــكَ أَوَّلُ[1]

بالإضافة تلك المكانة المرموقة التي حضيت بها مكة عند المسلمين؛ فقد تضافرت مجموعة من المقومات جعلتها تحظى بمكانة هامة بين حواضر الإسلام المختلفة، المكانة الدينية والمكانة الاقتصادية والمكانة العلمية؛ ففي المجال العلمي شكلت مكة خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة مركز استقطاب للعلماء، والطلبة على حدّ سواء من مختلف بقاع العالم الإسلامي، بفضل مازخرت به من علماء أفذاذ منذ القرن الأول الهجري[2]، سواءً كانوا من علمائها المحليين، أو من المجاورين والوافدين عليها من الحجاز ومن مختلف الأقطار الإسلامية الأخرى في شتى مجالات العلوم والآداب، يقول السخاوي في هذا الصدد: "ومكة كان العلم بها يسيرًا في زمن الصحابة، ثم كثر في أواخر عصر الصحابة، وكذلك في عهد التابعين"[3]، الأمر الذي جعل منها بلدا موصولًا يفدُ إليه الطلبة والعلماء والتجار ومهوى أفئدة المؤمنين من كل حدب وصوب مِصداقًا لقوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[4].

ب-المدينة النبوية:

هي مدينة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وعاصمة الخلافة الإسلامية الأولى[5]، ومستقر الصحابة[6]التي كانت تُعرف قبل الإسلام بيثرب، تُعد ثاني مدينة في الحِجاز من حيث الأهمية بعد مكة المكرمة، وللمدينة تسعة وعشرون اسما، تُعرف بالمدينة وبطيبة وبطابة، وبالمسكينة وبالعذراء

---

[1] الخوارزمي محمد أبو إسحاق(ت827هـ/1424م)، **إثارة الترغيب والتشويق إلى تاريخ المساجد الثلاثة والبيت العتيق**، تح سيد كروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2000/1420، ص32.

[2] ابن حبان، المصدر السابق، ص38-46؛ وأيضا نفسه، ص106-112.

[3] السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، تح فرانز روزنثال، تر صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1986/1407، ص292.

[4] **سورة البقرة**، الأية 126.

[5] استمرت المدينة المنورة كعاصمة للخلافة الإسلامية حتى عهد علي بن أبي طالب عندما اقدم على نقل مقر إدارة حكمه إلى الكوفة سنة(36هـ/657م). انظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج3، ص215.

[6] ذكر ابن حبان في كتابه 151صحابيا كانوا متواجدين بالمدينة .انظر: ابن حبان، المصدر نفسه، ص9-37.

وبالجابرة وبالمحبة والمحبوبة وبالمحبورة، وبيثرب وغيرها[1]، وقد اكتسبت المدينة المنورة منزلة وشرفا كبيرين من خلال ورود أحاديث حولها، روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم–: (إنَّ الإيمانَ لَيَأْرِزُ إلى المدينةِ كَمَا تَأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحرِها)[2]، كما اختار الإمام مالك المقام بها ولم يغادرها إلا عند حجه إلى مكة تعظيما لمن سكنها[3].

لقد عاشت المدينة ماكانت عليه جارتها مكة، من ازدهار علمي وثقافي منذ القرن الأول الهجري[4]، وتبوأت صدارة الحركة الفكرية في تاريخ الإسلام خاصة في القرون الأولى من تاريخها، ولمسنا ذلك الرقي والازدهار الذي عاشته المدينة الذي استمر طيلة القرنين الثاني والثالث الهجريين من خلال بروز عدد كبير من علمائها المتفوقين في مختلف مجالات العلوم الشرعية وهو ما ذكره السخاوي: "فأما المدينة فكان العلم وافرًا بها في زمن الصحابة من القرآن والسنن وفي زمن التابعين"[5]كالفقهاء السبعة[6]، فشكلت المدينة المنورة أحد أكبر بواعث الرحلات إلى الحجاز خلال فترة الدراسة، لأسباب دينية تمثلت في زيارة قبر النبي –صلى الله عليه وسلم– وأخرى دنيوية متمثلة في طلب العلم ولقاء العلماء.

2– المؤسسات التعلمية في الحجاز:

عرف الحجاز عددا من المؤسسات التعلمية، من مساجد وكتاتيب ومنازل العلماء ومكتبات خاصة التي عُنيت جميعها بالتعليم، فشكلت أهم الفضاءات التعليمية لدى الحجازيين في تلك الفترة، وسوف نحاول إبراز نشاط تلك الفضاءات التعليمية وإسهاماتها في الحركة العلمية كونها كانت تمثل الحلقة الرئيسية للتعليم في الحجاز.

---

[1] الحموي، المصدر السابق، ج5، ص83.

[2] البخاري، المصدر السابق، كتاب فضائل المدينة، حديث رقم 1876، ص452.

[3] عياض، المصدر السابق، ج1، ص18.

[4] ابن حبان، المصدر السابق، ص9–37؛ وأيضا نفسه، ص 89–105.

[5] السخاوي، المصدر السابق، ص ص291، 292.

[6] الفقهاء السبعة: سعيد بن المسيب(ت93هـ/712م)، الذهبي، الأعلام، ج4، ص217–246؛ عبد الله بن عبد الله بن عتبة(ت98هـ/717م)، نفسه، ج4، ص475–479؛ عروة بن الزبير(ت94هـ/713م)، نفسه،ج4، ص421–437؛ ابو بكر بن عبد الرحمان الحارث(ت95هـ/714م)، نفسه،ج4، ص416–419؛ خارجة بن زيد(ت99هـ/717م)، نفسه، ج4، ص437–441؛ القاسم بن محمد(ت105هـ/724م)، نفسه، ج5، ص53–60. سليمان بن يسار(ت107هـ/726م)، نفسه، ج4، ص 444–448.

ومن أبرز أمكنة التعليم في القرون الإسلامية الأولى بالحجاز نجد:

أ- **المؤسسات التعليمية العامة:**

-**الكُتَّاب:**

الكُتَّاب جمعه كتاتيب وهو موضع تعليم الصبيان[1]، يعتبر مؤسسة تعليمية عريقة، وجدت في المجتمع الإسلامي بغرض تعليم وتربية أبناء الأمة تربية إسلامية سليمة، لقد وجد هذا النوع من التعليم قبل ظهور الإسلام غير أنه كان قليل الانتشار[2]، ودليل ذلك ما ذكره البلاذري عن وجود عدد قليل من الأوس والخزرج يعرفون الكتابة، وأيضا وجود بعض النساء في قريش كن يعرفن الكتابة والقراءة[3]، كما ذكر أن عدد من القرشيين كانوا يعرفون الكتابة عند ظهور الإسلام بلغ عددهم سبعة عشر رجلًا[4].

وفي العهد الإسلامي زاد الاهتمام بالكتاتيب لتعرف انتشارا خاصة أن الإسلام يحثُ على العلم والتعلُّم، منها ماصح عن نبينا -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِيجَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُالْأَنْبِيَاءَ وَإِنَّالْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)[5]، يذكر أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- هو أول من جمع الأولاد في الكتَّاب، وأمر عامر بن عبد الله الخُزاعي أن يلازمهم لتعليمهم وخصص له راتبًا من بيت مال المسلمين، وكان من هؤلاء المتعلمين البليد والفهيم؛ فوضع عمر لهم خطة لتلقينهم بشكل جيدا بأن أمر مُعلِّمهم أن يكتب للبليد في اللوح، ويلقن الفهيم منهم من دون

---

[1] الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص128؛ الرازي، المصدر السابق، ص ص234، 235.

[2]أحمد شلبي، **تاريخ التربية الإسلامية**، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، د ط، 1954، بيروت، ص20.

[3] البلاذري، المصدر السابق، ص ص537، 540.

[4]المصدر نفسه، ص536؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص15.

[5]أبو داود سليمان بن الأشعث(ت275هـ/889م)، **سنن أبي داود**، تح صالح ال الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، ط1، الرياض السعودية، 1999/1420،ص523؛ ابن عبد البر بن عمر يوسف(ت463هـ/1071م)،**جامع بيان العلم وفضله**، ج1، تح أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، 1994/1414، ص160.

كتابة[1]، كما توجد إشارات أخرى توحي لنا أن التعليم كان قائما في الكتاتيب بالحجاز، ماذكره الشافعي عن بداية تعلمه بمكة عندما قال:"كنت وأنا في المكتب أسمع المعلِّم يُلقن الصبي فأحفظ مايقول، ولم يكن عند أبي مايعطي وكنت يتيمًا، فكان المعلم يرضى مني بأن أخلفه إذا قام وقد كانوا يكتبون"[2].

وأما عن شكل ومكان تواجد الكُتَّاب، فمنذ العهد الإسلامي الأول كان عبارة عن بناية بسيطة الشكل منفصلة عن المسجد تجاوره في أغلب الأحيان، ليتم في وقت لاحق فصلها عن المسجد حتى لا يشوش الصبيان على المصلين[3]، وكان الصبية يستمرون في التعلم بالكتّاب إلى وقت البلوغ وربما يتعداه قليلًا[4].

ومثل القرآن الكريم العنصر الأساسي فيما يتلقاه الصبيان في بداية تعلُمهم داخل الكتاب[5] وهذا ما أشار إليه ابن خلدون عندما قال: "إعلم أنَّ تعليم الولدان للقرآن شعار الدين، أخذ به أهل الملَّة، ودربوا عليه في جميع أمصارهم، ما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث"[6]، ويظهر لنا أيضا في وصية الصحابي عتبة بن أبي سفيان لمعلِّم أولاده حين سلمهم إليه، فأمره أن يُعلمهم كتاب الله والحديث الشريف، وبعض من الشعر وشيئا من كلام الحكماء، إضافة إلى الأخلاق[7].

وبذلك شكلت الكتاتيب المرحلة الأولية لتعليم الصبيان، ومنهجها التعليمي قائم على تعليمهم القرآن الكريم والكتابة وبعض العلوم الأخرى؛ حيث ساهمت في تنشيط وازدهار التعليم بالحجاز في تلك الفترة.

---

[1] عبد اللطيف بن دهيش، **الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولها**، مطبعة النهضة الحديثة، ط1، مكة المكرمة، 1986/1406، ص15.

[2] عياض، المصدر السابق، ج1، ص222.

[3] محمد بن سحنون(ت256هـ/870م)، **آداب المعلمين**، تح محمد لعروسي المطوي، الشركة التونسية لفنون الرسم، دط، تونس، 1972/1392، ص ص55، 56.

[4] أحمد فؤاد الأهواني، **التربية في الإسلام**، دار المعارف، دط، مصر، دت، ص65.

[5] أحمد شلبي، المرجع السابق، ص33؛ خوليان ريبيرا، المرجع السابق، ص35.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص740.

[7] محمد بن سحنون، المصدر نفسه، ص48.

-المسجد:

كان للمسجد منذ تاريخ نشأته دورا مهما في التربية والتعليم، كونه مثل المكان الأساسي لهذا النشاط في الإسلام، ومنه نمت وازدهرت مختلف العلوم الشرعية كعلوم القرآن من قراءات وتفسير وعلم الحديث والفقه وأصوله[1]، وشكل مقصد للعلماء والطلبة على حد سواء.

ونلمس ذلك الدور الهام للمسجد على الحياة العلمية بالحجاز من خلال تركيزنا بشكل كامل حول أشهر وأبرز المساجد في الإسلام، وهما المسجد النبوي الشريف والمسجد الحرام، اللذان كان لهما الدور المتميز في تنشيط وازدهار الحياة العلمية بالحجاز، وفي العالم الإسلامي ككل.

تُعد الحضارة الإسلامية أعظم وأسمى حضارة عرفتها البشرية عبر مرّ التاريخ، سيما أنها تمتاز بطابعها الخاص كونها حضارة إنسانية قد أعطت للإنسان كل المكانة والاهتمام من خلال تحقيق أكبر قدر من النفع له، وكذا السمو به إلى أعلى المستويات روحيًا، وفكريًا، ومعيشيًا[2]، وفي ذلك الإطار ظهرت مؤسسة المسجد كأول مؤسسة دينية اهتمت بالعلم وأكبرها في تلك الفترة، إن أهم دور للمسجد يتمثل في كونه مكانا للعبادة تؤدى فيه الصلوات المفروضة، قال -تعالى-: ﴿فِيبُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[3] وإلى جانب تأدية الصلاة كانت تقام فيه أعمال مختلفة تمس حياة المسلمين، وتخطب فيه الدروس، كما مثل دار للقضاء ومعهدا للدراسة والتعليم[4].

لقد بادرت الطلائع الأولى للمسلمين المهاجرين إلى يثرب، بناء مسجد قُباء، وهو أول مسجد في الإسلام، الذي ورد ذكره في القرآن الكريم قال -تعالى-: ﴿... لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[5]، ليصبح

---

[1] محمد توفيق بلبع، **المسجد والحياة في المدينة الإسلامية**، مجلة عالم الفكر، المجلد11، العدد1، الكويت، أفريل ماي جوان1970، ص186.

[2] سيد عبد الفتاح عاشور، **العلم بين المسجد والمدرسة**، مجلة المؤرخ المصري، جامعة القاهرة، العدد7، جويلية1991، ص11.

[3] **سورة النور**، الآية36.

[4] أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، القاهرة، 2012، ص417.

[5] **سورة التوبة**، الآية 108.

مسجد قباء فضاءً علميًا رحبًا، تُعقد فيه الحلقات العلمية[1]، وحدث ذلك قبل هجرة النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى يثرب، ويؤسس مسجده الشريف بالمربد في المدينة المنورة، ومن وظائف المسجد النبوي أيضا أنه كان مقرًا لحكم الدولة الإسلامية الناشئة وفيه تعقد مختلف نشاطات الدولة، خاصة أنه كان المؤسسة الوحيدة في تلك الفترة[2]، فلم يقتصر دور المسجد النبوي في إقامة الصلاة وتعبد الله بل تعداه إلى مجالات عديدة، فأصبح مؤسسة تربوية للتعليم والتوجيه، من خلال عقد حلقات العلم ودار للقضاء، ومُورس فيه أيضا نشاط البيع والشراء، ومركزا للرعاية الاجتماعية، مثل إيواء الفقراء وغيرها من الأعمال التي تمس حياة المسلمين[3].

فمنذ بداية الإسلام اتخذ المسجد مكانا للتعليم، وقد سجلت لنا كتب السيرة النشاطات الأولى التي شهدها المسجد؛ فقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم–، يجلس في مسجده بالمدينة يبصر الناس بأمور دينهم ودنياهم، ويفسر لهم مانزل من القرآن ويجيب عن أسئلتهم وغير ذلك من الأمور التي تتعلق بأحكام الدين، فيروي الإمام البخاري عن أبي واقد الليثي قال: (بينما رسول الله –صلى الله عليه وسلم– جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفرٍ، فأقبل اثنان إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وذهب واحد قال فوقفا على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فأما أحدهما فرأى فُرجةً في الحَلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم ..)[4]، وبعد توسع الفتوحات الإسلامية شرقًا وغربًا كثرت المساجد بانتشار الإسلام، وصار الفاتحون يبنون مسجدا في كل رقعة يفتحونها، وفي كل مدينة أو قرية يؤسسونها[5]، وبظهور هذه المؤسسة العلمية الأصيلة انتشر معها الصحابة، وتابعيهم إلى تلك المساجد حتى يشرحوا للناس أمور دينهم، وينشروا علمهم على شكل حلقات علمية يلتف الطلبة والمهتمون بالعلم داخل المسجد، وهكذا بدأت تظهر وتزدهر العلوم الدينية شيئا فشيئا بين جنبات المساجد[6].

---

[1]أحمد شلبي، المرجع السابق، ص86.

[2]عاشور، المرجع السابق، ص11.

[3]زياد علي الجرجاوي، **التربية في صدر الإسلام خلال المرحلتين المكية والمدنية**، ط4، 2008، ص168.

[4]البخاري، المصدر السابق، كتاب العلم، حديث رقم 66، ص29.

[5] شلبي، المرجع نفسه، ص 86.

[6]عاشور، المرجع نفسه، ص14.

وأما الشيء المميز في المسجد أنه شكّل مؤسسة علمية تختصّ بتعليم الكبار[1] من طلاب المرحلة العليا[2]، الذين يهدفون التعمق أكثر في ذلك العلم أو العلوم التي يطلبونها.

ويعد المسجد الحرام أهم مساجد الأرض قاطبة، لما اختصه الله من الفضل والمكانة والشرف[3].

وقد أدى المسجد الحرام أدوار كبيرة خدمة للعلم والمتعلمين على حد سواء، فكان مأوى للعلماء الذين يقدمون إليه من مختلف الأمصار الإسلامية، فكثيرا ماكانوا يستفيدون من ذلك التجمع المبارك في موسم الحج تحقيقا لرغباتهم العلمية، يقول السخاوي في هذا الصدد: "وكان للحرم المكي بإفراد مبتدئين للعلم والتصنيف من أهله والواردين عليه في سائر المذاهب وغالب الفنون؛ بحيث كان حقيقا بالارتحال إليه، لذلك فضلًا عن كونه محلًا للنسك"[4]، خاصة أن أولئك الوافدين على المسجد الحرام كانوا يمتازون بتفننهم في علوم عديدة، هذا ماجعل منه فضاءً رحبا يتم فيه تدريس مختلف العلوم في شكل حلقات علمية ومناظرات؛ فكثيرا ماتحدثنا كتب التراجم عن النشاطات العلمية للمجاورين الذين تبدو أعدادهم غفيرة[5]، فهذا سعيد بن منصور بن شعبة الخرساني(ت227هـ/842م) الذي كان من أوعية العلم حافظا للحديث، جاور بمكة وجلس يعلم الناس بالمسجد الحرام، وألف بها كتابا في السنن فاستحق لقب شيخ الحرم[6]، وأيضا كان للإمام أبو سعيد الكوفي الجندي(ت308هـ/921م) حلقة علمية بالمسجد الحرام[7].

---

[1] كان يسمح في تلك الفترة للكبار فقط الدراسة والتحصيل في المسجد بينما منع الصبيان ويرجع سبب ذلك إلى عدم قدرة الصبيان على الالتزام بمرعاة الآداب العامة وحرمة المكان وعدم تحفظهم من النجاسة. أنظر: بلبع، المرجع السابق، ص ص211، 212.

[2] يقصد بهم الطلاب الذين يتلقون علوماً في غير الكتاتيب كما كانت الدراسة لا ترتبط في تلك المرحلة بسن معين ولا بزمن محدد. انظر: عبد الرحمان الشجاع، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة**، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، دط، صنعاء، 2004/1425، ص95.

[3] الفاكهي، المصدر السابق، ج2، ص ص282، 283.

[4] السخاوي، المصدر السابق، ص292.

[5] تم الحديث عن المجاورين راجع الجزء السابق من البحث.

[6] الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص586-590.

[7] المصدر نفسه، ج14، ص ص257، 258.

كما انتشرت ظاهرة مجاورة[1]العلماء في المسجد الحرام، الذين كانوا يقدمون إلى مكة من مختلف البلاد الإسلامية، مما انعكس على ازدهار الحياة العلمية بالحجاز من خلال مايتخلل المجاورون من عقد للحلق والمناظرات العلمية خاصة في موسم الحج، ماذكره ابن لهيعة قال:"حج الأعمش من الكوفة ومالك من المدينة وعثمان البتي من البصرة، فجلسوا في المسجد الحرام يفتون يُخالف بعضهم بعضا؛ فقال رجل للأعمش: أتخالف أهل المدينة؟ فقال قديما ما اختلفنا وإياهم، فرضينا بعلمائنا ورضوا بعلمائهم"[2]، كما لم تقتصر المجاورة على العلماء والفقهاء فحسب، بل توافد إلى مكة الصوفية وجاوروا بمسجدها الحرام، فهذا أحد كبار مشايخ الصوفية إسحاق بن محمد النهرجوري(ت330هـ/942م)، روي أنه جاور في مكة سنين طويلة حتى توفي بها[3].

-المسجد النبوي:

شهد المسجد النبوي هو الآخر نشاطا علميا مزدهرا منذ القرن الأول الهجري، تمثل في إلقاء الدروس والمواعظ وكذا عقد للحلقات العلمية، مع تواجد الكثير من العلماء وطلبة العلم، الذين كانوا يتوافدون إليه من مختلف البلاد الإسلامية لأجل المجاورة والعبادة، أو طلبا للعلم ونشره خاصة أنه توجد أحاديث شريفة تحثّ على ذلك، بل جعلته من أعظم القربات إلى الله –تعالى–، منها ماصح عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قالَ: (لاَ تُشَدّ الرحَالُ إلا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ رسول الله، وَالمسْجِدِ الأَقْصَى)[4]، وقوله أيضًا: (صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ)[5].

كما أن زيارة قبر النبي –صلى الله عليه وسلم– تحمل رمزية كبيرة لدى المسلمين؛ فكان حجاج بيت الله الحرام ولا يزالون يزورون المسجد النبوي، وقبره الشريف في كل مرة يحجون البيت أو يعتمرون فيها، الأمر الذي جعل من المسجد النبوي مدرسة مفتوحة لكل العلماء والطلبة على حد

---

[1] المجاورة تعني الإعتكاف بالمساجد. انظر: الجوهري أبو نصر إسماعيل(ت398هـ/1008م)، **الصحاح**، تح أنس محمد وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، دط، القاهرة، 2009/1430، ص211.

[2]الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج8، ص162.

[3] الفاسي، المصدر السابق، ج3، ص ص182، 183.

[4]البخاري، المصدر السابق ، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم1189، ص287.

[5]المصدر نفسه، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم1190، ص287.

سواء، الذين يفدون إلية من مختلف الأقطار الإسلامية المختلفة على مدار السنة، فهذا إمام القراءة عثمان بن سعيد المعروف بورش(ت197هـ/813م)[1]قدم من مصر إلى المدينة لتعلّم القراءة عن نافع المدني(ت169هـ/786م)[2] ذكر أنه كان يبيت في المسجد، ويحضر حلقات نافع العلمية في الصباح واستمر مكوثه هناك لفترة حتى قرأ القرآن الكريم وجوَّده على نافع عدة ختمات[3]، كما انتشرت المجالس والحلقات العلمية بالمسجد النبوي، فكان عيسى بن مينا المعروف بقالون(ت220هـ/835م) أحد مشاهير قراء المدينة، كانت له حلقة علمية مشهورة بالمسجد لتعليم الطلبة، ذكر متحدثًا عن نفسه:"قال لي نافع: كم تقرأ عليَّ؟ اجلس إلى أسطوانة حتى أرسل إليكَ من يقرأ "[4].

نجد أيضا مجلس إسماعيل بن أبي أويس(ت227هـ/842م) أشهر الفقهاء والمحدثين بالمدينة، ذكر أنه سأله رجلٌ وهو جالس في الروضة الشريفة بالمسجد، فقال له: –رحمك الله– أي شيء تقول في القرآن فإنه قد اختلف علينا فيه؟ فغضب إسماعيل بن أبي أويس ثم قال: بقيت أنا حتى أسأل عن هذا؟ أو يُذكر في مجلسي، ناشدتك الله والقبر والمنبر ومن علاه وأشار إليهما، إمّا تقوم عني وإمّا قمت عنك، هذا مما يذكر في مجلسي"[5].

وفي الحقيقة تذكر لنا المصادر سيما كتب التراجم العديد من المجالس العلمية[6]، وهذا دليلٌ على انتشارها بالمسجد النبوي، وكان يقف عليها مشايخ وعلماء من الحجاز وغيرهم من العلماء المجاورين والوافدين على المدينة من مختلف الأقطار الإسلامية، قد بلغوا من البراعة والتفوق في مختلف العلوم الدينية حتى أصبح يشاد بعلمهم، هذا ماقد يعطينا صورة عن القيمة العالية للدروس

---

[1] عثمان بن سعيد المعروف بورش المصري أصله من إفريقية، كان إماما في القراءة لقبه نافع المدني بورش يقال لبياضه أو نسبة إلى طائر معروف في ذلك الوقت، توفي سنة(197هـ/813م). انظر: الذهبي، **معرفة القراء**، ج1، ص152–155.

[2] نافع بن عبد الرحمان المقرئ المدني أشهر قراء المدينة توفي سنة(169هـ/789م). انظر: المصدر نفسه، ج1، ص107–111.

[3]المصدر نفسه، ج1، ص ص154، 155.

[4]المصدر نفسه، ج1، ص156.

[5] عياض، المصدر السابق، ج1، ص76.

[6] سيتم التطرق إلى بعض منها في جزء النظام التعليمي بالحجاز.

التي كانت تلقى في المجالس، والحلق العلمية بالمسجد النبوي الشريف في تلك الفترة، بل بلغ الأمر أن أصبح العديد من طلبة المدينة من أبرز العلماء والفقهاء في مختلف البلاد الإسلامية.

ويبدو أنه كان يحضر تلك المجالس والحلقات العلمية بالمسجد النبوي عدد غفير من الطلبة، من خلال قول محمد بن سحنون(ت256هـ/872م)[1] :"دخلت مسجد مدينة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فإذا بحلقة عظيمة فيها شيخ متكئ، فجلست كما نزلت من المحل بثياب السفر فوجدتهم يتنازعون في مسألة من أمهات الأولاد، فأدخلت عليهم فيها حرفًا، فنبههم الشيخ عليه فاسترد جالسًا، ثم زدت حرفا آخر، فقال لي: أين بلدك؟ قلت: أصلحك الله، رجلٌ حاج، فقال: أين بلدك؟ قلت: إفريقية... فعرفه الشيخ ورحبوا به"[2]، وإذا علمنا أن ابن سحنون كان كثير الرحلة إلى الحجاز، وأحد أبرز فقهاء إفريقية المالكية في عصره، فهذا لايدعو مجالا للشك أنه ساهم في التعليم أثناء فترة تواجده بالمدينة، مثل باقي أقرانه من العلماء الوافدين عليها، الذين كانت لهم مشاركات في التعليم من خلال عقد حلقات علمية بالمسجد النبوي، فروي أن محمد بن إبراهيم بن عبدوس(ت260هـ/874م)[3] الذي خصص زاوية من المسجد لعقد حلقة علمية بشكل منتظم طوال فترة مجاورته[4].

من خلال ماسبق يظهر لنا أن المسجد النبوي كان يعيش نشاطًا علميا مزدهرًا، تمثل في عقد المجالس والحلقات العلمية داخله، يقوم ويشرف عليها علماء المدينة أو من العلماء الوافدين عليه من مختلف الأقطار الاسلامية، فكانوا يقدمون إليه بعد انتهائهم من الحج، وهذا ماجعله وجهة العديد من الطلبة والعلماء المهتمين بالعلوم سيما العلوم الشرعية.

---

[1] هو محمد أبو عبد الله عبد السلام سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني فقيه المغرب، تفوق في علمي الفقه والحديث حتى بلغ درجة الإمامة، صنف كتبا في الفقه والحديث والتاريخ والمغازي، كانت له حلقة علمية كبيرة في القيروان ولد فسنة(202هـ/817م) وتوفي سنة(256هـ/870م). انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص60–63.

[2] عياض، **تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض**، تح محمد الطالبي، المطبعة الرسمية التونسية، دط، تونس، 1968، ص184.

[3] محمد بن إبراهيم بن عبدوس بن بشير من موالي قريش أصله من العجم، يُعد من كبار أصحاب الإمام سحنون بإفريقية، ومن كبار الفقهاء توفي سنة (260هـ/874م) أو سنة (261هـ/875م). انظر: المصدر نفسه، 189–194.

[4] المصدر نفسه، ص ص193، 194.

لقد أشار أحد الباحثين الذين تطرقوا لبدايات التعليم في المساجد أن ازدهار العلوم الدينية راجع إلى انسجام نوعية الدراسات مع مؤسسة المسجد: "نشأت الحلقات العلمية في المساجد نشأة دينية، وكانت قاصرة على تدريس علوم الدين وحدها، ولكنها ما لبثت أن تطورت مع تطور الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية، ومع دخول الكثير من معارف ذلك العصر"[1]، وهذا ما ذهب إليه أحمد شلبي عندما رأى أن السبب الذي جعل المسجد معهدا ثقافيا يرجع إلى طبيعة الدراسات في العهد الإسلامي الأول التي كانت دراسة دينية تشرح تعاليم الدين الجديد، وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه، وهذه الأمور متصلة بالمسجد أوثق اتصال[2].

ومع مرور الوقت ازدادت استخدامات المساجد في الناحية التعليمية، وأصبحت تستغل لإلقاء مختلف العلوم[3] خاصة الدينية منها، كالحديث والتفسير واللغة والأدب وغيرها من العلوم، لاسيما قبل ظهور المدارس[4] التعليمية كمؤسسة منفصلة عن المساجد[5]، وبمرور الزمن زاد عدد المساجد بشكل كبير في عاصمة الدولة وفي الحواضر الكبرى؛ حيث صور لنا اليعقوبي[6] ذلك عندما عدّ ثلاثون ألف مسجد متواجد في بغداد وحدها[7].

---

[1]أحمد عامر الصبيح، **التربية في الإسلام ودور المسجد فيها**، حوليات كلية التربية، جامعة قطر، العدد1، 1982، ص65.

[2]أحمد شلبي، المرجع السابق، ص84.

[3]من العلوم التي أصبحت تدرس بالمساجد نجد الطب والميقات. انظر: المرجع نفسه، ص95.

[4]نشأت المدارس في العالم الإسلامي على يد الوزير نظام الملك في العهد السلجوق التي نسبت إليه وعرفت بالمدارس النظامية، لتشهد انتشارا فيما بعد في البلاد الإسلامية. انظر: المرجع نفسه، ص ص99، 100.

[5]مصطفى محمد متولي، **مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية**، ج1، دار الخريجي للنشر والتوزيع، ط3، الرياض، 2004/1425، ص157.

[6]اليعقوبي، المصدر السابق، ص43.

[7]قد يتهم القارئ اليعقوبي بالمبالغة، لكن المسجد كان منتشرا بشكل كبير بخلاف الجامع، حتى ذكر أنه في كل بيت وجدت حجرة للصلاة يطلق عليها مسجد، أحمد شلبي، المرجع نفسه، ص95.

ب-**المؤسسات التعليمية الخاصة:**

-**منازل العلماء:**

تعتبر من المؤسسات التعليمية التي عنت بتدريس الطلبة أصحاب الدراسات العليا في مختلف العلوم، وكانت تعقد فيها مجالس علمية في الحديث والفقه والآداب وغيرها من العلوم[1]،لقد سَخّرَ الكثير من العلماء منازلهم خدمة للعلم والتعلم، وأصبحت مفتوحة للطلبة من مختلف البلاد الإسلامية الذين يرغبون في التعمق أكثر في علم معين أو في عدة علوم، روي أن الإمام مالك كان له مجلس علمي يحضره عدد غفير من الطلبة من الحجاز وخارجه[2]، بل حتى العلماء كانوا يتزاحمون عند باب منزل الإمام مالك لحضور مجلسه العلمي[3]، حيث صور لنا عياض نقلًا عن الواقدي مشاهد عن مجلس الإمام مالك في منزله قال: "كان مالك يجلس على ضجاع ونمارق مطروحة في منزله يمنة ويسرة لمن يأتي من قريش والأنصار والناس، وكان مجلسه مجلس علم ووقار"[4]، وقد تهافت الطلبة وتسابقوا لحضور مجلسه العلمي بمنزله، فمنهم من كان يبيت عند بيته للظفر بفرصة الإذن له في الصباح للحضور؛ فهذا معن بن عيسى بن دينار(ت198هـ/814م)[5] من أصحاب الإمام مالك وأحد أشهر فقهاء المدينة، كان يتوسد عتبة باب منزل الإمام مالك ويسمع مايدور في مجلسه ويكتب كل شيء يلفظه شيخه[6]، ومن المجالس العلمية التي كانت تقام في

---

[1]محمد أسعد طلس، **التربية والتعليم في الإسلام**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، مصر، 2014، ص46.

[2] الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص111.

[3]عياض، **ترتيب المدارك**، ج1، ص66.

[4]المصدر نفسه، ج1، ص76.

[5] معن بن عيسى بن يحيى بن دينار القزاز المدني، ربيب الإمام مالك عرف بملازمته الشديدة له حتى سمي بعصيَّة مالك كونه كان يتكئ عليه عند خروجه من المسجد في كل مرة، يُعد من كبار أصحابه وأوثقهم، أشتهر بالفقه والحديث معا توفي سنة(212هـ/827م).. انظر: المصدر نفسه، ج1، ص212.

[6]المصدر نفسه، ج1، ص212.

منازل العلماء نذكر المغيرة بن عبد الرحمان المخزومي(ت186هـ/802 أو188هـ/804م)[1]، ذكر أنه كان له مجلس في بيته يعلم فيه الطلبة العلم[2].

ويبدو أن شهرة المجالس العلمية الحجازية قد بلغت الآفاق، فهذا أحد الطلبة الخراسنيين يقول عن نفسه: "دخلتُ المدينة؛ فصرت إلى باب أبي مُصعب؛ فخرج إليَّ شيخٌ مَخضوبٌ وكنت ناعسًا فحركني وقال: يا مردريك(الشاب) من أين أنت؟ أي شيء تنام؟ قلتُ أصلحك الله أنا من الرَّي من بعض شاركردي(التلميذ)، فقال: تركت أبا زرعة[3] وجئتني؟"[4].

-المكتبات:

حسب اطلاعنا لم تشر المصادر التي وقفنا عندها إلى وجود مكتبات في الحجاز خلال القرنين(2-3هـ/8-9م)، غير أن ذلك لايعني خلو الحجاز من المكتبات؛ لوجود بعض الإشارات تفيد بوجودها خلال نفس الفترة، منها شهرة الكثير من علمائها بغزارة تآليفهم، كالإمام مالك روي أنه وجد في بيته بعد وفاته صندوقان مليئان بالكتب[5]، كما أن الكثير من الوافدين على مكة والمدينة كانت لهم مؤلفات كثيرة، مثل إبراهيم بن المنذر النيسابوري(ت318هـ/930م) كان عالما مجتهدا عُرف بغزارة التأليف في مختلف علوم الشريعة، ومن مصنفاته كتاب المبسوط وكتاب الإشراف في اختلاف العلماء وكتاب الإجماع وكتاب التفسير[6]، إضافة إلى وجود عدد من الحجازيين امتهنوا الوراقة مثل حبيب كاتب الإمام مالك[7].

---

[1] المغيرة بن عبد الرحمان المخزومي محدّث وفقيه مدني مشهور خرج عنه البخاري وذكر أنه ثقه كانت له مساهمة في الحياة العلمية بالحجاز من خلال الدروس التي كان يلقيها بمجسله العلمي، توفي سنة(186هـ/802م)أو (188هـ/804م). انظر: عياض، المصدر السابق، ج1، ص157-160.

[2]المصدر نفسه، ج1، ص159.

[3] عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ أبو زُرعة الرازي مُحدث الرّي وعالم خرسان، توفي سنة (264هـ/878م). انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص65-85.

[4]المصدر نفسه، ج13، ص ص73، 74.

[5]عياض، المصدر نفسه، ج1، ص218.

[6]السيوطي، المصدر السابق، ص91.

[7]عياض، المصدر نفسه، ج1، ص76.

3- النظام التعليمي في الحجاز: نلاحظ وجود نظامين تعليميين بالحجاز في الدراسات العليا: نظام الحلقات ونظام المجالس.

أ- نظام الحلقات:

يقصد به تَحلُّق الطلاب حول العالم، وليس المقصود به هو التَحلُّق بحيث يصير العالم في وسط الحلقة[1]، كما قد يأخذ الشيخ أو العالم موضعه إلى جوار إحدى سواري المسجد ثم يتحلق من أمامه ومن جوانبه الطلاب[2]، ويعود تاريخه إلى عصر النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي اعتاد إعطاء تعاليمه وتوجيهاته بمسجده في شكل حلقة[3]، ليصبح طريقة شائعة في الحجاز لتلقي العلم، ومن أمثلة ذلك ماروي أن عبد الرحمان الأشبوني الأندلسي(لم نقف عند تاريخ وفاته) كان جالسًا إلى جنب الإمام مالك[4]، كما ذكر أيضا أن محمد بن عجلان(ت148هـ/766م) حسن بصري المدينة، كانت له حلقة كبيرة بالمسجد النبوي[5]، إن هذا النوع من التدريس كان أكثر شيوعا من غيره، كون المساجد مثلت المقر الرئيسي للتدريس في ذلك الوقت، ولم يكن يحصل تجمع الدارسين إلا بتلك الصورة[6].

ب-نظام المجالس:

انتشر هذا النظام التعليمي الخاص الذي يُعنى بالدراسات العلمية العليا في بيوت العلماء، أو في قصور ودور الوجهاء والأمراء، سيما أن تلك المجالس كان يحدث فيها الكثير من المناظرات، وتقام فيها مختلف الآداب والشعر ...ألخ[7].

وكان في مجلس الإمام مالك حاجبا، يأخذ الطلبة منه الإذن قبل دخولهم عليه، يقول صاحب المدارك: "وكان كالسلطان له حاجب يأذن عليه فإذا اجتمع الناس ببابه أمر آذنه يخص أولاً

---

[1] الشجاع، المرجع السابق، ص73.

[2] بلبع، المرجع السابق، ص227.

[3] Eric Hilgendorf, **Islamic Education(History And Tendency), Peabody Journal Of Edication**, Vol 78, No 2, 2003. P66.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص439.

[5] الذهبي، المصدر السابق، ج6، ص318.

[6] الشجاع، المرجع نفسه، ص73.

[7] المرجع نفسه، ص87.

أصحابه فإذا فرغ من يخص أذن للعامة، وهذا هو المشهور من سماع أصحاب مالك"[1]،كما اختص الطلبة النجباء بنوع من التكريم وعنو بمكانة خاصة لدى شيوخهم، فقد روي أن عبد الله بن المبارك كان يسمح له الدخول إلى مجلس الإمام مالك في أي وقت، ويخصص له مقعدا بجانبه ولايحصل ذلك الأمر إلا مع المجتهدين[2].

ويبدو أنهم كانوا يتناولون في كل مرة علما محددا؛ فقد روي أن جارية الإمام مالك كانت تخرج إليهم وتسألهم عن العلم الذي يريدون تناوله الحديث أم الفقه[3]، وفي الحقيقة أن هذا النظام التعليمي القائم في منازل العلماء كان متوارثا، فقد أخذه الإمام مالك عن مُعلمه ابن شهاب الزهري(ت123هـ/741م أو124هـ/742م) الذي كان يأتيه إلى بيته كي يتعلم منه الحديث والعلم[4].

كما سمح للطلبة من مختلف الفرق الإسلامية حضور تلك المجالس، ويظهر ذلك من خلال السؤال الذي وجهه أحد الحاضريين في مجلس الإمام مالك، روي أن رجلا سأل مالكا فقال: "الرحمان على العرش استوى، كيف استوى؟ فسكت مالك حتى عَلاه الرُّحضاء ثم قال: الاستواء معلومٌ والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعةٌ والإيمان به واجبٌ وإني لأظنُّك ظالا أخرجوه"[5].

4-طرق ووسائل التدريس في الحجاز:

أشهر طرق التدريس التي انتشرت في نظام الدراسة والتحصيل بالحجاز هي: طريقة السماع وهي الأشهر على الإطلاق وطريقة القراءة وطريقة الإجازة.

أ- طريقة السماع:

يقصد بها سماع "لفظ الشيخ سواءً كان إملاءً أو تحدُّثا، وأيضا سواءً كان من حفظه أو من كتابه وهذا أرفع الطرق عند الجماهير"[6]، كما مثلت أكثر طرق التعليم شيوعا في بلاد الحجاز

---

[1]عياض، المصدر السابق، ج1، ص76.

[2]الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص420.

[3]المصدر نفسه ج1، ص77.

[4]المصدر نفسه، ج1، ص56.

[5]المصدر نفسه، ج8، ص107.

[6]الحسين بن عبد الله الطيبي(ت743هـ/1343م)، **الخلاصة في أصول الحديث**، تح صبحي السمرائي، دار عالم الكتب، ط1، 1985/1405، ص100.

ونلمس ذلك من خلال العبارات التي جاءت في كتب التراجم وهي كثيرة؛ فهذا إسماعيل بن أبي أويس(ت226هـ/841م أو227هـ/842م) ذكر أنه كان يأخذ العلم سماعا[1]، بالإضافة إلى أن أغلب علماء المتقدمين أخذوا العلم عن طريق السماع، نذكر أصبغ بن الفرج خرج إلى مكة سنة(179هـ/796م) من أجل السماع من الإمام مالك[2]، وكان طلبة الإمام مالك يسمعون الموطأ ويحفظونه عنه كما هو الحال مع الغازي بن قيس(ت199هـ/815م) ذكر أن كان يحفظه ظاهرا[3]نجد كذلك زياد بن عبد الرحمان المعروف بشَبطون(ت204هـ/820م) قام بتدوين سماعه للموطأ في مصنف بعد عودته إلى بلده عُرف بسماع زياد[4]، واستمرت هذه الطريقة حتى في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، روي أن الفقيه الأندلسي زكرياء بن خطاب(337هـ/949م) سمع كتاب النسب للزبير بن بكار في مكة[5]، كما وجدت رواية للإمام مالك تفيد أن طريقة تعلم الحديث تكون عن طريق السماع، وتخبرنا رواية أخرى لمطرف بن عبد الله أبو مصعب(ت220هـ/835م) أن الإمام مالك كان ينهاهم عن كتابة العلم جاء فيها: "كان يعيب كتابة العلم علينا، وكان يقول لم أدرك أحدا من أهل بلدنا وكان ممن مضى يكتب، فقيل كيف نصنع؟ قال: تحفظون كما حفظوا وتعملون كما عملوا، حتى تنور قلوبكم فيغنيكم عن الكتابة"[6].

ب-طريقة القراءة:

وهي أن يقرأ الطالب أو يسمع من غيره وهو يقرأ على شيخه كتابه، أو مما يحفظ وهو يسمع ثمَّ يقرأه عليه[7]، وقد جعلها معظم علماء الحجاز والكوفة بمنزلة واحدة مع طريقة السماع[8].

---

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص213.

[2]المصدر نفسه، ج1، ص327.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص588.

[4]المقري، المصدر السابق، ج2، ص45.

[5]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص270.

[6]عياض، المصدر نفسه، ج1، ص207.

[7]الطيبي، المصدر السابق، ص102.

[8]عياض، **الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع**، دار التراث والمكتبة العتيقة، ط2، القاهرة وتونس، دت، ص71.

فقد كانت طريقة القراءة أو العرض موجودة في مجالس العلماء؛ بحيث يقرأ الطالب على شيخه(معلمه) وهو يسمع منه، ثم يسأله في كل مرة[1].

ج- طريقة الإجازة:

الإجازة في اللغة السماح وإعطاء الإذن، يقول في ذلك الفيروز آبادي: "أجاز له سوغ له "[2] كما تُعد من بين الطرق التعليمية الشائعة في المراحل التعليمية العليا، وهي بمثابة الشهادة المعتمدة الصادرة من الأستاذ (الشيخ) لصالح طلبته[3]، بأن يقول الأستاذ (الشيخ) أجزت فلانا مسموعاتي، أو أجزت له رواية مسموعاتي[4]، حيث انتشرت في الحجاز نوعين من الإجازات العلمية: الإجازة الشفوية وإجازة السماع، وتعد الإجازة الشفوية أقدم الإجازات، فقد روي أن أبى هريرة قد منحها إلى بشير بن نهيك حيث قال: "كتبتُ إلى أبي هريرة كتابا، فلما أردتُ أفارقه قلت: يا أبا هريرة إني كتبت عنك كتابًا فأرويه عنك؟ قال: نعم أروه عني"[5]، وأيضا ذكرت رواية تفيد أن عالم المدينة الإمام مالك كان يمنحها لطلبته تقول: "أن مالكًا جاءه رجلٌ يحمل الموطأ في كسائه، فقال له يا أبا عبد الله هذا موطؤك قد كتبته وقابلته فأجزه لي، قال: قد فعلت، قال: فكيف أقول: حدثنا مالك أم أخبرنا مالك؟ قال: قل أيهما شئت"[6]، ونجد الشأن نفسه حصل مع كبار علماء الحجاز الذين كانوا يجيزون طلبتهم النجباء، كما هو الحال مع فقيه المدينة ومفتيها عبد الله بن الماجشون(ت212هـ/828م)؛ ففي رواية عن الإمام سحنون(ت256هـ/870م) قال:" هممتُ أن أرحل إليه وأعرض عليه هذه الكتب، فما أجاز منها أجَزت، وما ردَ، رددتُ"[7]، ويتبن لنا من خلال هذه الرواية أن ابن الماجشون كان يجيز طلبته شفويا.

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج8، ص420.

[2] الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص506.

[3] الشجاع، المرجع السابق، ص86.

[4] الطيبي، المصدر السابق، ص105.

[5] أبي خيثمة زهير بن حرب النِسائي(ت234هـ/849م)، **كتاب العلم**، تح محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت ودمشق، 1983/1403، ص35.

[6] عياض، المصدر السابق، ص90.

[7] عياض، **ترتيب المدارك**، ج1، ص208.

وأما النوع الثاني للإجازات العلمية هي إجازة السماع؛ فقد كانت تمنح أحيانا لمجموعة من الطلبة عند سماعهم لكتاب معين عن شيخهم[1]، ويبدو أن الإمام مالك قد أجاز لعدد من طلبته رواية الموطأ، كما هو الحال مع مصعب بن عبد الله الزبيري المدني(ت236هـ/851م) الذي سمع الإمام مالك وروى موطأه، وروايته هذه كانت متداولة كثيرا بالمدينة[2].

نجد أيضا عبد الله بن غانم(ت190هـ/806م) من جملة الذين دونوا الموطأ عن طريق السماع[3]، كما كان عدد من العلماء الأندلسيين يرحلون إلى الحجاز وغايتهم في ذلك هي أخذ الإجازة عن علمائها، نذكر منهم يحي بن مزين(ت259هـ/873م) الذي كان يحفظ الموطأ، فذهب إلى الحجاز وأجاز له كل من مُطرِّف بن عبد الله صاحب الإمام مالك، وحبيب كاتب مالك رواية الموطأ بالأندلس[4]، نجد كذلك يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/849م) رحل هو الآخر فسمع موطأ الإمام مالك غير أبواب في كتاب الاعتكاف ليرويه فيما بعد في بلده[5].

[1] متولي، المرجع السابق، ص262.

[2] عياض، المصدر السابق، ج1، ص220.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص180.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص901.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص899.

الفصل الثالث

التّبادل العلمي والثّقافي بين الأندلس والحجاز خلال عصر الإمارة الأموية بالأندلس (138-316هـ/756-928م)

أولًا: رحلات علماء الأندلس إلى الحجاز خلال عصر الإمارة

ثانيًا: التبادل العلمي بين الأندلس والحجاز

ثالثًا: صور التأثير الأندلسي في الحجاز من خلال رحلات علمائهم

عرفت الأندلس خلال عصر الإمارة استقرارا سياسيا وازدهارا اقتصاديا كبيرا، الذي انعكس بدوره على بقية المجالات الأخرى الاجتماعية والفكرية، كما أبدوا محاولات جادة وحثيثة لتنشيط الحياة العلمية والثقافية في بلدهم، بغية خلق حضارة أندلسية تضاهي ما وصل إليه إخوانهم المشارقة من رقي وتقدم، لذلك ربطوا أواصل التواصل مع بلاد الحجاز؛ فقد جمعتهم بأرض الحرمين التي كانوا يكنون لها تقديرا عظيما وإجلالا كبيرا، بعلاقات وثيقة وجدت منذ زمن الفتح لتتجذر أكثر خلال عصر الإمارة الأموية، الأمر الذي جعلها من بين أكثر البلاد تأثيرا في الأندلس سيما في المجال الفكري، كما لم يكن التأثير مقتصرا على جانب واحد بل حتى الأندلسيين كان لهم شيء من التأثير في تلك البلاد، رغم سكوت المؤرخين الحديث عنها اللهم بعض الإشارات المتناثرة بين ثنايا الكتب، مما جعل من الصعب إعطاء صورة جلية عن واقع التأثير الأندلسي في أكثر البلاد تفضيلا وحضورا لهم في تلك الفترة، وهذا الذي سنحاول إظهاره في هذا الفصل.

أولاً: رحلات علماء الأندلس إلى الحجاز خلال عصر الإمارة(2-4هـ/8-10م)

1- نظرة في طبيعة رحلات الأندلسيين إلى الحجاز:

شهدت الأندلس خلال القرنين(2هـ/3هـ) رحلة الكثير من رجالها إلى الحجاز لأهداف دينية، من حج بيت الله الحرام وزيارة المقدسات، وأخرى دنيوية تتمثل في طلب العلم والتجارة في أسواق المشرق ولمآرب أخرى، خاصة أن كتب التراجم تزخر بعبارات تظهر مدى انتشار الرحلة إلى الحجاز منها: حج حججا، رحل وحج ودخل الأمصار ولقي الرجال، رحل في طلب العلم وجال في الأمصار وغيرها من العبارات التي تثبت وجود هذه الظاهرة بالأندلس خلال تلك الفترة من تاريخها[1].

أ- الأوضاع الاجتماعية للمرتحلين:

- **أصول المرتحلين:** كان المجتمع الأندلسي في تلك الفترة يتكون من عناصر متنوعة، يأتي في مقدمتهم سكان البلاد الأصليون الذين اعتنقوا الإسلام بداية من الفتح الإسلامي وسمو

[1] راجع: ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**. عياض، **ترتيب المدارك**. ابن فرحون، **الديباج**. المقري، **نفح الطيب**.

بالمسالمة أو بالمولّدين؛ ففي بادئ الأمر كان اعتناقهم للإسلام بطيئا لكنها تسارعت بشكل كبير خلال القرنين التاسع والعاشر للميلاد حتى أصبح جل سكان الأندلس مسلمين[1]، ثم يأتي الوافدون عليها من المسلمين في عدة عناصر منهم العرب والبربر والموالي، فالعنصر العربي الذي يبدو أن أعدادهم كانت محدودة مقارنة بالمولدين أو حتى بغيرهم من العناصر الكبرى التي تشكل منها المجتمع الأندلسي؛ حيث يذهب عبد الله عنان أن هجرات العرب من موطنهم بالمشرق الإسلامي إلى الأندلس كان بطيئا ومحدودا، خاصة أن بعض أمراء بني أمية قد اعتمدوا على البربر والموالي وكذا على الصقالبة في تدعيم سلطتهم بالبلاد[2]، فهذا مؤسس الإمارة الأموية بالأندلس عبد الرحمان بن معاوية المعروف بالداخل(138-172هـ/755-788م) قام بجلب الكثير من الموالي والبربر إلى الأندلس[3]، وتؤكد ذلك رواية عن ابن حيان: "واستكثر منهم ومن العبيد فاتخذ أربعين ألف رجل صار بهم غالبا على أهل الأندلس من العرب فاستقامت مملكته وتوطدت"[4].

ويمكن أن نميز فئتين من العرب بالأندلس، الفئة الأولى الذين قدموا إليها خلال عملية الفتح وسمو بالبلدين، بينما الفئة الثانية تشمل كل العرب الذين توافدوا عليها بعد اتمام عملية الفتح في هجرات كثيرة العدد، وسمو بالشاميين[5]، أما العنصر الآخر الذي عُرف تاريخيا بالموالي فقد كانوا إما مشارقة عرب أو غيرهم من بلاد فارس، إضافة إلى سكان بلاد المغرب من البربر الذين قدموا مع إخوانهم العرب منذ زمن الفتح، وكانوا مرتبطين وتابعين لبني أمية[6]، لقد تبوأ الأمويين في الأندلس سواء كانوا من العرب الشامية أو من الموالي[7]، مكانة عند أمراء البلاد واحتلوا مركزا اجتماعيا رفيعا في دولة بني أمية؛ حيث برزت بيوتات مشهورة للموالي نذكر أبرزها: بنو أبي عبدة

---

[1] كولان، المرجع السابق، ص92 ؛ Roberto Marin Guzman, **Ethnic Groups And Social Classes In Muslim Spain, Institute International Islamic, University Islamabad**, Vol 30, no ½, 1991, p47.

[2] عنان، المرجع السابق، ص205.

[3] ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص60.

[4] المقري، المصدر السابق، ج3، ص37.

[5] أحمد هيكل، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة**، دار المعارف، ط1، مصر، 1985، ص30.

[6] حسين يوسف دويدار، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138هـ-422هـ/755م-1030م)**، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، مصر، 1994/1414، ص ص،9، 12.

[7] عرفت الأندلس انتشاراً لما يُعرف بنظام الولاء خاصة بعدما امتزج العرب بالأندلسيين عن طريق الزواج الأمر الذي أسفر إلى ظهور عدد كبير من الناس ادّعوا الأصول العربية. انظر: كولان، المرجع نفسه، ص90.

وبنو حدير وبنو شُهيد وبنو عبد الرؤوف وبنو فطيس وبنو مغيث[1]، فحرص بنو أمية على الاعتماد عليهم في تدبير أمور دولتهم[2].

كما وجدت عناصر أخرى تشكل منها المجتمع الأندلسي خلال تلك الفترة، فاليهود كان تواجدهم واضحا في مدنها الكبرى مثل مدينة طليطلة، وقرطبة وغرناطة، حيث كانت لهم أحياء خاصة بهم، وعلى الرغم من أن أعدادهم لم تكن كبيرة، غير أنهم كانوا فاعلين فقد اشتغلوا في التجارة والطب والتعليم وغيرها من الأنشطة، نجد أيضا عنصر آخر دخيل على الأندلس وهم العبيد؛ حيث نميز منهم: العبيد السود الذين جلبوا من بلاد السودان، فشكلوا مجموعة صغيرة كرسوا بشكل أساسي للأنشطة المنزلية من طرف العائلات الغنية، نجد أيضا الصقالبة الذين كانوا يمثلون مجموعات عرقية متنوعة، تم إحضارهم كعبيد من مختلف أنحاء بلاد النصارى[3]، ورغم مكانتهم الاجتماعية المتواضعة إلا أنهم استطاعوا الانصهار في المجتمع الأندلسي كغيرهم من العناصر الأخرى[4]، كما لم تقف الانقسامات العرقية وتعدد عناصر المجتمع عائقا أمام خلق حضارة إسلامية بالأندلس، فبفضل الإسلام الذي وحدهم ثقافيا، استطاعت الامتزاج والتفاعل مع بعضها البعض فاستفادت وأفادت في بوتقة واحدة، كما ساعد جو التسامح الذي ساد الإمارة الأموية في بناء حضارة أندلسية وتشكلت معها شخصيتها المستقلة[5].

إلا أن الشيء المميز هو مشاركة جميع الأندلسيين باختلاف عناصرهم في خدمة بلادهم من خلال الرحلات التي قاموا بها إلى بلاد الحجاز،لأجل تأدية فريضة الحج وزيارة المقدسات في مكة والمدينة، وطلبا للعلم أو للإتجار كمحاولة منهم لتنشيط الحياة العلمية ببلادهم بغية بلوغ ماكانت عليه الحواضر الإسلامية في المشرق من ازدهار علمي كبير في تلك الفترة؛ فمن المرتحلين ذو أصول عربية نذكر:

---

[1] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص445؛ عنان، المرجع السابق، ص20.

[2] إحسان عباس، **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة**، دار الثقافة، ط2، بيروت، 1961، ص ص12، 13.

[3] Roberto Marin, Op.cit, PP49, 50.

[4] كولان، المرجع السابق، ص92.

[5] أحمد هيكل، المرجع السابق، ص31؛ Roberto Marin, Op.cit, P52.

معاوية بن صالح الحمصي(158هـ/775م) أحد علماء الأندلس البارزين، تفوّق في الفقه والحديث معا، أصله من العرب الأمويين[1]، رحل في حدود منتصف القرن الثاني الهجري من أجل الحج وطلبا للعلم، فسمع منه الناس كما التقى بالإمام مالك بن أنس وسمع منه[2]، ونجد شامي آخر وهو يحي بن مضر القيسي(ت189هـ/804م)[3] رحل إلى الحجاز وسمع من الإمام مالك بالمدينة ومن سفيان الثوري في مكة؛ حيث برز في علوم كثيرة[4]، وأيضا الفقيه حسين بن عاصم(ت180هـ/796م) الذي تَعود أصوله إلى عرب الحجاز، حج وسمع من أصحاب الإمام مالك، كما تقلد مناصب بالدولة بعد عودته من رحلته[5]، كذلك من العرب نذكر حبيب بن الوليد يُعرف بدحّون(ت بعد200هـ/815م) رحل إلى الحجاز في أيام الأمير عبد الرحمان بن الحكم فحج وطلب العلم، استطاع جمع الكثير من المعرفة قبل عودته إلى بلده[6]، وأيضًا معاوية بن محمد بن هشام(ت298هـ/910م) رحل سنة(275هـ/888م) لأجل نفس الهدف؛ ليعود إلى بلده وقد جمع علما كثيرًا[7]، ومنهم الإمام الفقيه يوسف بن يحي المغامي(ت288هـ/901م) ترجع أصوله إلى قبيلة دوس العربية[8].

[1] احتل موالي البيت الأموي مكانة الصدارة مقارنة بغيرهم من بقية موالي في الأندلس. انظر: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص446.

[2]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص 838-840.

[3] يحيى بن مضر القيسي من أهل قرطبة كان من الفقهاء المشهورين بالعلم سمع وروى عن مالك بن أنس ومن سفيان الثوري اتهم بالخروج عن الأمير الحكم فقتل وصلب على نهر قرطبة. انظر: عياض، المصدر السابق، ج1، ص204؛ الحميدي، المصدر السابق، ص561.

[4]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص ص895، 896.

[5] الخشني، المصدر السابق، ص ص73، 74.

[6]المقري، المصدر السابق، ج2، ص502.

[7]ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص183.

[8] ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص438، 439.

ونختم بأحد أبرع علماء اللغة والحديث بالأندلس في زمانه، الحافظ الفصيح محمد بن عبد السلام الخشني(ت286هـ/899م) أصوله عربية تحديدا تعود إلى قبيلة جرهم الضاربة في القدم رحل حاجا وسمح الحديث بالحجاز، اشتهر بفصاحته ومعرفته للرجال[1].

كما كان لبربر الأندلس مشاركة حثيثة لا تقل عما قام به إخوانهم العرب في هذا الجانب؛ فمن المرتحلين ذو أصول بربرية الذين كانت لهم رحلة إلى الحجاز نذكر:

عبد الرحمان بن موسى الهواري(توفي خلال القرن2هـ/8م) روي أنه رحل في السنوات الأولى من عهد الأمير عبد الرحمان بن معاوية(138-172هـ/755-788م)، دخل الحجاز والتقى بالإمام مالك بن أنس وعدد من علمائها في مكة والمدينة[2]، ومنهم الفقيه الكبير يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م)[3] أشهر المرتحلين خلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، يرجع أصله إلى البربر تحديدا من قبيلة مصمودة يتولى بني الليث، رحل من أجل الحج وطلبا للعلم؛ فالتقى بكبار علماء الحجاز وعلى رأسهم الإمام مالك وسمع منه الموطأ[4]، ومنهم أيضا عبد السلام بن السمح الهواري(ت307هـ/919م) رحل إلى الحجاز وسمع من علماء مكة وجُدة[5]، كذلك من الأندلسيين ذو أصول بربرية، نذكر ثابت بن حزم العوفي(ت313هـ/925م) أصله من البربر كان من جملة الأندلسيين الذين رحلوا إلى الحج؛ حيث مكث هناك مدة طلبا للعلم[6]، وأيضا حسن بن سعد الكتامي(ت332هـ/943م) حج وسمع هو الآخر من بعض علماء مكة، ليصبح بعد عودته من رحلته أحد العلماء المشاورين، وإليه كان يرحل الطلبة لسماع منه العلم[7].

---

[1] الخشني، المصدر السابق، ص132-137.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص ص439، 440.

[3] يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس الليثي من قبيلة مصمودة البربرية ينتسب إلى بني الليث من أهل قرطبة رحل وسمع الموطأ من الإمام مالك غير أبواب من الإعتكاف، نال مكانة وحظوة في الأندلس توفي سنة(234هـ/849م). انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص519-524.

[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص898-900.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص ص492، 493.

[6] الخشني، المصدر نفسه، ص67.

[7] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص201.

أما الموالي باختلافهم؛ فقد كان حضورهم ملفتا من بين المرتحلين إلى الحجاز، خاصة أن ظروفهم المادية كانت تسمح لهم بالتجهز الجيد لتلك الرحلة الطويلة نذكر منهم:

الفقيه الغازي بن قيس(ت199هـ/814م) يعتبر من أوائل الذين أدخلوا الحديث إلى الأندلس بعد العودة من الحجاز، يعود أصله إلى الموالي[1]، وأيضا محمد بن خالد الأشج(ت220هـ/835م) الذي يعرف بابن مرتنيل كان مولى للأمير عبد الرحمان بن معاوية، رحل إلى الحجاز وسمع من علمائها وصار من فقهاء الأندلس المشهورين[2]، كذلك سعيد بن حسان(ت236هـ/850م)[3] من موالي الأمير الحكم بن هشام، رحل إلى الحجاز سنة(177هـ/793م) وسمع من علماء المدينة فأصبح فقيهًا حافظا بالأندلس[4]، وخلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ازدادت رحلات هذه الفئة إلى الحجاز نذكر منهم، قاسم بن محمد(ت278هـ/891م) هو قاسم بن محمد بن سيار مولى الوليد بن عبد الملك، فقيه مالكي تردد بالحجاز وسكنها مدة طويلة[5]، نجد أيضا عبد الرحمان بن إبراهيم بن برير(ت258هـ/871م) مولى معاوية بن أبي سفيان، رحل إلى الحجاز ودخل مكة والمدينة وسمع من علمائها ليصبح فقيها من أهل الشورى في الأندلس[6]، وأيضا محمد بن وضَّاح بن بزيغ(ت287هـ/900)[7] من مولى عبد الرحمان بن معاوية، كانت له رحلتان إلى الحجاز من أجل الحج وطلبا لعلم الحديث، كان عالما في الحديث[8]، وهناك من تولوا البيت الأموي مثل عبد

---

[1] الخشني، المصدر السابق، ص282.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص ص632، 633.

[3] سعيد بن حسان الصائغ من موالي الأمويين بقرطبة رحل إلى الحجاز وأكثر السماع من أصحاب مالك بن أنس، كان عالما مشاورا في الأندلس توفي سنة(236هـ/851م). انظر: عياض، المصدر السابق، ج1، ص ص376، 377.

[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص290.

[5] الخشني، المصدر نفسه، ص301.

[6] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص441.

[7] أبو عبد الله بن وضاح بن بازيغ من موالي الأمويين كان من ابرز محدثي قرطبة. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص445.

[8] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص650-652.

الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى(ت261هـ أو262هـ/874م-875م)[1] من موالي قريش، رحل إلى الحجاز وسمع من علمائها وأصبح من العلماء المشاورين في الأندلس[2]، ونختم حديثنا بقاسم بن أصبغ بن عطاء(ت340هـ/951)[3]من مولى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان، الذي رحل سنة(274هـ/887م) فدخل مكة وسمع من علمائها[4].

بينما نجد المولدين على الرغم من أنهم كانوا يمثلون فئة واسعة من المجتمع الأندلسي، إلا أن المترجمين لهم لم يتطرقوا في أغلب الأحيان إلى أصولهم، مما صعب تمييزهم عن بقية الفئات الأخرى، وربما قد يفسر سبب ذلك إلى كثرة أعدادهم، غير أننا تمكنا من اكتشاف عدد منهم من خلال اسم المرتحل، مثل سعيد بن عبدوس(ت180هـ/796م)[5] الذي رحل ولقي الإمام مالك[6] وأيضا أحمد بن قَومَس[7]، كذلك نجد أحمد بن بَيطر(303هـ/915م)[8] رحل من أجل الحج وطلبا للعلم، وأصبح من العلماء الحفاظ المشاورين في الأحكام بالأندلس[9].

-حالتهم الاجتماعية والمادية:

تخبرنا كتب التراجم عن بعض تفاصيل حياة هؤلاء المرتحلين الذين قصدوا الحجاز، فرغم أن الرحلة كانت في تلك الفترة تتطلب أموالا طائلة قصد التجهيز لها بالشكل الجيد، خاصة إذا علمنا

---

[1] أبو وهب عبد الأعلى بن وهب من أهل قرطبة اشتغل بالفقه وكانت له عناية باللغة. انظر: عياض، المصدر السابق، ج1، ص245-247.

[2]الخشني، المصدر السابق، ص258.

[3] ابن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء من موالي الأمويين بالأندلس سمع من علماء قرطبة قبل رحيله إلى الحجاز وكان محدث متقن للعربية. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص ص472، 473 ؛ المقري، المصدر السابق، ج2، ص ص47، 48.

[4]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص611-613.

[5] سعيد بن عبدوس المعروف بالجدي من أهل طليطلة، رحل إلى الحجاز وسمع من الإمام مالك، وأصبح بعد عودته إلى الاندلس من علمائها المفتين. انظر: المصدر نفسه، ج1، ص289.

[6]المصدر نفسه، ج1، ص289.

[7]أحمد بن قَوْمَس من أهل قرطبة رحل إلى الحجاز رفقة أحمد بن خالد. انظر: المصدر نفسه، ج1، ص75.

[8] أحمد بن بيطر من موالي الاندلس فقيه قرطبي رحل حاجا وسمع من علي بن عبد العزيز وغيره من علماء الحجاز توفي بالطاعون سنة(303هـ/916م). انظر: المصدر نفسه، ج1، ص ص69، 70.

[9]المصدر نفسه، ج1، ص ص69، 70.

أنها تستغرق أشهرا من المسير بل أحيانا تستمر لسنوات، ومع ذلك فغالبية المرتحلين الذين وقفنا عليهم لم يكونوا من أهل الجاه والسلطان أو من ذوي المناصب العالية بالدولة، بل هم في حقيقة الأمر في غاية البساطة يعملون في حرف بسيطة، وشغلهم الشاغل هو الزهد[1] في حياتهم والانقطاع إلى العبادة، وهدفهم الأسمى تأدية فريضة الحج والعبادة وكذا طلبا للعلم، نذكر منهم على سبيل المثال لا للحصر: عيسى بن دينار(ت201هـ/816م) كان من فقهاء الأندلس الزاهدين آثر البقاء بالمدينة المنورة للعبادة[2]، ونجد أيضا زياد بن عبد الرحمان اللخمي(ت204هـ/819م) المعروف بشبطون روي أن الأمير هشام بن عبد الحكم(172هـ-180هـ/789م-796م) عرض عليه خطة القضاء، فخرج من المدينة هاربا بنفسه ولم يعد إلى قرطبة حتى أمّنه هشام، الذي أبدى إعجابه بهذا الفقيه الزاهد الورع[3]، كذلك كان العلّامة بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) في غاية الزهد والورع حتى أصبح يضرب به المثل في ذلك الشأن[4]، وهذا محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) محدث الأندلس الزاهد، عاش طيلة حياته فقيرا رغم مكانته العلمية كأحد حفاظ الأندلس الثقات، روي أنه اقتصر في إحدى رحلاته على حج بيت الله الحرام والجلوس إلى العبادة[5]، كما اتصف صاحبه محمد بن أحمد بن سلام(ت304هـ/916مأو305هـ/917م) بالزهد والورع[6]، والشأن نفسه مع محمد بن الجبار(ت296هـ/908م) العالم بالقراءات الذي غلب عليه الزهد والعبادة قبل أن يرحل إلى الحج[7]، وكان محمد بن زكرياء بن محمد(ت322هـ/934م) زاهدا في حياته منقطعا للعبادة والعلم[8].

---

[1] الزهد ليس أن يتخلص الإنسان من ماله بأن ينفقه بسخاء حتى يصبح فقيرا، وإنما هو ترك الدنيا مع العلم بحقارتها والإقبال على الآخرة. انظر: ابن قدامة، المصدر السابق، ص382.

[2] عياض، المصدر السابق، ج1، ص372.

[3] المقري، المصدر السابق، ج2، ص45.

[4] ابن بشكوال خلف بن عبد الملك القرطبي(ت578هـ/1182م)، **كتاب الصلة**، ج1، تح شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2008/1429، ص143.

[5] الخشني، المصدر السابق، ص122.

[6] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، 666.

[7] المصدر نفسه، ج2، ص660.

[8] المصدر نفسه، ج2، ص ص692، 693.

غير أننا نجد بعضا من السادة ذوي المناصب العليا في الدولة، رحلوا للحجاز من أجل الحج، كالوزير موسى بن محمد بن زياد(ت ق3هـ/ق9م) من العرب الأموية بالأندلس، ولاه الأمير عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م) عدة وظائف وخطط في دولته، قبل أن يستأذن الأمير للحج فأذن له[1]، نجد أيضا عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة(ت296هـ/908م) كان من أهل الأدب والبلاغة، تقلد هو الآخر عدة وظائف بالإمارة في عهد الأمير عبد الله بن محمد، ترك عمله ورحل لأداء فريضة الحج[2].

وأما عن حالتهم المادية؛ فوجد عدد من العلماء الميسورين مثل يوسف بن موسى المعروف بالإمام، من جملة العلماء الذين دخلوا الحجاز طلبا للعلم، وصف بكثرة ماله، الأمر الذي سهّل عليه جمع الكثير من المعرفة بإقدامه على شراء الكتب[3]، كما كان لتجار الأندلس، خاصة المهتمين منهم بالعلم حضورا بارزا فهذا عبيد الله بن يحي الليثي(ت289هـ/902م) رحل إلى الحجاز بهدف الحج والتجارة معا[4]، ومنهم أيضا مسعود بن علي بن مروان الذي رحل إلى الحجاز حاجا وتاجرا في نفس الوقت خلال القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي[5]، ونجد الشأن نفسه مع أبناء التجار أمثال عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) كان والده أحد الصناع بالأندلس، يعصر الأدهان ويستخرجها، فعرف بحبيب العصار[6]، حضي بمساعده والده عندما عزم الخروج من الأندلس طلبا للعلم، أعطاه ألف دينار كمصاريف الرحلة، التي أسفرت عن جمع معرفة واسعة وإحضار كتبا كثيرة إلى الأندلس[7]، كما تخبرنا كتب التراجم أن عددا من أشهر المرتحلين إلى الحجاز لم تكن حالتهم المادية جيدة؛ فهذا يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م) لم يتمكن من أداء فريضة الحج لعدم امتلاكه للمال الكافي، الذي كان ضروريا للتزود لتلك الرحلة البعيدة،

---

[1] الخشني القروي(ت361هـ/971م)، **قضاة قرطبة**، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة وبيروت، 1410/1989، ص190-192.

[2] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص ص146، 147.

[3] الخشني، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، ص385.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص429.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص827.

[6] عياض، المصدر السابق، ج1، ص381.

[7] الخشني، المصدر نفسه، ص245.

الأمر الذي دفعه إلى استلاف قسطا من المال من شيخه زياد بن عبد الرحمان شبطون(ت204هـ/819م)[1]حتى يتمكن من الذهاب للحج وإدراك الإمام مالك، بينما نجده قد عاود رحلة ثانية عندما ورث عن والده المتوفى مبلغا من المال، تجهز به إلى الحج سمع خلالها من علماء الحجاز[2]، في حين نجد البعض منهم ممن اشتهروا بالرحلة كانوا في غاية الفقر، روي أن بقي بن مخلد(ت276هـ/889م)[3] في أيام طلبه للعلم لم يجد طعاما يتقوى به سوى ورق الكُرُنب الذي يتخلص منه الناس، وكانت أغلب تنقلاته مشيا على الأقدام لعدم امتلاكه لدابة تقله، أو لمال كافيا حتى يستأجرها[4]، كما لم يكن زميله الذي عاصره محمد بن وضاح(ت286هـ/899م) أحسن حالا منه، روي أنه عاش فقيرا زاهدا بالكاد يجد قوت يومه[5]، ففي إحدى رحلاته إلى الحجاز دفعه الاحتياج إلى العمل مع صاحب الفندق، فكان يحمل زبل الدواب على رأسه بغية تحصيل قسطا من المال للعيش، وحتى يتمكن من التنقل إلى العلماء والشيوخ أملا في جمع أكبر قدر ممكن من الرواية والعلم[6].

كما تمدنا كتب التراجم أيضا بمعلومات عن سن عدد من المرتحلين إلى الحجاز؛ فنجد قسطا كبيرا منهم كانوا في طور الشباب، كما هو الحال مع يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م) الذي رحل في رحلته الأولى سنة(179هـ/795م) لأجل الحج وطلبا للعلم وعمره ثمان وعشرون سنة[7]،

---

[1] زياد بن عبد الرحمان اللخمي المعروف بشَبطون فقيه قرطبي جليل له اسهامات حثيثة في نشر الفقه المالكي بالأندلس رحل إلى الحجاز حج وسمع من الإمام مالك وأدخل الموطأ إلى الأندلس. انظر: عياض، المصدر نفسه، ج1، ص200-203؛ المقري، المصدر السابق، ج2، ص ص45، 46.

[2]عياض، المصدر السابق، ج1، ص310.

[3] أبو عبد الله بقي بن مخلد من أهل قرطبة أحد أعلام الحديث بالأندلس، الحافظ المجتهد رحل إلى المشرق وسمع عن ما يزيد من200شيخ وعالم في الحجاز وغيره، كانت له إسهامات كبيرة في نشر الحديث وتعليمه بالأندلس توفي سنة(276هـ/890م). انظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص ص143، 144؛ الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص285-296.

[4]المصدر نفسه، ج13، ص ص291، 292.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص652.

[6] نوري معمر، **محمد بن وضاح القرطبي مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس مع بقي بن مخلد**، مكتبة المعارف، ط1، الرباط، 1983/1403، ص87.

[7]عياض، المصدر نفسه، ج1، ص311.

نجد أيضا محمد بن وضاح(ت286هـ/899م) كان في مقتبل العمر عندما رحل إلى الحجاز سنة(218هـ/833م) وهو في الثامنة عشر من عمره [1]، وأيضا محمد بن سعيد الخشني(ت286هـ/899م) كان في العشرينيات من عمره عندما رحل إلى الحجاز[2]، وكان قاسم بن أصبغ(ت340هـ/951م) أحد كبار المحدثين في زمانه، رحل سنة(274هـ/887م) مع رفقة من العلماء وسنه لا يتعدى ثمان وعشرون سنة[3]، وبالرغم من بعد المسافة بين القطرين، الأندلس عن الحجاز وما قد يصاحبها من مشاق وأخطار، مع ذلك فلم يتخلف عنها كبار السن فكانت هذه الفئة العمرية حاضرة ضمن رحلات الحج، فأدى الكثير منهم فريضة الحج، وبقي بعضهم يطلبون العلم هناك، خاصة أن موسم الحج مثل فرصة ثمينة قد لا يصادفها الإنسان مرة أخرى طيلة حياته من أجل لقاء علماء الإسلام، الذين كانوا يفدون ويجتمعون من مختلف الأمصار الإسلامية في بلاد الحرمين عند كل موسم حج، فهذا شيخ المالكية بالأندلس يوسف بن يحي المغامي(ت283هـ/896م) رحل إلى الحج وهو شيخ كبير متقدم في السن[4]، وأيضا عبد الله بن مسرة(ت286هـ/899م) رحل حاجا وهو شيخٌ كبير فتوفي هناك بالحجاز[5]، ومنهم كذلك حسن بن سعد بن إدريس(ت332هـ/943م) ذهب لتأدية فريضة الحج وهو متقدم في العمر[6].

ب-أنواع الرحلات:

لقد حرص أصحاب كتب التراجم والسير في سياق حديثهم عن علماء الأندلس، إلى التطرق لبعض تفاصيل حياتهم، خاصة ماتعلق بكبار العلماء، هذا ما مكننا من استلال مادة علمية تفيدنا في عرض أنواع من الرحلات الحجازية خلال فترة الدراسة، والتي جاءت على النحو التالي: رحلات فردية ورحلات جماعية، وأخرى رحلات عائلية، ورحلة وحيدة ذات طابع رسمي.

---

[1] ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص338، 339.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص648-650.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص ص612، 613.

[4] الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص336.

[5] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص377.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص201.

-**الرحلات الفردية:** يقصد بها تلك الرحلات التي انطلقت من الأندلس باتجاه الحجاز من طرف شخص واحد، بغض النظر إذا التحق المرتحل بقافلة أو رفقة عند عبوره إلى المغرب أو مصر وهي شائعة للغاية، يمكن أن نفهم ذلك من خلال صياغة كلام المؤرخين مثل قولهم رحل، خرج حاجا، رحل للحج وطلبا للعلم ومن أمثلة ذلك نذكر:

رحل قرعوس بن العباس(ت220هـ/835م) وسمع من علماء الحجاز كالإمام مالك، وسفيان الثوري وابن جريج[1]، كما رحل عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م) لوحده إلى الحجاز قبل التحاقه بقافلة للحجيج في مصر، فحج ولقي الإمام مالك[2]، ونجد أيضا يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م) كانت له رحلتان إلى الحجاز من أجل الحج وطلبا للعلم من علمائه[3] روي أنه سمع الموطأ من الإمام مالك سنة(179هـ/795م) وهي السنة التي توفي فيه مالك[4] وكانت لسعيد بن أبي حسان رحلة سنة(197هـ/812م) أدى خلالها فريضة الحج وسمع من أصحاب الإمام مالك[5]، ورحل إبراهيم بن حسين بن مرتنيل(ت249هـ/863م) إلى الحجاز، ولقي جملة من علماء المدينة وسمع منهم[6].

-**الرحلات الثنائية:** وهي كل رحلة تخرج من الأندلس باتجاه الحجاز متكونة من شخصين نذكر عددا منهم:

لقد رحل محمد بن عميرة(ت276هـ/889م) إلى الحج رفقة صباح بن عبد الرحمان فسمعا مع بعضهما من ابن بكير وأبي مصعب، ومن أصبغ بن الفرج وغيرهم من علماء الحجاز[7]، كما رافق محمد بن زيد التميمي(ت283هـ/896م) في أحد رحلاته إلى الحجاز عبيد الله بن يحي بن

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص ص285، 286.
[2] المقري، المصدر السابق، ج2، ص5-8.
[3] الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص519-524.
[4] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص310.
[5] الخشني، المصدر السابق، ص317.
[6] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص444.
[7] الخشني، المصدر نفسه، ص121.

يحي سمعا من خلالها وحصّلا الكثير من العلم[1]، ونجد كذلك عبد الله بن يحي القيسي المعروف بابن الخشاب(توفي في أواخر ق3هـ/9م) رحل مع محمد بن وضاح في رحلته إلى الحجاز[2] ومنهم أيضا أحمد بن غانم يعرف بابن المديني، رحل رفقة عبد الله بن مسرَّة لأداء فريضة الحج سنة(311هـ/923م) مكث هناك مدة حج خلالها خمسة حجات قبل أن يعود إلى الأندلس[3]، ورحل مُنتتيل بن عفيف المرادي(ت317هـ/829م) كان من أهل الفقه والحديث، رافقه في رحلته إلى الحجاز الفقيه يوسف بن يحي المغامي[4].

-**الرحلات الجماعية:** يقصد بها كل رحلة تخرج من الأندلس باتجاه بلاد الحرمين، يكون عدد أفرادها أكثر من شخصين، كثيرا ما كان الأندلسيين يخرجون في شكل جماعات باتجاه الحجاز درءًا لمخاطر الرحلة، وكذا للتعاون مع بعضهم على طلب العلم، وتقاسما لتكاليف الرحلة من طعام وماء وغير ذلك من الأمور التي يمكن أن تخفف عبء السفر نذكر بعضها:

رحل يحي بن إبراهيم بن مزين(ت259هـ/872م) رفقة عبد الأعلى بن وهب، وابن مطروح الأعرج في رحلة علمية جماعية إلى الحجاز بغية لقاء علمائها في مكة والمدينة[5]، كما رحل قاسم بن أصبغ إلى الحجاز سنة(274هـ/887م) مع جماعة من علماء الأندلس، رفقة كل من محمد بن عبد الملك بن أيمن، ومحمد بن زكريا بن أبي عبد الأعلى؛ ليتجولوا هناك في حواضر المشرق العلمية[6]، وأيضا رحل عمران بن محمد بن معبد(ت295هـ/907م) مع أحمد بن خالد بن الحباب ووسيم بن سعدون وقاسم بن جَحدر، فسمعوا مع بعضهم من علماء الحجاز[7]، ورافق عبد الله بن مطرف سنة(311هـ/923م) في رحلته أحمد بن سعيد، وابن أبي عيسى ومحمد بن مسرة[8]، كما

---

[1] الخشني، المصدر السابق، ص139.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص ص371، 372.

[3] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص25.

[4] الحميدي، المصدر السابق، ص ص524، 525؛ ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص861.

[5] الخشني، المصدر نفسه، ص118.

[6] المقري، المصدر السابق، ج2، ص ص47، 48.

[7] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص551.

[8] المصدر نفسه، ج1، ص395.

رحل فقيه طليطلة وسيم بن سعدون رفقة صحبة من العلماء مع أحمد بن خالد ومحمد بن عثمان وابن جحدر؛ فسمعوا بمكة من علي بن عبد العزيز والزهري المكي وغيرهما[1]، ورحل محمد بن فطيس(ت319هـ/831م) الذي عني بالحديث مع مجموعة من الرفقة إلى الحجاز لقوا خلالها عدد كبير من العلماء وسمعوا منهم[2].

-الرحلات العائلية:

كما كانت الرحلات العائلية حاضرة ضمن رحلات تلك الفترة، فمن المرتحلين الأندلسيين الذين أثروا الرحيل رفقة أحد أو مع عدد من أفراد العائلة نجد: عميرة بن عبد الرحمان(توفي بعد 238هـ/852م) حج مع أبيه وأخيه سنة(202هـ/817م) وسمع معهما من بعض الشيوخ هناك[3] ورحل حفص بن عبد السلام السلمي إلى الحجاز رفقة أخيه حسان، فسمعا من الإمام مالك بن أنس[4] نجد أيضا إسماعيل بن الفضل العتقي الذي رحل إلى الحج سنة(293هـ/905م) رفقة أخيه فأدوا الفريضة، وسمعا من بعض علماء الحجاز[5]، ومنهم كذلك محمد بن مروان بن الخطاب المعروف بابن أبي جمرة، رحل إلى الحج رفقة ولداه خطاب وعميرة سنة(222هـ/836م) وسمعوا العلم من بعض شيوخ مكة[6]، ورحل أيضا إبراهيم بن نصر الجهني(ت287هـ/900م) الذي يعرف بابن أبرُول رفقة أخيه محمد، فاستفاد ابن أبرول في رحلته تلك من خلال لقائه عددا من علماء الحديث في مكة[7]، كما رحل قاسم بن ثابت بن حزم(ت302هـ/914م) رفقة أبيه إلى الحج فسمعا من علماء الحديث في مكة[8].

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص ص881، 882.

[2] الخشني، المصدر السابق، ص152-154.

[3] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص553.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص215.

[5] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص231.

[6] المقري، المصدر السابق، ج2، ص ص149، 150.

[7] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص ص40، 41.

[8] المصدر نفسه، ج2، ص605.

-**الرحلات الرسمية:** نعني بها تلك الرحلات التي يتم تنظيمها من طرف الدولة لأجل تحقيق أهداف معينة، كما حدث في عهد الأمير عبد الرحمان الداخل(138-172هـ/756-788م) الذي كلف الفقيه معاوية بن صالح بمهمة إلى الشام، فاستغل هذا الأخير تواجده بالمشرق فأدى فريضة الحج، والتقى بعدد كبير من شيوخ وعلماء مكة، الذين لم يتوانوا في كتابة عنه العلم، خاصة أنه كان إماما مشهورا برواية الحديث[1]، ويبدو أنها مثلت الرحلة الرسمية الوحيدة التي قصدت الحجاز طيلة فترة الدراسة.

إن تفضيل الأندلسيين الرحيل مع رفقة مثقفة تتناسب مع ميولهم العلمية، وطبيعة الهدف المنشود من ورائها وهو طلب العلم، كان واضحا من خلال الأمثلة السابقة، غير أن اختيار الرفقة قد يعود أحيانا لاعتبارات أخرى كما حصل مع بقي بن مخلد في إحدى رحلاته، حيث اختار رفيقا ثريا ليس له حظ من العلم يدعى داود بن عيسى بن جبوية، إذ يرجع سبب تفضيله مرافقة ذلك الشخص عن غيره من أهل العلم، حتى يشاركه في مهمة طلب العلم بالمشرق من خلال تحمل رفيقه أعباء التنقل إلى رواة الحديث والعلماء في أماكن مختلفة، وأيضا تمكينه من اقتناء الكتب والتصانيف خاصة أن بقي بن مخلد كان فقيرا[2]، كما اختار الحافظ أحمد بن خالد (ت322هـ/934م)[3] أحد البارعين في اللغة والنحو يدعى مفرج بن مالك المعروف بالبغل رفيقا له في رحلته، حتى يساعده في كتابة ما كان يسمعه أحمد بن خالد من شيوخه بالحجاز بغية إدخال مسموعاته على شكل كتب إلى الأندلس[4].

جدول يظهر توزيع موطن المرتحلين الأندلسيين[5] إلى الحجاز حسب الفترة التي عاشوا فيها :

---

[1] ابن القوطية، المصدر السابق، ص 63؛ الخشني، **قضاة قرطبة**، ص ص52، 53.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص259.

[3] هو أحمد بن خالد بن يزيد بن الحَبَّاب ولد سنة(246هـ/860م) أصلة من جيّان وسكن قرطبة، يُعد من حفاظ الأندلس وكبار رواة الحديث بها جلس للتعلم فترة طويلة من الزمن، له مؤلفات في الحديث توفي سنة(322هـ/934م). انظر: الحميدي، المصدر السابق، ص ص176، 177.

[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص843.

[5] للوقوف على المدن والمراكز التي انطلق منها المرتحلون إلى الحجاز. انظر: **الملحق رقم(05)** خريطة تظهر مدن وحواضر الأندلس.

م	المدينة	القرن (2هـ/8م)	القرن (3هـ/9م)	القرن (4هـ/10م)	المجموع	النسبة المؤوية
01	قرطبة	19	51	10	80	%60,6
02	طليطلة	04	08	00	12	%9,09
03	إلبيرة	01	04	01	06	%4,45
04	سرقسطة	01	05	00	06	%4,45
05	إشبيلية	00	04	00	04	%3,03
06	بجانة	00	02	02	04	%3,03
07	وادي الحجارة	00	01	02	03	%2,27
08	تدمير	01	02	00	03	%2,27
09	الجزيرة الخضراء	00	00	02	02	%1,51
10	باجة	01	00	01	02	%1,51
11	إستجة	01	00	01	02	%1,51
12	تطيلة	00	01	00	01	%0,75
13	جيان	00	01	00	01	%0,75
14	لشبونة	01	00	01	01	%0,75
15	طرطوشة	00	01	00	01	%0,75
16	الثغر	00	01	00	01	%0,80
17	رية	00	01	00	01	%0,80
18	ماردة	00	01	00	01	%0,80

19	أكشونة	01	00	00	01	%0,80
المجموع					132	%100

نستنتج مما سبق ومن خلال الجدول عدة ملاحظات، في أن مدينة قرطبة كانت أكثر مدن الأندلس حضورا في المجال العلمي، إذ وجد بها 80 طالبا وعالما من أصل 132 من مجمل الطلاب أي ما نسبته 60,6% ممن رحلوا إلى الحجاز طيلة فترة الدراسة، وتصدر قرطبة قائمة الرحلات يرجع إلى كونها كانت تمثل عاصمة الدولة الأموية، قبلة الطلبة والعلماء والتجار على حدٍ سواء خلال تلك الفترة، فكانت بمثابة المدينة الجامعة لعلماء الأندلس، كما أن الكثير من الأندلسيين هاجروا إليها وتركوا مدنهم وبلداتهم وآثروا البقاء بها فصاروا من ساكنيها، ففي هذا الصدد ذكرت قصة حدثت مع عالم الديار المصرية عبد الرحمان بن القاسم(ت191هـ/806م) أنه لما حضر ليودع فقيه الأندلس عيسى بن دينار(ت212هـ/827م) أوصاه أن يغادر مدينته طليطلة ويسكن قرطبة حيث مقر الحُكم[1]، فمن العلماء الذين سكنوا قرطبة نذكر: سعيد بن أبي هند الذي سماه الإمام مالك بن أنس حكيم الأندلس هاجر من مدينته طليطلة وسكن قرطبة[2]، نجد أيضا عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) كان أصلة من مدينة إلبيرة، رحل عنها إلى قرطبة بطلب من أمير الأندلس عبد الرحمان بن الحكم عندما استخدمه على الفتوى والمشاورة في الأحكام[3]، كذلك عُد الحافظ يوسف بن يحي (ت288هـ/901م) المعروف بالمغامي من أهل قرطبة غير أن أصوله طليطلية[4]، ومنهم داود بن هذيل(ت315هـ/927م) الطليطلي فبعد رجوعه من الحجاز لم يرض البقاء في مدينة طليطلة، التي يبدو أنها كانت تعاني من مشاكل أمنية واقتصادية في تلك الفترة ما صعب العيش بها، فرحل عنها إلى حاضرة الأندلس قبلة العلم والعلماء يومئذ، حتى يشارك في الحركة العلمية من خلال تدريسه العلم ومدارسته[5]، ومنهم أيضا قاسم بن

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص374.
[2] الخشني، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، ص233.
[3] الذهبي، المصدر السابق، ج12، ص104.
[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص932.
[5] المصدر نفسه، ج1، ص260.

أصبغ البياني(ت340هـ/951م) من أئمة الحديث بالأندلس، أصله من بيَّانة وسكن قرطبة إلى أن أدركه أجله بها[1] وغيرهم، ثم تأتي بعدها مدينة طليطلة بتعداد 12 طالبا وعالم من أصل 132 مرتحلًا بنسبة مؤوية تقدر 9,09%، في مدينة إلبيرة وسرقسطة بتعداد ست رحلات لكل منهما أي ما نسبته 4,45% لكل مدينة، ثمّ تتقاسم بقية المدن والبلدات الأندلسية الرحلات بأعداد متدنية للمرتحلين إلى الحجاز[2]، كما لعبت الأوضاع الصعبة التي عاشتها الكثير من مدن وبلدات الأندلس من انتشار للفتن والتمردات إلى تقليص نمو الحركة العلمية بها، هذا ما قد يفسر لنا تلك الأعداد الضئيلة التي بالجدول أعلاه.

أما الملاحظة الأخرى فهي استمرار وازدياد واضح لعدد الطلبة والعلماء الراحلين إلى الحجاز خلال فترة القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي وهذا يعود لتحسن الأوضاع العامة في الأندلس ومواصلة تشجيع أمراء الأندلس للعلم، فالرحلات تعد بمثابة مظهرا من مظاهر الحركة العلمية، وبقيت الوضعية على حالها كما في القرن المنصرم؛ فقد حافظت مدينة قرطبة على الريادة ثم تلتها طليطلة فالبيرة مع زيادة واضحة في عدد الرحلات، إلا أن الشيء الملفت هو حضور بعض البلدات والمدن الصغيرة قبل أن تتسع في عمرانها مثل بجَّانة وتُدمير وغيرهما، كما أن الحُكم ينطبق على السنوات الأولى للقرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، باستمرار رحلات طلاب العلم والعلماء إلى الحجاز، فيبدو من خلال ذلك أن العلم كان منتشرا بالأندلس مايجعل من عصر الإمارة بمثابة بداية النهضة العلمية والثقافية بالأندلس خلال تلك الفترة من تاريخها.

ج- تكاليف الرحلات الحجازية ومدتها:

تعد الأندلس من أبعد الأقاليم الإسلامية عن الحجاز، زيادة على ذلك كانت الطرق والمسالك التي تربط بين القطرين محفوفة بالمخاطر[3]، هذا ما جعل التجهيز الجيد لها في غاية الأهمية،

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص486-488.

[2] من خلال استقرائنا لتراجم علماء الأندلس الذين رحلوا إلى الحجاز خلال فترة الدراسة اتضح لنا أن الكثير من الطلاب والعلماء هاجروا من مدنهم وبلداتهم إلى قرطبة وأصبحوا من سكانها وإلا فعدد المرتحلين إلى الحجاز من غير القرطبيين يفوقون بكثير مما ذكر في الجدول سابق الذكر.

[3] للوقوف على تلك الطرق والمسالك. انظر: **الملحق رقم(06)** خريطة طرق الرحلات إلى الحجاز.

لاشك أن رحلة الحج كانت مكلفة للغاية، والذي حال بين رغبة الكثير من الأندلسيين في قيامهم بالحج وزيارتهم للمشرق، فقد بلغت تكلفة الحج حوالي مائة دينار خلال تلك الفترة أي القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد[1]، في حين نجد تكلفة الحج خلال القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي قدر حوالي خمسين دينارا[2]، تذكر لنا رواية أن أحد الرحالة الأندلسيين الميسورين الفقيه يوسف بن يحي المغامي(ت283هـ/896م) رحل إلى الحج ومكث هناك مدة إحدى عشر عاما، متجولا بين حواضر المشرق طلبا للعلم، فأنفق خلالها أكثر من ألفي دينار ليعود إلى الأندلس مثقلا بالدَّين[3] ونجد كذلك عمر بن يحي الكناني(ت289هـ/901م) من موالي بني أمية بالأندلس، أنفق هو الآخر مبلغا كبيرا في رحلته إلى الحجاز بلغ ستة آلاف دينار[4]، ومن الميسورين أيضا غانم بن عيسى الرُّعيني(توفي في أواخر القرن3هـ/9م) ذكر أنه نذر ببناء مسجد عند رجوعه سالما من الحج[5]، في حين نجد بعضهم لم يكن بإمكانه تحمل تكاليف رحلة الحج، كما هو الحال مع يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م) الذي اقترض مبلغا من المال من شيخه زياد بن عبد الرحمان شبطون حتى يحج، ويدرك الإمام مالك بن أنس وهو ماحصل، بينما نجده لم يتردد عندما توفر لديه المال الكافي للرحلة الذي ورثه من أبيه، فحج وسمع من علماء الحجاز ومصر[6]، كما استطاع أحد أثرياء طليطلة يدعى داود بن هذيل(ت315هـ/927م) من الرحيل إلى الحج، حيث مكث هناك مدة طويلة تزيد عن عقد من الزمن لم يشتغل فيها إلا بطلب العلم، ثم رجع إلى الأندلس ومعه الكثير من الروايات والكتب التي جمعها هناك[7].

---

[1] ابن العطار محمد بن أحمد(ت399هـ/1008م)، **الوثائق والسجلات**، تح شالميتا وكورينطي، المجمع الإسباني للعربية والثقافة، دط، مدريد، 1983، ص468.

[2] الخشني بن عبد السلام، المصدر السابق، ص ص70، 71.

[3] ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص438، 439.

[4] الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص463.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص581.

[6] عياض، المصدر السابق، ج1، ص310؛ الذهبي، المصدر نفسه، ج10، ص519-524.

[7] الخشني، المصدر نفسه، ص88.

-فترة بقاء الأندلسيين في المشرق:

استغرقت رحلات الأندلسيين إلى الحجاز خلال عصر الإمارة الأموية مدة زمنية لم تكن محددة، فهناك من الأندلسيين من كانت مدة بقائه بالحجاز والمشرق طويلة للغاية، بينما وجد منهم من قصرت مدة بقائه هناك، إذ يرجع سبب ذلك إلى عدة اعتبارات سنتطرق إليها، لكن في الغالب تراوحت مدتها من سنة إلى سنتين ذهابا وإيابا كأدنى مدة ممكنة سجلت في تلك الفترة، حيث خرج محمد بن عيسى بن رفاعة في رحلة إلى المشرق لأجل الحج وطلبا للعلم سنة(283هـ/896م) فحج في نفس السنة[1]، وهذا عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) خرج من الأندلس سنة(207هـ/822م) وقيل في السنة التي تلتها فدخل الحجاز وسمع من مجموعة العلماء، مثل ابن الماجشون ومطرف بن عبد الله، وعبد الله بن المبارك وعبد الله بن نافع وسمع كذلك من أصحاب مالك في مصر ليعود إلى الأندلس سنة(210هـ/825م) بعدما جمع علما عظيما[2]، كما استغرقت رحلة محمد بن قاسم(ت329هـ/940م) أحد المهتمين بالحديث، الذي خرج حاجا سنة(294هـ/907م) أقام هناك مدة أربع سنوات وأربعة أشهر قضاها طلبا للعلم وتعليمه بالمشرق[3]، وحتى في القرن الرابع الهجري لم تسجل رحلة أقل من تلك المدة، فرحلة منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي(ت355هـ/966م) التي كانت في سنة(308هـ/920م) للحج دامت أربعين شهرًا، اقتنى خلالها كتبا من مكة وجاء بها إلى الأندلس[4]، كما نجد رحلة أخرى أقصر مدة عنها كانت لعَتَّاب بن بشير الغافقي(ت381هـ/991م) دامت سنتين، حيث خرج من الأندلس سنة(351هـ/992م) فوصل إلى مكة وحج في السنة التي تلتها[5].

غير أنه قد تطول الرحلة بشكل كبير، خاصة إذا كان المرتحل يريد من وراء رحلته تحصيل أكبر قدر من السماع، سيما أن المشرق كان يزخر بمشاهير العلماء باختلاف تخصصاتهم في تلك الفترة، ما حتم على الكثير منهم في عدم الاكتفاء بالحجاز والانتقال منه إلى حواضر علمية أخرى

---

[1] الخشني، المصدر السابق، ص176.

[2] عياض، المصدر السابق، ج1، ص382.

[3] الخشني، المصدر نفسه، ص174.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص ص845.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص ص510، 511.

بالمشرق، كما وجد عامل آخر في غاية الأهمية مرتبط هذه المرة بالجانب الاقتصادي؛حيث كان من الضروري توفير المال الكافي حتى يستطيع المرتحل تحمل مصاريف مكوثه هناك، الأمر الذي دفع بالمرتحلين في الكثير من الأحيان إلى التنقل لمناطق أخرى، حتى يوفروا قوتهم وحاجياتهم الضرورية، فمارسوا التجارة وقاموا بأعمال أخرى لأجل ذلك.

فكثيرا ما كان الأندلسيون يستغلون تواجدهم في الحج للذهاب إلى بقية الحواضر المشرقية طلبا للعلم ولقاء علمائها الأعلام، خاصة عندما اتسعت اهتماماتهم العلمية إلى مجالات أخرى كالحديث، واللغة وغير ذلك خلال فترة القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي، ونلمس ذلك من خلال تراجم العلماء المرتحلين، فوجد عدد معتبر منهم لم يكتفِ بحاضرتي الحجاز مكة والمدينة وذهب إلى أمكنة أخرى كالعراق والشام واليمن، بل هناك من بلغ به الأمر الذهاب إلى بلاد ما وراء النهر، فهذا سعيد بن نصر بن عمر بن خلف(ت350هـ/961م) رحل في بدايات القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي فحج وقضى مدة طويلة مترددا على العديد من حواضر بلاد المشرق طلبا للحديث حتى وصل خراسان؛ فسمع من علمائها ليتوفى بمدينة بخارى[1]، كما رحل محمد بن إبراهيم بن حيُّون(ت305هـ/917م) فحج وتردد ببلاد المشرق مدة خمسة عشر سنة، بغية ملاقاة أكبر عدد من رواة الحديث هناك، حتى أصبح إماما في الحديث متقنا بطرقه[2]، كذلك رحل قاسم بن أصبغ البياني(ت340هـ/951م) إلى الحج مع رفقة من العلماء، فسمع من علماء مكة ثم سافر إلى العراق فدخل الكوفة وبغداد، وفي طريق عودته دخل مصر والقيروان لغاية طلب العلم، فسمع في رحلته تلك من عشرات العلماء[3]، ومن الأندلسيين أيضا الذين استغلوا فرصة تواجدهم في الحج لزيارة بقية الحواضر المشرقية، نذكر محمد بن القاسم بن سيار(ت327هـ/938م) الذي حج ومن ثمّ عرج على عدة حواضر هناك، فدخل البصرة والكوفة وبغداد ودمياط والإسكندرية، والقيروان بمجموع مائة وستين شيخا وعالما[4].

---

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص338.

[2] المقري، المصدر السابق، ج2، ص52.

[3] الحميدي، المصدر نفسه، ص ص486، 488.

[4] المقري، المصدر نفسه، ج2، ص63.

كما وجد لبعض العلماء أكثر من رحلة، فعيسى بن دينار الغافقي(ت212هـ/827م) فقيه الأندلس في زمانه، حج ثلاث مرات متتابعة بداية من سنة(185هـ/801م)[1]، نجد أيضا محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) من أبرز محدثي الأندلس في تلك الفترة، رحل إلى الحجاز مرتين إحداهما كانت في سنة(218هـ/833م) ورحلة الثانية حج خلالها وطلب العلم لم يذكر المؤرخين تاريخها، بلغ مجموع الشيوخ الذين سمع منهم بالمشرق 175عالماً[2]، وأيضا خرج يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م) من الأندلس للحج مرتين، أدرك في رحلته الأولى الإمام مالك في السنة التي توفي فيها(179هـ/795م) فتفقه من علماء المدينة ومصر[3]، وقام سعيد بن إدريس الكتامي(ت330هـ/941م) الذي كان يميل إلى الفقه الشافعي برحلتين إلى الحجاز، سمع في رحلته الأولى من علماء مكة واليمن ومصر، غير أنه اكتفى في رحلته الثانية بالحج، ولم يطل بقائه هناك وعاد مسرعا إلى الأندلس كونه كان متقدما في العمر[4]، والحقيقة أن تردد الأندلسيين إلى الحجاز كان شائعا، لذلك نجد عدد منهم كرر حجه لأكثر من مرة كما هو الحال مع عيسى بن دينار(ت212هـ/827م) كبير فقهاء الأندلس ومفتيها الذي عرف بتردده على الحج[5]، والشأن نفسه مع سليمان بن نصر المرّي(ت260هـ/873م)[6] وأيضا كانت لمنتيل بن عفيف(ت317هـ/929م) حج وسمع من علماء الحرمين أكثر من مرة[7]، كما تردد على المشرق وجال في حواضره عالم أندلسي جليل يدعى عبد السلام بن يزيد اللّخمي(توفي قبل350هـ/961م) فكان هدفه بعد تأدية فريضة الحج جمع الحديث النبوي الشريف، حتى ذكر أن أحد رفقائه عاتبه لطول بقائه بالمشرق وحثه الرجوع إلى الأندلس؛ فكان رد عبد السلام: "لا أدخل الأندلس حتى أدخل بغداد أكتب فيها الحديث والآداب والأشعار، وأنصرف إلى الشام فأكتب بها وأستقصِي كتاب أسمعتي ثم أصدر إلى

[1] الخشني، المصدر السابق، ص271.
[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص ص650، 651؛ الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص445.
[3] عياض، المصدر السابق، ج1، ص311.
[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص201.
[5] المصدر نفسه، ج1، ص374.
[6] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص456.
[7] الخشني، المصدر نفسه، ص201.

الأندلس"[1]، الأمر الذي جعل الكثير من رحلات الأندلسيين إلى الحجاز تطول، لأن غايتهم كان الحج وطلب العلم، ولقاء كبار علماء المشرق وهذا هو دينهم، وكتب التراجم تسجل من حين إلى آخر مدة بقاء الأندلسيين في الحجاز بصفة خاصة وبالمشرق بصفة عامة نذكر:

فهذا سعيد بن حسان الصائغ(ت236هـ/850م) رحل إلى الحجاز سنة(177هـ/793م) ومكث هناك متجولا في مدن وحواضر المشرق طلبا للعلم مدة 27سنة، ليرجع في سنة(204هـ/819م) إلى الأندلس[2]، ونجد العلامة بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) الذي أصبح من أشهر علماء الحديث بالأندلس، بفضل الرحلتين اللتين حج خلالهما وسمع الحديث، أقام في إحداهما عشرة أعوام، وفي الرحلة الثانية خمسة وعشرين سنة[3]، وهذا محمد بن عبد السلام الخشني(ت286هـ/899م) كانت له رحلة إلى الحجاز مكث خلالها 25سنة بالمشرق[4]، ونجد أيضا محمد بن إبراهيم بن حيون(ت305هـ/917م) الذي رحل طلبا للحديث، فمكث هناك متجولا بين مكة وحواضر المشرق مدة 15سنة[5]، ورحل ثابت بن حزم العوفي(ت313هـ/925م) إلى الحج سنة(288هـ/901م) وبقي هناك يسمع العلم بمكة إلى غاية سنة(294هـ/906م) أي حوالي ست سنوات كاملة[6]، وأيضا دام بقاء فضل بن سلمة بن جرير(ت319هـ/931م) في إحدى رحلاته عشر سنوات دخل الحجاز وتنقل بين الحواضر المشرقية[7]، كذلك طالت رحلة عبد الله بن وهب(ت301هـ/913م) إلى الحجاز حيث سكن مكة 11سنة قبل أن يغادرها إلى الأندلس[8]، كما آثر حفص بن عبد السلام البقاء إلى جانب الإمام مالك مدة سبعة أعوام كاملة، من أجل حضور مجلسه وحلقاته العلمية باستمرار حتى أصبح من طلبته المقربين[9]، وأيضا دامت رحلة الفضل بن

[1]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص ص 489، 490.
[2]عياض، المصدر السابق ، ج1، ص ص376، 377.
[3]الخشني، المصدر السابق، ص49.
[4]الحميدي، المصدر السابق، ص107.
[5]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص667.
[6] الخشني، المصدر نفسه، ص ص67، 68.
[7] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص592.
[8]المصدر نفسه، ج1، ص ص381، 382.
[9]المصدر نفسه، ج1، ص215.

سلمة الجهني(ت319هـ/931م) إلى الحجاز عشرة أعوام قضاها متجولا بين مدن وحواضر بلاد المشرق مكتسبا معرفة وخبرة واسعة في مجال العلم[1].

ومنهم من فضل البقاء في الحجاز مثل عبد الرحمان بن دينار الغافقي(ت227هـ/841م) الذي سكن المدينة المنورة[2]، وأيضا قاسم بن أحمد بن جحدر (ت311هـ/923م) الذي سكن مكة المكرمة مدة عشرين سنة حتى توفي بها[3].

وهذا جدول يظهر عدد من الأندلسيين ممن ثبتت مجاورتهم في مكة المكرمة خلال فترة الدراسة:

م	أسماء المجاورين	الموطن	سنة الوفاة	سنة الرحلة	دوافع الرحلة	تخصصه العلمي	المصدر
01	يوسف بن يحي المغامي	طليطلة	288هـ/901م	/	الحج والعلم	الفقه	ابن فرحون، الديباج، ص ص438، 439.
02	عبد الله بن يحي القيسي (ابن الخشاب)	سرقسطة	/	القرن: 3هـ/9م	الحج	الفقه	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص371.
03	محمد بن يحي بن يحي الليثي	طليطلة	288هـ/901م	القرن: 3هـ/9م	الحج والعلم	الفقه	ابن فرحون، المصدر السابق، ص438. المقري، نفح الطيب، ج2، ص149.
04	كليب بن محمد بن عبد الكريم	طليطلة	300هـ/912م	291م 904م	الحج	الفقه	الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص107.

[1]الخشني، المصدر السابق، ص297.

[2]ابن فرحون، المصدر السابق، 243.

[3]المصدر نفسه، ص322؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص198.

05	عبد الله بن وهب	طليطلة	301هـ/913م أو 302هـ/914م	القرن: 3هـ/9م	الحج والعلم	الحديث	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص ص381، 382.
06	عبد الله بن عبد السلام (ابن قلمون)	قرطبة	302هـ/914م أو 308هـ/920م	القرن: 3هـ/9	الحج	/	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص380.
07	قاسم بن أحمد بن جحدر	طليطلة	311هـ/923م	القرن: 3هـ/9م	الحجوا لعلم	الفقه	ابن فرحون، المصدر السابق، ص322.
08	أحمد بن موسى بن أسود	أشونة	313هـ/925م	القرن: 3هـ/9م	الحج	الفقه	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص85.
09	داود بن هذيل بن منان	طليطلة	315هـ/927م	القرن: 3هـ/9م	الحج والعلم	الحديث	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص260.
10	مفرج بن حماد بن مفرج	قرطبة	/	القرن: 3هـ/9م	الحج والعلم	الحديث	ابن الأبار، التكملة، ج2، ص198. المقري، المصدر السابق، ج2، ص643.
11	وسيم بن سعدون	طليطلة	/	القرن: 3هـ/9م	الحج والعلم	الحديث	الخشني، أخبار الفقهاء، ص345.

من خلال الجدول ومما سبق يمكن القول أن تكرار الرحلات إلى بلاد الحجاز من طرف العديد من الأندلسيين دليل على وجود اتصال بين علماء الأندلس مع الحجازيين، وإلا فكيف كانوا يدركون تواجدهم هناك، سواءً كانوا علماء حجازيين أو من العلماء الوافدين في فترة معينة، خاصة كما علمنا أن الرحلة مكلفة وتستغرق مدة طويلة من الزمن للوصول إلى وجهتهم، هذا ما جعلهم يتجهزون للرحلة بشكل مدروس، ومسطرين الهدف الذي يصبون إلى تحقيقه من خلال اختيار شيوخهم والمعارف التي يرغبون في اكتسابها، كما أن المجاورة بدأت تنتشر بين حجاج الأندلس خلال القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي لما فيها من فوائد جمة فالبقاء في مكة لمدة معينة التي قد تستغرق أحيانا عدة سنوات، تعني أن العالم الأندلسي سيلتقي مع عدد كبير من علماء السنة على اختلاف أوطانهم، وتخصصاتهم العلمية مما يوفر عنه تكبد عناء التنقل إلى بلادهم البعيدة، فكثيرا ما نقرأ في كتب التراجم تمكن الأندلسيين الوصول إلى مصنفات هامة، وكذا السماع من علماء الأمصار الأخرى كالعراقيين والخراسانيين وغيرهما، كان كل ذلك يحدث في مكة المكرمة ملتقى العباد والعلماء كما رأينا في القسم السابق من البحث، وهنا يظهر مدى أهمية عامل المجاورة في طلب العلم خلال تلك الفترة.

ثانيا: التبادل العلمي بين الأندلس والحجاز(دراسة فيما يتعلق بالتكوين)

لقد شعر الأندلسيون الراحلين إلى الحج مدى الهوة التي تفصلهم عن المشرق، الذي كان قد قطع أشواطا واسعة في مجال الثقافة والعلوم خلال تلك الفترة، إذ مثل الحجاز رائد العلوم الدينية ومهوى أفئدة المسلمين، أحد أكثر الأمكنة حيوية ونشاطا، سواءً في المجال الاقتصادي أو في المجال العلمي والثقافي، فسرعان ما أدرك الأندلسيون أهميته كأحد منابع المعرفة يومئذ، فرحلوا إليه بشكل دائم ومستمر طلبا للعلم، غايتهم في ذلك نقل جزء من الثقافة المشرقية، وإدخالها إلى بلدهم بغية تحقيق نهضتهم العلمية، وبذلك يكون الحجاز قد شكل نموذجا حضاريا سعى الأندلسيون الاقتداء به، الأمر الذي جعل التأثير الحجازي يبدو واضحًا جليًا حيث طغى على الحياة الثقافية والعلمية بالأندلس، بينما بالكاد نلمس تأثيرا أندلسيا في الجهة الأخرى اللهم بعض المشاركات العلمية من بعض علمائها الأعلام تناقلتها المصادر المغربية المتخصصة، التي جاءت في الغالب

غير مكتملة الصورة، كما تجدر الإشارة إلى أن للرحلة من الأهمية بمكان فهي تسمح باللقاء المباشر بين الطالب وشيخه، الأمر الذي يؤدي إلى تنمية قدرات الطالب ورسوخ العلم في ذهن المتلقي، فقد أشار إلى ذلك ابن خلدون عندما قال: "إلا إن حصول المَلكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخًا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول المَلكات ورسوخها"[1]، فكثيرا ما كان الأندلسيون العائدين من المشرق أو من بلاد الحجاز، يحظون بمكانة مميزة في بلادهم، سواء من طرف حكامهم الذين أبدوا احتراما وتقديرا لهؤلاء العائدين، حيث استشاروهم في أمور المسلمين وعرضوا عليهم أسمى خطط دولتهم، مثل إمامة الصلاة وتولية القضاء وحتى منصب الوزارة، أما منزلتهم لدى العامة فكانوا يكنون لهم قدرا كبيرا من المحبة والإجلال، ودليل ذلك أن السبب الرئيسي لثورة الربض عام(202هـ/817م)[2]، ما هو إلا رد فعل من طرف العامة لما نال علماؤهم من تنكيل وقتل على يد الأمير الحكم بن هشام(180-206هـ/796-822م) فوقفوا مع علمائهم ضد السلطة المستبدة عندما سمحت لهم الفرصة بذلك، فيما يعرف بوقعة الهيج التي حدثت سنة(189هـ/805م)[3].

1- انتقاء العلماء:

كان من بين أهم الخطوات، التي يتبعها المرتحلون إلى الحجاز من أجل التحصيل العلمي انتقائهم للعلماء، حيث كانوا يسعون للقاء العلماء المشهورين قبل أداء فريضة الحج أو بعد أدائها[4] لأنه كلما روى الطالب أصول العلم من صاحبه مباشرة كان أكثر قيمة، وهذا الذي عرف عند المحدثين بالإسناد العالي، فسعوا إلى ما أمكن إلى سماع الحديث عن أقرب راوي لأجل التثبت من قائله[5]، وهو ما حصل بالفعل مع المرتحلين الأندلسيين على اختلاف اهتماماتهم العلمية؛ فهذا يحي

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص744، 745.

[2] ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص ص38، 39.

[3] ابن القوطية، المصدر السابق، ص68؛ عياض، المصدر السابق، ج1، ص204.

[4] مطلق البير حبيب، **الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف**، رسالة جامعية، دائرة اللغة العربية، الجامعة الأمريكية، بيروت، ماي1965، ص32.

[5] النيسابوري أبو عبد الله محمد الحاكم(ت382هـ/992م)، **معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه**، تح أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2003/1424، ص118.

بن يحي الليثي(ت234هـ/848م) كان قد سمع الموطأ من شيخه زياد بن عبد الرحمان اللخمي شبطون(ت199هـ/814م) إلا أنه سارع إلى الرحيل بغية إدراك الإمام مالك والسماع منه الموطأ مباشرة[1]، نجده أيضا مع عبد الملك بن حبيب السُلمي(ت238هـ/852م) لم يكتفِ هو الآخر بروايات الموطآت التي دخلت الأندلس، بل رحل وسمعه من صاحبه مباشرة[2].

والحقيقة أن أبرز العلماء على الإطلاق خلال فترة القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي هو إمام دار الهجرة وفقيه الأمة مالك بن أنس(179هـ/795م)[3] الذي اعتبره الكثير من العلماء أنه هو المعني بحديث النبي –صلى الله عليه وسلم–: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة"، رأى بذلك سفيان بن عيينة وآخرون من علماء المالكية[4]، كما يُعد الموطأ من أولى المصنفات في المدينة[5]، حيث لاقى قبولا وشهرة واسعة بفضل تلاميذه الذين أدخلوه إلى بلادهم، يقول عياض: "لم يُعتن بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء الناس بالموطأ فإن الموافق والمخالف اجتمع على تقديره وتفضيله وروايته وتقديم حديثه وتصحيحه"[6]؛ فكانت الأندلس على غرار تلك البلاد الإسلامية؛ حيث رحل إليه عدد كبير من العلماء وطلبة العلم الشغوفين بلقاء الإمام مالك فسمعوه منه وحملوه إلى بلادهم، فأصبحت الأندلس في تلك الفترة لا ترى إلا علم مالك[7].

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص519.

[2] المقري، المصدر السابق، ج2، ص6.

[3] الأصفهاني، المصدر السابق، ج6، ص316.

[4] عياض، المصدر السابق، ج1، ص ص32،33؛ الذهبي، المصدر نفسه، ج8، ص56.

[5] يبدو أنه وجد بالمدينة مصنفات في الحديث قبل موطأ مالك، التي عرفت بالموطآت مثل موطأ عبد الملك بن جريج(ت150هـ/767م) ومحمد ابن أبي ذئب(ت159هـ/775م)عبد العزيز بن الماجشون(ت164هـ/780م). انظر: السيوطي، **تدريب الراوي في شرح تقريب النووي**، ج1، تح أبو قتيبة نظر محمد الفريابي، مكتبة الكوثر، ط2، بيروت، 1994/1415، ص93؛ عياض، المصدر نفسه، ج1، ص ص102، 103.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص105.

[7] المقري، المصدر نفسه، ج2، ص46.

وتضاربت الروايات حول دخول الموطأ إلى الأندلس، وكي نحل اللبس والغموض عن أول أندلسي حمله إلى بلده فلابد لنا من وقفة[1]، ذكرت الروايات أن الإمام مالك –رحمه الله– قد استغرق مدة طويلة في تأليفه له، بل أفنى كل عمره من أجل تخريج الموطأ على أحسن حال، ففي رواية ذكرها ابن فرحون "قال صفوان بن عمر عرضنا على مالك الموطأ في أربعين يومًا فقال: كتاب ألفته في أربعين سنة، أخذتموه في أربعين يوما قَلَّ ما تفقهون فيه"[2]، وفي رواية أخرى للأصفهاني"قال عتبة بن حماد بن خليد أقمت على مالك فقرأت الموطأ في أربعة أيام فقال مالك: علم جمعه شيخ في ستين سنة أخذتموه في أربعة أيام؟ لا فقهتم أبدا"[3]، كما جاء في رواية لعياض "قال عتيق الزبيري وضع مالك الموطأ في نحو من عشرة آلاف حديث، فلم يزل ينظر فيه سنة ويسقط منه حتى بقي هذا ولو بقي قليل لأسقطه كله" وقال القطان في نفس السياق: "كان علم الناس في الزيادة، وعلم مالك في النقصان ...ولو عاش مالك لأسقط علمه كله أي تحريا"[4]، الأمر الذي يؤكد لنا أن الإمام مالك استمر في تهذيب الموطأ، يزيد وينقص فيه حسب ما يراه أنفع للمسلمين.

ومن أشهر الموطآت التي دخلت الأندلس في عصر الإمارة نذكر:

رواية الغازي بن قيس(ت199هـ/814م) ذكر أنه رحل قديما في عهد الأمير عبد الرحمان الداخل(138-172هـ/756-788م) فسمع من مالك الموطأ[5]، كما اتفق المؤرخون على أنه أول من أدخل الموطأ، وقراءة نافع إلى الأندلس[6]، ويبدو أن الغازي بن قيس حمل معه إلى الأندلس نسخة الموطأ في صورته الأولى أي غير مصححة ومنقحة، ودليل ذلك أنه شاهد الإمام مالك وهو

---

[1] آنجل جانثالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، تر حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، دط، بورسعيد، دت، ص417.

[2] ابن فرحون، المصدر السابق، ص73.

[3] الأصفهاني، المصدر السابق، ج6،ص331.

[4] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص102.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص199.

[6] ابن القوطية، المصدر السابق، ص56؛ ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص578؛ الخشني، المصدر السابق، ص ص291، 292؛ عياض، المصدر نفسه، ج1، ص199.

يؤلف الموطأ[1]، وعلى كلٍ عاد الغازي بن قيس إلى قرطبة بعلم غزير، فكان يحفظ الموطأ بكل دقائقه وأصبح إمام الناس في القراءة[2].

رواية زياد بن عبد الرحمان اللخمي شبطون(ت204هـ/819م) رحل حاجا في زمن الأمير هشام بن عبد الرحمان(172-180هـ/789-796م)[3] وأخذ العلم من مشاهير علماء المشرق آنذاك، فسمع من الإمام مالك بن أنس، وجلة من الأعلام، ذكر أنه مكث مدة عند الإمام مالك بن أنس وسمع منه الموطأ، وأيضا ألّف كتابا عنه في الفتاوى يسمى بسماع زياد[4]، وهو أول أندلسي أدخل كتاب الموطأ عن مالك عن طريق السماع، يقول عن ذلك المقري: "وهو أول من أدخل موطأ مالك إلى الأندلس مكملًا متقنًا.."[5]، وما ذكره عياض: "كان زياد أول من أدخل إلى الأندلس موطأ مالك، مثقفا بالسماع منه"[6]، يقول أيضا ابن فرحون: "وهو أول من أدخل الأندلس موطأ مالك متفقها بالسماع منه"[7]، هذا مايعني أن زياد شبطون قام بإدخال نسخة ثانية من الموطأ مهذبة ومنقحة، زيادة على ذلك فقد كان له قصب السبق في تفقيه أهل الأندلس على مذهب الإمام مالك[8].

رواية يحي بن يحي الليثي(234هـ/848م) للموطأ[9]: كان قد سمع الموطأ بالأندلس من شيخه زياد بن عبد الرحمان اللخمي[1] قبل أن يرحل إلى الحجاز، فسمع من مالك الموطأ غير أبواب

---

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص199.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص578.

[3] ابن القوطية، المصدر السابق، ص62.

[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص199؛ الخشني، المصدر السابق، ص95.

[5] المقري، المصدر السابق، ج2، ص46.

[6] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص200.

[7] ابن فرحون، المصدر السابق، ص194.

[8] الضبي، المصدر السابق، ج1، ص372؛ المقري، المصدر نفسه، ج2، ص45.

[9] لقد أشار محقق كتاب التمهيد لابن عبد البر، أنه رغم الشهرة الواسعة التي نالتها روايته في الأندلس والمغرب فإنها لم تلق أي اهتمام لدى المشارقة، واستدل على ذلك أن أصحاب الكتب الستة وغيرهم من الحفاظ الذين كتبوا في مجال الحديث لم يعتمدوها، كما يرى أنه من الأسباب التي حالت دون اعتمادها، كثرة الأخطاء في روايته. انظر:ابن عبد البر أبو عمر النمري(ت463هـ/1071م)، **التمهيد**، ج1، تح بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، لندن، 2017/1439، التعليق على الهامش، ص201.

أبواب في كتاب الاعتكاف شك في سماعه فيها، فأثبت روايته فيها عن شيخه زياد بن عبد الرحمان اللخمي[2]، كما سمع في رحلته تلك من أبرز علماء الحجاز في مكة والمدينة ومن تلامذة الإمام مالك المصريين، فعاد يحي بن يحي إلى الأندلس بعلم غزير، فاشتهر وأصبح كبير العلماء، ما أدى إلى تهافت الطلبة عليه لسماع منه موطأ مالك، فانتشرت واشتهرت روايته للموطأ من بين كل الموطآت التي دخلت البلد[3]، يقول عنه ابن عبد البر: "وبه وبعيسى بن دينار انتشر مذهب مالك وانتمى الناس إلى سماع الموطأ من يحي.."[4]، إضافة إلى الأعداد الكبيرة التي سمعت من يحي الموطأ فقد كانت له منزلة ومكانة جليلة عند أمير الأندلس؛ فكثيرا ما كان يستشيره ويأخذ برأيه[5] لقد سمحت مكانته المميزة على انتشار روايته واشتهارها؛ حيث اعتمدها ابن عبد البر في كتابه التمهيد يقول عنها في مقدمته: "وإنما اعتمدت على رواية يحي بن يحي المذكورة خاصة، لموضعه عن أهل بلدنا من الثقة والدين والفضل والعلم والفهم ولكثرة استعمالهم لروايته وراثة في شيوخهم وعلمائهم ...فكل قوم ينبغي لهم امتثال طريق سلفهم فيما سبق إليهم من الخير وسلوك منهاجهم فيما احتمدوا عليه من البرِّ، وإن كان غيره مباحا مرغوبا فيه"[6]، وذكر ابن خليكان أن رواية يحي بن يحي للموطأ هي أكثر روايات الموطأ شهرة في الأندلس، يقول: "..وأشهر روايات الموطأ وأحسنها رواية يحي المذكورة"[7]، كما أشار ابن خير في فهرسته، أن الكثير من مشايخ بلده حدثوه برواية يحي بن يحي للموطأ، إن دل هذا على شيء فإنما يدل على أنها كانت منتشرة وسائدة عن سائر باقي الروايات التي دخلت الأندلس[8].

جدول يظهر مجموعة من العلماء الأندلسيين الذين سمعوا الموطأ من الإمام مالك

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص898.

[2] عياض، المصدر السابق، ج1، ص311.

[3] ابن خليكان، المصدر السابق، ج6، ص144.

[4] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص311.

[5] الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص524.

[6] ابن عبد البر، المصدر السابق، ج1، ص201.

[7] ابن خليكان، المصدر السابق، ج6، ص144.

[8] ابن خير أبو بكر محمد(ت575هـ/1179م)، **فهرسة**، ج1، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة وبيروت، 1989/1410، ص96.

م	أسماء المرتحلين	الموطن	تاريخ وفاته	التخصص	المصدر
01	معاوية بن صالح الحضرمي	قرطبة أصله من الشام	158هـ/774م	الحديث	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص840.
02	سعيد بن أبي هند	طليطلة	القرن: 2هـ/8م	الفقه	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص288، 289. الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص233.
03	سعيد بن عبدوس	طليطلة	180هـ/796م	الفقه	الحميدي، جذوة المقتبس، ص334.
04	محمد بن إبراهيم بن مزين	أكشونبة	183هـ/796م	/	المقري، نفح الطيب، ج2، ص514.
05	يحي بن مضر القيسي	قرطبة	189هـ/804م أو 190هـ/805م	الفقه	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص895. الخشني، المصدر السابق، ص347.
06	محمد بن بشير (القاضي)	طليطلة أصله من باجة	198هـ/813م	الفقه	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص286-293. المقري، المصدر السابق، ج2، ص148.
07	الغازي بن قيس	قرطبة	199هـ/814م	الفقه القراءات	الخشني، المصدر السابق، ص291. الحميدي، المصدر السابق، ص475.
08	حفص بن عبد	سرقسطة	200هـ/815م	الفقه	الحميدي، المصدر السابق، ص283. عياض، المصدر

	السلام				السابق، ج1، ص108.
09	عبد الرحمان بن أبي هند	طليطلة	200هـ/815م	الفقه	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص437. الخشني، المصدر السابق، ص233.
10	زيد بن الحُباب العُكلي	قرطبة أصله من الكوفة	203هـ/818م	الحديث	الحميدي، المصدر السابق، ص315-317.
11	زياد بن عبد الرحمان اللخمي (زياد شبطون)	قرطبة	204هـ/819م	الفقه	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1،ص279، 280. عياض، المصدر السابق، ج1، ص200-203.
12	حسان بن عبد السلام (أخو حفص)	سرقسطة	/	الفقه	الخشني، المصدر السابق، ص75. عياض، المصدر السابق، ج1، 295.
13	طالوت بن عبد الجبار	قرطبة	/	الفقه	المقري، المصدر السابق، ج2، ص639.
14	شبطون بن عبد الله	طليطلة	212هـ/827م	الفقه	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص348. الخشني، المصدر السابق، ص335.
15	عبد الرحمان بن عبيد الله	لشبونة	/	الفقه	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص439.
16	عبد الرحمان بن موسى الهواري	إستجة	/	الفقه التفسير القراءات	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص439، 440. عياض، المصدر السابق، ج1،

					ص294.
17	قُرعوس بن العباس بن قرعوس	قرطبة	220هـ/835م	الفقه	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص621.
18	يحيى بن يحيى الليثي	قرطبة	234هـ/848م	الفقه	الخشني، المصدر السابق، ص348.
19	مسلمة بن سليمان	/	/	الحديث	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص822.
20	داود بن جعفر بن الصغير	قرطبة	/	الحديث	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص ص257، 258.
21	محمد بن يحي السَّبئي	قرطبة	/	الحديث	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص629-631. الحميدي، المصدر السابق، ص146.
22	عبد الملك بن حبيب السلمي	قرطبة أصله من إلبيرة	238هـ/852م	الفقه اللغة	الحميدي، المصدر السابق، ص408. المقري، المصدر السابق، ج2، ص6

يتبين خلال هذه القائمة التي تضم رحالة أندلسيين التقوا بالإمام مالك وسمعوا منه، أن شهرة ومكانة الإمام مالك كانت واسعة في الأندلس زد على ذلك رغبتهم في أخذ الفقه من أعلامه مباشرة هذا مايفسر لنا كثرة طلبته الأندلسيين، ولأن كتاب الموطأ كان أكثر مصنفا انتشارا بالأندلس حتى ذلك الوقت، فقد مثل الأصل في تدريس الفقه وانتقاء الأحاديث الشريفة والأحكام، فلم يتوال عدد من العلماء الرحيل وسماعه من أصحاب الإمام مالك بالمشرق نظرا لأهمية المصنف وكذا تحريا للصدق، وهذه جملة من علماء الأندلس ممن رحلوا وسموا الموطأ من أصحاب الإمام مالك بن أنس:

م	أسماء المرتحلين	الموطن	تاريخ وفاته	رواية الموطأ	المصدر
01	عبد الملك بن حبيب	قرطبة أصله من طليطلة	238هـ 852م	مطرف بن عبد الله المدني	الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص246.
02	يحي بن إبراهيم بن مزين	قرطبة	259هـ 872م	مطرف بن عبد الله المدني، حبيب بن أبي حبيب كاتب الإمام مالك	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص ص441، 442. الخشني، المصدر السابق، ص370.
03	محمد بن يوسف بن مطروح	قرطبة	271هـ 884م	مطرف بن عبد الله المدني	عياض، المصدر السابق، ج1، ص447. الخشني، المصدر السابق، ص116.
04	يحي بن عمر بن عامر	/	285هـ 898م	يحي بن بكير المخزومي المصري	الحميدي، الجذوة، ص559.
05	داود بن عبد الله القيسي	إشبيلية	القرن: 3هـ/9م	يحي بن عبد الله بن بكير	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص258.
06	يحي بن عبد العزيز الخراز	قرطبة	290هـ 902م	يونس بن عبد الأعلى المصري	الخشني، المصدر السابق، ص374.
07	محمد بن يزيد بن خالد الأنصاري	بجانة	317هـ 929م	من عدة علماء	الخشني، المصدر السابق، ص ص161، 162.
08	محمد بن عيسى بن رفاعة	رية	337هـ 948م	من عدة علماء	الخشني، المصدر السابق، ص176.
09	زكرياء بن الخطاب بن إسماعيل الكلبي	تطيلة	القرن: 4هـ/10م	أبي مصعب الزهري	ابن الفرضي، المصدر السابق،

					ج1، ص270

من خلال اطلاعنا على العديد من المصادر التاريخية، التي اهتمت بعلماء الأندلس خلال تلك الفترة سيما كتب التراجم منها، تبين لنا أن رحلات الأندلسيين إلى الحجاز كانت نابعة من إرادة المرتحل، كما كانت له الحرية التامة في اختيار شيوخه والمدة الزمنية التي يريد قضائها هناك، كما تخبرنا كتب التراجم أيضا عن أسماء العديد من الشيوخ الذين التقى بهم الأندلسيون الراحلين إلى الحجاز، ويبدو أنه وجدت بعض التأثيرات التي كانت بمثابة عامل توجيه الطلاب إلى شيوخ دون غيرهم، فقد حرص الأندلسيون على لقاء مشاهير علماء المشرق خلال رحلاتهم تلك، تذكر لنا رواية قصة جرت للغازي بن قيس مع فقيه المدينة ابن أبي ذئب(ت158هـ أو159هـ/774م أو 775م)[1] يرويها عن نفسه قال: "دخلت المدينة فأتيت مسجد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فركعت ركعتين ثم جلست، فدخل إلي رجل مسرور الشعر أي محلوق الشعر فقعد عند سارية ولم يركع فقمت إليه وقلت: يا هذا لو ركعت ركعتين فإنهما من السنة عند دخول المسجد، قال: قام وركع ركعتين وجلس وأتى الناس فتحلقوا حوله فسألت عنه فقيل لي: هذا ابن أبي ذئب، فقلت في نفسي: إنا لله وإنا إليه راجعون أنا أعلم أم ابن أبي ذئب السنة، وقمت إليه معتذرا وقلت: إني والله لم أعرفك، فقال لي: وأي بأس كان منك أمرتنا بخير فأطعناك.."[2]، ويتضح لنا من هذه الرواية مدى شهرة وتواضع علماء الحرمين مع طلبة العلم.

كما توجهوا أيضا إلى أصحاب مشاهير العلماء الذين تعذر عليهم لقائهم بسبب وفاتهم أو لانصرافهم عن الحجاز إلى أوطانهم البعيدة، فقد أخذ الأندلسيون العلم عن الكثير من أصحاب الإمام مالك على غرار إسماعيل بن أبي أويس(ت226هـ أو227هـ/840م أو 841م) ابن أخت مالك وزوج ابنته، صحب مالكا أكثر من عشرين سنة[3] وكذلك مطرف بن عبد الله(ت214هـ أو219هـ/829م أو834م) من فقهاء المدينة الثقات وأبرز أصحاب الإمام مالك[4]، إضافة إلى

[1] فقيه مدني مشهور صنف الموطأ قبل الإمام مالك. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج7، ص139-149.
[2] الخشني، المصدر السابق، ص291.
[3] عياض، المصدر السابق، ج1، ص213.
[4] المصدر نفسه، ج1، ص206.

أصحاب العلماء المشهورين، حيث سمع قاسم بن أصبغ(ت340هـ/951م) من أبا محمد بن مضر بن محمد[1] صاحب يحي بن معين(ت233هـ/847م)[2] وأيضا سمع عبد الرحمان بن يزيد بن برير(ت258هـ/871م) من عبد الرحمان المقرئ صاحب محدث الحرم سفيان بن معين(ت198هـ/813م)[3].

كما حرصوا كذلك على اللقاء والسماع من أنجب تلامذة الإمام مالك من بعده كما سوف نرى، إضافة إلى مشاهير العلماء الذين تواجدوا بالحجاز سواء كانوا من أهل البلد أو من العلماء الوافدين عليه من مختلف البلاد الإسلامية، فقد حفلت كتب التراجم بذكر عدد من الشيوخ الذين تتلمذ عليهم أولئك المرتحلون، نذكر ممن رحلوا خلال القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي حسين بن عاصم العريان(ت180هـ/796م) سمع هو الآخر من مطرف بن عبد الله، ومن عبد الله بن نافع وغيرهم من مشايخ المدينة، ومن أصحاب مالك المصريين، مثل عبد الرحمان بن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وعبد الله بن وهب[4]، وأيضا لقي يحي بن مضر القيسي(ت189هـ/805م) في رحلته الإمام مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة[5]، وأيضا سمع زيد بن الحباب الْكليِّ(ت203هـ/818م) الداخل على الأندلس من سفيان الثوري وشعبة بن الحجاج وسيف بن سليمان، ومن الإمام مالك وابن أبي ذئب[6]، كذلك لقي الغازي بن قيس(ت199هـ/814م) ابن أبي ذئب وابن جريج والإمام الأوزاعي وثور بن زيد، ومحمد بن وردان وسمع منهم العلم[7]، كما أكثر يحي بن يحي (ت234هـ/848م) السماع من الشيوخ كونه كانت له رحلتان إلى الحجاز، حيث

---

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص487.

[2] هو الإمام الحافظ أبو زكريا أبو عون يحيى بن معين بن زياد ابن بسطام البغدادي من رواة الحديث المشهورين، روى عنه البخاري ومسلم وأحمد وأبو داود وغيرهم ولد سنة(158هـ/774م) وتوفي عام(233هـ/847م). انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج11، ص71-96.

[3] من رواة الحديث الثقات أصله من الكوفة وسكن مكة ولد سنة(107هـ/725م) توفي سنة(198هـ/813م). انظر: ابن سعد، المصدر السابق، ج8، ص ص59، 60.

[4] عياض، المصدر السابق، ج1، ص380.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص896.

[6] الحميدي، المصدر نفسه، ص317.

[7] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص199.

سمع في مكة من سفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، وفي المدينة من نافع بن أبي نعيم، والقاسم بن عبد الله العمري، والتقى بأصحاب مالك المصريين فسمع من الليث بن سعد وعبد الله بن وهب وعبد الرحمان بن القاسم، وجماعة من المشايخ لم يذكرهم المترجمون واكتفوا بقول وآخرون[1]، وسمع عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) الذي كان قد رحل إلى الحجاز خلال القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي، ليعيد رحلته مرة أخرى سنة(208هـ/823م) فالتقى مع عدد كبير من المشايخ كبار أصحاب مالك ونظرائهم من العلماء، فسمع في المدينة من عبد الملك بن الماجشون، ومطرف بن عبد الله وإبراهيم بن المنذر الحزامي وإسماعيل بن أبي أويس، وفي مكة سمع من عبد الله بن المبارك وعبد الرحمان بن رافع الزبيدي ومن أصحاب مالك المصريين كالليث بن سعد وعبد الرحمان بن القاسم وأنس بن عياض وعبد الله بن الحكم وأسد بن موسى وأصبغ بن الفرج، وجماعة من المشايخ لم يذكرهم المترجمون[2].

وخلال القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي رحل يحي بن يحي بن مُزين(ت259هـ/872م) في فترة حكم عبد الرحمان بن الحكم(206-238هـ/822-852م)، ولأن اهتمامه كان الفقه فقد فضل المدينة فالتقى بمطرف بن عبد الله صاحب الإمام مالك، وحبيب بن أبي حبيب كاتب الإمام مالك وروى عنهما الموطأ[3]، كما اتسعت نطاق الرحلات بشكل كبير خلال هذه الفترة فلم يكتفو بأخذ العلم من علماء الحجاز فحسب بل جالوا في مناطق واسعة من بلاد المشرق، خاصة عندما ازداد اهتمامهم ببعض العلوم كالحديث، واللغة بعدما كان الفقه هو منتهى علمهم في القرن الذي قبله، كما هو الحال مع بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) العالم الجوال رحل هو الآخر حاجا وطلبا لعلم الحديث؛ فلقي أئمة الحديث وكبار المسندين؛ فقد روي أنه أخذ العلم من مائة وأربعة وثمانون عالما وراويا للحديث، حتى أطلق عليه تسمية المكنسة لكثرة العلماء الذين لقيهم في مناطق عدة من البلاد الإسلامية، فأشهر من التقى بهم وسمع منهم بالمدينة نذكر: أبا مصعب الزهري وإبراهيم بن المنذر الحزامي، وفي مكة نجد إبراهيم بن محمد الشافعي، ومحمد بن يحي العدني وآخرون، كما لقي في

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص ص898، 900؛ الخشني، المصدر السابق، ص348.

[2] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص459؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص252، 253.

[3] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص901.

مصر أشهر علمائها في ذلك الوقت كيحي بن بكير ويحي بن عبد الله بن بكير صاحب الإمام مالك، والحارث بن مسكين وغيرهم من الأعلام ومن إفريقية سمع من الإمام سحنون بن سعيد[1]، وعدد غفير من العلماء ورواة الحديث في شتى بلاد المشرق الإسلامي[2]، ونجد الأمر نفسه حدث مع محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) كانت له رحلتان إلى المشرق إحداهما كانت في سنة(218هـ/833م) عُرف عن ابن وضاح باهتمامه الكبير بالحديث بل عُد أحد حفاظ الأندلس، روي أنه في رحلته الثانية حج وسمع الحديث من علماء الحجاز، فلقي بالمدينة إسماعيل بن أبي أويس، ويعقوب بن حميد بن كاسب، وإبراهيم بن منذر الحزامي، وبمكة سمع من محمد بن يوسف الفرياني وعدد غفير من العلماء المدنيين والمكيين تعذر من المترجمين له ذكرهم، وقد قدر عدد العلماء الذين لقيهم محمد بن وضاح بمائة وخمسة وسبعون عالما وراويا للحديث[3]، وبسماعه من هذا العدد الكبير من العلماء جعله ينفرد عن أقرانه من أهل العلم في الأندلس بالإسناد العالي[4]، وحصل الشأن نفسه مع محمد بن فُطيس بن واصل(ت319هـ/931م) من مدينة ألبيرة رحل سنة(257هـ/871م) فحج وسمع من علماء الحجاز في مكة والمدينة، وتردد بين مصر وإفريقية طلبا للرواية، وهذا هو ديدن أصحاب الحديث، فكان مجموع من التقى بهم خلال رحلته تلك مائة شيخ وعالم[5].

بينما نجد عدد من المرتحلين خلال هذا القرن من صب اهتمامه باللغة، مثل محمد بن عبد السلام الخشني(ت286هـ899م) الذي رحل قبل سنة(240هـ/854م) فأدى الفريضة ثم تفرغ للسماع من شيوخ مكة، مثل محمد بن يحي بن أبي عمر العيدي الذي أخذ عنه مصنف ابن عيينة قبل أن يسارع بالرحيل إلى البصرة؛ لأنها كانت بمثابة أصل صناعة اللغة والنحو في تلك

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص ص169، 170.

[2] للوقوف على أسماء العلماء الذين التقى بهم بقي بن مخلد خلال رحلته إلى المشرق. انظر: الخشني، المصدر السابق، ص50-55.

[3] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص650-653.

[4] ابن فرحون، المصدر السابق، ص338.

[5] المقري، المصدر السابق، ج2، ص62؛ بينما نجد أن ابن الفرضي في تاريخه جعل عدد الذين لقيهم ابن فطيس خلال رحلته نحو مائتان شيخ. انظر: ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص ص689، 690.

الفترة[1]، نجد أيضا محمد بن إبراهيم بن حيون(ت305هـ/917م) رحل حاجا ومكث بالمشرق مدة خمس عشرة سنة مترددا على أصحاب الحديث، فسمع بمكة من علي بن عبد العزيز، وأبي مسلم الكشي، ومحمد بن علي بن زيد الصائغ أبي محمد بن عيسى العباسي[2]، ونشاهد تردد الكثير من العلماء المرتحلين على نفس العالم لشهرته في العلم، فقد رحل العديد من الأندلسيين خلال القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي من أجل لقاء والسماع من علي بن عبد العزيز المكي، ومن محمد بن إسماعيل الصائغ وهما من أبرز رواة الحديث بالحجاز في وقتهما، نذكر جملة منهم: قاسم بن عبد الواحد العجلي(ت293هـ/905م) الذي سمع منهما ومن غيرهما بالحجاز[3]، وأيضا يحي بن عبد العزيز الخراز(ت295هـ/908م) حيث رحل وسمع منهما الحديث بمكة، كما سمع من محمد بن عبد الله المقرئ جامع سفيان الكبير[4]، وشارك محمد بن عبد الملك بن أيمن(ت330هـ/941م) رفاقه الذين سبقوه في الرحلة في عدد من الشيوخ؛ فسمع هو الآخر من علي بن عبد العزيز ومن محمد بن إسماعيل الصائغ[5] ويبدو أن رفيقه في الرحلة قاسم بن أصبغ البياني(ت340هـ/951م) قد شارك ابن أيمن في هذين الشيخين الجليلين، غير أنه تميز عن علماء عصره بلقائه عدد كبير من الأئمة المحدثين وكبار المسندين بالمشرق، مما جعله يكسب شهرة واسعة ببلده كأحد رواة الحديث المشهرين، حتى أصبحت الرحلة تشد إليه في الأندلس[6].

وهذا جدول يوضح أبرز العلماء الحجازيين الذين رحل إليهم الأندلسيون وسمعوا منهم العلم بالحجاز خلال فترة الدراسة:

م	أسماء العلماء الحجازيين	موطنه	تاريخ وفاته	تخصصه	أسماء المرتحلين الأندلسيين	المصدر

[1]الخشني، المصدر السابق ص132.
[2]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص667.
[3]المصدر نفسه، ج2، ص ص601، 602.
[4]الخشني، المصدر نفسه، ص ص374، 375؛ ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص907.
[5]المصدر نفسه، ج2، ص ص704، 705.
[6]ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص321، 322.

01	نافع بن أبي نعيم	المدينة	169هـ 785م	القراءات	الغازي بن قيس (ت199هـ/814م)	الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص291. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص898.
02	عبد الله بن يزيد	مكّة	213هـ 828م	القراءات	عبد الرحمان بن يزيد بنبرير (ت259هـ/872م)، إبراهيم بن نصر الجهني ابن أبرول (ت287هـ/900م)	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص40، 441.
03	مطرف بن عبد الله أبو مصعب	المدينة	214هـ 829م	الفقه	حسين بن عاصم (ت208هـ/823م)، الفضل بن عميرة (ت197هـ/812م)، عبد الرحمان بن عميرة(ت227هـ/ 841م)، عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/ 852م)، عبد الرحمان بن يزيد بن بريـر (ت258هـ/ 871م)، يحي بن إبراهيم بن مزين(ت259هـ/ 872م)، عبد الأعلى بن	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص380، 393، 452، 448. ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص441، 459، 474، نفسه، ج2، ص901.

					وهب(ت261هـ/ 874م)، محمد بن يوسف بن مطروح(ت271هـ/ 884م)	
04	علي بن عبد العزيز	مكة	286هـ 899م	الحديث	يوسف بن يحي المغامي(ت288هـ/ 901م)، يحي بن عبد العزيز(ت290هـ/ 902م)، محمد بن حفص(ت290هـ/ 902م)، قاسم بن عبد الواحد(ت293هـ/ 905م)، مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة(ت295هـ/ 907م)، يحي بن عبد العزيز ابن الخراز(ت295هـ/ 908م)، إبراهيم بن موسى بن جميل(ت300هـ/ 912م)، عبد الله بن وهب(ت301هـ/ 913م)، أحمد بن بيطر(ت303هـ/ 915م)، محمد بن	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص42، 69، 75، 142، 167، 201، 340، 358، 381. ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص558، 601، 666، 704، 819، 908. الخشني، المصدر السابق، ص17، 155، 176، 345، 374. ابن فرحون، المصدر السابق، ص344، 438. الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص569.

					إبـــــراهيم بـــــن حيـــــون(ت305هـ/ 917م)، طـــاهر بـــن عبـــــــــــــد العزيـــــز(ت305هـ/ 917م)، أحمـــد بـــن عمـــــــرو بـــــن منصـــــور(ت312هـ/ 924م)، إســحاق بـــن إبـــــــــــــراهيم النصـــــري(ت311هـ/ 923م)، داود بـــــن هـــــــذيل(ت315هـ/ 927م)، أســـلم بـــن عبـــــــــــــد العزيـــــز(ت319هـ/ 931م)، محمـــد بـــن فطـــــيس(ت319هـ/ 931م)، عيســـى بـــن أيـــوب بـــن لبيـــب الغســـــاني(ت319هـ/ 931م)، أحمـــد بـــن ســـــــعيد بـــــــن ميســـــــرة(ت322هـ/ 934م)، أحمـــد بـــن خالـــــــد بـــــــن يزيـــــــد(ت322هـ/ 934م)، حســـن بـــن ســـــــعد بـــــــن رزيـــــــن(ت322هـ/	

					934م)، سليمان بن قريش(ت329هـ/ 940م)، محمد بن عبد الملك بن أيمن(ت330هـ/ 941م)، حسن بن سعيد بن إدريس(ت332هـ/ 943م)، محمد بن عيسى بن رفاعة(ت337هـ/ 948م)، عيسى بن شذانق، وسيم بن سعدون.	

يتبين من خلال هذه القائمة التي تضم أبرز العلماء الحجازيين الذين سمع منهم الرحالة الأندلسيين العلم خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين، أن علوم الشريعة كانت أكثر المجالات العلمية تفضيلا لهم لاسيما الفقه والحديث وعلوم القرآن، كما تهافتوا أيضا على شيوخ وعلماء الحجاز المشهورين ودليل على ذلك وجود أسماء أندلسية كثيرة أخذت العلم من عالم حجازي واحد، واستمر رحيل الأندلسيين للقاء للعلماء طيلة عصر الإمارة في الأندلس.

2- **الطرق التعليمية التي أخذ بها الأندلسيون العلم في الحجاز:** نجد أبرزها الرواية السماع، والإجازة، والقراءة.

أ- طريقة السماع:

تقوم هذه الطريقة التعليمية على الإلقاء الشفهي؛ حيث يقوم العالم بتلقين مادته العلمية عن طريق إلقاء دروسه معتمدا على حفظه، في حين يتعين على الطالب الإصغاء بتمعن شديد حتى يتمكن من تخزين تلك المعلومات من أجل حفظها، كما تميز طلاب تلك الفترة بإطالة ملازمتهم

لشيوخهم مما زاد من حفظهم وفهمهم الجيد للعلم الذي يتلقونه[1]، فمن خلال دراستنا للنشاط العلمي بالحجاز خلال القرنين(2-3هـ/8-9م) ظهر لنا أن طريقة السماع مثلت أكثر الطرق التعليمية انتشارا بين أصحاب الدراسات العليا آنذاك، هذا ما يجعلنا نجزم أن الكثير من الأندلسيين أخذوا تعليمهم هناك بهذه الطريقة، خاصة إذا علمنا أن العديد منهم كانوا علماء وغاية تواجدهم بالحجاز هو تنمية معارفهم أكثر في ذلك العلم، الأمر الذي جعلهم يقبلون على هذه الطريقة التعليمية التي سمحت لهم التوسع في ذلك العلم[2]، كما تخبرنا المصادر المتخصصة مدى ملائمة طريقة السماع للأندلسيين، فقد أبدوا قدرات معتبرة من ناحية الحفظ، روي أن الغازي بن قيس(ت199هـ/814م) كان يحفظ كتاب الموطأ للإمام مالك بكل دقائقه بحيث كان لا يسقط منه ياءً ولا واوا[3]، ووصف محمد بن أحمد العتبي(ت254هـ/868م) بأنه منقطع النظر بتميزه بذاكرة قوية مكنته من حفظ معرفة واسعة مما سمعه من شيوخه بالحجاز[4]، نجد كذلك محمد بن يزيد بن خالد الأنصاري(ت317هـ/929م) تميز هو الآخر بقدرات عالية على الحفظ ما ساعده على حفظ موطأ مالك بأسانيد مختلفة، وحفظ أيضا كتاب المدونة وأدخلهما إلى الأندلس[5]، كما استطاع عبد الرحمان بن موسى الهواري الذي رحل إلى الحج خلال القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي من أن يعيد كتابة مجموعة كبيرة من الكتب التي كانت قد أتلفت منه في البحر[6].

كما يمكن أن نشير إلى نقطة في غاية الأهمية بأن طريقة السماع شكلت منهجا رئيسيا اتبعه جل الطلبة المرتحلين إلى الحجاز، فقد طغت عبارة حج وسمع في تراجم علماء الأندلس، حتى يكاد يعتقد القارئ أنها الطريقة الوحيدة المستعملة من طرف الأندلسيين الدارسين هناك في تلك

---

[1] محمد مصطفى الأعظمي، **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، ج2، المكتب الإسلامي، دط، بيروت، 1980/1400، ص337.

[2] صالح أحمد العلي، **الرواية والأسانيد وأثرها في تطوير الحركة الفكرية في صدر الإسلام**، كلية الآداب، جامعة بغداد، دت، ص17.

[3] ابن الجزري شمس الدين أبي الخير بن علي(ت833هـ/1429م)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2006/1427، ص3

[4] الخشني، المصدر السابق، ص119.

[5] المصدر نفسه، ص162.

[6] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص439.

الفترة[1]، ومن أمثلة الأندلسيين الذين اتخذوا طريقة السماع للتعلم خلال حضورهم للمجالس، والحلق العلمية بالحجاز نذكر: الطلائع الأندلسية الأولى التي رحلت إلى الحجاز في حياة الإمام مالك؛ حيث سمعت منه الموطأ، وسمعته كذلك من أصحابه، مثل يحي بن مضر القيسي(ت189هـ/805م)[2] والغازي بن قيس(ت199هـ/814م)[3] وزياد بن عبد الرحمان اللخمي(ت204هـ/819م)[4]، وقرعوس بن العباس(ت220هـ/835م)[5] وغيرهم، فكلهم أخذوا العلم عن طرق المشافهة، واستمر الأمر على هذه الطريقة خلال القرن الذي تلاه، فأخذ كل من بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) الذي التقى مع عدد كبير من الشيوخ جعلهم السيوطي مائتان وأربعة وثمانون رجلا[6]، ومحمد بن وضاح(ت287هـ/900م) محدث الأندلس[7] وقاسم بن أصبغ (ت340هـ/951م)[8] كلهم استندوا على السماع والحفظ من العلماء والشيوخ الذين التقوا بهم في الحجاز سواء في مكة أو بالمدينة.

وأيضا الكثير من المؤلفات المشرقية التي دخلت الأندلس في تلك الفترة كانت عن طريق السماع، فكانوا يحفظونها ويتدارسونها بشكل متقن مع أصحابها أو من أحد العلماء المشهورين هناك، ثم يأتون بها إلى بلدهم عن طريق الحفظ والرواية كما هو الحال مع عبد الرحمان بن دينار(ت201هـ/816م) الذي استوطن المدينة مدة طويلة وسمع بها كتاب يعرف بالكتب المدنية، غير أنه توفي بالمشرق فأدخل هذه الكتب أخوه عيسى بن دينار الذي كان قد سمعها منه هناك[9]،

---

[1] للوقوف على مدى انتشار طريقة السماع لدى الأندلسيين القادمين من الحجاز خلال فترة الدراسة . انظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1 وج2؛ عياض، المصدر السابق، ج1. الضبي، المصدر السابق، ج1 وج2؛ المقري، المصدر السابق، ج2.

[2] الخشني، المصدر السابق، ص347.

[3] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص588.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص ص257، 258.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص621.

[6] السيوطي، **طبقات المفسرين**، ص40.

[7] الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص445.

[8] المصدر نفسه، ج15، ص472.

[9] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص372، 375.

وسمع يحي بن مزين(ت259هـ/872م) كتاب الموطأ من مطرف بن عبد الله المدني، ومن حبيب بن أبي حبيب كاتب الإمام مالك[1]، كذلك سمع محمد بن عبد السلام الخشني(ت286هـ/899م) أثناء رحلته إلى الحج مصنف ابن عيينة أخذه من محمد بن يحي بن أبي عمر العيذي، إضافة إلى سماعه لكتب أخرى في مجال اللغة بالمشرق فأدخلها كلها إلى الأندلس[2]، كما سمع زكرياء بن خطاب الذي رحل سنة(293هـ/905م) حج خلالها وسمع بمكة كتاب النسب للزبير بن بكار من الشيخ الجرجاني، ورى الموطأ رواية أبي مصعب الزهري عن إبراهيم بن سعيد الحداد[3].

ب-طريقة القراءة:

من بين المناهج التعليمية التي كانت منتشرة في بلاد الحجاز خلال تلك الفترة؛ فقد عرفت هذه الطريقة انتشارا خاصة عندما شاع تدوين العلوم خلال النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي[4]، تعتمد هذه الطريقة على القراءة من كتاب، حيث يقوم الشيخ بالقراءة من كتابه أو من كتاب غيره، أو القراءة على الشيخ[5]، وكانت من جملة الطرق التعليمية التي اعتمدها الأندلسيون، بالأخص الذين اهتموا بتعلم القرآن الكريم وقراءاته بالحجاز عن طريق تقليد الشيخ المقرئ؛ فقد قرأ الغازي بن قيس(ت199هـ/814م) على نافع بن أبي نعيم مقرئ المدينة، روي أنه صحح مصحفه على مصحف نافع المدني ثلاثة عشر مرة، وبعد أن فهم أحكامها ومهر في قراءة القرآن على طريقة نافع المدني أتى بها إلى الأندلس[6]، ويذكر الزبيدي أن أبا موسى الهواري الذي كان قد رحل إلى الحج في الأيام الأولى من فترة حكم الأمير عبد الرحمان الداخل(138-172هـ/756-788م) قد قرأ هناك على مشاهير المقرئين، وأدخل مجموعة من القراءات إلى الأندلس[7]، نجد كذلك من القراء المشهورين محمد بن عبد الله أبو عبد الله القرطبي، حج وفي طريق

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص901.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص649؛ الخشني، المصدر السابق، ص ص132، 133.

[3] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص271.

[4] الأعظمي، المرجع السابق ج2، ص337.

[5] عياض، **الإلماع**، ص70.

[6] ابن الجزري، المصدر السابق، ص3؛ الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص ص322، 323.

[7] الزبيدي، المصدر السابق، ص254.

عودته نزل مصر وقرأ عند عثمان بن سعيد بن عبد الله المدعو بورش(ت197هـ/812م) شيخ الإقراء بالديار المصرية قبل أن يرجع إلى قرطبة فصار بها عالما بالقراءات[1]، كما لم يأخذ بهذه الطريقة المهتمين بعلم القراءات فحسب بل امتدت لعلوم أخرى، كما هو الحال مع فقيه الأندلس يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م) الذي سمع الموطأ من عند شيخه زياد بن عبد الرحمان اللخمي(ت204هـ/819م) قبل أن يرحل ويدرك الإمام مالك فقرأه عليه[2].

وفي القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي ازداد الاهتمام بهذه الطريقة التعليمية حيث أخذ بها محمد بن حفص الرعيني(ت290هـ/903م) الذي عرف بعنايته بالقرآن، رحل إلى الحجاز وقرأ القرآن عن جماعة من قراء مكة والمدينة، ودامت رحلته متجولا بين حواضر المشرق متلقيا العلم على يد علمائها خمسة وعشرون سنة[3]، نجد أيضا من أبرز المرتحلين المهتمين بهذا العلم محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) أخذ هو الآخر القراءة عرضا عن عبد الصمد بن عبد الرحمان عن ورش وأدخل نسخة مكتوبة للقرآن الكريم على هذا النوع من القراءات[4].

ج-طريقة الإملاء(الكتابة):

بدأت هذه الطريقة التعليمية تعرف انتشارا ضمن المناهج التعليمية المعتبرة منذ بداية القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي؛ حيث كان يستعمل طريقتين للإملاء على الطلبة، إما الإملاء يكون من الكتاب، أو الإملاء من ذاكرة الشيخ[5]، كما عرفها الأندلسيون المرتحلون إلى الحجاز واشتغلوا بها منذ القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي؛ فقد روي أن شيخ المحدثين معاوية بن صالح الحضرمي(ت158هـ/774م) لقي الإمام مالك وجلس عنده مدة حتى كتب عنه كتبه[6] وأيضا الفقيه الحافظ سعيد بن حسان(ت236هـ/850م) الذي رحل عام(177هـ/793م) للحج فكتب رأي

[1]ابن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص167.
[2]الناصري، المصدر السابق، ج1، ص139.
[3] الخشني، المصدر السابق، ص155.
[4]ابن الجزري، المصدر نفسه، ج2، ص241؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص338.
[5]الأعظمي، المرجع السابق، ج2، ص352.
[6]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص838.

أشهب بن عبد العزيز[1]، وكتب الفقيه زياد بن عبد الرحمان اللخمي المدعو شبطون(ت204هـ/819م) سماعه عن الإمام مالك، جاء به إلى الأندلس وعرف بسماع شبطون عن رأي مالك[2]، من الذين كانوا يكتبون أيضا الفقيه يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م) دوّن هو الآخر سماعه عن شيخه عبد الرحمان بن القاسم أشهر أصحاب الإمام مالك في مصر[3] وخلال بدايات القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي نجد موهب بن عبد القادر بن موهب من أهل باجة رحل إلى الحجاز وكتب مصنف تاريخ ابن البشير الدُّلابي في المولد والوفاة، وكتب أيضا كتاب العين وغيرها من المؤلفات، لكن الموت أدركه في طريق العودة بمصر، فحملها عنه رفقة من أهل باجة وأدخلوها إلى الأندلس[4].

[1]عياض، **ترتيب المدارك**، ج1، ص277.
[2]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص279.
[3]المصدر نفسه، ج2، ص898.
[4]المصدر نفسه، ج2، ص802.

ثالثا: صور التأثير الأندلسي في الحجاز من خلال رحلات العلماء(2-4هـ/8-10م)

لقد تمكن الكثير من الأندلسيين دخول الحجاز خلال عصر الإمارة الأموية، ومثل العلماء أكثر الفئات حضورا وتأثيرا خلال تلك الفترة بغرض تأدية فريضة الحج وطلبا للعلم، خاصة أن الحجاز بحاضرتيه مكة والمدينة، التي شكلتا منارتين علميتين للعلوم الدينية منذ مطلع القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، ورغم تواجدهم هناك كطلبة لأجل الدراسة والاستزادة من العلم، مع ذلك فلم يمنع من أن تكون لهم إسهامات في الحياة العلمية بالحجاز، بل أثبتوا تفوقهم وكانوا في كثير من الأحيان محلّ احترام وتقدير لدى المشارقة في تلك البلاد الإسلامية.

ويمكن أن نبرز بعض إسهامات الأندلسيين في الحجاز حسب مجالات معينة:

1- في مجال العلوم الدينية

نظرا لتفوق الحجاز في هذه المجالات، فكان طبيعيا أن يكون نصيبه من علماء العلوم الدينية كبيرًا، مقارنة ببقية المجالات الأخرى الذين دخلوا الحجاز من أهل الأندلس خلال تلك الفترة؛ ففي مجال الفقه حط الرحال إلى الحجاز الكثير من الفقهاء المجتهدين والحفاظ الذين برعوا في رواية الحديث، وأيضا أشهر القراء المجودين للقرآن الكريم، وآخرون آلموا بعلوم عديدة، الأمر الذي جعل تأثيرهم بالحجاز يبرز من خلال مساهماتهم في الحياة العلمية كما سوف نرى.

أ- علم الفقه:

يقول ابن سعيد عن الفقه في الأندلس: "وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم إلا مذهب مالك وخواصهم يحفظون من سائر المذاهب ويباحثون به بمحاضر ملوكهم ذو الهمم في العلوم، وسمة الفقه عندهم جليلة وقد يقول للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنها عندهم أرفع السّمات"[1]، ومن هنا تتجلى لنا مكانة الفقه والفقهاء ببلاد الأندلس، من خلال أخذ حيز كبير من بين الدراسات الدينية.

فقد توافد الفقهاء الأندلسيون على الحجاز بشكل ملفت، وكانوا على درجة متفاوتة في المستوى العلمي؛ حيث وجد عدد منهم من علا شأنه هناك وأثبت تفوقه بشهادة المشارقة أنفسهم من أبرز المرتحلين الذين دخلوا الحجاز خلال القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي نجد يحي بن

[1] المقري، المصدر السابق، ج1، ص221.

مُضر القيسي(ت189هـ/804م) يُعد من كبار فقهاء الأندلس، في وقته رحل إلى الحجاز ودخل المدينة، سمع من الإمام مالك بن أنس ومن سفيان الثوري وغيرهما من الأعلام، ولكونه كان على درجة كبيرة من الحفظ والذكاء فقد روى عنه الإمام مالك حديثا، وقلما يحصل ذلك أن شيخا يروي عن طالبه لولا المكانة العلمية التي تبوأها يحي القيسي، "قال مالك حدثني يحي بن مُضر، عن سفيان الثوري: إن الطلع المنضود هو الموز"[1]، ومنهم أيضا سعيد بن أبي هند(توفي في القرن2هـ/8م) فقيه أندلسي خلد اسمه ذكائه الفائق، يعتبر من طلائع فقهاء الأندلس الذين سمعوا من الإمام مالك، كان حريصا كل الحرص على حضور مجلسه العلمي؛ حيث استطاع أن يثبت وجوده في مجلس مالك أمام جلة من الطلبة والعلماء الأفذاذ الذين كانوا يأتون مالك من مختلف الأمصار الإسلامية، من خلال مشاركته القيمة التي أعجب بها شيخه فسماه مالك بحكيم الأندلس[2]، تذكر لنا الرواية أن مالكا لم يكف السؤال عنه في حضور الطلبة الأندلسيين مجلسه العلمي، فنال تكريما قلما حصل لطالب مع عالم الآفاق[3]، الأمر الذي دفع بأمير الأندلس هشام بن عبد الرحمان(172-180هـ/789-796م) في تهنئته بتلك المزية التي تشرف بها وقال له: "لقد ألبسك مالكً ثوبًا جميلًا"[4]، ونجد أيضا فقيه سرقسطي يدعى حفص بن عبد السلام(توفي قريب من سنة200هـ/815م) رحل مع أخوه حسان فسمعا سويتا من الإمام مالك، روي أنه لزم مجلسه العلمي سبعة أعوام حتى حفظ عنه الموطأ وفهمه كل الفهم، الشيء الذي جعله محل إعجاب من طرف شيخه الإمام مالك فجعله من طلبته المقربين نظرا لتفوقه[5]، كما برز عيسى بن دينار الغافقي(ت212هـ/827م) الذي دخل الحجاز حاجا أكثر من مرة، حيث شهد له شيخ المالكية في مصر ابن القاسم، على أنه أفقه وأورع من قدم بلده، تذكر لنا الرواية أنه لما بلغ عيسى بن دينار

---

[1]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص ص895، 896؛ عياض، المصدر السابق، ج1، ص204؛ الحميدي، المصدر السابق، ص561.

[2] ذكر المؤرخون الحوار الذي جرى في مجلس الإمام مالك: " قال مالك: ما أحسن السكوت وأزينه بأهله، فقال بن أبي هند: وكل من شاء سكت يا أبى عبد الله، وقيل قال: إنما يزين الصمت ما بعده فأعجب مالك رده وسماه بالحكيم". انظر: عياض، المصدر نفسه، ج1، ص203.

[3]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص ص288، 289؛ الحميدي، المصدر نفسه، ص339.

[4] ابن القوطية، المصدر السابق، ص63.

[5]عياض، المصدر نفسه، ج1، ص295؛ الحميدي، المصدر نفسه، ص283.

رجوع ابن القاسم عن مسائل كتبها عنه أسد بن الفرات، راسله من قرطبة بأن يظهر له تلك المسائل التي رجع عنها، فكان رد ابن القاسم رد الشيخ الواثق بطالبه وقال له: "قد قرأت كتابك وفهمتها فاعرض ما كتبت عني على عقلك وعلمك فما رأيت منه صوابا فامضه وما أنكرته فدعه"[1]، نجد أيضا يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م) أصله من البربر من قبيلة مصمودة تولى بني الليث فنسب إليهم، سمع من زياد بن عبد الرحمان شبطون، ومن يحي بن مضر بالأندلس قبل أن يرحل إلى الحجاز باقتراح من شيخه زياد شبطون، فدخل مكة وسمع بها من سفيان بن عيينة، ثم مكث بالمدينة يتفقه من علمائها فسمع من الإمام مالك الموطأ واستطاع بفضل ذكائه وحرصه على التعلم، أحد أنجب طلبته فسماه مالك بعاقل الأندلس[2]، وبعد رجوع يحي إلى بلده أصبح إمام الأندلس وعالمها[3]، وتعد رواية يحي من أشهر روايات الموطأ حتى أن بعض المشارقة يعتمدون على روايته عن سائر الروايات المنتشرة للموطأ[4].

كذلك من أشهر المرتحلين الذي عرف على مر الأجيال بعالم الأندلس الفقيه عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) قرطبي جليل سمع وتفقه بالأندلس حتى أصبح عالما بارعا[5]، بدأ تكوينه العلمي عن شيوخ بلده فسمع من صعصعة بن سلام والغازي بن قيس وزياد بن عبد الرحمان شبطون، كما امتاز ابن حبيب بإلمامه بعلوم أخرى، فأتقن النحو والعروض وأجاد الشعر، بالإضافة إلى حفظه للأخبار والأنساب فكان عالما متفننا، روي أنه رحل إلى الحجاز وأدرك الإمام مالك وروى عنه[6]، كما كانت له رحلة ثانية إلى الحجاز دامت حوالي سنتان (207هـ أو208هـ/822م-

---

[1] الخشني، المصدر السابق، ص ص270، 271.

[2]روي أنه مر فيل على مجلس الإمام مالك فخرج جميع الطلبة لرؤية الفيل إلا يحيى بن يحي بقي جالسا فسأله الإمام مالك لماذا لم تخرج لمشاهدة الفيل كبقية الطلاب فرد عليه بقول راجح أنه قدم من الأندلس لأجل التعلم لا لمشاهدة الفيل فأعجب به مالك وسماه بعاقل الأندلس. انظر: عياض، المصدر السابق، ج1، ص312.

[3]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص898-901.

[4]المقري، المصدر السابق، ج2، ص ص9، 10؛ ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص96.

[5] المقري، المصدر نفسه، ج2، ص706.

[6]المصدر نفسه، ج2، ص6؛ الحميدي، المصدر السابق، ص407-409؛ ابن خاقان أبي نصر الفتح القيسي(ت529هـ/1135م)، **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلح أهل الأندلس**، تح علي محمد شوابكة،

823م) سمع خلالها من أنجب أصحاب الإمام مالك وغيرهم من العلماء البارزين، كابن الماجشون وعبد الله بن نافع وابن أبي أويس، ثم عرج على مصر وسمع من أصحاب الإمام مالك المصريين، قبل أن يعود إلى الأندلس سنة(210هـ/825م) بعلم وافر[1]، كما يعد ابن حبيب أحد كبار الفقهاء الذين عرفتهم الأندلس، وليس أدل على ذلك من أن الذهبي صنفه وترجم له في طبقات الحفاظ كواحد منهم يقول عنه: "الفقيه الكبير عالم الأندلس"[2] ومن غير شك فقد ساهم ابن حبيب في تنشيط الحياة العلمية بالحجاز سواء في مكة أو بالمدينة خاصة أنه رحل وهو عالم مُلم بعلوم عديدة؛ حيث شهد له فقيه الحرمين ابن الماجشون بالعلم والتفوق عندما سأله أحد طلبته عن أعلم الرجلين لديه، الإمام سحنون التنوخي أم عبد الملك بن حبيب السلمي، فأجاب دون تردد أن ابن حبيب أعلم من سحنون[3]، كما شهد له عالم مصر بالتفوق العلمي، ماروي عن ابن زيد بن أبي الغمر قال: "لم يقدم علينا هاهنا أفقه من سحنون إلا أنه قدم علينا من هو أطول لسانا منه، يعني ابن حبيب"[4]، وهذا عبد الأعلى بن وهب(ت261هـ/874م) اشتهر ببراعته في الفقه حتى أنه كان يصحح الأخطاء التي وقع فيها بعض مشايخ الفقه الكبار بالمشرق، تذكر لنا رواية أنه نبه مطرف بن عبد الله المدني عندما أفتى في مسألة بخلاف قول الإمام مالك، فاعترف له بذلك بعد تقديمه لبينة وهو ما فعل، وحصل الشيء نفسه هذه المرة مع الإمام سحنون ذائع الصيت عندما أفتى في مسألة بغير رأي رأس المالكية بالقيروان ابن القاسم فأشار إليه أمام الملأ أنه غير مصيب[5].

ومنهم أيضا يوسف بن يحي المغامي(ت283هـ/896م) يعد من جملة العلماء الأندلسيين الذين رحلوا إلى الحجاز خلال القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي تفقه على عبد الملك بن

مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1983/1403، ص234؛ بينما جعل الذهبي تاريخ مولد ابن حبيب في حياة الإمام مالك بعد سنة170للهجرة. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج12، ص120.

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص381-392.

[2] الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج2، ص537.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص462.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص462.

[5] الخشني، المصدر السابق، ص ص262، 263.

حبيب السلمي وروى عنه كتابه الشهير الواضحة[1]، حيث كان إماما في الفقه المالكي، سمع منه الكثير من طلبة العلم بالأندلس قبل رحلته، رحل وكان هدف تواجده بالحجاز تنمية قدراته في علم الحديث فجاور بمكة سبع سنوات، وروى بها كتاب الواضحة لابن حبيب وهي من أمهات كتب الفقه بالأندلس[2]، كما كانت له حلقة علمية للتدريس فسمع منه علي بن عبد العزيز شيخ الحرمين وكثير من طلبة العلم هناك، خاصة أن المغامي كان عالمًا معطاءً كثير التصنيف متفنن في العلوم فصيح اللسان، من مؤلفاته نذكر: كتاب في فضائل مالك، وآخر في فضائل عمر بن عبد العزيز وغيرهما، نعتقد أنه ألفها أثناء إقامته هناك[3]، وروي أن علي بن عبد العزيز فقيه مكة كان إذا سئل عن شيء يشير إلى يوسف المغامي فقيه الحرمين، وكان لعالمنا هذا مشاركة فعالة في الحياة العلمية ليس في مكة فحسب بل امتدت إلى اليمن؛ حيث كانت له حلقة علمية أخرى كبيرة في صنعاء فاقت حلقة عالم اليمن أبي يعقوب الدِّيري، نجد أيضا له مشاركة فعالة في مصر كون هذه الأخيرة شكلت معقلا للفقه المالكي خلال تلك الفترة، حيث جلس يدرس هناك وتهافت عليه الطلبة من كل حدب وصوب حتى علا بها ذكره وأصبحت الرحلة تشد إليه، روي أنه عند رحيله عنها وصلته العديد من الرسائل قدرت بنحو مائة رسالة وكتاب يسألونه فيها الإجازة والرجوع إليهم بمصر[4]، ونجد منهم عبد الله بن وهب(ت301هـ أو302هـ/913م أو914م) رحل حاجا وطلبا للحديث فسمع من علي بن عبد العزيز، وجاور بمكة إحدى عشر سنة سمحت مدة بقائه الطويلة السماع من العلماء القادمين إليها في كل موسم حج الأمر الذي أهّله بأن يكون له مجلس علمي بمكة، فاشتهر وعلا شأنه بها حتى أعتبر أكثر الأندلسيين علما ممن دخلوا الحجاز[5]، كذلك من الأندلسيين الذين اشتهروا في الحجاز، نذكر قاسم بن أحمد بن جحدر(ت311هـ/923م) الذي جاور بمكة وسكنها مدة وعلا بها ذكره حتى أصبح يأتيه طلبة العلم من الحجاز وخارجه، خاصة

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص551.

[2] الذهبي، **الأعلام**، ج13، ص336.

[3] ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص438، 439.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص ص933، 934.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص ص381، 382.

أنه كان عالما مجتهدا يذهب إلى الحجة والنظر، ألّف بها كتبا تسمى بالجحدرية، وبلغ به الأمر حتى أصبح مع شيخ الحرمين ابن المنذر النيسابور(ت318هـ/930م) في طبقة واحدة[1].

كما وجد عدد من العلماء اشتهروا بتفوقهم في الفقه من خلال مؤلفاتهم القيمة ممن دخلوا الحجاز خلال تلك الفترة، نذكر منهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز(ت255هـ/869م) الذي يُعرف بالعُتبي، اشتهر بتأليفه كتبًا كثيرة في مجال الفقه سميت بالعُتبية، كانت له رحلة إلى الحجاز سمع منه الكثير من الطلبة هناك[2]، كذلك محمد بن يزيد بن خالد الأنصاري(ت317هـ/929م) من حفاظ الأندلس حفظ المدونة والموطأ بأسانيد كثيرة، رحل إلى الحج فدرس العلم وتدارسه هناك[3]، وأيضا محمد بن عبد الملك(ت330هـ/941م) الذي كان إماما في الفقه، ومن المشاورين في بلده له مؤلف حسن في السنن، رحل إلى الحجاز في سنة(274هـ/887م) وسمع منه الناس هناك[4].

ب-علم الحديث:

كان الحديث من أشهر العلوم التي اشتغل عليها الأندلسيون خلال تلك الفترة، الأمر الذي جعل حضورهم ضمن الأندلسيين الراحلين إلى الحجاز مميزا سواءً من حيث أعدادهم أو من حيث مساهماتهم العلمية هناك، كما تفاوتوا أيضا في مستوياتهم العلمية حيث نجد عدد منهم من علا شأنه في رواية الحديث كمعاوية بن صالح الحضرمي(ت158هـ/744م) من كبار المحدثين أصله شامي وسكن الأندلس، رحل إلى المشرق في رحلة رسمية كلفه بها أمير الأندلس عبد الرحمان بن معاوية الداخل(138هـ-172هـ/756م-788م) حج خلالها وسمع منه الكثير من علماء الحديث بمكة والمدينة، ذكر الحميدي تاريخها فيما يرويه سنه(158هـ/774م)[5] فسمع منه الحديث كل من سفيان الثوري والليث بن سعد وعبد الرحمان بن مهدي ويحي بن سعيد القطان وعبد الله بن صالح، كاتب الليث بن سعد وغيرهم من العلماء ممن تواجدوا بالحرم في ذلك الموسم[6]، ويبدو أنه كان

[1]ابن فرحون، المصدر السابق، ص322.
[2]الحميدي، المصدر السابق، ص59.
[3] الخشني، المصدر السابق، ص ص161، 162.
[4]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص ص704، 705.
[5]الحميدي، المصدر نفسه، ص502.
[6]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص838.

واسع الشهرة بالمشرق كأحد أئمة الحديث الثقات، فقد روي أنه أثناء تواجده بمكة التفت حوله الحلق العلم طلبا لرواياته[1]، كما ترجم له الذهبي وجعله واحد من الأئمة الحفاظ[2]، ونجد كذلك محمد بن عيسى الأعشى(ت222هـ/836م) من علماء قرطبة المبرزين طلب العلم بالأندلس قبل أن يرحل إلى الحجاز بهدف لقاء الإمام مالك والسماع منه إلا أن رحلته صادفت السنة التي توفي فيها مالك فسمع من أصحابه بالمدينة مثل سفيان بن عيينة وغيرهم من علماء المشرق؛ فحصّل كم كبير من الأحاديث الشريفة الشيء الذي جعله من رواة الحديث الأندلسيين البارزين في وقته فسمع منه أهل مصر، كما أخذ عنه العلم أشهر علماء بلده في هذا الميدان مثل بقي بن مخلد وأصبغ بن خليل وغيرهما[3].

ومن المحدثين البارزين الذين رحلوا خلال القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي نذكر بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) كان مثل غيره من أبناء بلده حيث بدأ تعليمه على يدي شيوخ الأندلس المالكية مثل يحي بن يحي الليثي، ومحمد بن عيسى الأعشى وغيرهما، قبل خوض غمار الرحلة إلى بلاد المشرق حيث طاف هناك متنقلا بين حواضرها العلمية، فابتدأ رحلته بالأخذ عن علماء القيروان فسمع من سحنون بن سعيد ومن ثم بمصر من يحي بن بكير وزهير بن عباد، فدخل الحجاز وسمع من علمائها وممن صادف تواجدهم هناك، كان من أبرزهم أبي مصعب الزهري، وإبراهيم بن المنذر الخِزامي، حتى بلغ عدد العلماء الذين سمع منهم في رحلته تلك مئتان وأربع وثمانون شيخا[4]، فأطلق عليه اسم المكنسة لكثرة العلماء الذين سمع منهم في مختلف الأمصار الإسلامية[5]، أما الشيء الذي تميز به عن أقرانه من العلماء أنه كان عالما متبحر في علوم شتى، لذلك وصفه الذهبي في ترجمته بشيخ الإسلام[6]، واشتهر كذلك بغزارة تآليفه ومن أجلها مصنفه

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، 839.
[2] الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج2، ص176.
[3] الخشني، المصدر السابق، ص113-116.
[4] السيوطي، المصدر السابق، ص ص40، 41؛ الذهبي، **الأعلام**، ج13، ص286.
[5] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص170.
[6] الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج2، ص629.

الكبير في الحديث[1]، ورغم أن المؤرخين لم يقفوا حول نشاطه العلمي هناك إلا أننا نعتقد أن عالما مجتهدا واسع الرحلة مثل بقي بن مخلد الذي وصف أنه كان جاريا على مضمار الإمام البخاري ومسلم والنسائي[2]، قد كان له نشاطا علميا زاخرا أثناء لقائه بكبار محدثي عصره؛ فأخذ عنهم وأخذوا عنه، فتخبرنا الرواية أن أحد أشهر علماء المشارقة تعجب من مصنفه الكبير، وشهد له بعلوه في العلم[3]، ونجد أيضا من كبار المحدثين محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) أخذ العلم هو الآخر من علماء الأندلس فسمع من محمد عيسى الأعشى، ومن محمد بن خالد الأشج ويحي بن يحي، وعبد الملك بن حبيب وغيرهم، قبل أن يرحل إلى الحجاز مرتين كانت رحلته الأولى مقتصرة على الحج والعبادة لذلك لم يدم بقائه هناك طويلا، ليعيدها مرة أخرى فكان هدفه هذه المرة طلب الحديث ولقاء كبار رواته، فمكث مدة بالحجاز ومنه تردد على العديد من الحواضر المشرقية للقاء العلماء، فكان مجمل العلماء الذين سمع منهم مائة وخمسة وستون رجلا[4]، ولا شك أنه ساهم في الحياة العلمية هناك خاصة في رواية الحديث كونه أحد الأئمة الحفاظ في هذا المجال[5]، كما رحل سنة(274هـ/887م) تلميذه قاسم بن أصبغ(ت340هـ/951م) الذي سمع بالأندلس منه ومن بقي بن مخلد وغيرهما[6]؛ ولأنه كان إماما حافظا للحديث فقد أهله ذلك لعقد حلقة علمية بمكة للتعليم[7] ويبدو أن علماء الحديث قد استمروا في الوفود على الحجاز، فقد رحل إلى الحج في أواخر القرن الثالث الهجري، العاشر الميلادي محدث أندلسي في غاية الإتقان يُدعى محمد بن قاسم(ت329هـ/940م) أخذ العلم من شيوخ قرطبة ومحدثيهم مثل أبيه قاسم بن محمد، وبقي بن مخلد ومحمد بن عبد الله الخشني ومحمد بن وضاح وغيرهم، وكان محمد ينفجر فطنة وذكاء ما جعله من أبرع علماء عصره أنا ذاك، الأمر الذي جعل شيخه سعيد بن عثمان الأعناقي يحثّ

[1] ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص143.
[2] السيوطي، المصدر السابق، ج42.
[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص170؛ الذهبي، **الأعلام**، ج13، ص287.
[4] ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص338، 339.
[5] الذهبي، المصدر نفسه، ج13، ص445.
[6] المقري، المصدر السابق، ج2، ص ص47-49.
[7] الذهبي، المصدر نفسه، ج15، ص473.

طلبة العلم السماع من محمد بن القاسم، ومثل عادة علماء الأندلس فقد تجهز للرحيل إلى الحج سنة(294هـ/907م) فأدى الفريضة ولقي جملة من العلماء ورواة الحديث، وسرعان ما أدرك أهل العلم مكانته وقدره في الحديث الشريف، فضرب له مجلسا علميا حضره الكثير من الطلبة والعلماء نذكر ممن روى عنه من أهل مكة عبد الله بن علي بن الجارود، وإبراهيم بن عيسى، وأبو أحمد بن محمد الشافعي، وإبراهيم بن سعيد بن عمر بن رباح الحذاء، وأحمد بن زيد بن هارون القزاز والمفضل بن محمد الحرسي، وأحمد بن زكرياء بن علي بن الحسن، كما سمع منه الكثير من أهل البصرة والكوفة وبغداد ومصر والقيروان، وقيل عنه: "كان ممن عني العناية الكاملة بالأندلس ثمّ بالمشرق، ولم يكن عند أحد هاهنا من الحديث الغريب في السنن عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– ماكان عنده"[1]

وهؤلاء جملة لأشهر المحدثين الأندلسيين الذين رحلوا إلى الحجاز:

داود بن جعفر بن الصغير من أهل قرطبة رحل إلى الحجاز خلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي؛ من أجل الحديث فسمع من الإمام مالك وسفيان بن عيينة ومحمد بن أبي عبيد الدراوردي وغيرهم، روي أنه كتب أثناء رحلته زهاء ثلاثة آلاف حديث وسمع منه الحديث كبار المحدثين في الأندلس فروى عنه محمد بن وضاح، ومطرف بن عبد الله وهما أحد أشهر علماء الحديث خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي بالأندلس[2]، وكان إبراهيم بن نصر الجهني(ت287هـ/900م) المعروف بابن أبرول، من علماء الحديث في الأندلس رحل إلى الحجاز ولقي في مكة أئمة الحديث، منهم محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ المكي، ومحمد بن إسماعيل الصائغ وغيرهما، وكان ابن أبرول من رواة الحديث بالأندلس الثقات[3]، وأيضا قاسم بن ثابت بن حزم(ت302هـ/914م) من علماء الحديث بالأندلس رحل حاجا مع والده إلى الحجاز، وصب اهتمامه بجمع الحديث في مكة كما ألف كتابا حسنا في شرح الحديث يسمى كتاب الدلائل[4]، ومن المحدثين الذين دخلوا الحجاز نجد كليب بن محمد بن عبد الكريم(توفي قريبا من سنة

[1] الخشني، المصدر السابق، ص171-175؛ الحميدي، المصدر السابق، ص ص130، 131.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص ص257، 258.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص ص40، 41.

[4] المصدر نفسه، ج2، ص ص605، 606؛ الحميدي، المصدر نفسه، ص488.

300هـ/912م)، رحل حاجا وجاور مدة بمكة، وكان فقيها محدثا[1]، والحقيقة بدأ اشتغال الأندلسيين بالحديث يزداد بشكل ملفت في السنوات الأخيرة من القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي؛ فكان محمد بن إبراهيم بن حيون(ت305هـ/917م) الذي كان عالمًا في الحديث بصيرا بطرقه، رحل إلى الحجاز وسكن مكة مدة إحدى عشر سنة فروى من علمائها ورووا عنه[2]، وكذلك أحمد بن عمرو بن منصور(ت312هـ/924م) يُعرف بابن عَمريل رحل حاجا وسمع هناك من رواة الحديث بمكة؛ فسمع من علي بن عبد العزيز البغوي وغيره من المحدثين بها[3]، ونذكر أحمد بن خالد بن يزيد الجَبَّاب(ت322هـ/934م)، إضافة إلى إمامته في الفقه فقد كان حافظا للحديث له اهتمام بجمع الكتب، رحل إلى الحجاز وسمع من علماء الحديث بمكة وعاد إلى الأندلس وقد جمع معرفة واسعة في هذا المجال[4]، حتى قيل عنه:" لم تنجب الأندلس حافظا مثل ابن الجَبَّاب وابن عبد البر"[5].

ج- علوم القرآن:

ومن الذين اشتغلوا بعلم القراءات في الأندلس خلال عصر الإمارة وكانت لهم رحلة إلى بلاد الحجاز، نذكر منهم:

عبد الرحمان بن موسى الهواري رحل إلى الحجاز في عهد الأمير عبد الرحمان بن معاوية(138هـ-172هـ/756م-788م) عرف بحفظه للقراءات والتفسير، يعتبر أول من صنف بالأندلس كتابا في القراءات، كما ألف أيضا كتابا في تفسير القرآن[6]، كذلك نجد العلامة الغازي بن قيس(ت199هـ/814م) فإلى جانب كونه كان عالما في الحديث، فقد تفوق أيضا في علم القراءات حيث أخذها عن شيخ القراء يومئذ نافع بن أبي نعيم المقرئ(ت169هـ/785م) وعرض مصحفه على شيخه نافع ثلاث عشرة مرة، كما يعتبر أول أندلسي يدخل قراءة نافع المدني إلى البلاد[7] ومنهم

---

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص492.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص ص667، 667؛ الحميدي، المصدر نفسه، ص ص63، 64.

[3] الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص569.

[4] الخشني، المصدر السابق، ص17-19.

[5] الذهبي، المصدر نفسه، ج15، ص240.

[6] الزبيدي، المصدر السابق، ص ص253، 254.

[7] الجزري، المصدر السابق، ج2، ص3؛ الخشني، المصدر نفسه، ص291.

عبد الله بن مسعود رحل خلال القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي إلى الحجاز وسمع من علمائها وكان عالما بالقراءات، مجود للقرآن الكريم حسن الصوت[1]، ورحل أيضا حامل بن أخطل الذي كان من حفاظ الفقه الورعين، اهتم هو الآخر بعلم القراءات فأخذها من شيخ القراء نافع بن أبي نعيم بالمدينة، يُعد أول من أدخلها إلى بلدته ألبيرة بالأندلس فسمع منه عدد كبير من المهتمين بهذا العلم[2]، كما ازداد اهتمام الأندلسيين بهذا العلم بمرور الوقت الأمر الذي دفع بالعدد من الراغبين في تعلم القرآن وقراءاته الرحيل إلى أشهر قراء ذلك العصر، وكان عثمان بن سعيد المعروف بورش(ت197هـ/812م)[3]مقرئ الديار المصرية محل اهتمام من طرف الرحالة الأندلسيين الذين كانوا يقصدونه في رحلاتهم إلى الحج، نجد محمد بن عبد الله أبو عبد الله القرطبي الذي كان عالما بالقراءات رحل إلى الإمام ورش وأخذ القراءة عنه عرضا[4]، ورحل فيما بعد محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) وروى القراءة عن عبد الصمد بن عبد الرحمان عن ورش وقد أدخل نسخة للقرآن الكريم برواية ورش إلى الأندلس[5]، وعرف محمد بن حفص الرعيني(ت290هـ/902م) اهتماما كبيرا بهذا العلم؛ فقد رحل إلى الحجاز لأجله، فتعلم القراءة من جماعة من علماء مكة والمدينة، وبقي في المشرق مدة خمس وعشرين سنة طلبا للقراءة حتى أصبح مقرئًا بارعًا[6]، كذلك قصد محمد بن عبد الجبار(ت296هـ/908م) الحجاز بغرض تأدية فريضة الحج وكان شيخا عالما بالقراءات، الأمر الذي سمح له ربما بتعليم القراءة بمكة لطلبة العلم المهتمين بهذا المجال[7]، ونذكر أيضا منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي(ت355هـ/966م) رحل إلى الحج سنة(311هـ/923م)

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص373.

[2] الخشني، المصدر السابق، ص ص77، 78.

[3] هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو شيخ الإقراء بالديار المصرية، ولد سنة(110هـ/728م) عرف بمهارته في اللغة العربية تعلم القراءة على يد شيخه نافع بن أبي نعيم المدني وهو الذي سماه بورش نسبة لشدة بياضه وقيل نسبة لطير يسمى ورشان خُفِّف بورش، وكان حُجة ومقرأ زمانه قرأ عليه الكثير من الطلبة من مصر وخارجها. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج9، ص ص295، 296.

[4] ابن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص167.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص241.

[6] الخشني، المصدر نفسه، ص155.

[7] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص660.

وأقام في رحلته أربعين شهرا؛ فسمع بمكة من ابن المنذر النيسابوري، حيث اهتم بالقراءة فأخذ يعرض على قراء الحرمين حتى أتقن هذا العلم وعند عودته إلى الأندلس ألف في علم القرآن[1]، كما رحل حاجا يحي بن مجاهد الفزاري(ت366هـ/976م) المعروف بالزهد والعبادة، إضافة إلى اهتمامه بعلوم القرآن، من خلاله حفظه لكتاب الله وترتيله بصوت شجي، فقد درس وتدارس بمكة القراءات والتفسير على يد شيوخها وعلمائها الأجلاء[2].

2- في المجالات العلمية الأخرى

أ- اللغة والأدب

تخبرنا المصادر التاريخية عن وجود عدد لا بأس به من علماء اللغة والنحو، والكثير من العلماء الذين ألموا بهذا المجال، كانوا من جملة الأندلسيين الذين رحلوا إلى الحجاز وجالوا هناك طلبا لهذا العلم من خلال لقاء أعلامه المشارقة أو جمعا لأصول كتب اللغة والأدب بغية نقلها إلى الأندلس، نذكر عبد الرحمان بن موسى الهواري الذي رحل قديما في أول عهد إمارة عبد الرحمان الداخل(138هـ-172م/756م-788م) ولقي الأصمعي[3] ونظرائه، وجال في البوادي والبلدات بحثا عن لغة العرب[4]، ونذكر أيضا الغازي بن قيس(ت199هـ/814م) كان يعمل مؤدبا بقرطبة قبل رحلته إلى الحجاز؛ فطلب اللغة والنحو في رحلته تلك من خلال سماعه من الأصمعي ونظرائه من رجال اللغة[5]، ونجد كذلك عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م)؛ فمن بين العلوم التي أظهر تفوقه فيها، علم اللغة والنحو بل كان من أبرز علماء الأندلس في مجال

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص845.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص918.

[3] الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع أبو سعيد الأصمعي البصري اللغوي، أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار توفي سنة(215هـ أو216هـ/830م-831م). انظر: العسكري أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد(ت382هـ/992م)، **شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف**، ج1، تح عبد العزيز أحمد، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، مصر، 1963/1383، ص93.

[4] ابن القوطية، المصدر السابق، ص56؛ الزبيدي، المصدر السابق، ص253.

[5] المصدر نفسه، ص255.

الأدب[1]حيث جعله ابن الفرضي في مقدمة من ترجم لهم في كتابه طبقات الأدباء الذي لم يصلنا[2]، الشيء الذي يخولنا القول أن طلبة العلم بالحجاز جلسوا للأخذ عنه في مجال اللغة والأدب ونحو ذلك كما التقى محمد بن عبد الله بن الغازي(ت296هـ أو297هـ/908م أو909م) بالرياشي[3]، وغيره من علماء اللغة فأدخل إلى الأندلس الكثير من علم اللغة والشعر والأخبار[4]، ومن المرتحلين إلى الحجاز ممن كانت رغبته العلمية مجال اللغة والنحو عثمان بن المثنى(ت273هـ/886م) حيث تردد هناك بالمشرق ولقي جماعة من علماء النحو واللغة، منهم محمد بن زياد الأعرابي، وقرأ على حبيب بن أوس ديوان شعره وأدخله بدوره إلى الأندلس رواية عنه[5]، كما رحل محمد بن عبد السلام الخشني(ت286هـ/899م) إلى الحجاز فحج وتردد على علماء اللغة هناك، فلقي المازني والرياشي وأبا حاتم، الأمر الذي جعله يدخل الكثير من كتب اللغة إلى الأندلس[6]، وكذلك عبد الله بن محمد بن بدرون(ت301هـ/913م) الذي كانت له رحلة إلى الحجاز سنة(250هـ/864م) وصف أنه كان بليغا بصيرا باللغة والإعراب[7]، وأيضا من علماء اللغة الذين رحلوا إلى الحجاز نجد طاهر بن عبد العزيز بن عبد الله الرعيني(ت305هـ/917م) كان يتسم بالضبط الشديد لما يكتبه وقد انصب اهتمامه باللغة والأدب[8].

ومنهم من رحلوا إلى الحجاز وترددوا بين القبائل العربية حتى يكتسبوا اللغة الفصحى الخالية من أي تأثيرات خارجية، مثل مافعل عباس بن ناصح الثقفي من علماء النحو بالأندلس رحل وتردد

---

[1]الزبيدي، المصدر السابق، ص260؛ عياض، المصدر السابق، ج1، ص383.

[2]المصدر نفسه، ج1، ص383.

[3]الرياشي: هو أبو الفضل العباس بن الفضل الرياشي اللغوي النحوي، كان عالما باللغة والشعر، من مصنفاته كتاب الخيل، وكتاب الإبل، وما اختلف أسماؤه من كلام العرب وغيرها، توفي في سنة(257هـ/871م). انظر، العسكري، المصدر السابق، ج1، ص116.

[4] الزبيدي، المصدر نفسه، ص267.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص513.

[6] الخشني، المصدر السابق، ص132؛ ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص648-650؛ الزبيدي، المصدر نفسه، ص268.

[7] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص380.

[8]المصدر نفسه، ج1، ص ص358، 359.

في الحجاز طلبا للغة، فأصبح عالما باللغة العربية يقرض الشعر الفصيح[1]، ومن علماء اللغة أيضا ثابت بن حزم العوفي(ت313هـ/925م) رحل لتأدية الفريضة سنة(288هـ/901م) رفقة ابنه القاسم وبقيا هناك ست سنوات فسمعا من علماء مكة وغيرها، وكان ثابت بن حزم من أهل اللغة ذكر أنه أول من أدخل كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي[2] إلى الأندلس[3]، وهذا محمد بن الفتح يرجح أنه رحل في بداية القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي إلى الحجاز كونه سمع بمكة من أبو سعيد ابن الأعرابي(ت340هـ/951م) وصف أنه كان حافظا للنحو فصيح اللسان، كثير الشعر[4]، كما وجد الكثير من العلماء ممن عرفوا اهتموا بهذا المجال ممن رحلوا إلى الحجاز مثل يوسف بن يحي المغامي(ت288هـ/901)[5]وعيسى بن شُذانق الذي رحل ولقي عبد العزيز البغدادي بمكة، كان بارعا في اللغة والنحو[6].

ب-التاريخ:

كما وجد عدد من العلماء الأندلسيين ممن اهتموا بالتاريخ كانوا قد قصدوا الحجاز خلال تلك الفترة، ويعتبر عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) أول مؤرخ أندلسي يؤلف كتابًا يتعرض فيه لتاريخ بلاده[7]، كما أن الشيء المميز في هذا العالم الأندلسي أنه أتقن العديد من العلوم وكان التاريخ أحد اهتماماته، فقد وصف بأنه سمع التاريخ ومن حفاظ أخباره[8]، وكان حظه من

---

[1]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص ص504، 505.

[2] الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي البصري أحد اعلام اللغة والعروض، هو أول من استخرج العروض وحصر أشعار العرب بها، من أبرز مؤلفاته في مجال اللغة كتاب العين، عرف بزهده وتردده على الحجاز حاجا. انظر: العسكري، المصدر السابق، ج1، ص57.

[3]الخشني، المصدر السابق، ص67؛ الزبيدي، المصدر السابق، ص284.

[4]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص 738.

[5]المصدر نفسه، ج2، ص933.

[6]المصدر نفسه، ج2، ص558.

[7] عبد الواحد ذونون طه، **نشأن تدوين التاريخ العربي في الأندلس**، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، العراق، 1988، ص7.

[8]عياض، المصدر السابق، ج1، ص ص382، 383.

التاريخ وافرا حيث ألّف العديد من الكتب في هذا المجال[1]، نجد أيضا اهتمام المحدث الأندلسي المجتهد بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) بهذا المجال من خلال إدخاله لكتب قيمة كتاريخ خليفة ابن خياط[2]، ونجد عالم أندلسي آخر وهو يحي بن إبراهيم بن مزين(ت259هـ/872م) سمع التاريخ أثناء رحلته وألّف كتبا في التاريخ بالأندلس[3]، كما حل بالحجاز سنة(274هـ/887م) عالم أندلسي مهتم بالتاريخ يدعى محمد بن زكرياء بن محمد(ت322هـ/934م) الذي قدم الأندلس بكتاب ابن أبي خيثمة، وكتب لابن قتيبة[4]، وأبدى قاسم بن أصبغ البياني(ت340هـ/951م) اهتماما بالغا بالتاريخ بالرغم من أنه كان من حفاظ الحديث، بإدخاله مجموعة من الكتب القيمة في هذا المجال عن طريق سماعه من أصحابها؛ فكتب تاريخ أحمد بن زهير بن أبي خيثمة، وأدخل كتب عبد الله بن مسلم بن قتيبة بالإضافة إلى كتب أخرى، الأمر الذي جعله محطّ أنظار الكثير من الأندلسيين المهتمين بمعرفة التاريخ الإسلامي، فسمع منه كل فئات المجتمع من صغار وكبار وطلبة علم وإلى غير ذلك، إضافة إلى تأليفه كتبا حسنة في التاريخ[5].

ج- العلوم العقلية:

كانت من ضمن العلوم التي عرفتها الأندلس في تلك الفترة بظهور عدد من العلماء والمهتمين بالطب والرياضيات والفلك وغيرها، يقول صاحب نفح الطيب مؤكدا وجودها بالأندلس: "وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظًاعظيمًا عند خواصهم.."[6] فكان هذين العلمين الفلسفة والتنجيم أو الفلك مرفوضين عند العامة، وكل من يشتغل بأحدهما قد يطلق عليه اسم زنديق ويتعرض للأذى الشديد، ومن بين أبرز العلماء الأندلسيين في هذا المجال الذين رحلوا إلى الحجاز نذكر:

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، 459.

[2] الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص287.

[3] ابن فرحون، المصدر السابق، ص436.

[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص ص692، 693.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص611-613؛ ابن فرحون، المصدر نفسه، ص322.

[6] المقري، المصدر السابق، ج2، ص220.

مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة الليثي(ت295هـ/907م) يعتبر من أوائل المشتغلين بالفلك والحساب في الأندلس، روي أنه كان مولعا بالتشريق في قبلته حتى سمي بصاحب القبلة، رحل إلى الحجاز سنة(259هـ/872م) وسمع من مجموعة من علماء الفقه والحديث هناك[1]، ومن علماء الحساب خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، الفقيه عمر بن عبد الخالق(ت320هـ/932م) رغم أنه كان فقيها فقد أتقن علم الحساب وبرع فيه، كانت له رحلة إلى الحجاز حج وسمع من فقهاء مكة[2]، كما نجد أيضا يحي بن يحي المعروف بابن السَّمينة(ت315هـ/927م) أحد علماء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق وجالوا في حواضره هناك فقد كان بصيرا بالحساب والنجوم[3]، وأيضا محمد بن أصبغ بن لبيب(ت328هـ/939م) الفقيه مالكي رحل من أجل تأدية فريضة الحج فسمع من علمائها هناك، عرف عنه بإتقانه للعديد من العلوم من بينها علم الحساب[4].

ومن أوائل فلاسفة الأندلس وأشهرهم في تلك الفترة محمد بن الله ابن مسرة(ت319هـ/931م) كان والده عبد الله (ت286هـ/899م) قد اعتنق مذهب الاعتزال بعدما التقى بعلماء المعتزلة أثناء رحلته إلى الحجاز لأجل التجارة، فاضطر إلى إخفائه كونه من العلوم غير المرغوب فيها عند أهل الأندلس، فجمع أثناء تجوله بالمشرق الكثير من كتب المنطق والتصوف وتركها لابنه محمد ابن مسرة[5]، الأمر الذي جعل من محمد يبدي شغفا وعناية بالفلسفة والعلوم العقلية حتى اتقنها، ورحل إلى المشرق ولقي أهل الجدل وأصحاب الكلام، ثم رجع إلى الأندلس فأظهر النسك والورع، وأصبح له تلامذته يقصدونه لتعلم هذا العلم، وكان مذهبه خليط بين التصوف والاعتزال[6].

---

[1]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص819-820.

[2]المصدر نفسه، ج2، ص544.

[3]المصدر نفسه، ج2، ص913.

[4]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص702.

[5]المصدر نفسه، ج1، ص ص376، 377.

[6]المصدر نفسه، ج2، ص ص687، 689؛ الحميدي، المصدر السابق، ص98.

توزيع علماء الأندلس الذين كانت لهم رحلة إلى الحجاز حسب اختصاصاتهم العلمية:

م	الاختصاص العلمي	توزيع العلماء	المجموع
01	الفقه	-02-03-04-05-06-07-08-10-11-12-14-16-17-18-19-20-22-23-24-26-28-29-30-31-32-34-35-36-37-38-39-40-41-42-43-44-45-47-50-55-57-58-60-62-65-69-70-72-77-78-79-80-82-89-91-92-95-101-102-103-107-112-117-118-121-122-125-126-129-131-134-135-136-137-147.	75
02	الحديث	-01-09-13-15-25-27-33-46-49-51-52-53-54-56-61-66-67-73-74-75-76-81-83-88-90-93-94-97-98-100-104-105-108-109-110-113-115-119-123-124-133-139-141-144-146.	45
03	اللغة والآداب	48-71-86-96-116-127-130-132-140.	09
04	علوم القرآن	21-59-63-68-128-143-145.	07
05	العلوم العقلية	64-99-106-111-120.	05
06	التاريخ	84-114-142.	03
	المجموع		144

وهذا جدول آخر يفصل أكثر تطور الاهتمامات العلمية لدى الطلبة والعلماء الأندلسيين الراحلين إلى الحجاز طيلة فترة الدراسة:

م	التخصص	القرن2هـ/ 8م	القرن3هـ/ 9م	القرن4هـ/ 10م	خلال فترة الدراسة
01	**الفقه**	23	41	11	75

02	**الحديث**	06	34	05	45
03	**اللغة والأدب**	00	04	05	09
04	**علوم القرآن**	01	04	02	07
05	**التاريخ**	00	02	01	03
06	**العلوم العقلية**	00	02	03	05
	المجموع	30	87	27	144

نستخلص مما سبق ومن استقرائنا للجدولين أعلاه مدى إقبال الأندلسيين على العلوم الدينية بشكل عام، ويرجع ذلك إلى أن محور الدراسات العلمية في الحجاز كانت تدور حول تلك العلوم ويأتي علم الفقه على رأس اهتمامات الأندلسيين طيلة فترة الدراسة، ويعزى ذلك لأهمية علم الفقه في بلاد مثل الأندلس متعددة الطوائف والأجناس؛ فالفقه هو العلمُ الذي يُعرف به الحلال فيتبع الحرام فيجتنب، كما يبين شروط صحة العبادات ويبين مختلف المعاملات الصحيحة والباطلة ويبين أيضا الأحكام الشرعية سواء ما تعلق بالأسرة أو بالأطعمة، والجنايات وكذا كيفية الحكم بين الناس وغير ذلك من أحكام شرعنا الحنيف[1]، الأمر الذي جعل الراحلين يجدون في طلب الفقه لاحتياج بلادهم لهذا العلم العملي، ويلاحظ أيضا تفضيلهم أخذ العلم والتواصل مع شيوخ وعلماء المالكية عن غيرهم.

غير أن الاهتمامات العلمية للأندلسيين بدأت تتسع إلى مجالات أخرى خلال فترة القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، وأصبح علم الحديث من أخصب الدراسات رواجا بالأندلس لذلك نشاهد تضاعف عدد الراحلين إلى الحجاز من أجل تحصيل هذا العلم، كما عرفت هذه الفترة أيضا اهتماما بمجالات أخرى خاصة العلوم المتعلقة بالدراسات الدينية كاللغة والنحو والتاريخ ونحو ذلك، وأما خلال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي رغم أن فترة الدراسة تمس فقط ست عشرة سنة من هذا القرن، إلا أنه يبدو أن الرحلات بدأت تتسع دائرتها العلمية أكثر فلم يعد يرحل إلى الحجاز

[1] الشافعي سراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني(ت805هـ/1403م)، **التدريب في الفقه الشافعي**، ج1، تح أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، دار القبلتين، ط1، المملكة العربية السعودية، 2012/1433، ص7.

سوى المهتمين بالعلوم الدينية، بل أصبح أصحاب العلوم الأخرى مثل اللغة والآداب، وحتى العلوم العقلية يرحلون إلى الحجاز وهذا من شأنه يزيد من حجم التبادلات الفكرية بين القطرين.

الفصل الرابع:

أثر التّواصل بين الأندلس والحجاز على الحياة العلميّة والثّقافيّة بالأندلس(2-4هـ/8-10م)

أولًا: تقلد العائدين من الحجاز للألقاب العلمية والمناصب بالدولة

ثانيًا: الازدهار العلمي والفكري بالأندلس خلال عصر الإمارة(2-4هـ/8-10م)

ثالثًا: أثر التواصل بين الأندلس والحجاز على التعليم والمجتمع بالأندلس (2-4هـ/8-10م)

إن المكانة العلمية والثقافية المرموقة التي تبوأها الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة جعلت من الأندلسيين يستفيدون أية استفادة من ذلك التراث الفكري المتألق، من خلال انتقال للكثير من المستجدات المشرقية إليها، الأمر الذي أسفر إلى صبغ الحياة العلمية والثقافية بالأندلس بطابع حجازي في الكثير من الميدان.

أولًا: تقلد العائدين من الحجاز للألقاب العلمية والمناصب بالدولة الأموية في الأندلس

مثل الحج مدفوعا بطلب العلم، بمثابة المحرك الرئيس لرحلات الأندلسيين إلى المشرق خلال تلك الفترة، لذلك نجد قسطا كبيرا من الراحلين إلى هناك إلا وقد مروا بالحجاز، مما سمح لهم بالتكوين الجيد على يد شيوخ وعلماء الحرمين، فكان من الطبيعي أن يتأثروا بالجو العلمي السائد هناك، فعادوا إلى الأندلس بثقافة مشرقية واسعة؛ فشاعت الألقاب العلمية لدى الأواسط العلمية، فضلا عن ذلك فقد حظي العائدون من الحجاز بمكانة مرموقة لدى العامة، والخاصة سواء وعرضت عليهم أسمى المناصب بالدولة.

1- **الألقاب العلمية:** من أبرز الألقاب العلمية التي انتشرت بالأندلس خلال فترة الدراسة نجد:

أ-**العالم:** يطلق هذا اللقب على من اشتهر بالعلم والفضل[1]، مع الإحاطة الكاملة بذلك العلم الذي اشتهر به، وكذا تأليفه للكثير من الكتب في ذلك المجال[2]، وتوجد أمثلة كثيرة عن أسماء المرتحلين ممن حملوا هذا اللقب العلمي بالأندلس نذكر أبرزهم:

عبد الرحمان بن موسى الهواري، من جملة الأندلسيين الذين رحلوا إلى الحجاز خلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، عرف بتقدمه في الفقه وحفظه للعديد من الكتب الشرعية حتى أصبح عالما في الفقه[3]، ومنهم محمد بن مضر القيسي(ت189هـ/805م) جاء وصفه بالعالم المتضلع، نال تلك المنزلة العالية في العلم بفضل رحلته التي توجت بلقاء جملة من أعلام عصره على غرار الإمام مالك وسفيان الثوري وعبد الله بن وهب[4]، ومنهم أيضا عبد الله بن مسعود

[1] الأزدي، المصدر السابق، ص292.

[2] القاري علي بن سلطان(ت1014هـ/1605م)، **شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر**، تح محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم بن أبي الأرقم، دط،، بيروت، دت، ص121.

[3] الخشني، المصدر السابق، ص234.

[4] المصدر نفسه، ص ص347، 348.

الطليطلي كان عالما بالقراءات ومجودا جيدا للقرآن الكريم[1]، ومع اشتداد الرحلة خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، ظهر العديد من الأندلسيين القادمين من الحجاز ممن حملوا هذا اللقب العلمي عالي المنزلة؛ فكان عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م) أبرز من اشتهر به عندما لُقب بعالم الأندلس، حيث ابتدأ المقري ترجمته في نفح الطيب بقوله: "عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب السلمي.."[2]، وقال عنه أيضا الفقيه عمر بن لبابة: "عبد الملك بن حبيب عالم الأندلس.."[3]، كما روي أن الإمام سحنون عندما وصله خبر وفاته قال: "مات عالم الأندلس، بل عالم الدنيا"[4]، ولا شك أن حيازته لهذا اللقب الشريف يرجع أساسا إلى منزلته العلمية الرفيعة التي تبوأها؛ فقد كان على دراية كبيرة بالعديد من العلوم؛ فهو الحافظ للفقه على المذهب المالكي والعارف بالتاريخ والأنساب والبارع بالأدب[5]، إضافة إلى كونه عالما غزير التصنيف، من أشهر مؤلفاته كتاب الواضحة في الحديث والمسائل[6]، نجد كذلك محمد بن عبد السلام الخشني(ت286هـ/899م) جمع هو الآخر إلى جانب الفقه اهتمامه باللغة والنحو حتى أصبح أحد علماء الأندلس اللغويين[7].

نذكر أيضا محدث الأندلس محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) أحد أبرز المرتحلين إلى المشرق في عصره طلبا للحديث، سمح لقائه بعدد كبير من حفاظ الحديث وأعلامه بالمشرق، خاصة أنه كان ينتقي الرواية من شيوخ العلم الثقات، فحصل حديثا كثيرا وأتقن علم الحديث وبرع فيه حتى أصبح عالما به، وأخذ يقصده الطلبة من كل ربوع الأندلس لتعلم الحديث، فقد روي أنه بفضل جهود محمد بن وضاح، ورفيقه بقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث[8]، ومن العلماء أيضا إبراهيم بن نصر الجهنيّ(ت287هـ/900م)[9] وثابت بن حزم العوفي(ت313هـ/925م)[1]،

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص373.

[2] المقري، المصدر السابق، ج2، ص5.

[3] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، 461.

[4] عياض، المصدر السابق، ج1، ص383.

[5] ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص253، 254.

[6] الحميدي، المصدر السابق، ص408.

[7] الخشني، المصدر السابق، ص132.

[8] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص652.

[9] المصدر نفسه، ج1، ص ص40، 41.

ونختم كلامنا بقاسم بن مسعدة(ت317هـ/929م) الذي بلغ في الحديث من الإتقان والدراية حتى أصبح عالما في هذا المجال، ذكر أن جماعة من أهل العلم في الأندلس كانوا يثنون عليه ويشهدون بتقدمه في فهم ورواية الحديث[2]، كما نشير أن لقب العَالِم مثل أعلى لقب اتصف به المشتغلون في الميدان الفكري بالأندلس؛ حيث تشرف به جلة ممن أظهروا تفوقهم الكبير في مجال علمي معين سواء في علم الفقه أو الحديث وغيرها من علوم الشريعة، أو حتى في العلوم المرتبطة بها كاللغة العربية.

ب-الحافظ:

يطلق في غالب الأحيان على علماء الحديث الذين عُرفوا بكثرة حفظهم للمتون وأسماء الرجال، ونحو ذلك[3]، فقد جاء عن الزهري: "..الحافظ هو من بلغ رتبة الكمال في الحفظ والإتقان"[4]، غير أنه قد امتدت هذه التسمية إلى علوم دينية أخرى خاصة الفقه[5]؛ حيث وجد عدد من الحفاظ الأندلسيين ممن رحلوا إلى الحجاز خلال فترة الدراسة، نذكر منهم:

عبد الرحمان بن عيسى بن دينار(ت201هـ/816م) ينحدر من عائلة عرفت بالعلم، اكتمل نضجه العلمي عندما استوطن المدينة المنورة، فهو يُعد أحد حفظة الأندلس المتقدمين[6]، ومنهم يحي بن إبراهيم بن مزين(ت259هـ/872م) كان هو الآخر على قدر كبير من الحفظ والإتقان حيث سمع في رحلته للعديد من أمهات الكتب بالمشرق، حتى وصف بأنه أحفظ الأندلسيين للموطأ وأدركهم لمعانيه[7]، كما كان يوسف بن يحي المغامي(ت288هـ/901م) من حفاظ الأندلس الورعين، تفقه في بادئ الأمر على عبد الملك بن حبيب وأصبح يروي كتابه الواضحة[8]، ومن أشهر الحفاظ المحدثين بالأندلس بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) العالم الزاهد، حج وانصرف إلى جمع

---

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص488.

[2] المصدر نفسه، ص ص 606، 607.

[3] القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص12.

[4] السيوطي، **تدريب الراوي**، ج1، ص39.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص31.

[6] عياض، المصدر السابق، ج1، ص372؛ الخشني، المصدر السابق، ص239.

[7] المصدر نفسه، ص370-372.

[8] ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص438، 439.

رواية الحديث والأثر من أئمة وأعلام المشرق، لتسهم جهود هذا المحدث المجتهد في تنشيط وازدهار علم الحديث بالأندلس[1]، ونجد كذلك ممن توفوا بعد انقضاء عصر الإمارة بالأندلس الفقيه محمد بن عبد الله بن أبي عيسى(ت337ه/948م) كان هو الآخر حافظا معتنيا بالأثر[2] ومنهم أيضا محمد بن يزيد بن خالد الأنصاري(ت317ه/929م) ذكر أنه حفظ المدونة وكتاب الموطأ بأسانيد كثيرة[3]، ومن أقطاب المالكية في تلك الفترة الفقيه محمد بن عبد الملك بن أيمن(ت330ه/941م) بلغ هو الآخر منزلة حفاظ الأندلس المتقنين[4]، وهذا محمد بن فتح من أدباء الأندلس خلال القرن الرابع الهجري، روي أنه كان حافظا للنحو والغرائب[5].

ج-الفقيه:

يقصد بالفقيه ذلك الشخص المدرك لجملة من الأحكام الشرعية، خاصة التي تمس الجوانب الفقهية[6]، كما أطلقت كلمة فقيه بالأندلس على الرجل المثقف بصفة عامة[7]، ويمكن أن نوجز أبرز فقهاء الأندلس في فترة الدراسة: فخلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، نجد حسين بن عاصم(ت180ه/747م) رحل قديما وتفقه بأصحاب الإمام مالك في الحجاز حتى أصبح أحد فقهاء الأندلس المتقدمين[8]، ومنهم أيضا عيسى بن دينار(ت212ه/827م) من أوعية الفقه أخوه عبد الرحمان بن دينار الحافظ الذي سبق الحديث عنه، قال عنه ابن الفرضي:"من أكبر فقهاء الأندلس"[9]، كما روي أنه يعود إليه الفضل في تعليم أهل الأندلس الفقه[10]، ومنهم زياد بن عبد الرحمان اللخمي(ت204/819م) المدعو شَبطُون من جملة الأندلسيين الذين تفقهوا على يدي

---

[1]ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص 143، 144؛ السيوطي، **طبقات المفسرين**، ص40-42.

[2] المقري، المصدر السابق، ج2، ص12-15.

[3] الخشني، المصدر السابق، ص ص161، 162.

[4]المصدر نفسه، ص159.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص738.

[6]محمد سلام مدكور، **المدخل للفقه الإسلامي**، دار الكتاب الحديث، ط2، القاهرة، 1996، ص38.

[7]خليل إبراهيم الكبيسي، **دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة**، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، 2004/1425، ص22.

[8]الخشني، المصدر نفسه، ص73.

[9]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص374.

[10]الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص ص439، 440.

الإمام مالك وعن غيره من مشايخ المدينة، عُرف بفقيه الأندلس، ومن جهوده المبذولة في نشر المذهب المالكي إدخاله نسخة من كتاب الموطأ[1].

كما برز العديد من الفقهاء خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، نذكر منهم: سعيد بن حسان(ت236هـ/850م) تفقه بالأندلس ثم رحل إلى الحجاز للاستزادة حتى أصبح فقيها حافظا لرأي شيوخه[2]، ونجد الشأن نفسه مع حاتم بن سليمان بن أبي يوسف(ت221هـ/836م) أخذ العلم في بادئ الأمر من علماء بلده، ثم رحل لتعلم الفقه عن شيوخ أهل المدينة حتى أصبح ضليعا فيه[3]، ومن أهل الشرف والوجاهة بالأندلس نذكر محمد بن أحمد العتبي(ت254هـ/868م) الذي امتاز بالبراعة في الفقه[4]، نجد أيضا سبرة بن مذكر(ت312هـ/924م) من فقهاء ألبيرة المبرزين[5].

د- الإمام:

لقب علمي يطلق على أكابر العلماء الذين يقتدى بهم[6]، كما هو الشأن مع سحنون بن سعيد التنوخي(ت240هـ/854م)، ذكر أن أحد طلابه الأندلسيين يدعى إبراهيم بن لبيب وصفه بالإمام المقتدى به فقال له: "إنك إمامي وقد أخذت عنك ديني"[7]، وأيضا ما ذكره ابن الحارث في أخبار الفقهاء والمحدثين: "وكان عيسى بن دينار إماما يقتدى به ويعتمد عليه"[8]، فمن جملة الأندلسيين الذين حملوا هذا اللقب العلمي نذكر:

معاوية بن صالح الحضرمي(ت158هـ/774م) من أوعية العلم الثقات برز في الفقه والحديث معا حتى بلغ درجة الإمامة في العلم، فقد روى عنه الكثير من أعلام المشرق، عدهم الذهبي أربعة عشر عالما وشيخا منهم سفيان الثوري والليث بن سعد وعبد الرحمان بن مهدي ومَعن

---

[1] المقري، المصدر السابق، ج2، ص ص45،46.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص290.

[3] عياض، المصدر السابق، ج1، ص377.

[4] الخشني، المصدر السابق، ص119-121.

[5] المصدر نفسه، ص332.

[6] القلقشندي، المصدر السابق، ج6، ص10.

[7] المالكي، المصدر السابق، ج1، ص367.

[8] الخشني، المصدر نفسه، ص272.

بن عيسى وعبد الله بن وهب وغيرهم[1]، ومنهم الفقيه يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م) تفقه على جماعة من كبار أصحاب مالك بالمدينة ومصر، وعند رجوعه إلى الأندلس أصبح إماما في العلم، ذكره أحمد بن خالد فقال: "لم يعط أحد من أهل العلم بالأندلس منذ أن دخلها الإسلام، من الحظوة وعظم القدر وجلالة الذكر ما أعطيه يحي بن يحي الليثي وسمع منه مشايخ الأندلس في وقته .."[2]، كذلك بلغ المحدث بقي بن مخلد(ت276هـ/879م) درجة الإمامة في العلم، قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ: "..وكان إماما عالما قدوة مجتهدًا لا يقلد أحد.. وجار في مضمار البخاري ومسلم والنسائي"[3]، كما بلغ محمد بن إبراهيمبن حيُّون(ت305هـ/917م) الذي قضى فترة طويلة في المشرق لتعلم الحديث وجمعا للرواية، حتى بلغ درجة الإمامة في الحديث الشريف، روي أنه لم يكن بالأندلس أعلم منه بطرق الحديث[4]، نجد أيضا محمد بن أيمن(ت330هـ/941م) كان هو الآخر من رواة الحديث المتقنين لطرقه، صنف وأبدع في هذا المجال[5].

ذ- المفتي:

هي وظيفة دينية يتقلدها من كان على قدر كبير من العلم بالكتاب والسنة[6]، فقد ذكر الإمام النووي في كتابه آداب الفتوى، أن المفتي هو ذلك العالم الرباني عندما قال: "هو العالم بين الله -تعالى- وخلقه.."[7]، كما شغل العائدون من الحجاز هذا المنصب نذكر منهم:

كان الفقيه عيسى بن دينار(ت212هـ/827م) مفتي الأندلس كما وصف هذا الفقيه المالكي بتقدمه في العلم، إلى جانب زهده وكثرة عبادته ما جعله يُقدم برأيه عن سائر علماء بلده[8]، ومنهم

---

[1]الذهبي، المصدر السابق، ج7، ص158-162.

[2]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص ص899، 900.

[3] الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج2، ص ص630، 631.

[4]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص ص666، 667.

[5]الذهبي، **الأعلام**، ج15، ص ص241، 242.

[6]ابن القيم، المصدر السابق، ج2، ص84.

[7]النووي يحيى بن شرف الدين(ت676هـ/1277م)، **آداب الفتوى والمفتي والمستفتي**، تح بسام بن عبد الوهاب، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، دمشق، 1988/1408، ص14، 18.

[8]الحميدي، المصدر السابق، ص433.

الحارث بن سعيد(ت221هـ أو222هـ/836م أو837م) الذي جلس للإفتاء بعد رجوعه من رحلته[1] وحصل الأمر نفسه مع الفقيه يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/856م)؛ فبعد عودته من رحلته أصبح مفتي الأندلس يقول عنه ابن الفرضي: "قدم الأندلس بعلم كثير فعادت فُتيا الأندلس بعد عيسى بن دينار إلى رأيه وقوله، فكان يفتي برأي مالك بن أنس، ولا يدع ذلك إلا في القنوت في الصبح فإنه تركه لرأي اللَّيث"[2]، إضافة إلى مكانة العالية والحظوة التي نالها لدى أمير الأندلس الحكم بن هشام (180-206هـ/796-822م) فكان يأخذ برأيه في أمور دولته[3]، نجد أيضا الفقيه عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م) كان مفتيا ومشاورا في الأحكام[4]، كما تميز بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) باجتهاده عند إصداره للأحكام ويفتي بالأثر[5]، وتصدر محمد بن أيمن(ت330هـ/941م) الإفتاء وشاوره قضاة بلده في استصدار أحكامهم[6].

2-تولية المناصب بالدولة

وشارك عدد من الفقهاء والعلماء المرتحلين إلى الحجاز في إدارة شؤون الدولة من خلال المناصب العالية التي تقلدوها في دولة بني أمية بالأندلس، من منصب صاحب الشرطة إلى خطة القضاء، وصولا إلى أعلى رتبة في الدولة وهي خطة الوزارة.

أ- الخطط السلطانية:

-**خطة الوزارة:** تعد الوزارة من أسمى الرتب السلطانية[7]، وهي تأتي بعد الأمارة من حيث الأهمية في الأندلس[8]، وعرفت هذا النوع من الخطط منذ نشأة الإمارة الأموية[9]، فقد أوردت المصادر

---

[1]ابن الفرضي، المصدر السابق ، ج1، ص194.

[2]المصدر نفسه، ج2، ص899.

[3] عياض، المصدر السابق، ج1، ص311.

[4]المصدر نفسه، ج1، ص383.

[5]الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ/1363م)، **الوافي بالوفيات**،ج10، تح أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000/1420، ص115.

[6]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص ص705،704.

[7] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص294.

[8] سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص151.

[9] يشير ابن خلدون أن الوزارة كانت من بين الخطط التي عرفتها الأندلس منذ قيام دولة الأموية هناك، غير أنها كانت متعددة المناصب يرأسها الحاجب الذي يتصل بالأمير. انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص298.

التاريخية أسماء لعلماء وفقهاء أندلسيين من أهل الرحل ممن تقلدوا خطة الوزارة نذكر منهم: عبد الرحمان بن أبي هند(ت200هـ/815م) فقيه أندلسي كان من أنجب تلامذة الإمام مالك حتى لقبه شيخه بحكيم الأندلس، روي أنه تقلد الوزارة عند أكثر من أمير[1]، ومنهم أحمد بن محمد بن سعيد(ت327هـ/938م) رحل إلى الحجاز لأجل تأدية الفريضة، فسمع هناك من بعض علمائها ولدى رجوعه تولي عدة وظائف بالدولة أرفعها خطة الوزارة[2].

نجد أيضا عدد من أصحاب المناصب العليا رحلوا للحجاز من أجل الحج، كالوزير موسى بن محمد بن زياد(توفي ق3هـ/ق9م) من العرب الأموية بالأندلس، ولاه الأمير عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م) عدة وظائف وخطط في دولته، بداية من منصب الشرطة ثم القضاء فالكتابة وصولا إلى الوزارة، ليستأذن الأمير للحج فأذن له[3]، نذكر كذلك عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة(ت296هـ/908م) كان من أهل الأدب والبلاغة، تقلد هو الآخر عدة وظائف بالإمارة في عهد الأمير عبد الله بن محمد أهمها خطة الحجابة، فقيادة الجيش وصولا إلى خطة الوزارة وبعد أن أتم أبي عبدة عمله على أكمل وجه من خلال تحقيقه للعديد من الانتصارات على العدو، طلب من أمير الأندلس إعفائه من مهامه حتى يتمكن من الرحيل لأداء فريضة الحج[4].

ب- **الخطط الدينية:** ويقصد بها تلك المناصب التي يستوجب تقلدها معرفة واسعة بأمور الدين ما جعلها خاصة بالعلماء والفقهاء دون غيرهم، نجد النباهي قد جمعها في قوله: "أن الحُكام الذين تجري على أيديهم الأحكام ست خُطط، القضاء والشرطة والمظالم والرد والمدينة والسوق"[5] بالإضافة إلى خطة الشورى أو الإفتاء، فهي تدخل أيضا ضمن الخطط الدينية الرسمية بالدولة[6] الأمر الذي

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص437.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص87.

[3] الخشني، **قضاة قرطبة**، ص190-192.

[4] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص ص146، 147.

[5] أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي(ت793هـ/1391م)، **تاريخ قضاة الأندلس**، تح لجنة تحقيق التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط5، بيروت، 1983/1403، ص5.

[6] الخطط الدينية هي الصلاة، والإفتاء، والقضاء، والحسبة، والجهاد. انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص273.

جعل حكام بني أمية في الأندلس يسندون العديد من الوظائف الدينية إلى علمائهم وفقهائهم الذين عادوا من رحلة الحج، نظرا لما اكتسبوه من خبرة ودراية علمية واسعة، كما سوف يأتي تفصيله.

- **منصب القضاء**[1]: لاشك أن القضاء من أرفع المناصب بالدولة، كون القاضي كان يمثل الشرع وأحكام الدين[2]، ما سمح له التمتع بسلطات واسعة، وكان بإمكانه استدعاء الخصوم مهما بلغت منزلتهم بالدولة ليسمع منهم عند الحاجة[3]، لذلك حرص حكام الأندلس على تولية هذا المنصب لأكثر فقهاء البلد دراية وعلما، ولا يتم ذلك إلا وفقا لشروط وضعها أهل العلم[4]، لعل أبرزها ما روي عن الإمام مالك بن أنس -رحمه الله-:" من الخصال التي لا يصلح القضاء إلا بها، العلم والورع"[5]، كما تخبرنا الروايات أن حكام الأندلس كانوا يجدون في البحث عن أصلح القضاة، كما هو الشأن مع محمد بن بشير(ت198هـ/814م) الذي يعد من خيرة قضاة الأندلس، حيث أشاد بفضله وسيرته العادلة خيرة علماء بلده، ذكر أن الحكم بن هشام الربضي(180-206هـ/796-822م) تأثر كثيرا عند بلوغه خبر وفاة القاضي محمد بن بشير، وأخذ يدعو الله -تعالى- أن يوفق إلى اختيار قاضي بمثل صيفاته[6]، ومن جهة أخرى نجد كثيرا ما كان حكام بني أمية يلجؤون إلى كبار مستشيرهم من علماء البلد عند اختيار قضاتهم، وهو ما حصل مع الأمير المنذر بن محمد(273-275هـ/886-888م) عندما أخذ برأي بقي بن مخلد(276هـ/889م) حول رجل من آل زياد يسكن مدينة ريَّة فولّاه الأمير قضاء الجماعة بقرطبة[7]، ويبدو أن سيرة أمراء الأندلس واحدة

---

[1] بالرغم من أهمية خطة القضاء اجتماعيا وماديا في ذلك الوقت، مع ذلك فقد رفضها عدد من كبار علماء وشيوخ الأندلس نذكر منهم: زياد بن عبد الرحمان اللخمي(ت204هـ/819م)، ومحمد بن عيسى الأعشى(ت221هـ/835م)، ويحيى بن يحيى الليثي(ت234هـ/848م)، وبقي بن مخلد(ت276هـ/889م)، وغيرهم. انظر: الخشني، المصدر السابق، ص27-37.

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، المرجع السابق، ص157.

[3] أحمد أمين، **ظهر الإسلام**، ج3، مؤسسة هنداوي، دط، المملكة المتحدة، 2013، ص483.

[4] للوقوف على شروط تقليد منصب القضاء. انظر: الماوردي أبي الحسن علي بن حبيب البصري(ت450هـ/1058م)، **الأحكام السلطانية**، تح أحمد جاد، دار الحديث، دط، القاهرة، 2006/1427، ص110.

[5] النباهي، المصدر السابق، ص2.

[6] عياض، المصدر السابق، ج1، ص287.

[7] النباهي، المصدر السابق، ص19.

في انتقاء أصلح الناس لتولى هذا المنصب الهام بدولتهم، فهذا الأمير عبد الله بن محمد(275هـ-300هـ/888م-912م) أرسل وزيره لتقصّي الأخبار عن رجل رغب في توليته القضاء[1].

كما أخذ القاضي في عصر الإمارة تسمية جديدة، عُرف بلقب قاضي الجماعة؛ حيث قلّد الأمير عبد الرحمان بن معاوية الفقيه يحي بن يزيد التجيبي قضاء الجماعة بقرطبة[2]، ومن أبرز أهل الرحل ممن تولوا منصب القضاء نجد: معاوية بن صالح الحضرمي(ت158هـ/775م) فقيه ومحدث أندلسي ولاه الأمير عبد الرحمان بن معاوية قضاء الجماعة والصلاة بقرطبة[3]، ومنهم عبد الرحمان بن موسى الهواري الذي كان حافظا للفقه، تولى قضاء إستجة[4]، ومنهم أيضا شبطون بن عبد الله(ت212هـ/827م) فقيه سمع من الإمام مالك كثيرا، تولى قضاء طليطلة[5]، نجد كذلك عبد الله بن يحي القيسي[6]، الذي كان يرحل إليه الناس للسماع منه، تولى قضاء سرقسطة[7]، كما تولى أسلم بن عبد العزيز (ت319هـ/831م)[8] قضاء الجماعة بقرطبة مرتين[9].

كما تقلدوا مناصب دينية أخرى سيما منصب الشورى، والصلاة.

- **منصب الشورى:** تعتبر الشورى من قواعد هذا الدين، فقد مدح الله -تعالى- المؤمنين[10] في قوله جل وعلا:﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[11]، وهي أيضا قاعدة أساسية لإدارة الحكم بالدولة الإسلامية[1]؛

---

[1]النباهي، المصدر السابق، ص19.

[2]الخشني، المصدر السابق، ص47.

[3]المصدر نفسه، ص50-54.

[4]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص ص439، 440.

[5]الحميدي، المصدر السابق، ص344.

[6] عبد الله بن يحيى القيسي يعرف بابن الخشاب من أهل سرقسطة كان رفيق ابن وضاح في رحلته، روي أن الناس كانوا يسمعون منه العلم. انظر: ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص372.

[7]المصدر نفسه، ج1، ص ص371، 372.

[8]أسلم بن عبد العزيز مولى عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت له رحلة إلى الحجاز سمع خلالها من الكثير من العلماء، كما تولى قضاء الجماعة للخليفة عبد الرحمان الناصر. انظر: الحميدي، المصدر نفسه، ص ص245، 246.

[9]الخشني، المصدر نفسه، ص212، 221.

[10]القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت671هـ/1273م)، **الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنّة وآي الفرقان**، ج5، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 2006/1427، ص380.

[11]**سورة الشورى**، آية 38.

لذلك أبدى حكام الأندلس أهمية بالغة للشورى؛ حيث قربوا العلماء والفقهاء واستشاروهم فيما أشكل عليهم من أمور الدين، وفي مصالح دولتهم[2]، فظهرت مجموعة من الفقهاء المشاورين بشكل رسمي، يقوم الحاكم باختيارهم من ضمن كبار أهل العلم والدراية بالبلد ليرجع إليهم كلما استدعت لهم الحاجة، عُرف رئيسهم برأس الفتيا أو كبير المفتين[3]، كما يبدو أن حضورهم كان قويا من خلال ورود أسماء كثيرة لهؤلاء الفقهاء المشاورين، ونميز نوعين من المشاورين:

مشاورون الحكام: وجد عدد من الفقهاء كانت مهمتهم مقتصرة على تقديم خدمة الرأي للأمير، كما يقوم هو الآخر باستشارتهم في أمور دولته نذكر منهم: الفقيهان الكبيران يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م) وعبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م) اللذان كانا مقربين لدى الأمير عبد الرحمان بن الحكم(206-238هـ/822-852م)؛ فكثيرا ماكانا يدخلان عليه في قصره ويشاورهما ويأخذ برأيهما[4]، وأيضا عبد الرحمان بن سعيد التميمي المعروف بالجزيري(ت275هـ/888م) ذكر أن الخليفة محمد بن عبد الرحمان(238-273هـ/852-886م) كان يشاوره[5]، ويبدو أن مشاورة الحكام لم تقتصر على رجال المالكية بالأندلس بل شملت كبار علماء البلد، كما حصل مع العلامة بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) الذي كان مقربا من الحكام ويأخذ بمقترحاته، تذكر لنا رواية أن بقي رشح عامر بن معاوية اللخمي لتولية قضاء قرطبة بعدما رأى أنه الرجل المناسب للمنصب، فأقره الأمير المنذر[6].

مشاورون القضاة: وهم الذين كان القاضي يستشيرهم إذا أشكل عليه شيء من القضايا[7] مثل ما ذكره الشاطبي في قوله: "وقد كان بالأندلس استشارة القاضي للمفتين حتى أصبح المشاور

---

[1] محمد أجعد صالح، **الشورى في الكتاب والسنة وعند العلماء المسلمين**، فهرسة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، 1999/1420، ص21.

[2] الكبيسي، المرجع السابق، ص112.

[3] حسين مؤنس، **شيوخ العصر في الأندلس**، دار الرشاد، ط2، القاهرة، 1997/1417، ص ص30، 31.

[4] الخشني، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، ص245.

[5] المصدر نفسه، ص238.

[6] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص595.

[7] حسين مؤنس، المرجع نفسه، ص31.

ذا خطة قارة مرتبطة بالقضاء"[1]، ومن العلماء المشاورين نذكر: عبيد الله بن يحي الليثي(ت298هـ/911م) كان يستشار في أحكام القضاء[2]، وكذلك سعيد بن معاذ(ت308هـ/920م) كان يشاوره القضاة[3]، وأيضا شاور في الأحكام محمد بن عبد الملك بن أيمن(ت330هـ/942م)[4].

وهؤلاء جملة من الفقهاء الأندلسيين الذين تزعموا المشورة منهم: عيسى بن دينار(ت212هـ/827م)عرف بمفتي الأندلس[5]، ثم انتقلت من بعده إلى يحي بن يحي الليثي(334هـ/848م)، وسعيد بن حسان(ت236هـ/850م)، وعبد الملك بن الحسن المعروف بزونان(ت232هـ/847م)[6]، لينفرد الفقيه يحي بن يحي الليثي بالمشورة وأصبح مفتي البلد[7] وتزعم المشورة عبد الرحمان بن برير(ت258هـ/872م) الذي كان مقدما في الشورى وصدرا فيمن يستفتى[8]، ونجد الأمر نفسه مع محمد بن يوسف بن مطروح(ت271هـ/884م)، وعبد الأعلى بن وهب(ت261هـ/875م)[9] كما ذكر أن أصبغ بن خليل(ت273هـ/886م) دارت عليه الفتيا بالأندلس مدة خمسين سنة[10].

– **منصب الصلاة:** لقد جرت العادة في الأندلس تقليد الأمير إمامًا يصلي بالناس الصلوات الخمس أو صلاة الجمعة، أو الصلاة المندوبة، غير أن أمراء الأندلس كانوا حريصين على تقليد كبار

---

[1] أبي إسحاق إبراهيم بن موسى(ت790هـ/1388م)، **فتاوى الإمام الشاطبي**، تح محمد أبو الأجفان، مطبعة الكواكب، ط2، تونس، 1406/1985م، ص71.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص429.

[3] الخشني، المصدر السابق، ص244.

[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص705.

[5] الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص440.

[6] الخشني، المصدر نفسه، ص244.

[7] الذهبي، المصدر نفسه، ج10، ص521.

[8] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص441.

[9] عياض، المصدر السابق، ج1، ص447.

[10] المصدر نفسه، ج2، ص150.

الفقهاء، وكذا القراء المهرة للصلاة بالمساجد السلطانية والجوامع الكبرى بالمدن التي يحضرها الجم الغفير من المصلين[1].

فقد تولي الفقيه عبد الله بن الفرج النمري(ت260ه/873م) منصب الصلاة بحاضرة الدولة قرطبة[2]، وكان على صلاة مسجد قرطبة في دولة الأمير عبد الرحمان بن الحكم(206-238ه/822-852م) الفقيه إسماعيل بن بشير التجيبي[3]، ونجد أيضا هاشم بن خالد(ت300ه/912م) تولى الصلاة بإلبيرة[4]، كذلك تقلدها أحمد بن سعيد بن ميسرة الغفاري(ت322ه/933م)[5] بمسجد طرطوشة[6]، وفي القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي تولى محمد بن عبد الملك بن فرج(ت330ه/941م) منصب الصلاة بقرطبة[7]، وكان محمد بن أيمن(ت330ه/941م) صاحب صلاة جامع قرطبة[8]، وتقلدها أيضا أحمد بن عبادة الرعيني(ت332ه/943م)[9].

- **صاحب الشرطة:** تعد خطة الشرطة[10] من المناصب العالية بالدولة، مهمة صاحبها الإشراف على حفظ النظام، وإقرار الأمن في البلاد ليلًا ونهارًا[11]، فمن فقهاء الأندلس الذين تقلدوها نجد:

---

[1] الماوردي، المصدر السابق، ص160.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص372.

[3] الحميدي، المصدر السابق، ص229.

[4] الخشني، المصدر السابق، ص341.

[5] أحمد بن سعيد بن ميسرة من أهل طرطوشة رحل إلى الحجاز وسمع من علمائها وكان من علماء الحديث بالأندلس. انظر: الحميدي، المصدر نفسه، ص208.

[6] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص ص76، 77.

[7] المصدر نفسه، ج1، ص ص704، 705.

[8] الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص241.

[9] عياض، المصدر السابق، ج2، ص83.

[10] يشير ابن خلدون ان خطة الشرطة وجدت بالأندلس منذ فتراتها الأولى، وكانت مقسمة إلى قسمين: شرطة عليا أو كبرى ينظر صاحبها في الجرائم المرتكبة من سادة القوم وأصحاب الطبقة الخاصة وأهل الجاه، والنوع الثاني تسمى بالشرطة الصغرى كان صاحبها ينظر في الجرائم التي يرتكبها العامة. انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص312.

[11] سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، المرجع السابق، ص165.

الحارث بن أبي سعيد(ت221هـ/835م أو222هـ/836م)[1] كان فقيها مفتيا ذكر أنه أول من تولى منصب الشرطة الصغرى بالأندلس[2]، كما ولي شرطة قرطبة محمد بن خالد المعروف بابن مرتنيل(ت224هـ/839م)[3] الذي عُرف بالشدة في تعامله، فقد روي أنه كان يتعمد وضع عصاه أمامه في خطبة الجمعة كنوع من الترهيب للمخالفين، ومن سيرته أنه كان لا يخاف في الله لومة لائم في تطبيق الحدود والأحكام الشرعية، ولا يستثني من ذلك أحدا، فقد أبرح ضربا أحد جلساء الأمير عندما وجده يحمل خمرا[4]، ومنهم أيضا إبراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل(ت249هـ/863م) من الفقهاء المفسرين تقلد منصب الشرطة بقرطبة[5]، كما تولى خطة الشرطة في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان(238-273هـ/852-886م) فقيه من أهل الرحل يدعى مسلم المُعلِّم الذي سار بدوره سيرة حسنة[6]، وتولاها أيضا محمد بن الحارث(ت260هـ/874م) في دولة عبد الرحمان بن الحكم(206-238هـ/822-852م) وبقي عليها إلى أن توفي[7].

- **صاحب الحسبة:** كانت تعرف في الأندلس بالحسبة[8]، وأحيانا بصاحب السوق لأن أغلب نشاطها كان يجري بالأسواق للوقوف على غش أو خديعة، وتفقد المكيال ونحو ذلك[9]، فمن فقهاء الأندلس الذين تقلدوا هذه الخطة نذكر: حسين بن عاصم العريان(ت180هـ/796م) فقيه قرطبي

---

[1] الحارث بن أبي سعيد مولى الأمويين بالأندلس فقيه قرطبي رحل وسمع من علماء المدينة ومصر وهو أول من تولى منصب الشرطة الصغرى. انظر: عياض، المصدر السابق، ج1، ص377.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص ص193، 194.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص633.

[4] الخشني، المصدر السابق، ص111.

[5] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص444.

[6] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص830.

[7] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص454.

[8] الحسبة وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهمة صاحبها الإشراف على العمال والتجار والصناع ومنعهم من أي مخالفات تضر بالدولة، وقد اطلق على هذه الخطة في بادئ الأمر في الأندلس اسم ولاية السوق أو أحكام السوق وسرعان ما أخذت اسم الحسبة. انظر: ابن خلدون، المصدر السابق ، ج1، ص280. سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، المرجع نفسه، ص ص167، 168.

[9] النباهي، المصدر السابق، ص5؛ أحمد أمين، المرجع السابق، ج3، ص484.

التقى بعدد من أصحاب الإمام مالك في رحلته إلى الحج[1]، ومنهم والد قرعوس بن العباس، أحد فقهاء الأندلس الذين لقوا الإمام مالك بن أنس، يذكر أنه تولى خطة السوق وسار بسيرة شديدة؛ فكثيرا ما كان يسقط العقاب ويتعرض بالضرب على المخالفين من أهل الريب[2]، كما كان صاحب السوق في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان(238-273هـ/852-886م) فقيه من أهل الرحل يدعى إبراهيم بن حسين بن عاصم الثقفي(ت256هـ/870م)[3]، وأيضا تقلدها في دولة الأمير عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م) الفقيه أيوب بن سليمان(ت302هـ/914م) الذي كان إماما في رأي الإمام مالك بن أنس وأصحابه[4].

وهذا جدول يوضح أبرز المناصب التي تقلدها عدد من المرتحلين الأندلسيين إلى الحجاز خلال فترة الدراسة:

م	أسماء المرتحلين	تاريخ وفاته	الوظيفة	المكان	المصدر
01	معاوية بن صالح الحضرمي	(158هـ/775م)	القضاء	قرطبة	الذهبي، الأعلام، ج7، ص158.
02	سعيد بن عبدوس	لقي الإمام مالك	القضاء	طليطلة	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص199.
03	قرعوس بن العباس الثقفي	لقي الإمام مالك	السوق	قرطبة	الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص312.
04	محمد بن بشير	(198هـ/814م)	القضاء	قرطبة	عياض، المصدر السابق، ج1، ص287.
05	سعيد بن أبي هند	(القرن 3هـ/ 9م)	الوزارة	قرطبة	عياض، المصدر

[1] الخشني، المصدر السابق، ص73.

[2] المصدر نفسه، ص312.

[3] الحميدي، المصدر السابق، ص218.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص162.

					السابق، ج1، ص203.
06	حسين بن عاصم العريان	(180ه/796م)	السوق	قرطبة	الخشني، المصدر السابق، ص73.
07	الفضل بن عميرة	(197ه/813م)	القضاء	تدمير	الخشني، المصدر السابق، ص296.
08	عبد الرحمان بن الفضل بن عميرة	(القرن3ه/9م)	القضاء	تدمير	الخشني، المصدر السابق ، ص240.
09	عيسى بن دينار	(212ه/827م)	القضاء، الشورى	طليطلة، قرطبة	الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص440. ابن فرحون، الديباج، ص279.
10	محمد بن خالد الأشج (ابن مرتنيل)	(220ه/835م)	الشرطة، السوق	قرطبة	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص633. الخشني، المصدر السابق، ص111.
11	الحارث بن سعيد	(221ه أو222ه/836م أو837م)	الشرطة	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص194.
12	محمد بن خالد بن مرتنيل(يُعرف بالأشج)	(224ه/939م)	الشرطة، السوق، الصلاة	قرطبة	الخشني، المصدر السابق، ص111.
13	عبد الرحمان بن الفضل العتقي	(227ه/842م)	القضاء	تدمير	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص440.
14	عبد الرحمان بن موسى	(228ه/843م)	القضاء	إستجة	الخشني، المصدر

	الهواري				السابق، ص234.
15	عبد الملك بن زونان	(232هـ/846م)	القضاء	طليطلة	عياض، المصدر السابق، ج1، ص375.
16	يحي بن يحي الليثي	(234هـ/848م)	الشورى	قرطبة	الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص521.
17	سعيد بن حسان	(236هـ/850م)	الشورى	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص290.
18	إسماعيل بن بشير التجيبي	(توفي في عهد عبد الرحمان الثاني)	الصلاة	قرطبة	الحميدي، الجذوة، ص229.
19	إبراهيم بن حسين بن خالد بن مرتنيل	(249هـ/863م)	الشرطة	قرطبة	عياض، المصدر السابق، ج1، ص444.
20	إبراهيم بن حسين بن عاصم الثقفي	(256هـ/870م)	الشرطة، السوق	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص34. الحميدي، المصدر السابق، ص218.
21	أبان بن عيسى بن دينار	(258هـ/872م)	الصلاة	قرطبة	الخشني، المصدر السابق، ص41.
22	عبد الرحمان بن إبراهيم بن برير	(258هـ/872م) أو(259هـ/873م)	الشورى	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص441.
23	يحي بن إبراهيم بن مزين	(259هـ/873م)	الشورى	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص901.

24	محمد بن الحارث بن أبي سعيد	(260هـ/874م)	الشرطة، السوق	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص637. عياض، المصدر السابق، ج1، ص454.
25	يحي بن محمد بن عجلان	(القرن 3هـ/ 9م)	القضاء	سرقسطة	الخشني، المصدر السابق، ص373.
26	أحمد بن محمد بن عجلان	القرن 3هـ/ 9م	القضاء	سرقسطة	الخشني، المصدر السابق، ص12.
27	عبد الله بن محمد بن زرقون المرادي	القرن 3هـ/ 9م	القضاء	سرقسطة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص371.
28	عبد الأعلى بن وهب	(261هـ/875م)	الشورى	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص475.
29	محمد بن يوسف بن مطروح	(271هـ/884م)	الشورى الصلاة	قرطبة	عياض، المصدر السابق، ج1، ص447.
30	سعيد بن يحي بن مزين	(273هـ أو 276هـ/886م أو889م)	الوثائق	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص293.
31	أصبغ بن خليل	(273هـ/886م)	الشورى	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص150.
32	مسلم المُعلِّم	(ق3هـ/9م)	الشرطة	سرقسطة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص830.

33	قاسم بن محمد	(278هـ/891م)	الوثائق	قرطبة	الخشني، المصدر السابق، ص303.
34	عبيد الله بن يحي الليثي	(298هـ/911م)	الشورى	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص290.
35	هاشم بن خالد	(300هـ/913م)	الصلاة	إلبيرة	الخشني، المصدر السابق، ص312.
36	أيوب بن سليمان	(302هـ/915م)	الشورى، السوق	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص162.
37	عبد الملك بن بكر السعدي	(303هـ/915م)	الشورى	قرطبة	ابن فرحون، المصدر السابق، ص256.
38	ثابت بن حزم العوفي	(314هـ/926م)	القضاء	سرقسطة	ابن فرحون، المصدر السابق، ص168.
39	أسلم بن عبد العزيز	(319هـ/931م)	القضاء	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص167.
40	أحمد بن سعيد المعافري	(322هـ/934م)	الصلاة	طرطوشة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص75.
41	أحمد بن محمد بن حدير	(327هـ/939م)	الوزارة، المظالم	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص87.
42	محمد بن خالد بن وهب	(329هـ/941م)	القضاء، الوثائق، الشورى	قرطبة	الخشني، المصدر السابق، ص164.
43	سلمان بن قريش بن سلمان	(329هـ/941م)	القضاء	بطليوس	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1،

					ص340.
44	محمد بن خالد(ابن الصغير)	(329ه أو330ه/941م أو942م)	القضاء، الشورى	أشبونة	عياض، ترتيب المدارك، ج2، دار الكتب العلمية، ص79.
45	محمد بن عبد الملك بن أيمن	(330ه/942م)	الشورى، الصلاة	قرطبة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص705.
46	محمد بن يحي بن لبابة	(330ه/942م)	القضاء، الوثائق	إلبيرة	الخشني، المصدر السابق، ص179.
47	أحمد بن عبادة بن علكدة	(332ه/944م)	الصلاة، الشورى	قرطبة	الخشني، المصدر السابق، ص25. عياض، المصدر السابق، ج2، دار الكتب العلمية، ص83.
48	محمد بن عبد الله بن يحي	(339ه/950م)	القضاء	قرطبة	ابن فرحون، المصدر السابق، ص361.

يتضح من خلال الجدول الذي يظهر أبرز المناصب التي تقلدها العلماء الأندلسيين العائدين من الحجاز، أن حظهم في المناصب العالية بالدولة كان كبيرا، وهذا ما يفسر المكانة المرموقة التي حضيها هؤلاء المرتحلون عند أمراء بني أمية في الأندلس، فالرحلة كانت تضفي على صاحبها شرفا ومكانة في بلده، وتأتي المناصب الدينية في المقدمة نظرا لخصوصيتها التي تتطلب معرفة علمية واسعة، ثم تأتي المناصب السلطانية الأخرى، كما نلاحظ أيضا تدرج بعض الأندلسيين في المسؤوليات قبل تقلد تلك المناصب العالية ما يجعل الكفاءة المكتسبة والمعرفة العلمية أساس تقلد تلك الخطط في عصر الإمارة بالأندلس.

ثانيا: الازدهار العلمي والفكري بالأندلس خلال عصر الإمارة (2-4هـ/8-10م)

رأينا خلال الفصل السابق، مدى إقبال الأندلسيين على الحجاز خلال تلك الفترة من تاريخهم، ووقفنا على حقيقة أن طلب العلم كان هدفا رئيسا لجل المرتحلين، فمن الطبيعي إذن أن يكون تأثير الرحلة أعمق في المجال العلمي والثقافي مقارنة بالجوانب الأخرى، من خلال جلبهم جزءا هاما من التراث الفكري المشرقي، ومن ثم العمل على دراسته وإثرائه، وهو ما أسفر على ازدهار الحياة العلمية والثقافية بالأندلس كما سوف نرى في هذا الجزء من البحث.

1- نقل المنتوج العلمي المشرقي إلى الأندلس(الروايات والمصنفات):

شهدت الأندلس خلال عصر الإمارة الأموية انتقال للكثير من المؤلفات المشرقية إليها، ومن جانب آخر فقد وصلت بعض المؤلفات الأندلسية الشهيرة إلى بلاد الحجاز والمناطق التي كان الرحالة الأندلسيون يمرون عبرها كالقيروان ومصر وهو ما فتح باب التواصل الفكري بين القطرين.

لقد شارك في عملية جمع الكتب كل من العلماء والطلبة والتجار، بل حتى حكام الأندلس كانت لهم مساهمات في هذا الجانب، فتذكر لنا الرواية أن أحد تجار الأندلس جلب كتاب المثال في العروض للخليل الفراهيدي، فاستعصى على أمير الأندلس عبد الرحمان الأوسط(206-238هـ/822-852م) فهمه، فطلب من جليسه العالم الأديب عباس بن فرناس النظر في الكتاب فتصفحه بتمعن ليتبين له أنه ينقصه جزء آخر حتى يفهم الكتاب الذي بين يدي الأمير، فأرسله في مهمة خاصة لجلب الكتاب من المشرق، ومنحه الأمير جائزة قدرها ثلاثمائة دينار وكساه جراء جلبه للكتاب[1].

غير أنه يعود الفضل الأكبر إلى الطلبة والعلماء الأندلسيين من أهل الرحل، حيث تمكنوا أثناء فترة إقامتهم هناك من الاطلاع على المنتوج العلمي والفكري المشرقي، وأن ينقلوا جزءا مهما منه إلى وطنهم، فمن أهل العلم الشغوفين بجمع الكتب نذكر:

عبد الرحمان بن موسى الهواري أحد الرحالة المتقدمين، سمع من الإمام مالك، قبل عودته من رحلته محملا بالكتب المشرقية، لكن ضاع معظمها في البحر قبل وصوله إلى بلده[2] ومنهم عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م) من هواة جمع الكتب، ذكر ابن الحارث في

[1] الزبيدي، المصدر السابق، ص268.

[2] عياض، المصدر السابق، ج1، ص294.

مصنفه حديث ابن حبيب عن رحلته قال عن نفسه: "مضيت وجمعت ما أحببت من الدواوين.."[1]، والشأن نفسه مع موهب بن عبد القادر بن موهب(توفي خلال القرن3هـ/9م) كان هو الآخر جماعا للكتب، قيل أنه جمع وِقْر جمل من الكتب[2]، ومن أهل الرحل أيضا ممن عني بجمع الكتب، هاشم بن خالد الألبيري المعروف بالسفط(ت298هـ/911م) الذي أبدى عناية بالكتب جامعا لها ضابطا لما روي منها[3]، ويبدو أن عناية الأندلسيين بجمع الكتب المشرقية استمرت طوال عصر الإمارة، فهذا قاسم بن ثابت بن حزم(ت302هـ/914م) اهتم أثناء رحلته إلى الحجاز بجمع كتب الحديث واللغة[4]، نجد أيضا محمد بن يزيد الجباب(ت322هـ/934م) من رواة الحديث بالأندلس وأحد حفاظ الفقه المالكي، أكثر في اقتناء الكتب المشرقية أثناء رحلته إلى الحجاز[5]، وقد أبدى رفيقه في الرحلة الفقيه محمد بن عيسى بن رفاعة المعروف بابن القلاس(ت337هـ/949م) اهتماما بالمؤلفات، ذكر أنه جمع قدر كبير من الكتب، غير أنه ضاع معظمها في طريق عودته بالبحر[6].

ومن المصنفات، والروايات المهمة التي دخلت الأندلس عن طريق المرتحلين العائدين من الحجاز خلال تلك الفترة نجد:

أ- في مجال الفقه:

كانت المؤلفات الفقهية على رأس اهتمامات المرتحلين الأندلسيين إلى الحجاز، لاسيما في فترة القرن الثاني وحتى منتصف القرن الثالث للهجرة، نظرا لأن غالبيتهم كانوا ينحدرون من طائفة الفقهاء، وجاءت أبرز الكتب التي دخلت الأندلس ضمن فترة الدراسة:

موطأ الإمام مالك بن أنس، شغل هذا الكتاب الهام الذي عني بالجانب الفقهي اهتمامات المرتحلين الأندلسيين، وهو من أقدم كتب الفقهية التي دخلت بلادهم، وقد تناولنا في الجزء السابق عدد من المرتحلين الأندلسيين الذين لقوا الإمام مالك وسموا منه الموطأ، ثمّ حملوه معهم لدى

---

[1] الخشني، المصدر السابق، ص245.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص802.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص887.

[4] ابن فرحون، المصدر السابق، ص321.

[5] الخشني، المصدر نفسه، ص17.

[6] المصدر نفسه، ص177.

عودتهم إلى بلادهم عن طريق الرواية، إما من صاحبه مالك بن أنس، أو عن طريق أصحابه بعد وفاته[1].

نجد كذلك مجموعة من كتب الفقه المدني تعرف بالكتب المدنية أو بالكتب الثمانية، حملها الفقيه عبد الرحمان بن دينار(ت201هـ/816م) أثناء فترة بقائه بالمدينة[2]، وأيضا أدخلوا رسالات مالك في الأقضية، وهي عبارة عن مسائل إلى بعض القضاة في عشرة أجزاء، جاء بها الفقيه عبد الملك بن حبيب(238هـ/852م)[3]، كما عرفت بعض المؤلفات الهامة في الفقه الشافعي طريقها إلى الأندلس التي جاء بها المرتحلون الأندلسيون عند مرورهم بمصر، فقد أدخل العلامة بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) كتاب الأم[4] للإمام الشافعي[5]، ونقل يحي بن عبد العزيز(ت295هـ/908م) كتاب مختصر المزني[6]، ورسالة الشافعي[7] وأدخلهما إلى الأندلس[8] وعرفت الأندلس أيضا كتاب

---

[1] للوقوف على الأندلسيين الذين التقوا بالإمام مالك بن أنس ونقلوا موطأه. راجع **الفصل الثالث** من الدراسة.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص438.

[3] عياض، المصدر السابق، ج2، ص110.

[4] كتاب الأم ألفه الإمام محمد بن إدريس الشافعي(ت204هـ/819م) بعد انتقاله إلى مصر مابين سنة(199هـ/815م -204هـ/819م) هو عبارة عن مجموعة من الكتب ضمها كتاب واحد، بعضها في الأصول وبعضها الأخر في الفروع، باستثناء ما ألفه في العراق الذي يمثل المذهب القديم تم جمعه أيضا في هذا الكتاب. انظر: محمد بن إدريس الشافعي(ت204هـ/819م)، **الأم**، ج1، تح رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء للنشر والتوزيع، ط1، مصر ،2001/1422، ص13.

[5] الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص287.

[6] مختصر المزني في فروع الشافعية لإسماعيل بن يحيى المزني(ت264هـ/878م) صاحب الإمام الشافعي، وهو أحد الكتب الخمسة المشهورة عند الشافعية وأكثرها تداولا. انظر: المزني أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المصري (ت264هـ/878م)، **مختصر المزني في فروع الشافعية**، تح عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998/1419، ص4.

[7] كتاب الرسالة لمحمد بن إدريس الشافعي(ت204هـ/819م) يُعد أول مؤلف في أصول الفقه، وأصول الحديث معا، حيث ألف الشافعي الرسالة مرتين، الرسالة القديمة ألفها في بغداد، والجديدة ألفها في مصر، التي هي الآن موجودة. انظر: محمد بن إدريس الشافعي(ت204هـ/819م)، **الرسالة**، تح أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، ط1، مصر، 1940/1358، ص ص10، 11.

[8] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص907.

الأوسط في اختلاف الناس لشيخ الحرم أبي بكر محمد بن المنذر النيسابوري(ت318هـ/930م)[1] نزيل مكة عن طريق الفقيه الأندلسي أحمد بن عبادة بن علكدة(ت332هـ/944م)[2]، وجلب عبد الرحمان بن إبراهيم(ت258هـ/872م)، كتب ابن الماجشون(ت213هـ/828م) فقيه المدينة مع كتب أخرى في الفقه[3]، وعرف كتاب الإشراف على مذاهب العلماء لأبي بكر محمد بن المنذر طريقه إلى الأندلس بجهود الفقيه منذر بن سعيد البلوطي(ت355هـ/966م) الذي حمله معه أثناء رحلة حجة سنة(308هـ/920م)[4]، وجلبت كتب أبي عبيد[5] في الفقه والأموال من طرف محمد بن عيسى بن رفاعة(ت337هـ/948م)[6]، كما روى سبرة بن مذكر التميمي(ت314هـ/926م) كتب أسد بن الفرات[7] بالأندلس[8].

ب-**في مجال الحديث:**

كما انتقى الأندلسيون الذين قصدوا الحجاز مؤلفات شهيرة عنيت بالحديث الشريف، فأدخل بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) مصنف أبي بكر بن أبي شيبة كاملا في تسعين جزءا، ويعد ابن أبي شيبة من أحفظ الناس بالحديث، قال عنه أهل العلم: "انتهى علم الحديث إلى أربعة أحمد بن حنبل، وعلي بن عبد الله، وأبي بكر بن أبي شيبة، وكان أبو بكر بن أبي شيبة أحفظهم له"[9]

---

[1] هو أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري أحد الأعلام وشيخ الحرم، كان عالما في الفقه والحديث، كثير التصنيف من مؤلفاته نذكر المبسوط في الفقه، وكتاب الأشراف في اختلاف العلماء، وكتاب الإجماع وغيرها توفي سنة(309هـ/921 أو310هـ/922م). انظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج3، ص782.

[2]الخشني، المصدر السابق ص25.

[3]المصدر نفسه، ص238.

[4]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص845.

[5] هو أبو عبيد القاسم بن سلام، فقيه ومحدث، عرف بحسن المذهب له الكثير من المؤلفات في الفقه والحديث واللغة والسير منها كتاب غريب المصنف، وكتاب غريب الحديث، وكتاب غريب القرآن، وكتاب الأموال، وكتاب النسب، وكتاب الأحداث، وكتاب أدب القاضي وغيرها. انظر: ابن نديم، المصدر السابق، ص ص106، 107.

[6]الخشني، المصدر نفسه، ص177.

[7] الفقيه المغربي أسد بن الفرات(213هـ/828م) غلب عليه علم الرأي، وميله إلى مذهب أبي حنيفة، كان ضابطا متقن لكتبه من أشهر مؤلفات في الفقه كتاب الأسدية، وهي عبارة عن مسائل أجابه عنها ابن القاسم على رأي الإمام مالك. انظر: الذهبي، **الأعلام**، ج10، ص ص226، 227.

[8] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص448.

[9] ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص، ص155، 158.

بالإضافة إلى الكثير من كتب غرائب الحديث[1]، كذلك جلب محمد بن عبد السلام الخشني(ت286هـ/899م) خلال رحلته إلى الحج مصنف ابن عيينة في ثمانية أجزاء، عن طريق شيخه بمكة محمد بن يحي بن أبي عمر العدني(ت224هـ/857م) صاحب ابن عيينة[2]، ومن كتب الحديث المشهورة التي حملها وليد بن عمر من علماء الحديث بالأندلس وأحد طلبة بقي بن مخلد، أدخل كتاب أبي داود السجستاني إمام أهل الحديث(ت275هـ/888م) روايةً إلى الأندلس[3].

كما أدخل شيخ المحدثين بالأندلس محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) مسند ابن أبي شيبة وهو عشرون كتابا، جمعه عن طريق القراءة والسماع[4]، وأيضا نقل سعيد بن عثمان الأعناقي(ت305هـ/917م) مسند أسد بن موسى[5] مع مجموعة من كتبه، وقام الحافظ قاسم بن أصبغ(ت340هـ/951م) بإدخال مسند الحميدي[6] سمعه عن أبو إسماعيل الأسلمي(ت280هـ/893م)[7]، بالإضافة إلى كتاب إصلاح الغلط الواقع في غريب الحديث لأبي عبيد، كذلك كتاب إعلام النبوة أخذهما ابن أصبغ من مؤلفه محمد بن قتيبة[8]، وحمل إلى الأندلس عبد السلام بن السَّمح الهواري(ت307هـ/919م) كتاب نوادر علي بن عبد العزيز، وموطأ المدريدي[9]، وعرفت الأندلس أيضا كتاب مختلف الحديث لمحمد بن إدريس الشافعي، الذي أدخله

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص171.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص648. ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص159.

[3] الخشني، المصدر السابق، ص343.

[4] المصدر نفسه، ص129؛ ابن خير، المصدر نفسه، ج1، ص164.

[5] الإمام الحافظ أسد بن موسى المرواني المصري(ت212هـ/827م) ويسمى أسد السنة، هناك من اعتبره أول من صنَّف المسند. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص162-164.

[6] هو الإمام العلم أبو بكر بن عبد الله بن الزبير القرشي الأسدي الحميدي المكي، الحافظ الفقيه أخذ الحديث عن ابن عيينة وصحب الإمام الشافعي، وهو شيخ الإمام البخاري، له العديد من المؤلفات اشهرها المسند. انظر: عبد الله بن الزبير الحميدي(ت219هـ/834م)، **المسند**، ج1، تح عبد الرحمان الأعظمي، عالم الكتب، دط، بيروت، دت، ص ص6، 7.

[7] ابن خير، المصدر نفسه، ج1، ص174.

[8] المصدر نفسه، ج1، ص، ص185، 229.

[9] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص493.

أسلم بن عبد العزيز(ت319هـ/931م)[1]، كما روى حسن بن عبد الله بن مذحج(ت318هـ/930م) كتب الرجال في التعديل والتجريح[2].

ج-في مجال علوم القرآن: (القراءات والتفسير)

عرف القرآن الكريم طريقه إلى بلاد الأندلس مع المسلمين الفاتحين، فقد ساير الفتح الإسلامي جلة من التابعين والأخيار، ذكر أنه نقلت نسخة من مصحف عثمان بن عفان -رضي الله عنه- إلى جامع قرطبة، وضلت هناك معروفة لمدة من الزمن[3].

وخلال عصر الإمارة عرفت العديد من الكتب والروايات الهامة في علوم القرآن، من قراءات وتفسير طريقها إلى الأندلس، حيث يمكن أن نبرز إسهامات الأندلسيين العائدين من الحجاز فيما يلي:

لقد أدخل العلامة الغازي بن قيس(ت199هـ/815م) إلى جانب موطأ الإمام مالك، قراءة نافع بن أبي نعيم المدني، ذكر أنه صحح مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرة[4]، وظلت قراءة نافع المدني طريقة القراءة المعتادة لدى أهل الأندلس، ليعرفوا بعدها قراءة ثانية على رواية ورش[5]، التي أدخلها محمد بن عبد الله، كان قد رحل خلال القرن(2هـ/8م) وقرأ القرآن على عثمان بن سعيد المعروف بورش، وأصبح عالما بالقراءات واللغة غير أنه لم تنتشر على يديه[6]، إذ يعود الفضل الكبير في انتشارها إلى جهود محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) الذي أدخل رواية ورش عن عبد الصمد بن عبد الرحمان بن القاسم(ت231هـ/846م)[7] ليعمل على نشرها بين طلبته

---

[1] ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص237.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص200.

[3] المقري، المصدر السابق، ج1، ص563.

[4] ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص3.

[5] نسبة إلى صاحبها عثمان بن سعيد بن عبد الله المصري الملقب بورش، شيخ القراء بالديار المصرية، ولد سنة(110هـ/728م) وتوفي في سنة(197هـ/813م). انظر: المصدر نفسه، ج1، ص446.

[6] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص634.

[7] هو عبد الصمد بن عبد الرحمان بن القاسم بن جنادة العتقي المصري، صاحب الإمام مالك بن أنس، راوٍ مشهور أخذ القراءة عن ورش، توفي سنة(231هـ/846م). انظر: ابن الجزري، المصدر نفسه، ج1، ص351.

فأصبحت الأندلس بفضل جهود ابن وضاح، يعتمدون على رواية ورش[1]، كما تذكر لنا الرواية أن عبد الرحمان بن موسى الهواري الذي رحل في عهد عبد الرحمان الداخل، أدخل مجموعة من القراءات إلى الأندلس[2].

ومن كتب التفسير المهمة التي دخلت الأندلس خلال تلك الفترة نجد: تفسير وكيع بن الجراح للقرآن الكريم، رواه عنه محمد بن عيسى الأعشى(ت222ه/837م)[3]، وأيضا التفسير المنسوب إلى الصحابي الجليل ابن عباس من رواية الكلبي، أدخله إلى الأندلس فقيه قرطبي يدعى عبد الرحمان بن سعيد الجزيري(ت265ه/879م)[4]،كذلك أدخل محمد بن عبد السلام الخشني(ت286ه/899م) كتاب تفسير القرآن لعبد الرزاق بن همام الصنعاني(ت211ه/826م)[5] كما روى محدث الأندلس قاسم بن أصبغ(ت340ه/952م) كتب هامة في التفسير منها، كتاب غريب القرآن وكتاب مشكل القرآن لعبد الله بن قتيبة(ت276ه/889م)[6]، وأدخل كذلك كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة التيمي(ت210ه/825م) وهو أول كتاب صنف في غريب الحديث[7]، وجلب سعيد بن مروان بن مالك(ت335ه/946م) بعد رجوعه من رحلته كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام(ت224ه/839م)[8].

د-في مجال اللغة:

عرفت الكثير من كتب اللغة والنحو المشهورة طريقها إلى الأندلس عن طريق الرحلة الحجازية؛ فقد حمل محمد بن عبد السلام الخشني(ت286ه/899م) كتب أبي عبيد بن القاسم بن

[1] ابن فرحون، المصدر السابق، ص338.
[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص439.
[3] الخشني، المصدر السابق، ص113.
[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص442.
[5] ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص70.
[6] المصدر نفسه، ج1، ص83.
[7] المصدر نفسه، ج1، ص85.
[8] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص301.

سلام[1]، وأدخلها إلى الأندلس[2]، قال عنه ابن الفرضي أدخل معه الكثير من علم اللغة والشعر الجاهلي عن طريق الرواية[3]، غير أنه وجدت رواية تفيد أن كتب أبي عبيد عرفت طريقها إلى الأندلس قبل ذلك، عن طريق الفقيه وهب بن نافع(ت272هـ/885م)[4]، كما أثمرت رحلة قاسم بن ثابت بن حزم(ت302هـ/914م) التي عني فيها بجمع كتب الحديث، واللغة إلى دخول مؤلف هام في النحو، وهو كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، بالإضافة إلى الكثير من المعرفة[5]، نجد أيضا زكرياء بن الخطاب بن إسماعيل الكلبي الذي رحل حاجا سنة(293هـ/906م) وجلب معه كتاب النسب للزبير بن بكار[6] روايةً عن طريق السماع[7]، وتظهر أهمية هذا المصنف عندما جعله ابن نديم من أبرز مؤلفات ابن بكار[8]، كما جلب سليمان بن قريش(ت329هـ/941م) عند عودته من الحج سنة(284هـ/897م) كتب أبي عبيد القاسم بن سلام، سمعها من علي بن عبد العزيز بمكة[9]، وجلب عبد السلام بن السَّمح(ت307هـ/919م) أثناء مروره بمصر كتاب الأبيات لسيبويه من تأليف ابن النحاس، وكتاب الكافي في النحو[10].

---

[1]هو أبو عبيد القاسم بن سلام الخُزاعي مولى الأزد عاش في بغداد ، كان من كبار النحويين وعالما بالفقه والحديث، سكن مكة وتوفي بها سنة(224هـ/839م). انظر: الزبيدي، المصدر السابق، ص199.

[2] الخشني، المصدر السابق، ص132.

[3]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص648.

[4] الخشني، المصدر نفسه، ص344.

[5]ابن فرحون، المصدر السابق، ص321؛ ابن خير، المصدر السابق، ج2، ص456.

[6]هو أبو عبد الله بن أبي بكر القرشي الأسدي المكي قاضي الحرم والمعروف بالزبير ابن بكار، محدث وعالم بالتاريخ والنسب توفي سنة (256هـ/870م). انظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج2،ص528.

[7] شكيب أرسلان، **الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية**، ج2، المطبعة الرحمانية، ط1، مصر، 1936/1355، ص170.

[8] ابن نديم، المصدر السابق، ص160.

[9]الخشني، المصدر نفسه، ص343.

[10]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص493.

هـ-في مجال التاريخ والسير:

شهدت الأندلس خلال فترة الدراسة دخول مصنفات هامة في التاريخ، أبرزها كتابي التاريخ والطبقات للحافظ خليفة بن خياط(ت240هـ/854م)[1] وهما من أشهر مؤلفاته[2]، حيث التقى به بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) ونقلهما عنه، ثم جاء بهما إلى الأندلس[3]، لقد تحدث عنهما ابن خير في فهرسته، فذكر أن بقي بن مخلد أدخل كل من كتاب التاريخ لابن خياط في عشرة أجزاء وكتاب الطبقات في ثمانية أجزاء أدخله كاملا إلى الأندلس[4]، بالإضافة إلى كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز للدورقي[5]، وأدخل محمد بن عبد السلام الخشني(ت286هـ/899م) كتاب سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي تهذيب ابن هشام المعافري[6]، كما قام أيضا بجلب نسخة من تاريخ عمرو بن علي الفلاس البصري(ت249هـ/863م) رفقة صاحبه في الرحلة عبد الله بن مسرة(ت286هـ/899م)؛ حيث سمعا الكتاب من مؤلفه أبي حفص الفلاس[7]، وكان نصيب محدث الأندلس محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) كبيرا، فاهتمامه بالتاريخ جعله يجلب مؤلفات تاريخية، منها كتاب السير لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفزاري(186هـ/802م) نقله عن عبد الملك بن حبيب البزاز المصيصي(ت240هـ/854م) الذي يُعد من أولى المصنفات في الإسلام، ولأهمية هذا المصنف فقد اقتبس منه ابن جرير الطبري في كتابه تهذيب الآثار[8]، ونقل أيضا كتاب فضائل الجهاد لعبد الله بن المبارك المروزي(ت181هـ/797م)[9]، نجد أيضا من

---

[1] الحافظ الإمام أبو عمرو العصفري البصري يعرف بشباب، برز في الحديث والأنساب والتاريخ، من مؤلفاته التاريخ والطبقات. انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج2، ص436.

[2] خليفة بن خياط، المصدر السابق، ص12.

[3] المصدر نفسه، ص31.

[4] ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص، ص275، 280.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص171.

[6] ابن خير، المصدر نفسه، ج1، ص286.

[7] عمرو بن علي الفلاس(ت249هـ/863م)، **كتاب التاريخ**، تح محمد الطبراني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 2015/1436، ص6.

[8] أبو إسحاق الفزاري(ت186هـ/802م)، **كتاب السير**، تح فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1987/1408، ص63.

[9] ابن خير، المصدر نفسه، ج1، ص293.

أنفس الكتب التاريخية، التي جاء بها قاسم بن أصبغ(ت340هـ/951م) مصنف تاريخ أحمد بن أبي خيثمة(ت279هـ/892م)[1] في ثلاثين جزءا[2]، فقد أشاد ابن الخطيب بتاريخ ابن خيثمة ووصفه من أنفع كتب التاريخ التي ألّفت حتى ذلك الوقت[3]، كما روى ابن الفرضي في تاريخه أنه من أجل هذا المصنف وكتبا أخرى لابن قتيبة؛ كانت الرحلة تشد إلى ابن أصبغ من مختلف أرجاء الأندلس لسماعها منه[4]، وقام موهب بن عبد القادر(توفي خلال القرن4هـ/10م) أثناء تواجده بالمشرق من كتابة تاريخ ابن بشير الدُّولابي في المولد والوفاة[5].

2-نقل المؤلفات الأندلسية إلى الحجاز وسائر بلاد المشرق:

كما حمل المرتحلون إلى الحجاز، بعضا من المنتوج العلمي لعلماء الأندلس نجد أبرزها فيما يلي:

فمن حرص الأندلسيين وتثبتهم في العلم عرض الروايات التي سمعوها من شيوخهم على كبار أصحاب المذهب بالمشرق، كما حصل مع يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/849م) الذي حمل معه كتابا في الفتوى يُعرف بسماع زياد، كان قد سمعه الفقيه المالكي زياد شبطون(ت203هـ/818م وقيل غير ذلك) من الإمام مالك بن أنس، فعرضه على عبد الله بن نافع الصائغ(ت206هـ/821م) من فقهاء المدينة عرف بملازمته الشديدة للإمام مالك[6]، كما عرضه أيضا على عبد الرحمان بن القاسم العتقي(ت191هـ/807م) أحد كبار أصحاب مالك المصريين فقرأ عليه الكتاب ورد عليه في بعض المسائل[7]، كذلك قام عيسى بن دينار(ت212هـ/827م) بعرض الكتب التي حملها من أخوه عبد الرحمان المعروفة بالكتب المدنية، على فقيه مصر ابن

---

[1] الحافظ الإمام أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب، فقيه ومحدث عارف بالتاريخ من مؤلفاته كتاب التاريخ، وكتاب المنتمين وكتاب الإعراب، وكتاب أخبار الشعراء. انظر: ابن نديم، المصدر السابق، ص321.

[2] ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص252.

[3] الذهبي، المصدر السابق، ج2، ص596.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص613.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص802. ابن خير، المصدر نفسه، ج1، ص254.

[6] الذهبي، **الأعلام**، ج10، ص373.

[7] عياض، المصدر السابق، ج1، ص202.

القاسم العتقي الذي قدم بدوره تصويبات في بعض المواضع[1]، وأيضا حمل محمد بن أسامة الحَجري(ت287هـ/900م) في طريقه إلى الحج كتاب المستخرجة للعتبي، أحد أنفس المؤلفات الأندلسية في الفقه المالكي، وأدخلها إلى القيروان[2] التي سرعان ما انتقلت إلى مصر[3]، كما وصلت مؤلفات أندلسية كثيرة إلى الحجاز ومصر والقيروان عن طريق يوسف بن يحي المغامي(ت288هـ/901م) أثناء رحلاته إلى الحجاز من أجل الحج وطلبا للعلم، حاملا معه كتبا فقهية شهيرة بالأندلس، ككتب عبد الملك بن حبيب مصنفات، أو عن طريق الرواية عنه، خاصة أنه كان حافظا مصنفا على المذهب المالكي[4].

كما نقل طاهر بن عبد العزيز الرعيني(305هـ/917م) مسند بقي بن مخلد إلى الحجاز وعرضه على شيخ الحرم محمد بن إسماعيل الصائغ(ت276هـ/889م) فأثنى هذا الأخير على بقي بن مخلد، وأبدى إعجابه من العلم الذي جاء في مصنفه[5].

وهذا جدول يظهر أشهر الكتب المشرقية التي أدخلها الأندلسيين العائدين من الحجاز[6]:

م	أسماء الأندلسيين	تاريخ وفاته	المؤلف الذي ادخله	صاحب المؤلف	التخصص	المصدر
01	عبد الرحمان بن دينار الغافقي	201هـ 816م	كتب المدنية	مجموعة من فقهاء المدينة	الفقه	ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج1، ص438.
02	محمد بن عيسى الأعشى	222هـ 837م	تفسير القرآن الكريم	وكيع بن الجراح الكوفي (ت197هـ/813م)	التفسير	الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين،

[1] الخشني، المصدر السابق، ص239.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص653.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص636.

[4] الخشني، المصدر نفسه، ص382؛ ابن فرحون، المصدر السابق، 439.

[5] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص170.

[6] جاء هذا الجدول في سياق العمل البحثي، وهو لا يعتبر دراسة عن المؤلفات التي أدخلها الأندلسيون من الحجاز خلال عصر الإمارة، فلا شك أنها كانت أكثر مما ذكرناه، للمزيد حول الموضوع انظر: ابن خير، المصدر السابق.

						ص113.
03	سعيد بن حسان	236ه 850م	فقه أشهب بن عبد العزيز المالكي	أشهب بن عبد العزيز (ت204ه/819م)	الفقه	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص290.
04	عبد الملك بن حبيب السُّلمي	238ه 852م	رسائل مالك في الأقضية	الإمام مالك بن أنس (ت179ه/795م)	الفقه	عياض، ترتيب المدارك، ج2، ص110.
05	عبد الرحمان بن برير	258ه 872م	كتب أبو زيد	أبو عبد الرحمان بن يزيد المقرئ المكي (ت213ه/828م)	الفقه	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص441.
06	عبد الرحمان بن سعيد الجزيري	256ه 889م	تفسير ابن عباس	الصحابي عبد الله بن عباس (ت68ه/687م)	التفسير	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص442.
07	عبد الرحمان بن إبراهيم	258ه 872م	كتب ابن الماجشون، الكتب الثمانية	عبد الملك بن أبي سلمة بن الماجشون (ت213ه/828م)	الفقه	الخشني، المصدر السابق، ص238.
08	عبد الأعلى بن وهب	261ه 875م	كتب المعتزلة	/	المعتزلة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص476.
09	وهب بن نافع	272ه 886م	كتب أبو عبيد	أبي عبيد بن القاسم بن سلام (ت224ه/839م).	الفقه اللغة	الخشني، المصدر السابق، ص344.
	عثمان بن	273ه	ديوان شعر	حبيب بن أوس الطائي		ابن الفرضي،

10	المثنَّى	886م	حبيب بن أوس	(ت231ه/845م)	الشعر	المصدر السابق، ج2، ص513.
11	بقي بن مخلد	276ه 889م	مصنف أبي بكر بن أبي شيبة، تاريخ خليفة بن خياط، وكتاب الطبقات لابن خياط، كتاب الأم للشافعي، سيرة عمر بن عبد العزيز للدورقي	أبو بكر بن أبي شيبة (ت235ه/849م)، خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري (ت240ه/854م)، محمد بن إدريس الشافعي (ت204ه/819م)، أحمد بن إبراهيم الدورقي (ت246ه/860م)	الحديث الفقه السير والتاريخ	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص171. الذهبي، الأعلام، ج13، ص287.
12	محمد بن عبد السلام الخشني	286ه 899م	مصنف ابن عيينة من محمد بن يحي بن أبي عمر العدني، كتب أبي عبيد، تاريخ أبي حفص الفلاس، كتاب سيرة الرسول – صلى الله عليه وسلم–. كتاب تفسير القرآن.	سفيان بن عيينة (ت198ه/814م)، أبي عبيد بن القاسم بن سلام (ت224ه/839م)، عمرو بن علي الفلاس (ت249ه/863م)، محمد بن إسحاق بن يسار المدني (ت151ه/768م)، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت211ه/826م).	الحديث التفسير اللغة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2،ص648. الخشني، المصدر السابق، ص132. ابن خير، فهرسة، ج1،ص 70،259، 286.
13	عبد الله بن	286ه	تاريخ أبي	عمرو بن علي	التاريخ	ابن خير، المصدر

	مسرة	899م	حفص الفلاس	الفلاس(ت249هـ/863م)		السابق، ج1، ص259.
14	محمد بن وضاح	287هـ 900م	مسند بن أبي شيبة، كتاب السير، كتاب فضل الجهاد.	أبي بكر بن أبي شيبة (ت235هـ/849م)، أبي إسحاق الفزاري (186هـ/802م)، عبد الله بن المبارك (ت181هـ/797م).	الحديث، السير والمغازي	الخشني، المصدر السابق، ص129. ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص،ص290، 293.
15	يحي بن عبد العزيز	295هـ 908م	مختصر المُزني، رسالة الشافعي	إسماعيل بن يحي المزني(ت264هـ/878م)، محمد بن إدريس الشافعي(ت204هـ/819م)	الفقه	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص907.
16	إبراهيم بن موسى بن جميل	300هـ 912م	كتاب القناعة، كتاب حلم معاوية بن أبي سفيان، كتاب مواعظ الخلفاء	عبد الله بن محمد القرشي المرواني المعروف بابن أبي الدنيا (ت281هـ/894م)	الفضائل والتزكية	الحميدي، الجذوة، ص224.
17	قاسم بن ثابت بن حزم	302هـ 914م	كتاب العين	خليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ/786م)	اللغة العربية	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص604.
18	سعيد بن عثمان الأعناقي	305هـ 917م	مسند أسد بن موسى	أسد بن موسى المرواني (ت212هـ/827م)	الحديث	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص295.
			كتاب نوادر علي بن عبد	علي بن عبد العزيز البغوي		

19	عبد السلام بن السَّمح	307هـ 919م	العزيز، كتاب موطأ المدريدي، كتاب الأبيات لسيبويه، كتاب الكافي في النحو.	(ت286هـ/899م)، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت180هـ/796م).	الحديث اللغة والنحو	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص493.
20	سبرة بن مذكر التميمي	314هـ 926م	كتب أسد بن الفرات	أسد بن الفرات (ت213هـ/828م)	الفقه	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص339.
21	اسلم بن عبد العزيز	319هـ 931م	مختلف الحديث	محمد بن إدريس الشافعي (ت204هـ/819م)	الحديث	ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص227.
22	زكرياء بن خطاب بن حزم الكلبي	/	سمع كتاب النسب للزبير بن بكار من الجرجاني، روى موطأ مالك رواية أبي مصعب الزهري	الزبير بن بكار (ت256هـ/870م)	الفقه النسب	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص271.
23	سليمان بن قريش	329هـ 941م	كتب أبي عبيدة رواية عن علي بن عبد العزيز	أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ/825م)	الحديث	الخشني، المصدر السابق، ص333.
24	محمد بن عبد الملك	330هـ 942م	تاريخ أحمد بن زهير بن حرب	أحمد بن زهير بن حرب بن أبي خيثمة (ت279هـ/892م)	التاريخ	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2،

	بن أيمن					ص705.
25	أحمد بن عبادة بن علكدة	332ه 944م	كتاب الأوسط في اختلاف الناس	أبو بكر محمد بن المنذر النيسابوري (ت319ه/931م)	الفقه	الخشني، المصدر السابق، ص25.
26	سعيد بن مروان بن مالك الحضرمي	335ه 947م	فضائل القرآن لأبي عبيد رواية عن علي بن عبد العزيز	أبي عبيد بن القاسم بن سلام (ت224ه/839م).	القراءات	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص301.
27	محمد بن عيسى بن رفاعة ابن القلاس	337ه 949م	كتب أبي عبيد، موطأ مالك	أبي عبيد بن القاسم بن سلام (ت224ه/839م).	الفقه القراءات	الخشني، المصدر السابق، ص177.
28	موهب بن عبد القادر بن موهب	القرن: 4ه/10م	كتاب المولد والوفاة، كتاب العين.	أبو بشر محمد بن حماد الدولابي (ت310ه/923م)، خليل بن أحمد الفراهيدي (ت170ه/786م)	التاريخ اللغة	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص862.
29	قاسم بن أصبغ	340ه 951م	مسند الحميدي ،تاريخ أحمد بن زهير. كتب ابن قتيبة: كتاب إعلام النبوة وكتاب الأنواء وكتاب المعارف، كتاب غريب	أبي بكر عبد الله بن الزبير الحميدي (ت219ه/834م)، أحمد بن خيثمة زهير بن حرب (ت279ه/892م)، ابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم (276ه/889م). عبد الله بن المبارك	التاريخ الفقه التفسير الأدب.	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص613. ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص،70، 77، 83، 85، 174، 185،

		القرآن، كتاب مشكل القرآن. كتاب إصلاح الغلط الواقع في غريب الحديث. كتاب الرقائق. كتاب المجاز.	(ت181هـ/797م)، أبي عبيدة التيمي (ت210هـ/825م).			.229
30	منذر بن سعيد	كتاب الإشراف	أبو بكر محمد بن المنذر النيسابوري (ت319هـ/931م)	الفقه	355هـ 966م	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص845.

من خلال الجدول أعلاه الذي يظهر جملة من المؤلفات التي جاء بها الأندلسيون العائدون من الحجاز خلال عصر الإمارة، ومما سبق يمكن أن نستخلص ما يلي:

إن عملية اقتناء الكتب لم تكن بالأمر الهين، كما لم يكن باستطاعة جميع المرتحلين إلى الحجاز اقتنائها، خاصة إذا علمنا أن المشرق كان يعيش ازدهارا ثقافيا، ما خلق اهتماما متزايدا بالعلوم أدى ذلك إلى زيادة الطلب على الكتب، فأصبحت نادرة الوجود مرتفعة الأثمان، بل بلغ الشأن ببعض المصنفات الشهيرة أنها لم تكن تقدر بثمن، ورغم ذلك فلم يدخر المرتحلون جهدا في اقتنائها، فعرفت الأندلس دخول الكثير من المؤلفات المشرقية الهامة منها والمتنوعة على غرار موطأ الإمام مالك، ففي مجال التاريخ نذكر كتاب تاريخ ابن أبي خيثمة، وفي الفقه كتاب الأم للإمام الشافعي، وفي الحديث روايات جديدة للموطأ كروايات أبي مصعب الزهري، ومسند أسد بن موسى وكتاب السير لأبي إسحاق الفزاري وغير ذلك من الكتب في مختلف العلوم، كما أن جلب النتاج الفكري المشرقي إلى الأندلس كان بمثابة أول خطوة لهم لبناء حضارة أندلسية بغية بلوغ ما كانت عليه حواضر المشرق المتألقة على غرار مدينة السلام، ودمشق وغيرهما من المدن التي شهدت رقي علمي في ذلك الوقت.

3-دخول الفقه المدني وسيادة المذهب المالكي بالأندلس:

كانت الأندلس في أول أمرها على المذهب الأوزاعي، وهو ما أشار إليه المقري في قوله: "واعلم أن أهل الأندلس كانوا في القديم على المذهب الأوزاعي، وأهل الشام منذ أول الفتح.."[1]، إذ يعود الفضل في إدخال الأوزاعية الأندلس إلى الفقيه الشامي صعصعة بن سلام(ت192هـ/808م) تلميذ الإمام أبو عمرو الأوزاعي(ت157هـ/774م)[2] الذي سمع منه العلم بدمشق قبل رحيله إلى مصر ومنها دخل قرطبة[3]، قال عنه ابن كثير: "هو أول من أدخل الحديث والمذهب الأوزاعي إلى بلاد الأندلس، وولي الصلاة قرطبة"[4]، ليعرف المذهب الأوزاعي انتشاره بالأندلس سيما في عهد مؤسس الدولة عبد الرحمان الداخل، حيث ظل سائدا كمذهب رسمي للدولة حتى نهاية القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي[5]، أما عن سبب انتشار الأوزاعية بالأندلس خلال تلك الفترة المتقدمة فيرجع إلى تواصلهم مع أهل الشام منذ السنوات الأولى من تأسيس الإمارة، حيث حاول حكام بني أمية ربط علاقات قوية مع أهل الشام، كمحاولة إعادة بعث ماضاع منهم بالمشرق في الأندلس، إذ يرى دومينيك أن الأوزاعية ماهي إلا امتداد للتأثيرات الشامية في فترة تأسيس الإمارة الأموية بالأندلس إضافة إلى ملائمة مذهب أهل الشام مع فترة الفتح والتوسع على حساب النصارى، لما يوليه الفقه الأوزاعي من أهمية للأمور العسكرية[6]، ومن صور انتشار الأوزاعية بالأندلس غرس الأشجار بجامع قرطبة وفق ما كان سائدا في دمشق معقل الأوزاعية في تلك الفترة[7]، كما تقلد بعض الأوزاعية المناصب الهامة في الدولة، فقد تولي أسد بن عبد الرحمان بن السبئ

---

[1] المقري، المصدر السابق، ج3، ص230.

[2] هو عبد الرحمان أبو عمرو الأوزاعي إمام أهل الشام في زمانه، كان يسكن دمشق ثم انتقل منها إلى بيروت ولد سنة(88هـ/707م) وتوفي في سنة(157هـ/774م). انظر: السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص8؛ الذهبي، المصدر السابق، ج7، ص107.

[3] الحميدي، المصدر السابق، ج1، ص350.

[4] ابن كثير، المصدر السابق، ج10، ص491.

[5] عبد القادر بوعقادة، **المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين(2-3هـ/8-9م)**، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، (1423-1424هـ/2002-2003م)، ص114.

[6] دومينيك ايرفوا، **علماء الأندلس**، تر مصطفى الرقي، ص1180.

[7] ابن كثير، المصدر نفسه، ج10، ص491.

الألبيري(توفي بعد150ه/767م) إمارة إلبيرة وكان أوزاعي المذهب[1]، ومنهم أيضا مصعب بن عمران شامي الأصل، دخل إلى الأندلس في زمن عبد الرحمان الداخل، كان يروي عن الإمام الأوزاعي وعدد من الشاميين، تولى القضاء بقرطبة في زمن هشام بن عبد الرحمان واستمر على رأس القضاء حتى وفاته[2].

بيد أنه مع ولوج الأندلسيين للرحلة إلى الحجاز، وما أسفرته من تأثير علمي على القادمين من هناك، انعكس ذلك على مكانة الأوزاعية التي أخذت تتضاءل شيئا فشيئا، فاسحة المجال لمذهب جديد سيحل محله ويملأ الأندلس علما[3]، فخلال القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي نجد الفقيه زهير بن مالك البلوي من القلة الذين لا يزالون بالأندلس متمسكين بالمذهب الأوزاعي[4].

أ- دخول المذهب المالكي الأندلس:

يعد دخول المذهب المالكي حدثا ثقافيا هاما لما أحدثه من تطورات على الحياة العلمية والسياسة والاجتماعية خلال عصر الإمارة بالأندلس، وقد كان الرعيل الأول من تلامذة الإمام مالك الذين رحلوا إليه وأخذوا من علمه وسمته، فضل السبق في نقله إلى بلادهم.

- مرحلة التعرف ونقل الفقه المالكي إلى الأندلس:

حيث جرى في هذه المرحلة، لقاء كبار علماء المدينة مركز الدراسات الفقهية آنذاك، وجلب المؤلفات الهامة في الفقه المدني، لاسيما كتاب موطأ الإمام مالك المرجع الرئيس للدراسات المالكية بالإضافة إلى بعض المؤلفات الهامة الأخرى، ككتاب الثمانية لفقهاء المدينة.

ففي تلك الفترة كانت تعيش بلاد الحرمين حياة علمية مزدهرة، إذ شكلت كلا من مكة المكرمة والمدينة المشرفة منارتان علميتان للعلوم الدينية، سيما في علوم الفقه والحديث، حيث برز أعلام في هذا المجال كانوا على درجة كبيرة من العلم الشرعي، حتى بلغت شهرتهم الآفاق على غرار الإمام مالك بن أنس الذي ترأس المدرسة الفقهية بالمدينة، لم يكن الأندلسيون بمنء عن تلك

[1] الحميدي، المصدر السابق، ص244.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص832.

[3] محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي(ت1376ه/1957م)، **الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي**، ج2، تح أحمد صالح الشعبان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1995/1416، ص71.

[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص277.

الأوضاع التي سادت بلاد المشرق فسرعان ما وصلتهم أصداء علماء الحجاز عن طريق حجاج ومعتمري بيت الله الحرام وغيرهم من أهل الرحل الذين قصدوا تلك البلاد، الأمر الذي زاد من شغف الأندلسيين للقاء أولائك الأعلام، فعند رجوع الطلائع الأولى من بلاد المشرق بعدما تشربوا من علم شيوخ الحرمين، نقلوا معهم الفقه المدني وجدوا على إفشائه ببلادهم، وهو ماحصل مع محمد بن بشير(ت198هـ/816م) فبعدما حج وسمع من الإمام مالك الموطأ، جلس في حلق علمية بقرطبة يدرس كتاب الموطأ، روي أنه كان يقول لطلبته:"انظروا إلى هذه الكتب ولا تخلطوها بغيرها، يعني موطأ الإمام مالك"[1]، ونجد أيضا زياد شبطون(ت199هـ/815م) من المرتحلين المتقدمين، الذي كان على درجة كبيرة من الفقه المدني حتى أطلق عليه أهل المدينة بفقيه الأندلس، يعتبر أول من أدخل مسائل في الفقه المدني إلى الأندلس[2]، كما كان للغازي بن قيس(199هـ/815م) دورا كبيرا في نقل الفقه المالكي بحمله لموطأ مالك وإدخاله لقراءة نافع بن أبي نعيم المدني، فأصبح فقيه ومقرئ الأندلس في زمانه[3].

-ظهور المدرسة المالكية بالأندلس:

عمل شيوخ وعلماء المالكية بالأندلس على ازدهار وانتشار المذهب المالكي، بحيث كللت جهود الفقيهين عيسى بن دينار(ت212هـ/827م)، ويحي بن يحي الليثي(234هـ/848م) على ازدهار الفقه المدني ومن ثم انتشار المذهب المالكي بالأندلس[4]، حيث عمل عيسى بن دينار على بث الفقه المدني بين الأواسط العلمية، حتى قال عنه ابن وضاح:"هو الذي علم أهل الأندلس الفقه"[5]، لقد ساعده في ذلك مكانته التي وصل إليها بعد عودته من رحلته، ذكر أنه مثل رئيس المفتين، وأصبح قاضي بلده وكبير المشاورين[6]، كما يرجع الفضل الأعظم في انتشار المذهب المالكي إلى جهود الفقيه يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/848م)؛ فبعدما تفقه بالمدنيين وعلى

---

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص286.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص201.

[3] الخشني، المصدر السابق، ص291.

[4] ابن فرحون، المصدر السابق، 431؛ عياض، المصدر نفسه، ج1، ص311.

[5] الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص440.

[6] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص374.

رأسهم الإمام مالك بن أنس وكبار أصحابه من المصريين عاد إلى الأندلس بعلم غزير وجلس للتدريس بقرطبة جاعلا من كتاب الموطأ منهاجا يقتبس منه الأحاديث النبوية، وتستقى من خلاله الأحكام الشرعية، حتى بلغ به الشأن أن أصبح إمام زمانه، فنال بذلك الشهرة والمكانة بين الأوساط العلمية مالم يصله عالم أندلسي من قبل[1]، فسمع منه عدد كبير من علماء الأندلس أبرزهم محمد بن وضاح وعبد الأعلى بن وهب وأصبغ بن خليل وابنه عبيد الله بن يحي وغيرهم[2]، فقد أكد ابن الفرضي على شهرته ومكانته عندما قال: "لم يُعطَ أحد من أهل العلم بالأندلس منذ دخلها الإسلام من الحظوة وعظمة القدر وجلالة الذِّكر ما أعطيه يحي بن يحي، وسمع منه مشايخ الأندلس في وقته وكان آخر من حدث عنه ابنه عبيد الله بن يحي"[3]، زيادة على ذلك كان يحي بن يحي مكينا عند الأمير عبد الرحمان بن الحكم، وحضي بمنزلة خاصة عنده، ومثل مستشاره الأول ذكر أنه كان لا يولي قاضيا في الأندلس أو يعزله إلا بعد أخذ مشورته، بل أحيانا يختار يحي بن يحي شخصا من تلقاء نفسه للقضاء فيقبله الأمير لثقته الكبيرة بمستشاره[4]، ويلاحظ في تلك الفترة زيادة على الشروط الواجب توفرها في القاضي، كان لابد أيضا أن يكون المتقدم لها على مذهب الإمام مالك، وهو ما سار عليه يحي بن يحي وكبار المشاورين في قرطبة، الأمر الذي ساهم بشكل كبير على انتشار المذهب المالكي، من خلال الاعتماد على الفقه المالكي في تشريع الأحكام[5].

ب-محاولة فرض الفقه المالكي على الأوساط العلمية بالأندلس:

لقد تضافرت مجموعة من الأسباب ساعدت في انتشار وسيادة المذهب المالكي بالأندلس من كسب تأييد حكام بني أمية للفقهاء المالكية[6]، ففي هذا الصدد انفرد المقدسي برواية تظهر وقوف أمير الأندلس هشام بن عبد الحكم(172-180هـ/789-796م) إلى جانب المالكية جاء فيها:

---

[1]الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص523.

[2] الحميدي، المصدر السابق، ص567.

[3]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص900.

[4]عياض، المصدر السابق، ج1، ص311؛ الحميدي، المصدر نفسه، ص568.

[5]المصدر نفسه، ص568.

[6] يرى حسين مؤنس أن سبب تأييد السلطة الحاكمة للمالكية في الأندلس يكمن في بحثهم عن سند شرعي، يسهم في بسط نفوذهم سياسيا وروحيا، وغلق الباب أمام الفرق والمذاهب الأخرى التي في نظرهم قد تثير العامة والفوضى بالبلاد. انظر: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص17.

"تناظر الفريقان يعني المالكية والأحناف يوما بين يدي السلطان فقال لهم: من أين أبو حنيفة؟ قالوا: من الكوفة، فقال ومالك؟ قالوا: من المدينة، قال: عالم دار الهجرة يكفينا فأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة وقال: لا أحب أن يكون في عملي مذهبان.."[1]، زيادة على ذلك ساعد تأييد السلطان للمالكية إلى تقلدهم للمناصب الهامة في الدولة، حيث بالكاد نجد من تولوا المناصب الهامة بالأندلس لم يكونوا على هذا المذهب، خاصة منصبي القضاء والشورى اللذان كانا من نصيب المالكية في الغالب[2].

إن المكانة التي حظي بها المالكية في الأندلس جعلتهم يسعون بكل ما أتوا من سبل للانفراد بالساحة العلمية، فكانت لهم جهود حثيثة في نشر الفقه المالكي، وعلى ذلك النهج سار كبار شيوخ المالكية من خلال العمل على بث الفقه المالكي بين الأوساط العلمية دراسة وتدريسا، ويأتي في مقدمتهم عالم الأندلس وفقيهها عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م) الذي كان شديد المدافعين عن المذهب من خلال الأخذ بالفقه المالكي دون سواه، ورده على أصحاب المذاهب الأخرى المخالفين له في بعض الأحكام والمسائل الفقهية، كما ذكر أن مجلسه العلمي كان يحضره جمع غفير من الطلبة من مختلف أرجاء الأندلس، يدارسون خلاله كتبه وموطأ الإمام مالك[3]، ومن أشد أنصار المذهب المالكي عبد الله بن خالد المعروف بابن مرتنيل(ت256هـ/870م) من شيوخ المالكية وأكثرهم تحمسا ودفاعا عنها، عرف بعدائه الشديد للإمام المجتهد بقي بن مخلد[4]، ومنهم يحي بن مزين(ت259هـ/873م) ذكر أنه لم يوجد بالأندلس أكثر حفظا وفهما للموطأ منه، كان له هو الآخر مجلسا علميا يقدم فيه دروسا في كتاب موطأ مالك، صنف كتبا في شرح وتفسير الموطأ[5]، منها كتاب تفسير الموطأ وكتاب تسمية الرجال المذكورين فيه، وكتاب استقصى فيه علل الموطأ سماه كتاب المستقصية[6]، وهناك من بلغ به الأمر إلى التعصب للفقه المالكي، كما هو الحال مع أصبغ بن خليل(ت273هـ/886م) من حفاظ المالكية، تزعم الإفتاء بقرطبة خمسين عاما

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، ص237.

[2] للوقوف على الخطط التي كانت من نصيب مالكية الأندلس. انظر: الجزء الأول من **الفصل الثالث** للدراسة.

[3] ابن فرحون، المصدر السابق، ص253.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص369.

[5] الخشني، المصدر السابق، ص371.

[6] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص901.

عرف بمعاداته للمخالفين من أهل الحديث، ذكر أنه قال: "لأن يكون في تابوتي رأس خنزير أحب إلي من أن يكون فيه مسند ابن أبي شيبة"، كما كان ينهى طلبته من حضور مجلس بقي بن مخلد[1] حيث تعرض هذا الأخير لهجوم شنيع من طرف المالكية واتهموه بالزندقة، لا لشيء إلا لأنه كان يفتي بالأثر، ولإدخاله للكثير من روايات أهل العراق[2]، كما اتهم أيضا محدث الأندلس محمد بن إبراهيم بن حيون(ت305هـ/917م) ورمي بالتشيع لاجتهاداته المخالفة لهم[3].

استمر فقهاء المالكية في معاداتهم للمخالفين لهم من دعاة التجديد حتى مطلع القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي كما حصل مع محمد بن عمر بن لبابة(ت314هـ/926م) الذي بلغ درجة الإمامة في الفقه المالكي، أظهر هو الآخر معاداته لأهل الحديث من خلال التحامل عليهم وإبراز سخطه من اجتهاداتهم[4]، وفي نفس الفترة استحوذ على الساحة العلمية بحاضرة بجانة فقيه مالكي يدعى الفضل بن سلمة الجهني(ت319هـ/931م) حيث تمكن من بعث الفقه المالكي في تلك الناحية؛ فكانت تعقد المناظرات العلمية وتؤلف المصنفات في المذهب المالكي دون سواه[5].

كللت جهود وممارسات مالكية الأندلس إلى سيادة مذهبهم البلاد، في مقابل ذلك أدت إلى انحصار المذاهب الفقهية الأخرى، حيث وجدت دلائل واضحة تفيد أن المالكية أخذت مركزها بالأندلس كمذهب رسمي بتبنيه من طرف السلطة الحاكمة، وهو ما ينطبق على سائر سكان الدولةم ن خلال تعاملهم بالمذهب المالكي، فكانت أحكام القضاء والفتوى، وسائر أمور الدولة قائمة على الفقه المالكي؛ فهذا عبد الملك بن رزيق المعروف بزونان(ت232هـ/847م) ترك العمل بالفقه الأوزاعي واشتغل بالفقه المالكي عند توليته قضاء طليطلة[6]، وحدث أيضا مع قاسم بن محمد (ت278هـ/891م) كان فقيها مجتهدا، منهجه النظر والحجة ومع ذلك كان يفتي بمذهب الإمام مالك على خلاف اعتقاده في بعض القضايا انقيادا لأوامر السلطان[7]، وخلال بدايات القرن الرابع

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص151.

[2] الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص291.

[3] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص668؛ المقري، المصدر السابق، ج2، ص52.

[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص706.

[5] الخشني، المصدر السابق، ص297.

[6] عياض، المصدر السابق، ج1، ص375.

[7] الخشني، المصدر نفسه، ص303.

الهجري العاشر الميلادي، استغنى قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن سعيد البلوطي(ت355هـ/966م) عن الفقه الظاهري، وهو مذهبه في التدريس والتأليف، باعتماده على الفقه المالكي عند جلوسه إلى القضاء[1]، كما تزعموا أيضا خطة الشورى عندما أصبحت تدور فقط حول الفقه المالكي، لذلك ترك حسن بن سعيد بن إدريس(ت332هـ/944م) شافعي المذهب حضورها عندما شاهدها مقتصرة على رأي الإمام مالك وأصحابه[2].

ج-المساهمات الأولى لمالكية الأندلس في الحياة العلمية:

أدى انتشار وسيادة المذهب المالكي في الأندلس إلى خلق مجال علمي رحب، حيث كانت تقام من خلاله الدروس وتعقد المجالس والمناظرات العلمية، وأسهموا أيضا بإنتاج علمي ثري من خلال الروايات التي حفظوها بشكل محكم عن شيوخهم في الحجاز وغيره، إضافة إلى المصنفات في الفقه المالكي خدمة ونصرة لمذهبهم، وهو ما عمل به عبد الرحمان بن إبراهيم بن عيسى(ت258هـ/872م) عندما قام بتدوين سماعاته من أصحاب الإمام مالك لدى عودته إلى الأندلس[3]، كما ألف يحي بن إبراهيم بن مزين(259هـ/873م) كتابا في تفسير غريب الموطأ[4] واستمر هذا الاهتمام خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، عندما جمع عبد الله بن حنين(ت318هـ/930م) رأي الإمام مالك عن شيوخ الأندلس وأخرجها في مصنفات[5]، وألّف أيضا المحدث الحافظ المالكي أحمد بن خالد المعروف بابن الجبّاب(ت322هـ/934م) كتابا في مسند حديث مالك بن أنس، ومؤلفات أخرى حول الموطأ[6]، وبدوره أكثر محمد بن يحي بن عمر بن لبابة(ت330هـ/942م) التأليف في الفقه المالكي[7]، من أبرز مؤلفاته كتاب المنتخب، الذي قال عنه محمد بن حزم: "ما رأيت لمالكي كتابا أنبل منه في جميع الروايات وتأليفها، وشرح مستخلقها

[1] المقري، المصدر السابق، ج2، ص21.
[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص201.
[3] الخشني، المصدر السابق، ص238.
[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص539.
[5] الخشني، المصدر نفسه، ص228.
[6] الضبي، المصدر السابق، ج1، ص221.
[7] الخشني، المصدر نفسه، ص179.

وتفريغ وجوهها"[1]، كما لم يقتصر اشتغال مالكية الأندلس بموطأ الإمام مالك فحسب، بل امتدت إلى باقي كتبهم الشهيرة، التي نالت هي الأخرى حظها من الاهتمام، مثل كتاب المستخرجة للعتبي فقد عمل عبد الله بن أبي الوليد الأعرج(ت310هـ/922م أو314هـ/926م) على تنظيم المستخرجة فبوبها على تبويب المدونة[2]، واشتغل الفقيه الحافظ محمد بن عبد الله بن سيد(ت363هـ/974م) أيضا بها فأعاد تبويبها من جديد[3]، كما قام باختصار المدونة كل من الفقيهين محمد بن عبد الملك الخولاني(ت364هـ/975م)[4]، وإبراهيم بن عجنس الزِّيادي(توفي في القرن3هـ/9م)[5].

4-بداية النبوغ العلمي الأندلسي وازدهار الحياة العلمية والثقافية(2-4هـ/8-10م)

أ- انتعاش الإنتاج الفكري في الأندلس كما ونوعا:

استطاعت الأندلس تحقيق قفزة كبيرة في جانب الإنتاج العلمي بما فاضت أيدي علمائها من مؤلفات قيمة في مجالات متعددة؛ وأسهم تواصلهم مع إخوانهم المشارقة لاسيما أهل الحجاز ومصر وإفريقية بحكم دخول تلك الأماكن كلها ضمن الطريق الرئيس المؤدي إلى الحج، بالإضافة إلى الوحدة المذهبية التي تقاسموها معهم، في تفضيل إقامة الرحالة الأندلسيين في تلك الحواضر العلمية مكة والمدينة، وأحيانا حتى في مصر والقيروان قد سمح لهم ذلك من التكوين الجيد، وكذا الاطلاع على المنتوج الفكري المشرقي، قابله من جانب آخر نبوغا علميا للعديد من علماء الأندلس، كل تلك الجهود تضافرت مع بعضها البعض وخلقت جو فكري مزدهر.

وسوف نحاول إعطاء نماذج عن أعلام علماء الأندلس، مع إبراز مساهماتهم الفكرية خلال تلك الفترة.

---

[1]الضبي، المصدر السابق، ج1، ص186.

[2]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص383.

[3]المصدر نفسه، ج2، ص743.

[4] الضبي، المصدر نفسه، ج1، ص135.

[5]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص37.

-ميدان الفقه:

لاقى الفقه اهتماما وعناية كبيرين من طرف أهل الأندلس، كما أن سيادة المذهب المالكي في الأندلس ومعاداتهم لأي تجديد[1] جعلت بقية المذاهب الأخرى بالكاد يكون لها وجود، الأمر الذي نتج عنه ازدهارا للفقه على مذهب المدنيين، وظهور أعداد كبيرة من الفقهاء لمعت فيهم أسماء كثيرة، يمكن أن نوجز بعضهم:

يأتي في مقدمتهم عالم الأندلس الكبير عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م): الذي وصفه الذهبي بالإمام العلامة فقيه الأندلس[2]، لقد كان عالما موسوعيا غزير التأليف، فمن العلوم التي برع فيها الفقه واللغة والشعر والتاريخ والأنساب، وامتدت معارفه إلى علوم أخرى كالطب والنجوم[3]، أما علم الحديث فيبدو أن ابن حبيب لم يكن من فرسانه، وهو مابيّنه ابن الفرضي، فتذكر لنا الرواية أن معرفته بعلم الحديث كانت ضئيلة، وجل مروياته كانت عن طريق الإجازة[4] زيادة على ذلك تعرضه للانتقاد في هذا المجال، بدواعي ورود أخطاء كثيرة وردت في مروياته للحديث الشريف، لذلك صنف صُحُفِيًا وضعف في الحديث[5]، ومن صميم اهتمامه بالعلم أيضا جمع الكتب وتصنيفها، يقول عنه أحمد بن عبد البر:"كان جماعا للعلم، كثير الكتب.."[6]، كان له مصنفاته كثيرة للغاية، هناك من جعلها أكثر من خمسين مؤلفا[7]، فقد ألف في جميع العلوم التي أتقنها، وأشهر مصنفاته على الإطلاق كتاب الواضحة، وهي مجموعة من الكتب في السنن والفقه[8] وبذلك فقد

---

[1] لايفهم من الكلام أن مالكية الأندلس كانوا يعيشون حالة من الانغلاق والتقوقع ويعادون بقية المذاهب الأخرى، بل حدث تنافس علمي بين العلماء من اجل النفوذ والاستحواذ على الساحة العلمية بالأندلس خلال القرن الثاني وحتى الربع الأخير من القرن الثالث للهجرة.

[2]الذهبي، المصدر السابق، ج12، ص102.

[3]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص462.

[4]المصدر نفسه، ج1، ص460.

[5] الذهبي، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ج2، تح علي محمد البجاوي، دار المعرفة، دط، بيروت، دت، ص652؛ الذهبي، **الأعلام**، ج12، ص106.

[6]ابن فرحون، المصدر السابق، ص253.

[7] المصدر نفسه، ص255.

[8] عياض، المصدر السابق، ج1، ص383؛ الضبي، المصدر السابق، ج2، ص491.

شارك ابن حبيب بشكل فعال في تنشيط الحياة العلمية بالأندلس، هذا ما أشار إليه المقري وغيره ممن ترجموا له[1].

ويمكن أن نوجز مؤلفاته فيما يلي:

الكتب التي ألفها	المصدر
كتاب الواضحة في السنن والفقه(مجموعة من الكتب)، الجوامع، كتاب فضائل الصحابة، كتاب غريب الحديث، كتاب سيرة الإمام في الملحدين، كتاب طبقات الفقهاء والتابعين، كتاب مصابيح الهدى، كتب المواعظ(سبعة كتب)، كتب الفضائل(سبعة كتب)، كتاب أخبار قريش وأنسابها(خمسة عشر كتابا)، كتاب السلطان وسيرة الإمام(ثمانية كتب)، كتاب الباه والنساء(ثمانية كتب)، تفسير القرآن الكريم(ستون كتابا)، كتاب المغازي، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب رغائب القرآن الكريم، كتاب الرهائن والمغازي والحدثان(خمسة وتسعون كتابا)، كتاب مغازي مقام النبي -صلى الله عليه وسلم-(اثنان وعشرون كتابا)، كتاب في النسب، كتاب في النجوم، وكتاب الجامع في مناسك النبي -صلى الله عليه وسلم-، كتاب الرغائب، كتاب الورع في العلم، كتاب الورع في المال، كتاب الرياء، كتاب الحكم والعمل بالجوارح.	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص ص384، 385.
كتاب إعراب القرآن، كتاب الحسبة من الأمراض، كتاب الفرائض، كتاب السخاء واصطناع المعروف، كتاب كراهية الغناء، كتاب الربا.	ابن فرحون، الديباج، ص ص254، 255.

وقد كان لابن حبيب مجلسا علميا، يقوم من خلاله تقديم دروسا في المذهب المالكي يحضره عدد غفير من الطلبة من جميع أنحاء الأندلس، بلغ تعدادهم بالمئات على اختلاف اهتماماتهم العلمية، من فقه وحديث، لغة وغير ذلك من العلوم[2]، حتى أن تلميذه النجيب يوسف بن يحي المغامي أعجب بأعدادهم فقال: "لو رأيت ما كان على باب ابن حبيب لازدريت غيره"[3].

[1] المقري، المصدر السابق، ج2، ص6.

[2] ابن فرحون، المصدر السابق، ص253.

[3] عياض، المصدر السابق، ج1، ص383.

وهؤلاء أشهر تلامذة عبد الملك بن حبيب منتقاة من تاريخ ابن الفرضي:

م	أسماء الأندلسيين	سنة الوفاة	الموطن	المصدر
01	عامر بن معاوية اللخمي	(237هـ/851م)	قرطبة	ابن الفرضي، ج1، ص366.
02	عبد الله بن قمر	/	قرطبة	المصدر السابق، ج1، ص373.
03	عمر بن موسى الكناني	(257هـ/871م)	إلبيرة	المصدر السابق، ج2، ص541.
04	عبد الجبار بن فتح البلوي	(258هـ/872م)	فحص البلوط	المصدر السابق، ج2، ص485.
05	سليمان بن نصر المري	(260هـ/874م)	إلبيرة	المصدر السابق، ج1، ص325.
06	محمد بن سعيد الصائغ	(260هـ/874م)	قرطبة	المصدر السابق، ج2، ص637.
07	عبد الله بن الفرج النمري	(260هـ/874م)	قرطبة	المصدر السابق، ج1، ص372.
08	محمد بن الحارث بن أبي سعيد	(260هـ/874م)	قرطبة	المصدر السابق، ج2، ص637.
09	مالك بن معروف	(264هـ/878م)	ماردة	المصدر السابق، ج2، ص627.
10	إبراهيم بن شعيب الباهلي	(265هـ/879م)	إلبيرة	المصدر السابق، ج1، ص35.
11	فضل بن فضل العُتقي	(265هـ/879م)	تدمير	المصدر السابق، ج2، ص591.
12	إبراهيم بن يزيد	(268هـ/881م)	قرطبة	المصدر السابق، ج1، ص34.
13	عبد المجيد بن عفان البلوي	(268هـ/881م)		المصدر السابق، ج2، ص498.
14	سعيد بن النمر	(269هـ/882م أو273هـ/886م)	إلبيرة	المصدر السابق، ج1، ص291.
15	سعيد بن عيشون	/	إلبيرة	المصدر السابق، ج1، ص291.
16	عبد الله بن حزم	/	قرطبة	المصدر السابق، ج1، ص375.
17	محمد بن عميرة العتقي	(276هـ/889م)	تدمير	المصدر السابق، ج2، ص642.
18	بقي بن مخلد	(276هـ/889م)	قرطبة	المصدر السابق، ج1، ص462.
19	إبراهيم بن لبيب	(278هـ/891م)	قرطبة	المصدر السابق، ج1، ص38.
20	محمد بن عبد البر	(283هـ/896م)	جيان	المصدر السابق، ج2، ص646.

	الكلاني			
21	مطرف بن قيس	(282ه/895م)	قرطبة	المصدر السابق، ج2، ص833.
22	أحمد بن مروان	(286ه/899م)	/	المصدر السابق، ج1، ص64.
23	محمد بن وضاح	287ه/900م)	قرطبة	المصدر السابق، ج2، ص650.
24	يوسف بن يحي المغامي	(288ه/901م)	قرطبة	المصدر السابق، ج2، ص933.
25	مسلم بن سوار الموزوري	/	قرطبة	المصدر السابق، ج2، ص821.
26	عبد الرحمان بن أبي مريم	(290ه/903م)	قرطبة	المصدر السابق، ج1، ص443.
27	يحي بن راشد	/	قرطبة	المصدر السابق، ج2، ص903.

كما تخصص في الفقيه أكثر محمد بن أحمد العتبي(ت255ه/869م) حيث كان حافظا للمسائل وعالما بالنوازل، ألّف كتابا في الفقه يدعى بالعتبية أو بالمستخرجة، جمع فيها مسائل الإمام مالك المسموعة[1]، ومنهم أيضا عبد الملك بن بكر السعدي(ت303ه/916م) حافظ للمذهب متقن برزت مكانته العلمية من خلال مؤلفاته في هذا المجال فمن كتبه: كتاب الذريعة في معرفة الشريعة، وكتاب الدلائل والأعلام في أصول الأحكام وكتاب الاعتماد وكتاب الإبانة وكتاب الرد على من أنكر على مالك وترك العمل بما رواه، وكتاب تفسير رسالة عمر بن عبد العزيز في الزكاة، وأيضا كتاب اختصار الأموال لأبي عبيد[2]، وبلغ محمد بن عمر بن لبابة(ت314ه/926م) في إتقانه للفقه درجة الإمامة، حيث درس الرأي خمسين سنة كاملة حتى أصبح حافظا للرأي بصيرا بالفتوى[3]، نجد أيضا الفقيه إسماعيل بن عمر بن ناصح(ت338ه/949م) الذي تعمق في فقه المسائل على المذهب المالكي[4]، ومنهم محمد بن يحي بن عمر بن لبابة(ت330ه/942م) كان من أحفظ المالكية في وقته، من مؤلفاته في الفقه كتاب المنتخبة، الذي أثنى عليه ابن حزم وذكر أنه ليس لأصحابنا مثلها[5].

[1] الضبي، المصدر السابق، ج1، ص70.

[2] ابن فرحون، المصدر السابق، ص257.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص680.

[4] المصدر نفسه، ج1، 132.

[5] عياض، المصدر السابق، ج2، ص80.

فضلا عن ذلك فقد عرف الفقه تطورا ملحوظا، ولم يعد محصور في المذهب المالكي عندما انتعشت الأندلس بالمذاهب السنية التي تقر بالاجتهادات الفقهية، فأصبح عدد كبير من فقهاء الأندلس يعتدون بالرأي والحجة سيما الشافعية منهم، وقد بين ذلك العلامة ابن خلدون عندما أشار أن الفقه في الأندلس كان على طريقتين:

1- طريقة أهل الرأي والقياس، وهم أهل العراق ومقدمهم الإمام أبو حنيفة النعمان.

2- طريقة أهل الحديث، وهم أهل الحجاز ومقدمهم الإمام مالك بن أنس، والإمام محمد بن إدريس الشافعي من بعده[1]، من شافعية الأندلس نذكر: قاسم بن محمد(ت278هـ/891م) كان يذهب إلى الحجة والنظر وتركه الرأي، حيث ألّف كتابا في الرد على مالكية الأندلس المقلدين تحديدا الفقيهين يحي بن إبراهيم بن مزين، وعبد الله بن خالد العتبي[2]، كما يعود الفضل في الاعتماد على الاجتهاد وترك التقليد إلى جهود بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) الذي أصبح الكثير من تلامذته من جملة الفقهاء المجتهدين ممن اعتنوا بالمذهب الشافعي، مثل عثمان بن وكيل الذي اعتمد على النظر في الفقه الشافعي[3]، وأيضا هارون بن نضر(ت302هـ/915م) ذكر أنه صحب بقي بن مخلد أربعة عشر سنة، وأخذ بالفقه الشافعي من خلال الاعتماد على النظر والحجة[4]، ومن الشافعية أيضا أسلم بن عبد العزيز المعروف بابن الجعد(ت302هـ/915م)[5] وحسن بن إدريس بن رزين الكتامي(ت332هـ/944م) كانا يذهبان إلى النظر وترك التقليد الذي كانت عليه المالكية[6].

- ميدان الحديث:

يعد الحديث من أسباب الرحلة في طلب العلم، فكان طلاب هذا العلم الشريف يتكبدون مشاق الرحلة بغية ملاقاة مشاهير المحدثين؛ لأجل جمع الروايات والتحصيل العلمي، حيث سار على هذا النهج الأندلسيين، وتمكنوا من تحصيل هذا العلم بفضل الرحلة الحجازية، فعند مرورهم

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص563.

[2] المقري، المصدر السابق، ج2، ص50.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص515.

[4] المصدر نفسه، ج2، ص885.

[5] الحميدي، المصدر السابق، ص246.

[6] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص201.

بالمدن والحواضر في طريقهم إلى الحج مثل القيروان ومصر والعراق وصولا إلى مكة والمدينة، سمعوا من علماء الحديث، ورووا عنهم الكثير من الروايات، كما نقلوا مصنفات جليلة في علم الحديث.

بيد أن الحديث عرف طريقه إلى الأندلس منذ زمن الفتح، بقدوم عدد من التابعين الأجلاء كانوا من رواة الحديث الشريف؛ فقد دخل الأندلس مع القائد والفاتح الكبير موسى بن نصير، التابعي الجليل محمد بن أوس بن ثابت الأنصاري، الذي وصف بالفقه والورع، يروي عن الصحابي الجليل أبي هريرة –رضي الله عنه–[1]، ومنهم كذلك عبد الله بن يزيد الحبلى(ت100هـ/719م) يروي عن جماعة من الصحابة كأبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر وعقبة بن عامر وفضالة بن عبيد وأبي هريرة، والسيدة عائشة –رضي الله عنهم– جميعا[2]، ومنهم حنش بن عبد الله الصنعاني(ت100هـ/719م) الذي كان مع علي بن أبي طالب في الكوفة، ثم رحل إلى مصر عند وفاته، ومنها انتقل مع جيش موسى بن نصير إلى الأندلس، روى من علي بن أبي طالب وعبد الله بن عباس وأبي الدرداء وفضالة بن عبد الله ورويفع بن ثابت –رضي الله عنهم–[3]، ومن المحدثين الذين استشهدوا بالأندلس نجد كل من نعيم بن عبد الرحمان بن معاوية بن جريج(ت101هـ/720م) أحد رواة الحديث الثقاة[4]، وعبد الرحمان الغافقي العكي والي الأندلس، يروي عن عبد الله بن عمر[5]الذي استشهد في معركة بلاط الشهداء سنة(ت115هـ/733م)[6]، كما عرفت الأندلس أيضا التابعي الفقيه بكر بن سوادة بن ثمامة الجذامي(ت128هـ/746م) روى عن عدد من الصحابة عن سهل بن سهل الساعدي، وأبي ثور الفهمي وسفيان بن وهب الخولاني – رضي الله عنهم–، ومن كبار التابعين عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمان ومحمد بن شهاب الزهري[7]، ومن الذين رووا الحديث أيضا أبو الأشعث الكلبي قدم من المشرق إلى

---

[1] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص283.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص368؛ المالكي، المصدر السابق، ج1، ص119.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص121؛ الضبي، المصدر السابق، ج1، ص345.

[4] ابن الأبار، المصدر نفسه، ج2، ص217.

[5] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص436.

[6] ابن عذاري، المصدر السابق، ج1، ص51.

[7] الضبي، المصدر نفسه، ج1، ص304.

الأندلس، كان يروي روايات عن أمه عن السيدة عائشة –رضي الله عنها–[1]، حيث أسهم هؤلاء التابعين في وضع اللبنات الأولى لهذا العلم بالأندلس، وهو ما ذهب إليه الأستاذ أحمد أمين عندما أرجع لهم الفضل في انتقال العلوم الدينية إلى الأندلس[2].

والذي أسهم في ظهور عدد من المحدثين خلال القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي نذكر أبرزهم: أسد بن عبد الرحمان السبئي(ت150هـ/767م) كان يروي الحديث عن الإمام الأوزاعي[3]، ومعاوية بن صالح الحضرمي(ت158هـ/775م) من المحدثين الثقات يروي عن عدد من التابعين أبرزهم أبي الزَّاهريّة حدير بن كريب[4]، وأيضا داود بن جعفر بن الصغير الذي روى الحديث عن معاوية بن صالح وجماعة من محدثي أهل المشرق[5]، قال عنه ابن الفرضي كان من المحدثين، روي أنه روى نحو ثلاثة آلاف حديث بالأندلس[6]، كما أدخل كل من صعصعة بن سلام(ت192هـ/808م) والغازي بن قيس(ت199هـ/815م) الكثير من الحديث إلى الأندلس[7]، ومنهم أيضا حبيب بن الوليد المعروف بدحون(توفي بعد 200هـ/816م) سمع الكثير من الحديث أثناء رحلته إلى الحج، وبلغ اهتمامه بالحديث أن تزوج مدنية كانت تروي عن الإمام مالك بن أنس[8].

كما قدم إلى الأندلس عدد من المحدثين من المشرق، مثل زيد بن الحُباب العُكلي الكوفي(ت203هـ/819م) كان من المحدثين بالأندلس[9]، وأيضا وثيمة بن موسى بن الفرات البصري(ت237هـ/851م) قدم إلى الأندلس من مصر وحدث بها[10]، كذلك أحمد بن الحسن بن

---

[1] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص175.

[2] أحمد أمين، المرجع السابق، ج3، ص505.

[3] الحميدي، المصدر السابق، ص244.

[4] الذهبي، المصدر السابق، ج7، ص158؛ السيوطي، المصدر السابق، ص84.

[5] الخشني، المصدر السابق، ص87.

[6] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص ص257، 258.

[7] الخشني، المصدر نفسه، ص291.

[8] المقري، المصدر السابق، ج2، ص502-504.

[9] الحميدي، المصدر نفسه، ص315.

[10] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص883.

الحرث النخمي، دخل الأندلس قادما من المشرق في عهد الأمير محمد بن عبد الرحمان(238-273ه/852-886م) وكان يروي الكثيرة في الأندلس[1].

ورغم دخول الحديث إلى الأندلس منذ وقت متقدم في فترة الفتح وظهور عدد من المحدثين وجلبهم لمصنفات في الحديث على رأسها كتاب الموطأ الذي هو مؤلف في الحديث والفقه معا، مع ذلك فإنه لم يعرف ازدهارا، ورواجا إلى غاية الربع الأخير من القرن الثالث الهجري كما سوف نبيّنه حيث لم يظهر بالأندلس طيلة تلك الفترة سوى أعداد قليلة من المحدثين، كما لم ترق مؤلفاتهم في الحديث رغم قلتها إلى درجة الإتقان، أما الشيء الملفت أن شيوخ الأندلس وعلمائها المالكية الكبار لم يعطوه الاهتمام الكافي، في المقابل انصب كل اهتمامهم بالفقه المالكي، الأمر الذي جعل الكثير منهم لم يكونوا على دراية بعلم الحديث، وإلى ذلك ذهب الأستاذ نوري معمر عندما رأى أن تخلفهم في علم الحديث راجع إلى عنايتهم الكبيرة بالفقه المالكي[2]، فمن شيوخ الأندلس الذين لم تكن لهم عناية بالحديث، نذكر عيسى بن دينار(ت212ه/827م) الذي كان من أوعية الفقه بالأندلس، غير أن معرفته بالحديث كانت محدودة[3]، ومنهم كذلك قرعوس بن العباس الثقفي(ت220ه/825م) بلغت درجته في فقيه المالكي أن أصبح عالما بالمسائل، ولا علم له بالحديث[4]، نجد الوضع نفسه مع محمد بن خالد بن مرتنيل(ت220ه/835م) الذي كان الغالب على علمه الفقه المالكي ولا علم له بالحديث[5]، كما لم يتوقف الأمر لدى علماء الأندلس المتقدمين في صرف اهتمامهم عن علم الحديث، إذ نجد الشأن نفسه لدى أعلام الأندلس خلال نفس الفترة، فقد تعرّض الفقيه الأندلسي الكبير يحي بن يحي الليثي(234ه/849م) في مروياته للحديث، ووصف بأنه ليس بالمتقن لها؛ حيث سجلت له أخطاء كثيرة في مروياته بالموطأ وغيرها، وقف عندها ابن وضاح وقام بإصلاحها، غير أن تلك الأخطاء معظمها كانت في الإسناد وليست في متن الحديث، وقد بينها ابن الحارث في كتابه[6]، والحال لم يختلف كثيرا عند عبد الملك بن حبيب(238ه/852م) الذي وصفه ابن

---

[1] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص111.

[2] نوري معمر، المرجع السابق، ص30.

[3] الذهبي، المصدر السابق، ج10، ص440.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص621.

[5] ابن فرحون، المصدر السابق، ص330.

[6] الخشني، المصدر السابق، ص349.

الفرضي بالمتساهل في الحديث، غير المتقن لمروياته[1]، لذلك فقد ضعف في الحديث قال عنه ابن حزم: "لا ريب أنه كان صُحُفيًّا، وأما التعمد فكلا"[2].

وبعد عرضنا لهذه النماذج الموجزة عن علماء الأندلس وبيان حالهم مع الحديث، تتجلي لنا حقيقة مدى تخلف أهل الأندلس عن ركب المشارقة في علم الحديث الذي كان في أوجه في بلاد الحجاز، إذ يرجع السبب كما أشرنا إليه سالفا إلى اهتمامهم بالفقه فبرعوا فيه، وأنتجوا علما غزيرا حتى أصبحت الأندلس دار فقه على مذهب أهل المدينة، في حين لم يلق علماء الحديث والمهتمين بهذا العلم العناية والتشجيع اللازمين من طرف شيوخ الأندلس، بل تعرضوا أحيانا إلى مضايقات باعتبارهم قد خرجوا عن العلم المألوف، وهو الفقه المالكي الضارب في الانتشار بالبلد، الشيء الذي جعل عدد المهتمين بالحديث ليس كبيرا، إلا أن تلك القطيعة على دراسة الحديث لم تدم طويلا؛ فسرعان ما حدث تطور جديدا في هذا المجال بفضل جهود الشيخين بقي بن مخلد، ومحمد بن وضاح اللذان قدما خدمات جليلة ودفعة جديدة لعلم الحديث في الأندلس قاطبة، ففي هذا الصدد يصور لنا الأستاذ نوري معمر ذلك التحول الكبير الحاصل في دراسات الحديثية بالأندلس في قوله: "لم تكن وضعية الحديث بالأندلس قبل مجيء محمد بن وضاح، وبقي بن مخلد القرطبيين مرضية، فلم يعرف الحديث قبلها كعلم مستقل له أسسه وقواعده، ومنهجيته التي يحويها علم الحديث رواية ودراية، وكان المعروف منه غالبا لا يتعدَّى موطأ مالك بن أنس"[3].

- جهود الشيخين محمد بن وضاح وبقي بن مخلد في علم الحديث بالأندلس:

عرفت الأندلس تحولا جديدا في دراسة الحديث الشريف، وهو ذلك العلم الواسع والمتشعب، قال عنه ابن خلدون: "وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر في الناسخ والمنسوخ، وهي من أهم علوم الحديث وأصعبها، ومنها أيضا النظر في الأسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث.."[4]، وقد جعلها الحافظ الحكم النيسابوري اثنان وخمسون طريقة متبعة في علم الحديث[5]، حيث أصبح الأندلسيون خلال هذه المرحلة، يتعاطون الحديث وفق أسس علمية.

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص460؛ انظر أيضا: السيوطي، المصدر السابق، ص237.

[2] الذهبي، المصدر السابق، ج12، ص106.

[3] نوري معمر، المرجع السابق، ص30.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص ص556، 557.

[5] النيسابوري، المصدر السابق، ص112 ومابعدها.

1-بقي بن مخلد: أبو عبد الرحمان القرطبي ولد سنة (201هـ/816م وتوفي في سنة (276هـ/889م)[1]، يُعد هذا الإمام الحافظ من أشهر محدثي الأندلس، كانت له رحلتان إلى المشرق قضى فيهما مدة طويلة خمسة وثلاثون سنة[2]، التقى خلالها مع جمهرة من أعلام علماء السنة يزيدون عن مائتي شيخ[3]، فرجع إلى الأندلس وملأها علما، لاسيما علم الحديث الذي كان لا يزال في بداياته الأولى آنذاك، فإليه يعود الفضل مع محمد بن وضَّاح في ازدهار علم الحديث بالأندلس[4]، وأما عن مكانته العلمية فقد كان جاريا في مضمار كبار أئمة الحديث، كالإمام محمد بن إسماعيل البخاري(ت256هـ/870م)، ومسلم بن الحجاج النيسابوري(ت261هـ/875م)، وأحمد بن شعيب النسائي(ت303هـ/916م)[5].

وتظهر أيضا مكانته العلمية من مؤلفاته النفيسة التي ذكرتها المصادر:

1- التفسير: كتاب تفسير القرآن الكريم الذي جعله شيخ الإسلام ابن تيمية من بين كتب التفسير الهامة الخالية من البدع[6]، قال عن تفسيره ابن حزم: " أقطع أنه لم يؤلف في الإسلام مثل تفسيره ولا تفسير ابن جرير الطبري ولا غيره"[7].

2-في الحديث: لبقي بن مخلد مؤلف هام في الحديث الشريف، كتاب المسند الكبير، قال ابن حزم: "ومسند بَقي روى فيه عن ألف وثلاثة مئة صاحب ونيِّف، ورتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه فهو مسند ومصنّف، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله

---

[1]الصفدي، المصدر السابق، ج10، ص115؛ ثغري بردي جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي(ت874هـ/1469م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ج3، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992/1413، ص87.

[2]الخشني، المصدر السابق، ص49.

[3]ابن بشكوال، المصدر السابق، ج1، ص143.

[4]الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص286؛ الحميدي، المصدر السابق، ص251.

[5] ابن بشكوال، المصدر نفسه، ج1، ص144.

[6] ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم(ت728هـ/1328م)، **مقدمة في أصول التفسير**، تح عدنان زرزور، ط2، 1992/1392، ص80.

[7]السيوطي، **طبقات المفسرين**، ص41.

في الحديث"[1]، وقد أشاد ابن الفرضي بالمؤلفين على أنهما أجود التصانيف وأفردها بالأندلس[2]، وله كتاب آخر في فتاوى الصحابة والتابعين فمن دونهم[3].

3-وفي الزهد والرقائق: كتاب ماروي في الحوض والكوثر[4].

كما انفرد بإدخال مجموعة من المصنفات المشرقية لأول مرة إلى الأندلس وهي:

مصنف أبي بكر بن أبي شيبة بتمامه، وكتاب التاريخ لخليفة بن خياط، وأيضا كتاب الطبقات لخليفة بن خياط، كذلك كتاب سيرة عمر بن عبد العزيز للدورقي[5]، وكتاب الأم للشافعي بكماله[6].

وتجمع المصادر التاريخية، أن بقي بن مخلد خرج عما ألفته مالكية الأندلس من حفظ رأي الإمام مالك وأصحابه، باعتماده على الأثر بشكل كبير[7]، فكان إماما مجتهدا لا يقلد مذهبا معينا، إضافة إلى انفراده بإدخال تصانيف فريدة في مجال الحديث الشريف، بعضها كان في اختلاف العلماء وغرائب الحديث، مما أثار حفيظة شيوخ المالكية في الأندلس، فسعوا به إلى السلطان بغية منعه من نشر حديثه، لكن الله -تعالى- أظهره عليهم، وهو ما رواه الضبي أن أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمان(238-273هـ/852-886م) ذو السيرة الحسنة، وصله مصنف بن أبي شيبة الذي انتقد حوله بقي بن مخلد قال: "وحضر الأمير الكتاب وجعل يتصفحه جزءا جزءا ..حتى أكمله وقال لخازن الكتب: هذا كتاب لا تستغني خزائننا عنه، فانظر في نسخه لنا، ثم قال لبقي بن مخلد، انشر علمك واروي ما عندك من حديث حتى ينتفعوا بك.. ونهاهم أن يتعرضوا له"[8]، لقد أدى انتصاره على مالكية الأندلس، وحمايته من طرف السلطان إلى زيادة أعداد الطلبة في مجلسه العلمي، فانتشرت مروياته وراج في عهده سوق الحديث، ثم جاء محمد بن وضاح القرطبي فرسخ

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص291.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص171.

[3] الحميدي، المصدر السابق، ص 252.

[4] ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص388.

[5] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص171.

[6] الذهبي، المصدر نفسه، ج13، ص287.

[7] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص171؛ المقري، المصدر السابق، ج2، ص518؛ الذهبي، المصدر نفسه، ج13، ص291.

[8] الضبي، المصدر السابق، ج1، ص36.

علم الحديث بشكل أكثر، فصارت الأندلس دار حديث وإسناد، بعدما كانت في عهد قريب غالب عليها حفظ الفقه المالكي من رأي الإمام مالك وأصحابه من بعده[1]، كما أصبحت مؤلفاته هذا الإمام المجتهد قواعد للإسلام لانظير لها[2].

2- محمد بن وضاح القرطبي[3] يعتبر من أعلام الأندلس ولد سنة(199هـ/815م) وتوفي سنة(287هـ/900م) كُتب لهذا العالم الرباني أن يعمّر طويلا حيث عاش حوالي88سنة، أفنى سنوات عمره خدمة لعلم الحديث بالأندلس، فقد جلس فترة طويلة للتدريس بعد عودته من رحلته من المشرق، إذ يعود إليه الفضل في زيادة الاهتمام بدراسة علم الحديث في الأندلس، وهذا ما أكدته الروايات أنه بفضل جهوده، مع رفيقة بقي بن مخلد صارت الأندلس دار حديث، بل زاد على ذلك ابن وضاح إذ علم تلاميذهأيضا الزهد والتقشف[4].

أما مكانته العلمية فقد اشتهر بكونه محدثا بارعا، مع معرفته بالتاريخ قال عنه ابن الفرضي: "كان ابن وضاح عالما بالحديث بصيرا بطرقه متكلما على علله، كثير الحكاية عن العُبَّاد .."[5]، كما تذكر لنا الرواية أن عددا من علماء المشارقة كانوا على اتصال به أثناء تواجده بالمشرق، نال لديهم كل منازل الاحترام والتقدير، فشهدوا بفضله وعلوه في الحديث[6].

ويبدو أن ابن وضاح قد صب كل اهتماماته بعلم الحديث دراسة وتدريسا، مع عزوفه عن بقية العلوم المشهورة بالأندلس وعلى رأسها الفقه، فقد أبدى محمد بن لبابة تعجبه من جهل ابن وضاح لما في المدونة من علم وقلة حفظه للفقه[7]، إن تخصصه في علم الحديث على حساب الفقه العلم الأكثر تداولا حتى ذلك الوقت بالبلد، فتحت عليه جملة من الانتقادات من طرف رجال المالكية رغم أنه كان على مذهبهم، فهذا تلميذه أحمد بن خالد انتقده لرده الكثير من الأحاديث الشريفة الثابتة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، أما الشيء الآخر هو عدم تحكمه في اللغة

---

[1]ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص ص170، 171.

[2]الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص291؛ السيوطي، المصدر السابق، ص41.

[3] للوقوف أكثر عن حياته العلمية. انظر: نوري معمر، المرجع السابق.

[4]ابن فرحون، المصدر السابق، ص339؛ الحميدي، المصدر السابق، ص141.

[5]ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص652.

[6]الخشني، المصدر السابق، ص130.

[7]المصدر نفسه، ص127.

العربية بالشكل الجيد، ما نتج عنه كثرة أخطائه[1]، الأمر الذي انعكس على أثاره العلمية، ومن خلال تحرينا لها وجدنا عددا يسيرا من نتاجه العلمي جاء كالآتي:

– كتاب "العباد والعوابد" حول الزهد والرقائق، وكتاب "القطعان" في الحديث الشريف، كتاب "رسالة السنة" وكتاب "الصلاة في النعلين" وكتاب "النظر إلى الله –تعالى–"[2].

– كتاب "مكنون السر ومستخرج العلم" في الفقه المالكي وكتاب "البدع والنهي عنها"[3].

كما أدخل الكثير من الكتب والروايات إلى الأندلس[4].

– انتشار وازدهار علم الحديث بالأندلس:

كللت جهود الشيخين محمد بن وضاح وبقي بن مخلد إلى انتشار علم الحديث بالأندلس تمثل في ظهور أعداد كبيرة من المشتغلين بالحديث، إضافة إلى إتقانهم له، مع بروز أئمة في الحديث أنتجوا مصنفات جليلة لاقت قبولا وانتشارا في الأندلس وحتى خارجها.

وسوف نكتفي بعرض تراجم موجزة لأعلام علماء الحديث بالأندلس، الذين كان لهم نشاطا بارزا في هذا المجال نذكر:

محمد بن إبراهيم بن حيون الحجاري(ت305هـ/917م) من أئمة الحديث بالأندلس، سمع من ابن وضاح والخشني ومن غيرهما، أما مكانته العلمية في هذا المجال فقد كان حافظا متقنا بصيرا بطرق الحديث سمع منه كبار محدثي بلده مثل ابن أيمن، وقاسم ابن أصبغ، ووهب بن مسرة وغيرهم[5]، كما بلغ محمد بن أصبغ بن خليل(ت306هـ/918م) وهو أيضا أحد تلامذة محمد بن وضاح، أصبح عالما بالحديث لسعة حفظه وإتقانه للحديث الشريف[6]، ومنهم أحمد بن عمرو بن منصور الألبيري(ت312هـ/924م) من الأندلسيين الذين أخذوا علم الحديث من كبار محدثي

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص652؛ ابن فرحون، المصدر السابق، ص339.

[2] عياض، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، ج4، تح عبد القادر الصحراوي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، المملكة المغربية، 1403/1983، ص440.

[3] الزركلي خير الدين، **الأعلام**، ج7، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002، ص133.

[4] للوقوف على الكتب التي أدخلها الأندلسيون إلى بلادهم. انظر: **فهرسة بن خير**.

[5] الضبي، المصدر السابق، ج1، ص80؛ المقري، المصدر السابق، ج2، ص52.

[6] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص670.

المشرق، رجع إلى بلده وقد صار إماما في علل الحديث، حتى أصبحت الرحلة تشد إليه بإلبيرة[1] ومنهم كذلك أحمد بن خالد بن يزيد بن الجباب الجياني(ت322هـ/934م) من رواة الحديث بالأندلس، عرف بإتقانه في مروياته، ألّف في مسند مالك بن أنس[2]، نجد كذلك محمد بن فطيس بن واصل الغافقي الألبيري(ت319هـ/931م) عده الذهبي من حفاظ الحديث بالأندلس، جمع روايات كثيرة من شيوخ الحرم وغيرهم وأدخلها إلى الأندلس[3]، أصبحت الرحلة إليه بألبيرة، يقصده الناس من قرطبة وغيرها من المناطق لشهرته العلمية في الحديث[4].

كما أصبح الكثير من علماء الأندلس يجمعون إلى جانب الفقه علم الحديث، وهي إشارة على مدى انتشار علم الحديث إلى جانب الفقه، فقد كان قاسم بن محمد بن سيار(ت276هـ/889م) من شيوخ الفقه والحديث معا[5]، تذكر لنا الرواية أنه صحح أخطاء وقعت في كتاب المستقصية لابن مزين وهو كتاب مشهور في الحديث[6]، وكان قاسم بن ثابت بن حزم السرقسطي(ت302هـ/915م) فقيها وبارعا أيضا في معرفة غريب الحديث، ألف كتابا جليلا في الحديث يعرف بكتاب الدلائل، من أفضل ما ألّف في هذا المجال[7]، غير أن قاسم توفي قبل أن يكمل كتابه هذا فأتمه والدُه ثابت بن حزم السرقسطي(ت314هـ/926م) من بعده، وكان هو الآخر على دراية بالفقه والحديث معا[8]، نجد كذلك محمد بن أيمن(ت330هـ/942م) الفقيه المحدث، أحد حفاظ الحديث المتقنين العالم بطرقه[9]، حدث وسمع منه الكثير من الناس[10]، فمن مصنفاته كتابه الجليل في السنن على هيئة سنن أبي داود[11].

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص569.

[2] الضبي، المصدر السابق، ج1، ص221.

[3] الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج3، ص803.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص690.

[5] الذهبي، المصدر نفسه، ج2، ص648.

[6] الخشني، المصدر السابق، ص301-303.

[7] المقري، المصدر السابق، ج2، ص49.

[8] ابن فرحون، المصدر السابق، ص، ص322، 168؛ المقري، المصدر نفسه، ج2، ص49.

[9] الذهبي، **الأعلام**، ج15، ص241.

[10] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص705.

[11] ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص146.

ومن أكثر محدثي الأندلس الذين كان لهم دورا بارزا في علم الحديث نجد قاسم بن أصبغ البياني(ولد سنة244هـ/858م وتوفي في سنة340هـ/951م) يعد من بين شيوخ الحديث، سمع من الشيخين بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح وغيرهما، قبل أن يرحل للاستزادة من محدثي المشرق في الحجاز ومصر والقيروان والعراق، توجت رحلته العلمية بأن أصبح إماما في الحديث، وكان لابن أصبغ البياني إسهامات كبيرة في هذا المجال؛ حيث أفنى حياته خدمة لتعليم الحديث الشريف، روي أن الرحلة كانت تشد إليه بالأندلس؛ حيث تعلم منه الحديث أعداد لا تحصى من الناس[1]، ومن إسهاماته العلمية أيضا إدخاله لمصنفات هامة في الحديث، مثل كتاب شرح غريب الحديث، وكتاب إصلاح الغلط الواقع في غريب الحديث لأبي محمد بن قتيبة[2]، وكتاب مسند الحارث بن أبي أسامة التميمي[3].

كما تظهر مكانته العلمية من خلاله مؤلفاته القيمة التي لاقت قبولا ورضا من طرف العلماء، فقد اعتمد عليها كثيرا كل من ابن حزم، وأبي الوليد الباجي[4].

فمن مؤلفاته في الحديث نذكر: مصنف في الحديث على هيئة كتاب أبي داود السجستاني[5] وكتاب المجتبى، الذي صنفه على هيئة كتاب المنتقى لابن الجارود، قال عنه ابن حزم: "وهو خير منه انتقاء وأنقى حديثا، وأعلى سندا وأكثر فائدة"[6]، وله كتاب في غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ[7].

-ميدان علوم القرآن الكريم (القراءات والتفسير):

عرف علم القراءات ازدهارا بالأندلس من خلال دخول قراءات عديدة[8]، وبروز عدد من العلماء تخصصوا في هذا المجال العلمي، وكذا ظهور الكثير من القراء المجودين أصحاب

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص613؛ الضبي، المصدر السابق، ج2، ص589.

[2] ابن خير، المصدر السابق، ج1، ص ص228، 229.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص168.

[4] الذهبي، المصدر السابق، ج15، ص437.

[5] ابن خير، المصدر نفسه، ج1، ص147.

[6] الضبي، المصدر نفسه، ج2، ص589.

[7] الحميدي، المصدر السابق، ص487.

[8] المقري، المصدر السابق، ج1، ص222.

الأصوات الشجية، كانوا يؤمون الناس في الصلوات الخمس خاصة في قيام شهر رمضان، حيث استقرت قراءة نافع المدني لدى أهل الأندلس منذ البدايات الأولى لعصر الإمارة، واستمروا العمل بها مدة من الزمن؛ ويرجع الفضل في انتشارها إلى سيادة المذهب المالكي لبلادهم، فقد روي أن الإمام مالك دعا إلى الأخذ بقراءة نافع بن أبي نعيم المدني(ت169هـ/786م) في قوله: نافع إمام الناس بالقراءة، وأيضا ما ذكر سعيد بن منصور: سمعت مالكا يقول قراءة نافع سنة، كما أن الإمام مالك نفسه قرأ القرآن على نافع بن أبي نعيم[1] فشكل هذا الارتباط، الذي جمع بين الإمام نافع مع الإمام مالك حافزا كبيرا عند مالكية الأندلس لتعلم القراءة دراسة وتدريسا، ما أسهم في انتشارها بسرعة في كافة ربوع الأندلس، وهو ما أكده المقدسي عندما ذكر أن أهل الأندلس كانوا مالكية ويقرؤون قراءة نافع[2].

أدى انتشار قراءة نافع إلى بروز العديد من القراء المهرة، فمن الأندلسيين الذين اشتغلوا بهذه القراءة نجد كل من عبد الله بن الغازي بن قيس(ت230هـ/845م) تعلم القراءة من والده شيخ قراء الأندلس، ذكر أنه كان بارعا بقراءة نافع[3]، كما مهر القراءة أيضا الفقيه حامل بن أخطل الألبيري أخذ بقراءة نافع بإلبيرة[4]، ومنهم أيضا أغلب بن عبد الملك بن مَنوِيل(ت298هـ/911م) قرأ القرآن بمصر على إسماعيل بن عبد الله بن النحاس(280هـ/893م)[5]ثم رجع إلى الأندلس وأصبح مقرئا للقرآن الكريم، عالما بقراءة نافع[6]، ومنهم أصبغ بن مالك(ت304هـ/917م) كان هو الآخر إماما في قراءة نافع[7].

وخلال منتصف القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، بدأ الأندلسيون يعتمدون أكثر على قراءة ورش تلميذ الإمام نافع المدني، فمن قراء الأندلس الذين مهروا قراءة ورش نذكر: محمد بن عبد الله القرطبي الذي رحل وقرأ القرآن من الإمام عثمان بن سعيد المعروف بورش وأصبح عالما

---

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج7، ص، ص337، 339.

[2] المقدسي، المصدر السابق، ص237.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص369.

[4] الخشني، المصدر السابق، ص77.

[5] ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص150.

[6] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص173.

[7] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص634.

بالقرآن على رواية ورش بالأندلس[1]، نجد أيضا محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) الذي حمل قراءة ورش إلى الأندلس، وأقرأ الكثير من الناس بهذه الرواية حتى انتشرت بالأندلس[2]، كما وجد من الأندلسيين من اشتغلوا بأكثر من قراءة كما هو الحال مع ابن رقاع بن الحكم الرعيني(ت290هـ/903م) رجع من المشرق بعد رحلة علمية طويلة من أجل تحصيل هذا العلم دامت خمسة وعشرين سنة، سمع من خلالها من قراء القيروان ومصر والمدينة حتى أصبح عالما بالقراءات[3]، ومنهم محمد بن عبد الجبار(ت296هـ/909م) الذي كان عالما بالقراءات[4]، ومنهم أيضا مطرف بن عبد الجبار(ت334هـ/946م) ذكره الرازي من مقرئي الأندلس أخذ القراءة عن إسماعيل بن النحاس[5].

وأما في مجال التفسير فقد أبدى الأندلسيين بدورهم عناية بهذا العلم الجليل، نظرا لأهميته في فهم القرآن الكريم، الذي عرفه الإمام الزركشي فقال:"التفسير علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ"[6]، لقد وجدنا أن عبد الرحمان بن موسى الهواري، الذي رحل إلى المشرق في عهد عبد الرحمان بن معاوية الداخل وأتقن علم التفسير يعتبر أول أندلسي صنف كتابا في تفسير القرآن الكريم[7]، غير أن الإمام بقي بن مخلد(ت287هـ/900م) قد أضاف دفعة قوية للتفسير بالأندلس، عندما صنف كتابا في التفسير في سبعين جزءا[8]، ويعد هذا الإنجاز بمثابة الانطلاقة الفعلية لدراسة التفسير كعلم قائم بذاته في الأندلس، حيث لاقى قبولا وأخذه عنه الناس، فكان عبد

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص634.

[2] ابن فرحون، المصدر السابق، ص338.

[3] الخشني، المصدر السابق، ص155.

[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص660.

[5] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص191.

[6] الزركشي بدر الدين(ت794هـ/1392م)، **البرهان في علوم القرآن**، تح أحمد علي، دار الحديث، دط، مصر، 2006/1427، ص22.

[7] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص439؛ الخشني، المصدر نفسه، ص235.

[8] السيوطي، المصدر السابق، ص41.

الله بن حنين القرطبي(ت318هـ/930م) من جملة المهتمين بهذا التفسير حيث قام باختصاره[1] كما برز عدد من الأندلسيين في علم التفسير نذكر: الفقيه خالد بن مرتنيل(ت249هـ/863م) كان عالما بالتفسير ألّف فيه كتابا[2]، ومنهم يحي بن مزين(ت259هـ/873م) ألّف كتاب فضائل القرآن[3]، ومن علماء التفسير أيضا علي بن الحسن المري(ت334هـ/946م) ذكر أنه صنف كتابا في التفسير[4]، ومنهم عبد الله بن مطرف بن محمد(توفي خلال القرن4هـ/10م) كانت رحلة إلى المشرق سنة(311هـ/923هـ) ألّف كتابا في تفسير القرآن الكريم حذف منه الإسناد[5]، وصنف منذر بن سعيد البلوطي(ت355هـ/966م) كتاب أحكام القرآن[6].

- **ميدان علوم اللغة والتاريخ:**

في ميدان اللغة:

تخبرنا المصادر التاريخية أن الأندلس خلال عصر الإمارة مثلت بيئة أدبية، ويتضح ذلك من خلال ورود تراجم لعدد كبيرة من العلماء والفقهاء ممن أتقنوا اللغة وعرفوا صنعة الشعر، فعبد الرحمان بن موسى الهواري الذي رحل في أول خلافة عبد الرحمان الداخل إلى المشرق، كان أديبا فصيح اللسان[7]، ومن الأندلسيين المتقدمين الذين برزوا في هذا المجال نجد عبد الواحد بن سلام المعروف بالأحدب(ت209هـ/824م) أتقن النحو والأدب[8]، كما كان عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م) أديبا فصيحا بارعا في النحو، وشاعر بليغا[9]، ومنهم أيضا عثمان بن المثنى القيسي(ت273هـ/887م) ذكر أنه كان من أئمة النحو اللغويين بقرطبة[10]، ومنهم محمد بن

---

[1] الخشني، المصدر السابق، ص228.

[2] عياض، المصدر السابق، ج1، ص444.

[3] ابن الخير، المصدر السابق، ج1، ص88.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص530.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص395.

[6] ابن خير، المصدر نفسه، ج1، ص70.

[7] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص294.

[8] الزبيدي، المصدر السابق، ص257.

[9] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص382.

[10] ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص112.

عبد السلام الخشني(ت286ه/899م) كان هو الآخر من أفصح علماء الأندلس في زمانه، اشتهر بتقدمه في معرفة اللغة والنحو حتى صارت تشد إليه الرحلة لأجل تحصيل هذا العلم[1]، فمن جملة تلاميذه الذين برزوا في اللغة نجد كلا من: عُفير بن مسعود بن عُفير(ت317ه/929م) كان حافظا للغة ورواية الشعر[2]، ومفرج بن مالك النحوي المعروف بالبغل من علماء اللغة والنحو[3] وأيضا أحمد بن بشير(ت327ه/939م) كان متقدما في معرفة لسان العرب بصيرا باللغة[4].

فمن مؤلفات الأندلسيين في اللغة نذكر: ما ألّف عبد الواحد بن سلام الأحدب(ت824/209م) كتابه في النحو والشعر الذي عرف انتشارا بين الناس[5]، وأيضا يحي بن عبد الرحمان السرقسطي(ت263ه/877م) برع في اللغة والنحو وألّف فيهما كتابا أخذه منه الناس[6]، ومنهم أيضا تمام بن غالب بن عمرو التياني(ت321ه/933م) كان هو الآخر إماما في اللغة، ألّف كتابا حسنا في اللغة[7]، وألّف الأديب عثمان بن سعيد الكناني(ت320ه/932م) في شعراء الأندلس طبقهم فيه[8].

في ميدان التاريخ:

سمحت رحلة الأندلسيين إلى الحجاز من التقائهم بعدد من المؤرخين المشارقة، وكذا جلبهم لبعض المؤلفات التاريخية إلى بلادهم، الشيء الذي سمح برسوخ الفكر التاريخي لدى العديد من علماء الأندلس خلال تلك الفترة، خاصة أن بلادهم كانت تسخر بأحداث ثرية من فتوحات إسلامية ومعارك وانتصارات على العدو وغير ذلك من تاريخ مشرف، فيأتي في مقدمة الأندلسيين المهتمين بالتاريخ العالم الكبير عبد الملك بن حبيب(ت238ه/853م) الذي تميز بمعرفته الواسعة سمحت له بإتقان العديد من العلوم، قال عنه أحمد بن عبد البر: ".. كان نحويًاعروضيًا شاعرًا نسابة

---

[1] الخشني، المصدر السابق، ص132.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص575.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص843.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص79.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص494.

[6] المصدر نفسه، ج2، ص902.

[7] الضبي، المصدر السابق، ج1، ص309.

[8] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص513.

إخباريًا"[1]، على الرغم من شهرته في الفقه[2]، إلا أن معرفته تعدت المجالات الدينية، فدفعه اطلاعه الواسع الخوض في التاريخ وأصبح من ضمن المعارف التي أتقنها[3]، فمن الكتب التاريخية التي صنفها نذكر: كتاب فضائل قريش وأخبارها وأنسابها[4]، وكتاب التاريخ[5] اعتمد في هذا الكتاب نفس منهج المشارقة الذين سبقوه في هذا المجال، حيث تناول الأحداث التاريخية في شكل محطات كبرى بدءا من تاريخ الخلق مرورا بخلق آدم -عليه السلام- وقصص الأنبياء -عليهم السلام- وسيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتاريخ الخلفاء الراشدين، وصولًا إلى أحداث الأندلس وختم كتابه بأعلام الأمة من صحابة وتابعين وفقهاء[6]، لقد شكلت إسهامات ابن حبيب في مجال التاريخ بمثابة اللبنات الأولى للدراسات التاريخية بالأندلس؛ حيث شهدت تطورا ملحوظا خلال الفترة التي تلته من خلال ظهور عدد من المتخصصين بهذا المجال نذكر منهم: محمد بن عمر بن لبابة(ت314هـ/926م) سمع التاريخ حتى أصبح حافظا لأخبار الأندلس[7]، وكان عُفير بن مسعود بن عُفير(ت317هـ/929م) حافظًا لأخبار العرب ووقائعها وأيامها[8]، ومنهم أحمد بن محمد بن بشير(ت344هـ/955م) وصف بالحافظ للأخبار، صنف كتبا كثيرة في أحداث الأندلس وملوكها[9] ومنهم أيضا محمد بن عبد الرؤوف الأزدي(ت343هـ/954م) كان عالما بالتاريخ[10].

ب-دخول المذاهب الفقهية والعقدية إلى الأندلس:

إن اتصال الأندلسيين المستمر بالمشارقة عن طريق الرحلات، جعلهم على دراية بالمستجدات العلمية والفكرية التي كانت تحصل هناك، تبين لنا انتقل المذهب المالكي وقراءة الإمام

---

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص382.

[2] الذهبي، المصدر السابق، ج12، ص102.

[3] الخشني، المصدر السابق، ص248.

[4] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص384.

[5] كتاب التاريخ لعبد الملك بن حبيب تم العثور عليه وتوجد له نسخة مطبوعة. انظر: عبد الملك بن حبيب السلمي(ت238هـ/852م)، **كتاب التاريخ**، تح عبد الغني مستو، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1429/2008.

[6] المصدر نفسه، ص5.

[7] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص680.

[8] المصدر نفسه، ج2، ص575.

[9] المصدر نفسه، ج1، ص95.

[10] المصدر نفسه، ج2، ص724.

نافع المدني عن طريق المرتحلين، فيمكن إذن أن يحصل الأمر نفسه مع بقية المذاهب الأخرى الفقهية والعقدية التي عرفتها بلاد الأندلس خلال تلك الفترة على أنها تسربت؛ لدى عوّدت المرتحلين من رحلاتهم الطويلة التي قضوها في بلاد المشرق، في إطار تأدية فريضة الحج، وطلبا للعلم أو للتجارة، وما تخلل تلك الرحلات من عبور مدن وحواضر علمية كمصر والقيروان وغيرها من بلاد المشرق التي تقع في طريقهم إلى الحجاز، فلا شك إذن من أنهم تأثروا بالجو العلمي السائد في تلك الأماكن بشكل ما، وإلى ذلك يذهب الأستاذ عمر الجيدي: "فلم تكن بلاد الأندلس إلا مرآة تنعكس عليها التيارات المشرقية بكل ما كانت تحمل معها من أفكار ومبادئ وعادات وتقاليد وممارسات، فما إن يكاد يظهر فيها مذهب أو رأي حتى يجد طريقه إلى الأندلس"[1]، ويقر بذلك أيضا ميغيل كروز هيرنانديس أن الرحلة هي التي أسهمت في نقل المستجدات المشرقية إلى الأندلس[2]، وبعد البحث والتحري في كتب التاريخ والتراجم وجدنا مايلي:

- **المذاهب السنية:**

لعل من أبرز المذاهب الفقهية السنية التي عرفت طريقها إلى الأندلس عبر الرحلات على غرار المذهبين الأوزاعي والمالكي اللذان سبق التطرق إليهما، نجد كل من مذهب محمد بن إدريس الشافعي ومذهب داود بن علي الظاهري[3]، ومذهب أبي حنيفة النعمان[4]، غير أن أتباع هذه المذاهب كانوا قلّة مقارنة بمالكية الأندلس.

---

[1] عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، دار الهلال العربية للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 1993، ص22.

[2] ميغيل كروز هيرنانديس، **الفكر الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية**، ص1089.

[3] الحافظ الفقيه المجتهد أبو سليمان الأصبهاني أحد أئمة الأعلام، فقيه أهل الظاهر ولد سنة(200هـ/816م) له العديد من المؤلفات، برز في علم الحديث، وتوفي سنة(270هـ/884م). انظر: الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج2، ص572.

[4] هو النعمان بن ثابت بن زوطا التيمي مولاهم الكوفي، الإمام العالم الورع صاحب مذهب أهل العراق، ولد سنة(80هـ/699م) وتوفي في سنة(150هـ/767م). انظر: المصدر نفسه، ج1، ص126.

المذهب الشافعي:

ينسب المذهب الشافعي إلى مؤسسه محمد بن إدريس الشافعي(ت204هـ/820م) وتقوم أصوله ومنابعه على الكتاب والسنة، الإجماع والقياس[1]، الذي عرف انتشارا كبيرا بالعراق موطن نشأته إضافة إلى خراسان وبلاد ما وراء النهر والشام واليمن وفي إفريقية والأندلس[2].

لقد حلت الشافعية في مقدمة المذاهب المنتشرة بالأندلس بعد المالكية طبعا؛ ويرجع الفضل في إدخاله إلى جملة من الأندلسيين العائدين من المشرق، ويأتي في مقدمتهم الفقيه قاسم بن محمد بن سيار(ت278هـ/891م) الذي أخذ العلم من شيوخ الحرمين ومن علماء مصر، كان على المذهب الشافعي، واشتغل بالنظر وترك التقليد الذي ساد الأندلس في زمانه، روي أن محمد بن عمر بن لبابة قال عنه: "ما رأينا أفقه من قاسم ممن دخل الأندلس من أهل الرحل"، كما حضي بمكانة ومنزلة خاصة لدى أمير الأندلس محمد بن عبد الرحمان(238-273هـ/852-886م) ما سمح له في نشر الشافعية دون أن يتعرض له مالكية الأندلس[3]، كما أسهم المحدث المجتهد بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) في انتعاش الشافعية من خلال إدخاله كتب محمد بن إدريس الشافعي[4].

لقد عرف المذهب الشافعي انتشارا ملحوظا بالأندلس من خلال جهود الشيخين قاسم بن محمد وبقي بن مخلد مع برز الكثير من طلابهم في المذهب الشافعي.

---

[1] أحمد بكير محمود، **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب**، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1990/1411، ص14.

[2] الثعالبي، المرجع السابق، ج2، ص71.

[3] الخشني، المصدر السابق، ص301. ابن فرحون، المصدر السابق، ص320.

[4] الذهبي، **الأعلام**، ج13، ص287.

كما يمكن أن نلمس ذلك الازدهار من خلال عرضنا للجدول التالي، الذي يظهر جملة من علماء الشافعية بالأندلس[1]:

اسم العالم	الموطن	تاريخ وفاته	من شيوخه	المصدر
يحي بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز	قرطبة	(295ه/908م)	/	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص908.
هارون بن نصر	قرطبة	(302ه/915م)	بقي بن مخلد	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص885.
أسلم بن عبد العزيز المعروف بابن الجعد	قرطبة	(319ه/931م)	بقي بن مخلد، قاسم بن محمد	الحميدي، الجذوة، ص245.
حسن بن إدريس بن رزين	قرطبة	(332ه/944م)	بقي بن مخلد وغيره	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص201.
عثمان بن وكيل	قرطبة	/	بقي بن مخلد	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص515.
عثمان بن سعيد الكناني	جيان	(320ه/932م)	بقي بن مخلد	ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص514.

[1] جاء هذا الجدول في سياق العمل البحثي، فهو لا يعتبر دراسة عن شافعية الأندلس خلال عصر الإمارة لذلك اقتصر على بعضهم فقط.

المذهب الظاهري:

ظهر المذهب الظاهري في العراق على يد الفقيه داود بن علي الأصفهاني(ت270هـ/884م)[1] إمام أهل الظاهر، تقوم قواعده على الأخذ بظواهر نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية في استنباط الأحكام لذلك سمو بالظاهرية وفي ترك القياس، والأخذ بإجماع الصحابة -رضي الله عنهم-، والعمل بخبر الآحاد في العقائد والأعمال وترك التقليد[2]، فقد ساد المذهب في العراق وانتشر ببلاد فارس وامتد حتى إلى المغرب والأندلس[3].

عرفت الظاهرية طريقها إلى الأندلس فيما يبدو خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، على يد الفقيه الأندلسي عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال(ت272هـ/885م) الذي رحل إلى المشرق والتقى مع أبى سليمان داود بن علي الأصبهاني(ت270هـ/884م) فقيه أهل الظاهر ليأخذ عنه كتبه ويدخلها إلى الأندلس، ورغم أن قاسم بن هلال كان مالكيا في بادئ أمره إلا أنه فضل المذهب الظاهري وعمل على نشره[4] لتشهد الظاهرية انتعاشا ببروز محمد بن سعيد البلوطي(ت355هـ/966م) على الساحة العلمية الذي ساعده منصبه كقاضي الجماعة بقرطبة وكذا المكانة المرموقة التي حضيها لدى السلطان في نشر الظاهرية بالأندلس، من خلال مجلسه العلمي الحافل بالطلبة وتصنيفه كتبا وفق المذهب الظاهري[5]، ونظرا للتقارب الشديد بن أهل الظاهر والمحدثين؛ فقد لعب محدثي الأندلس دورا كبيرا في نشأة الظاهرية بالبلد على غرار ما قام به بقي بن مخلد وقاسم بن أصبغ وغيرهما[6].

---

[1] هو داود بن علي ابن خلف أبو سليمان البغدادي المعروف بالاصفهاني إمام أهل الظاهر، كان مولى للخليفة المهدي عرف بكثرة الحديث وبتصنيفه للكتب ولد سنة(200هـ/816م) وتوفي في سنة(270هـ/884م). انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج13، ص97.

[2] بكير، المرجع السابق، ص21-26.

[3] الثعالبي، المرجع السابق، ج2، ص73.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص378.

[5] المقري، المصدر السابق، ج2، ص21.

[6] توفيق محمد الغلبزوري، **المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس**، دار ابن حزم، ط1، المملكة العربية السعودية، 2006/1427، ص55.

المذهب الحنفي:

ينسب إلى إمام المذهب أبو حنيفة النعمان(ت150هـ/767م) فقيه أهل العراق وإمام أهل الرأي[1]، تقوم القواعد الأصولية للمذهب الحنفي في الرجوع إلى كتاب الله -تعالى-، وللسنة المطهرة والإجماع والاختيار من أقوال الصحابة واللجوء إلى القياس والعرف والاستحسان[2].

أما أماكن انتشاره ففي المشرق مثلت العراق المعقل الرئيس للمذهب، إضافة إلى خراسان وبلاد ماوراء النهر، وامتد أيضا إلى الغرب الإسلامي في المغرب والأندلس[3].

كما أدى دخول العديد من الأندلسيين العراق المعقل الرئيس للحنفية في ذلك الوقت، إلى سماعهم من تلامذة أبي حنيفة النعمان الذين جدوا في نشر فقهه وآرائه[4]، وأسهم تواصلهم مع شيوخ الحنفية إلى وقوفهم على آرائهم ومؤلفاتهم، ثم عملوا على نقلها بعد عودتهم إلى وطنهم، ما أسفر إلى تسرب المذهب الحنفي في وقت متقدم ابتداء من القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي[5] فمن الفقهاء الأندلسيين الذين كانوا على المذهب الحنفي نذكر: محمد بن عيسى المعروف بالأعشى(ت221هـ/836م) رحل خلال القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي وسمع من الحجازيين والعراقيين فتأثر بالفقه الحنفي، وأصبح من أوائل الأندلسيين على هذا المذهب[6]، ومنهم زيد بن بشير(توفي خلال القرن3هـ/9م) من الفقهاء الأحناف بالأندلس[7]، نجد أيضا أحمد بن إبراهيم بن فروة اللخمي(ت290هـ/903م) كان من جملة الأندلسيين الذين طلبوا العلم بالعراق حيث سمع من عبيد الله بن عمر بن ميسرة القواريري، ومن بندار بن بشار، روي كتاب الفرائض لأيوب بن سليمان، وكان يرى بتحليل شرب النبيذ فوافق بذلك أصحاب المذهب الحنفي بالعراق[8]، ومنهم

---

[1] السيوطي، **طبقات الحفاظ**، ص80.

[2] أحمد بن محمد النقيب، **المذهب الحنفي**، ج1، مكتبة الرشاد، ط1، الرياض، 2001/1422، ص93.

[3] الطيب بوسعد، **العلاقات الثقافية بين الدولة الأغلبية والإمارة الأموية في الأندلس(184-296هـ/800-908م)**، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2، (1435-1436هـ/2014-2015م)، ص210.

[4] محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، مصر، دط، دت، ص364.

[5] الطيب بوسعد، **المذهب الحنفي في الأندلس(2-4هـ/8-10م)**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد4، العدد8، جويلية-ديسمبر2016، ص13.

[6] المقري، المصدر السابق، ج2، ص62.

[7] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص282.

[8] المصدر نفسه، ج1، ص60.

كذلك أحمد بن سليمان القيرواني(ت296هـ/909م) من رواة الإمام سحنون بن سعيد، قدم الأندلس وسكن بجانة إلى أن توفي بها، وكان على مذهب أبي حنيفة[1].

- **المذاهب العقيدية غير السنيّة**

بالرغم من أن المرتحلين الأندلسيين كانوا في أغلب الأحيان يتوجهون صوب الحجاز هذا الأخير كان بمنء عن تلك الفِرق والمذاهب العقيدية المخالفة للسنة، غير أن كثرة البلدان التي كانت تطأها أقدامهم قبل وصولهم إلى وجهتهم المنشودة، إضافة إلى اتساع آفاق الرحلة لدى أهل الحديث جمعا للرواية، خلال النصف الثاني من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، ساهمت في تسرب بعض الأفكار والعقائد إلى الأندلس، نجد أبرزها:

فرقة المعتزلة:

كانت المعتزلة من ضمن تلك الفرق التي تسربت إليها من المشرق، وهي فرقة كلامية ظهرت في مطلع القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي بمدينة البصرة[2]، أطلق عليهم تسمية القدرية كونهم ينفون قدرة الله –تعالى–، ويقولون أن الإنسان قادر خالق لأفعاله[3]، فقد وجد عدد من علماء الأندلس من حملوا أفكارهم، أمثال الفقيه عبد الأعلى بن وهب(ت261هـ/875م) الذي أكثر من مطالعة كتب المعتزلة حتى حمل بعض معتقداتهم[4]، نجد كذلك عبد الله بن مسرة(ت286هـ/899م) رحل إلى المشرق خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي وسمع من علمائهم، كان يرى بالقدر حتى حذر شيوخ الأندلس من حضور مجالسه[5]، ومنهم أيضا خليل بن عبد الملك بن كليب المعروف بخليل الفضلة، من أهل الرحل سمع من شيوخ المشرق فتأثّر بأهل الكلام، فعاد إلى الأندلس وأصبح قدريا، ودفعته جرأته فجاهر باعتزاله، ولأن الفرق الكلامية كانت محظورة بالأندلس خلال تلك الفترة فقد أبدى المالكية العداء الشديد تجاه المعتزلة، إضافة إلى رفضهم وتوعدهم من

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص125.

[2] زهدي حسن جار الله، **المعتزلة**، مطبعة مصر، ط1، القاهرة، 1947/1366، ص1.

[3] الشهرستاني محمد بن عبد الكريم(548هـ/1153م)، **الملل والنحل**، ج1، تح عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركائه، دط، القاهرة، 1968/1387، ص45.

[4] الخشني، المصدر السابق، ص263.

[5] المصدر نفسه، ص218؛ ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص476.

طرف حكام بني أمية[1]، الأمر الذي دفع بصاحبه المالكي محمد بن وضاح إلى تركه لمّا أيقن أنه يحمل أفكار القدرية، كما طرده بقي بن مخلد من مجلسه العلمي لما رآه أنه مبتدع يرى بالقدر، ذكر أنهم عمدوا إلى إحراق كتبه عند وفاته، ولم يبقوا إلا على كتب المسائل[2] كما كان يحي بن يحي المعروف بابن السمينة(ت315هـ/927م) ينتسب إلى مذهب المتكلمين[3].

لقد استمر وجود الفرق الكلامية خلال عصر الإمارة؛ فمن أوائل فلاسفة الأندلس محمد بن عبد الله بن مسرة(ت319هـ/931م) الذي جمع بين الاعتزال والتصوف معا[4]، حيث استفاد من كتب المعتزلة التي تركها له والده عبد الله بن مسرة، فأتقن علم الكلام؛ لكن سرعان ما اكتشف أمره من طرف العامة والعلماء فاتّهم بالزندقة في عهد الأمير عبد الله بن محمد(275-300هـ/888-912م) ففرّ هاربا بنفسه إلى المشرق، ليرجع بعد مدة إلى الأندلس، استطاع ابن مسرة خلال تلك المدة التي قضاها بالمشرق أن يتفنن أكثر في علم الكلام؛ فأنشأ فرقة دينية ذات طابع زهدي متشبعة بأفكار الفلاسفة وأهل الدجل، وراح يبث أفكاره متخفيا في مكان منعزل بجبال قرطبة[5] فسمع منه الناس وتأثروا بأفكاره، وصور لنا الحميدي بعض أفكاره المنحرفة يقول: "وله طريقة في البلاغة وتدقيق في غوامض إشارات الصوفية، وتواليف في المعاني، نسبت إليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها"[6]، ويبدو أنه نجح في نشر مذهبه الضال، من خلال وجود أسماء حملت معتقده خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، نجد منهم إلياس بن يوسف الطليطلي(ت321هـ/933م) وأخوه عون[7]، ومنهم أيضا أحمد بن وليد(ت376هـ/986م)[8]، وكذلك محمد بن أحمد بن حمدون الخولاني القرطبي(ت380هـ/990م) من علماء اللغة والأنساب، روي أنه لم يكن يخفي اعتناقه لمذهب ابن مسرة[9].

---

[1] محمد عبد الحميد عيسى، **تاريخ التعليم في الأندلس**، دار الفكر العربي، ط1، مصر، 1982، ص106.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص253.

[3] المصدر نفسه، ج2، ص913.

[4] إحسان عباس، المرجع السابق، ص33.

[5] دومينيك، المرجع السابق، ص1185.

[6] الحميدي، المصدر السابق، ص98.

[7] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص173.

[8] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص117.

[9] المصدر نفسه، ج2، ص773.

ج- انتشار الزهد والتصوف:

سمحت الرحلة الحجازية، من التقاء الأندلسيين مع عدد من زهاد ومتصوفة المشرق، ويقصد بالزّهد عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف[1]، وأما التصوف فيعني عزوف النفس عن الدنيا والانقطاع إلى الله عزوجل[2]، يرى ابن تيمية أن الصوفية نسبة إلى لبس الصوف، وأول ما ظهرت هذه الطائفة في البصرة جاء بها عبد الواحد بن زيد(توفي بعد150هـ/767م)[3] شيخ الزهاد، ثم اتبعه في ذلك طائفة من الناس؛ حيث عرف عن أهل البصرة بمبالغتهم في الزهد والعبادة والخوف حتى قيل فيهم فقه كوفي، وعبادة بصرية[4].

فكثيرا ما كان يحدث ذلك الاتصال في ركاب القوافل المتجهة صوب الحجاز؛ حيث شكّلت مكة المكرمة مركزا للتصوف الإسلامي من خلال تجمع عدد كبير من المتصوفة بإيثارهم المجاورة في الحرم بغية التّعبد وإقامة حلقات الذكر وإنشاد الشعر[5]، مثل السري السقطي(ت253هـ/867م)[6]، وسهل التستري(ت283هـ/896م)[7]، والحلاج(ت309هـ/921م)[8] وهم كبار فرقة الصوفية وغيرهم.

فأدى ذلك إلى انتقال الزهد للأندلس، ليعرف انتشارا خلال عصر الإمارة، آخذا صورة مشابه لما كان عليه بالمشرق، فلم يطرأ عليه تغيير كما يبدو، قال الفقيه يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/849م) عندما سئل كيف الزهد في الدنيا فأجاب: إذا رضي المرء من الدنيا إلا

---

[1] أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي(ت458هـ/1066م)، **الزهد الكبير**، تح عادل أحمد حيدر، دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت، 1987/1408، ص79.

[2] أبو بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي(ت380هـ/990م)، **كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف**، تح أثرجون أربري، مكتبة الخانجي، دط، القاهرة، دت، ص9.

[3] هو أبو عبيدة عبد الواحد بن زيد البصري من أصحاب الحسن البصري، أظهر مذهب التصوف بالبصرة واتبع خلق كثير توفي بعد سنة(150هـ/767م). انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج7، ص178.

[4] ابن تيمية، **مجموعة الفتاوى**، ج11، ص ص7، 8.

[5] قيس كاظم الجنابي، **التصوف الإسلامي في مكة المكرمة**، الكلية الإسلامية الجامعة، النجف، ص467.

[6] هو أبو الحسن السري بن المغلس السَّقطي البغدادي أحد الزهاد، كان أوحد زمانه في الورع والتوحيد توفي سنة(253هـ/867م). انظر: ابن خليكان، المصدر السابق، ج2، ص357.

[7] هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس التُستري من تستر أحد القرى بالأهواز، نشأ بالعراق، عرف بإفراطه في الزهد حتى قيل لم يكن له نظير في المعاملات والورع. انظر: المصدر نفسه، ج2، ص429.

[8] هو أبو المغيث الحسن بن منصور الحَلاَّج أصله من الفرس ونشأ بالعراق، أحد الزهاد والمتصوفة المشهورين اتهم بالخروج عن الدين فقتل وأحرق بالنار سنة(309هـ/921م). انظر: المصدر نفسه، ج2، ص140.

بالحلال فهو زاهد، وإن اشتغل وحرص بأمورها[1]، وبنظرة متفحصة لرحلات الأندلسيين إلى الحجاز رأينا أن أعداد غفيرة منهم كانوا على درجة كبيرة من الزهد والعبادة نذكر:

زياد بن عبد الرحمان اللخمي(ت204هـ/820م) ذكرت عنه قصصا تظهر مدى ورعه وزهده في حياته، منها التي حدثت له مع زوجته ابنة محدث الأندلس معاوية بن صالح الحضرمي، هذا الأخير كان يرسله لها طعاما، فكانت تقدمه لزوجها فيمتنع ولا يأكل منه شيئا ويقول لها: إنما هذا هو الورع فلعل الله عزوجل ينفعنا به، فضلا عن قصة أخرى حدثت له هذه المرة مع أمير الأندلس هشام بن عبد الرحمان، ذكر أنه عرض عليه منصب القضاء فهرب زياد شبطون، ولم يعد حتى أمّنه الأمير عن نفسه، فتعجب من زهده منقطع النظير[2]، وأيضا كان فقيه الأندلس عيسى بن دينار(ت212هـ/827م) على درجة عالية من الزهد والعبادة، تردد على مكة للعلم والعبادة[3]، ومنهم أيضا محدث الأندلس محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) كانت له رحلتان إلى المشرق؛ ففي رحلته الأولى التي كانت سنة(218هـ/833م) لم يكن هدفه منها طلب العلم، بل كان لأجل الزهد ولقاء العباد؛ ليعود إلى الأندلس في صورة زاهد عابد كثير الحكايات عن عبّاد ونساك المشرق لتأثره الشديد بهم، حتى قيل أنه هو الذي علم أهل الأندلس الزهد[4]، من تلاميذه الذين سمعوا منه وتأثروا به، وأصبحوا من الزهاد نذكر: أحمد بن يحي بن حبيب الزهري(ت282هـ/895م) وصف بالفضل والزهد[5]، وأيضا سليمان بن حامد الزاهد(ت311هـ/923م)[6]، كما كان تلميذه شيبان بن سليمان الزاهد على قدر كبير من الزهد والورع[7]، ومنهم أيضا زكرياء بن هلال التجيبي(ت302هـ/915م) رحل إلى المشرق وصار عابدا زاهدا شديد الورع[8]، ومنهم كذلك محمد بن مهلل بن ميسور الزاهد(ت328هـ/940م) وصف أنه كان منقطعا إلى الله عزو جل مقبلا على

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص310.
[2] الخشني، المصدر السابق، ص ص95، 96.
[3] الضبي، المصدر السابق، ج2، ص525.
[4] ابن فرحون، المصدر السابق، ص ص338، 339.
[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص64.
[6] المصدر نفسه، ج1، ص326.
[7] المصدر نفسه، ج1، ص366.
[8] الخشني، المصدر نفسه، ص100.

الزهد والعبادة مجتهدا في ذلك، واستمر على زهده حتى وفاته[1]، كما كان خليل بن إبراهيم(ت330هـ/942م) من وادي الحجارة الذي رحل حاجا سنة(288هـ/901م) من أتقى أهل بلده وأزهدهم، ذكر أنه صام نحو خمس وأربعين سنة دون انقطاع[2].

إن هذا الإقبال الكبير للأندلسيين على الزهد في تلك الفترة، وتواصلهم مع كبار زهاد وعباد المشرق أدى إلى تأثرهم بهم، فحذوا حذوهم من خلال الإغراق والمبالغة في الزهد، حتى وصلوا به إلى التصوف[3].

ويرى المستشرق مانويلا مارين أن الصوفية أخذت تعرف انتشارا بالأندلس خلال السنوات الأخيرة من القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي[4]، وبالفعل فقد وجد الكثير من المتصوفة الأندلسيين خلال تلك الفترة نذكر منهم: سعيد بن عمران بن مشرف ذكر أن والده كان تاجرا ميسورا وكان سعيد هذا مقصرا؛ فخرج حاجا إلى المشرق، فسمع بالبصرة من بندار محمد بن بشار(ت252هـ/866م) وعند عودته من المشرق تفرغ للعبادة حتى صار منقطع القرين[5]، ومنهم سعدون بن إسماعيل الجذامي(ت295هـ/908م) من مدينة رية سمع العلم من محمد بن وضاح ومحمد بن عبد السلام الخشني، قيل عنه: "أنه كان زاهدا ورعا متنقلا، لم ينكح ولا تسرى ولا اشتغل بشيء من الدنيا"[6]، ومنهم أيضا عبد الله بن عبد السلام(ت302هـ/915م) كان من جملة تلامذة محمد بن وضاح الذين سمعوا منه الحديث، أخذ عنه أيضا طريقته في الزهد حيث أقبل على العبادة وترك الدنيا، ثم رحل إلى الحج وجاور بمكة وأصبح على منهج الإبدال[7]، وهي درجة عالية

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص700.

[2] الخشني، المصدر السابق، ص87.

[3] محمد بركات البيلي، **الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري**، دار النهضة العربية، دط، القاهرة، 1993، ص174.

[4] مانويلا مارين، **ممارسة المسلمين الدينية في الأندلس بين القرنين (2-4هـ/ 8-10م)**، تر يعقوب دواني، ص1235.

[5] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص292.

[6] المصدر نفسه، ج1، ص323؛ الخشني، المصدر نفسه، ص331.

[7] في عقيدة الصوفية عند موت الولي الصالح يحل مكانه مؤمن آخر على قدره في العبادة والزهد، كما يحظى بكرامات خاصة عند الله تعالى، وبهؤلاء تنزل الأرزاق وتصرف الآفات بزعمهم. انظر: التادلي أبو يعقوب يوسف

من التّصوف[1]، والشأن نفسه مع محمد بن سلمة بن حبيب التطيلي فقيه حافظ للمسائل على مذهب مالك، سمع من ابن وضاح وغيره، تولى القضاء ببلده سنة(272هـ/885م) كان على الإبدال بتطيلة[2].

إن الظهور المحتشم للفرق، والمذاهب الإسلامية في الأندلس من أسبابه سيادة المالكية للأندلس، وميول أهلها عموما إلى مذهب مالك وتعصبهم له، فقد ذكر أن رجلا مغربيا قصد الإمام مالك فقال له: "إن الأهواء كثرت قبلنا؛ فجعلت على نفسي إن أنا رأيتك أن آخذ بما تأمرني به فوصف له شرائع الإسلام: الصلاة والزكاة والصوم والحج، ثم قال: خذ بها ولا تخاصم أحدًا" وبهذه النصيحة يقول الأستاذ إبراهيم الكتاني يكون قد وجه تاريخ الغرب الإسلامي كله نحو السنة وقطع الطريق على الفرق االعقيدي التي تنسب نفسها إلى الإسلام[3]، مما وقاهم من انتشار الفرق الإسلامية المختلفة، كما كان حاصلا في العراق والكثير من بلاد المشرق، وعلى الرغم من ظهور بعض الفرق والمذاهب الإسلامية إلا أن أعدادهم كانت قليلة للغاية[4]، وبالتالي لم يكن تأثيرهم كبيرا في الحياة الثقافية بالأندلس.

بن يحيى(ت617هـ/1220م)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تح أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1، المملكة المغربية، 1984/1404، ص45.

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص380.

[2] المصدر نفسه، ج2، ص644.

[3] محمد بن إبراهيم الكتاني، **سلفية الإمام مالك**، تح محمد بن علي الكتاني، دط، دت، ص17.

[4] أحمد أمين، المرجع السابق، ج3، ص491.

ثالثا: أثر التواصل الثقافي بين الأندلس والحجاز على التعليم والمجتمع بالأندلس (2-4هـ/8-10م)

1- المؤسسات العلمية في الأندلس:

انعكس ذلك الارتباط الثقافي الكبير للأندلسيين بالمشرق خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين إلى خلق بيئة علمية شبيهة بالتي كانت لدى المشارقة[1]، فكان التعليم في الأندلس قريبا إلى درجة كبيرة على ما كان عليه في الحجاز؛ حيث شكل الكتاب والمسجد ودور العلماء المؤسسات التعليمية الرئيسية لأهل الأندلس خلال عصر الإمارة.

أ- الكتاب:

يعود الفضل في ظهور الكتاتيب إلى عصر الأندلس الإسلامية؛ حيث لم تعرف البلاد قبل الفتح الإسلامي هذا النوع من التعليم الذي كان مقتصرا على فئة خاصة، فغالبية سكان الأندلس قبل الفتح لم يكونوا يكتبون أو يقرؤون، لقد بادر المسلمون الفاتحين إلى بناء المساجد ودور التعليم قاصدين في ذلك نشر الدين والعلم معا[2]، أما عن تاريخ وجود الكتاتيب بالأندلس فهناك إشارات تأكد أنها كانت موجودة قبل قيام الإمارة الأموية، فقد انفرد ابن القوطية برواية تفيد أن الصّمويل بن حاتم(ت142هـ/789م) زعيم القيسية بالأندلس، سمع مؤدبا للصبيان وهو يقرأ قوله -تعالى-:﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[3]، فقال الصُّميل: نداولها بين العرب، فرد عليه المؤدب: بين الناس، فقال الصّميل: وهكذا أنزلت الآية؟ قال له: نعم، هكذا نزلت، فقال الصّميل: والله أرى هذا الأمر سيشركنا فيه العبيد والسفلة والأراذل[4]، كما جاء في ترجمة الغازي بن قيس(ت199هـ/815م) أنه أدب بالأندلس قبل رحلته إلى الحجاز[5].

---

[1] إحسان عباس، المرجع السابق، ص39.

[2] أحمد ضيف، **بلاغة العرب في الأندلس**، مطبعة مصر، ط1، مصر، 1924/1342، ص11.

[3] **سورة آل عمران**، الآية 140.

[4] ابن القوطية، المصدر السابق، ص60.

[5] عياض، المصدر السابق، ج1، ص200.

تعتبر الكتاتيب أولى المؤسسات التعليمية التي خصصت لتلقين الصبيان العلم؛ فكانت تقام في غالب الأحيان بالقرب من المساجد أو بالأحياء داخل المدن والبلدات[1]، أما عن المنهج التعليمي المتبع داخل الكتاتيب، فكان يرتكز على تعليم القرآن الكريم، إضافة إلى تلقين اللغة والشعر والخط وبعض قواعد الحساب[2]، وهذا ما أشار إليه العلامة ابن خلدون عندما رأى أن تعلم القرآن الكريم هو أساس التعليم لدى أهل الأندلس، مع إضافة مواد تعليمية أخرى من رواية الشعر وتعلم قواعد اللغة العربية، وتجويد الخط[3]، وبذلك يكون الأندلسيون والمشارقة قد ساروا وفق منهج تعلمي واحد، من خلال جعل تعلم القرآن الكريم أول المواد التي تلقن في الكتاب، وأساس التربية والتعليم[4]، ويبدو أن هذا النوع من المؤسسات التعليمية كان منتشرا بالأندلس خلال عصر الإمارة، من خلال ورود أسماء كثيرة لعلماء وأندلسيين اشتغلوا بمهنة تعليم الصبيان، كما شاع إطلاق تسمية معلم على من كان يلقن الصبيان القرآن الكريم مع علوم أخرى داخل الكتاتيب، بينما أطلق على من مارس التعليم داخل الدور والقصور اسم المؤدب.

فضلا عن ذلك فقد أسهم معلمو هذه المرحلة التعليمية في تنشيط الحياة العلمية بالأندلس من خلال تعليم أبناء الأندلس القراءة والكتابة، وتربيتهم تربية إسلامية سليمة[5]، نذكر أبرز معلمي الكتاب خلال تلك الفترة: مُطرف بن لطفون من مدينة إستجة، سمع من محمد بن وضاح وغيره، كان معلم كتاب بمدينته[6]، ومنهم الأسعد بن الوارث بن يونس القبسي الذي سمع العلم من أسلم بن عبد العزيز وأحمد بن خالد وقاسم بن أصبغ وغيرهم، حدث وسمع منه الناس ذكر أنه امتهن تعليم الصبيان في الكتاب[7]، وأيضا حبيب بن أحمد بن إبراهيم المعلم(ت337هـ/949م) الذي سمع من محمد ابن وضاح ومحمد بن عبد السلام الخشني كان

[1] ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص240.

[2] أحمد شلبي، المرجع السابق، ص35.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص740.

[4] دويدار، المرجع السابق، ص403.

[5] المقري، المصدر السابق، ج1، ص220.

[6] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص836.

[7] المصدر نفسه، ج1، ص149.

هو الآخر معلم كتاب[1]، أما عن معلمي الطبقة الخاصة الذي كان تعليمهم موجها إلى أبناء الأمراء وكبار رجال الدول وأغنياء البلد نذكر منهم: عبد الله بن مهران(ت230هـ/845م) من مقرئي قرطبة، والغازي بن قيس(ت199هـ/815م) كانا مؤدبان لأبناء الأمراء بالقرآن الكريم واللغة[2]، وكذلك سَوَّار بن طارق أدب أبناء الأمير هشام بن عبد الرحمان بن معاوية[3]، كما علم أبناء الأمير الحكم بن هشام المؤدب، محمد بن عبد الله أحد قراء قرطبة، رحل وأخذ قراءة القرآن من عثمان بن سعيد المعروف بورش[4]، بالإضافة إلى قصور الأمراء فقد عمل المؤدبون أيضا في بيوت الأغنياء بالأندلس، مثل الشمر بن نمير جليس الأمير عبد الرحمان الداخل كان يؤدب بني أبي عبدة[5]، وانتدب هاشم بن عبد العزيز مؤدبا لأبنائه فطلب جابر بن غيث(ت299هـ/912م) الذي كان عالما بالعربية[6].

والجدير بالذكر تخصص بعض المؤدبين في تلقين علم محدد دون غيره، حيث وجد من تخصّص بتعليم اللغة والنحو مثل محمد بن سليمان الأنصاري النحوي(ت326هـ/939م) كان يؤدب بالنحو[7]، وأيضا المؤدب عبد الله بن حرب النحوي(ت338هـ/950م) اختص في تعليم اللغة العربية[8]، وهناك من تخصص في تعليم الحساب مثل سعيد بن أحمد الفرضي(338هـ/950م) الذي كان يعلم الصبيان الحساب بقرطبة[9]، بينما وجد من المؤدبين من اقتصر تعليمه للقرآن الكريم، مثل ما كان عليه أحمد بن إبراهيم بن باز يعرف بابن القزاز(ت274هـ/887م) من مقرئي القرآن الكريم بقرطبة وأدب بها[10]، كذلك مؤدب إستجة

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص227.

[2] ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص230.

[3] الزبيدي، المصدر السابق، ص257.

[4] المصدر نفسه، ص270.

[5] المصدر نفسه، ص258.

[6] الضبي، المصدر السابق، ج1، ص318.

[7] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص697.

[8] المصدر نفسه، ج1، ص391.

[9] المصدر نفسه، ج1، ص302.

[10] ابن الأبار، المصدر نفسه، ج1، ص11.

عبادة بن عمر(ت339هـ/951م) علم هو الآخر بالقرآن الكريم[1]، ولأن التعليم كان بمثابة مهنة يكتسب منها المؤدبون أرزاقهم فقد تلقوا أجرا مقابل تعليم أبناء الأندلسيين، عرفت بالحذاقة[2] فكان داود بن عبد الله الأشبيلي(توفي في القرن3هـ/9م) يعتمد في معاشه عما يتقاضاه من تأديب الصبيان[3].

ب-**المسجد:**

لقد أولى الأندلسيون للمسجد مكانة خاصة، ويتضح لنا ذلك من خلال وصف الحميري لمسجد قرطبة[4]، قال فيه: "وفيها المسجد الجامع المشهور أمره، الشائع ذكره من أجل مصانع الدنيا كبر ساحة، وأحكام صنعة وجمال وهيبة وإتقان بنية، تهمّم به الخلفاء المروانيّون فزادوا فيه زيادة بعد زيادة تتميما أثر تتميم حتى بلغ الغاية في الإتقان، فصار يحار فيه الطرف ويعجز عن حسنه الوصف"[5]، ومثل جامع قرطبة أبرز مساجد الأندلس قاطبة؛ حيث كان يأتيه الطلبة من مختلف مناطقها طلبا للعلم، فمن أبرز شيوخ الأندلس الذين كانوا يعلّمون في مسجد قرطبة، نجد يحي بن يحي الليثي، وعبد الملك بن حبيب وبقي بن مخلد وغيرهم.

وقد انتشرت المساجد في الأندلس من خلال قيام حكام بني أمية ببناء الكثير منها في المدن والقرى، كما ساهم الأغنياء والفقهاء أيضا في هذا الجانب[6]، لا شك أن المساجد كانت تلقى فيها الكثير من العلوم، وعلى رأسها العلوم الدينية بل حتى العلوم المتعلقة بها كاللغة العربية والتاريخ، خاصة أن المسجد مثل المؤسسة التعليمية الرئيسية لتعاطي تلك العلوم في ذلك الزمن[7]، كما يعد المسجد بمثابة المحطة الثانية للتّعليم في الأندلس، فعندما يكمل الصبيان تعليمهم الأولي بالكتاب ينتقلون بعدها إلى المسجد لمواصلة تعليمهم، في شكل حلقات علمية تلقى فيها مختلف العلوم

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص571.

[2] الزبيدي، المصدر السابق، ص256.

[3] الخشني، المصدر السابق، ص87.

[4] للوقوف على معلومات أكثر حول مسجد قرطبة. انظر: السيد عبد العزيز سالم، **المساجد والقصور في الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، 1986، ص13 ومابعدها.

[5] الحميري، المصدر السابق، ص161.

[6] محمد عيسى، المرجع السابق، ص268.

[7] المقري، المصدر السابق، ج1، ص220.

الدينية، كالفقه والحديث والقراءات، وكذا اللغة العربية[1]، غير أن علم الفقه يأتي على رأس العلوم التي كانت تلقى بالمساجد لانتشار المالكية بالبلد واهتمام الطلبة الأندلسيين بالفقه[2].

ج-بيوت العلماء:

كما فتح علماء الأندلس بيوتهم أمام الطلبة خدمة للعلم وأسوة بشيوخهم بالمشرق، فكانت تعقد المجالس العلمية داخلها لتعليم العديد من العلوم كالفقه والحديث وعلوم القرآن، وكذا الأدب والتاريخ وغير ذلك من العلوم التي انتشرت خلال تلك الفترة من تاريخ الأندلس، فجل شيوخ الأندلس وعلمائها البارزين كانوا يمارسون التعليم في بيوتهم، كما هو الحال مع الفقيه يحي بن يحي الليثي(ت234ه/849م) حيث كان يخصص زاوية في بيته لتعليم طلبته الفقه[3]، كذلك صاحبه عبد الملك بن حبيب(ت238ه/852م)؛ فقد حول بيته إلى جامعة لتعلم الكثير من العلوم من فقه وحديث ولغة وشعر وتاريخ وغير ذلك[4]، ومنهم أيضا الفقيه عبد الرحمان بن إبراهيم(ت258ه/872م) الذي كان له مجلس علمي يعقد بمنزله، يعلم فيه كتب ابن الماجشون وكتب الثمانية، والكثير من الحديث عن طريق السماع[5]، كما تذكر لنا الرواية أن محمد بن وضاح(ت287ه/900م) كان يستقبل طلبة العلم بمنزله، مفضلا طريقة القراءة في التحصيل العلمي؛ حيث خصص لهم غرفة يقوم خلالها الطلبة بالقراءة عليه وهو يسمع ويصحح ويشرح لهم ما التبس لهم فهمه[6].

2- النظام والطرق التعليمية في الأندلس:

أ- النظام التعليمي في الأندلس:

كان الأندلسيون خلال تلك الفترة يتلقون العلم وفق أنظمة تعليمية متبعة، أبرزها عن طريق الحلقات العلمية والمجالس العلمية والمناظرات.

---

[1] أحمد شلبي، المرجع السابق، ص93.

[2] ريبيرا، المرجع السابق، ص54.

[3] عياض، المصدر السابق، ج1، ص314.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص283.

[5] الخشني، المصدر السابق، ص238.

[6] عياض، المصدر نفسه، ج4، ص440.

- **المجالس العلمية:**

استعمل الأندلسيون هذا النظام التعليمي منذ فترة متقدمة؛ ليعرف انتشارا خلال عهد الإمارة الأموية، ومما لاشك فيه أن المرتحلين إلى الحجاز قد أسهموا بشكل كبير في انتشاره، فقد كانوا يحضرون مجلس الإمام مالك العلمي وأصحابه من بعده، مثل زياد بن عبد الرحمان اللخمي الذي أعجب به الإمام مالك لفطنته وذكائه[1]، وكذلك محمد بن بشير القاضي[2]، ويحي بن يحي الليثي أكثر الأندلسيين مواظبة لمجلس الإمام مالك وغيرهم[3]، حتى أصبح خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، يجتمع أكثر من طالب علم أندلسي في مجلس علمي واحد، تذكر لنا الرواية أن كل من محمد بن عيسى بن رفاعة وأحمد بن خالد بن الجباب كان يجلسان سويةً في مجلس شيخ الحرم علي بن عبد العزيز[4].

ومن المجالس العلمية الهامة خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، نجد مجلس الفقيه يحي بن يحي الليثي، الذي كان الطلبة يجتمعون بداره ويتدارسون مواضيع في الموطأ ومسائل في الفقه المالكي في كل مرة[5]، ونجد أيضا عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م) الفقيه العالم اتخذ من منزله جامعة لتعليم الطلبة الفقه والحديث واللغة والتاريخ وغيرها من العلوم، قدّرت أعدادهم بالمئات، قال عنه يوسف بن يحي المغامي أحد تلامذته: "لو رأيت ما كان على باب ابن حبيب لازدريت غيره"[6]، من كثرة الطلبة الذين كانوا يحضرون مجلسه على اختلاف اهتماماتهم العلمية من فقه وحديث ولغة وغير ذلك، كما كان ليحي بن إبراهيم بن مزين(ت259هـ/873م) مجلسا علميا يحضره الكثير من الطلبة[7].

---

[1]عياض، المصدر السابق، ج1، ص201.

[2]المصدر نفسه، ج1، ص291.

[3]الخشني، المصدر السابق، ص358.

[4]المصدر نفسه، ص176.

[5] عياض، المصدر نفسه، ج1، ص314.

[6]المصدر نفسه، ج1، ص383.

[7] الخشني، المصدر نفسه، ص372.

- **المناظرات:**

يبدو أن الأندلسيين تعلموا ومهروا المناظرة بالمشرق أيضا، فيروي لنا أبا الحارث أن قاسم بن محمد بن سيار(ت278هـ/891م) أحد علماء الأندلس المجتهدين، رحل إلى المشرق من أجل إتقان المناظرة من جباهلة هذا العلم، حتى تفنن بالمناظرة في الفقه، ذكر أنه ناظر محمد بن عبد الله بن الحكم في مصر، حيث تقلد قاسم بن محمد مذهب الإمام مالك ومحمد بن عبد الحكم مذهب الشافعي، وطالت مناظرتها إلى وقت متأخر من الليل، ومن إسهاماته العلمية أن جعل من الأندلس سوقا رائجة للمناظرة وسمع منه الناس كثيرا[1]، ومن الأندلسيين الذين مهروا المناظرة أيضا، محمد بن بكر السعدي(ت303هـ/916م) ذكر أنه كان حافظا للفقه متصرفا في علم الرأي، كان يناظر في الفقه وغيره من العلوم التي برع فيها[2]، ومنهم الفقيه حزم الأحمر(ت305هـ/918م) من بطليوس رحل إلى قرطبة مناظرا لأهل العلم[3]، ومنهم الفضل بن سلمة الجهني(ت319هـ/931م) ذكر أنه أتقن المناظرة واتخذها طريقة لتعليم الفقه فانتفع به أهل بلده ببجانة وراج الفقه في تلك الناحية[4]، نجد أيضا إسحاق بن إبراهيم بن مسرة(ت352هـ/963م) كان حافظا للفقه يناظر فيه، سمع الناس منه كثيرا[5].

- **الحلق العلمية:**

استعمل نظام الحلق في المساجد نظرا للأعداد الغفيرة للطلبة التي كانت تحضر الدروس العلمية في تلك المؤسسات التعليمية؛ فمن الأندلسيين الذين عملوا به نذكر: حبيب بن الوليد المعروف بدحون(توفي بعد 200هـ/816م)، أتقن علوما كثيرة الفقه والحديث واللغة والشعر، ذكر أنه كانت له حلقة علمية بجامع قرطبة يسمع منه الناس[6]، ومنهم عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م) كانت له حلقة علمية كبيرة بجامع قرطبة، روي أنه شوهد يخرج من

---

[1] الخشني، المصدر السابق، ص302-304.

[2] ابن فرحون، المصدر السابق، ص257.

[3] الخشني، المصدر نفسه، ص79.

[4] المصدر نفسه، ص ص297، 298.

[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص143.

[6] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص228؛ المقري، المصدر السابق، ج2، ص502.

الجامع وخلفه نحو ثلاثمائة طالب علم[1]، ومنهم الفقيه محمد بن يوسف بن مطروح(ت271ه/884م) الذي كانت له حلقة علمية بجامع قرطبة يفتي ويقرأ عليه العلم[2] ومنهم أيضا سعيد بن كرسلين(ت300ه/913م) برع في الفقه فكانت له حلقة علمية بجامع سرقسطة[3]، نجد كذلك سعيد بن خمير بن عبد الرحمان(ت301ه/914م) فقيه عالم بعلوم عديدة، كانت له حلقة علمية في المسجد الجامع بقرطبة يعلّم الناس ويفتيهم، ويعقد الوثائق[4]، ومنهم سعيد بن معاذ بن عثمان(ت308ه/920م) كانت له هو الآخر حلقة في المسجد الجامع بقرطبة يعقد المسائل ويفتي الناس[5].

ب-طرق التدريس في الأندلس:

أشهر طرق التدريس التي انتشرت في نظام الدراسة والتحصيل بالأندلس هي: طريقة السماع وطريقة القراءة وطريقة الإجازة، وهي نفسها الطرق التعليمية التي شاع العمل بها لدى المشارقة[6].

- **طريقة السماع:**

إحدى أبرز الطرق التعليمية التي فضلها الأندلسيون عن غيرها، جاعلين السماع من الشيخ من أجل طرق التعلم، لذلك نجد كبار شيوخهم قد أخذوا بها في مجالسهم وحلقهم العلمية، فهذا معاوية بن صالح الحضرمي(ت158ه/775م) كان يروي الحديث عن طريق السماع[7]، فسمع منه الكثير من الناس رواياته للحديث مثل محمد بن زياد القاضي وغيره[8]، كما كان يُسمع من يحي بن يحي الليثي(ت234ه/849م)[9]، وأخذ بها أيضا الفقيه عبد الملك بن حبيب(ت238ه/852م)

---

[1] ابن فرحون، المصدر السابق، ص253.

[2] عياض، المصدر السابق، ج1، ص447.

[3] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص299.

[4] المصدر نفسه، ج1، ص294.

[5] المصدر نفسه، ج1، ص317.

[6] محمد بهاء الدين العاملي(ت1030ه/1621م)، **الوجيزة في الدراية**، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى، ط1، قم إيران، 1396/1976م، ص10-12.

[7] الحميدي، المصدر السابق، ص500.

[8] الخشني، المصدر السابق، ص119.

[9] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص900.

فسمع منه كبار شيوخ الأندلس، أمثال بقي بن مخلد ومحمد بن وضاح ويوسف بن يحي المغامي وغيرهم[1]، وسار عليها شيوخ الحديث، أمثال محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) الذي سمع منه أعداد لا تحصى من الطلبة[2]، ومحمد بن عبد السلام الخشني(ت286هـ/899م) وغيرهما[3]، وأخذ بها كذلك كبار حفاظ الأندلس الذين برزوا في نهاية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، كونها كانت الطريقة أكثر نجاعة نظرا لتهافت الطلبة عليهم من مختلف مناطق البلاد، كما هو الشأن مع الفقيه الحافظ محمد بن عمر بن لبابة(ت314هـ/926م) الذي سمع منه كتب المالكية الشهيرة كالموطأ والمدونة والمستخرجة[4]، وأيضا علي بن الحسن المرّي(ت334هـ/946م) كان يروي كتاب تفسير القرآن الكريم ليحي بن سلام، فسمعه منه الناس بالأندلس[5].

- **طريقة القراءة:**

تأتي في المرتبة الثانية من بين الطرق التعليمية الأكثر تداولا بالأندلس بعد طريقة السماع؛ حيث يقوم الطالب بعرض ما يحفظه على شيخه قراءةً، ومن شروطها أن تكون المادة المعروضة من حفظ الشيخ نفسه أو يكون الأصل المصحح بيده أو بيد ثقة[6].

استعملت هذه الطريقة التعليمية لتعلم أحكام تجويد القرآن الكريم؛ حيث كان الحفظة يعرضون قراءاتهم على كبار قراء الأندلس، كما هو الشأن مع عبد الله بن الغازي بن قيس(ت230هـ/845م) كان يقرأ القرآن الكريم من والده الغازي بن قيس رواية نافع بن أبي نعيم المدني[7]، ومنهم أيضا الفقيه حامد بن أخطل أشهر من حمل قراءة نافع بن أبي نعيم في حاضرة إلبيرة، كان يُقرئ حفظة

[1] ابن فرحون، المصدر السابق، ص253.
[2] المصدر نفسه، ص339.
[3] الضبي، المصدر السابق، ج1، ص80.
[4] الخشني، المصدر السابق، ص144.
[5] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص530.
[6] العاملي، المصدر السابق، ص10.
[7] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص369.

كتاب الله بتلك الناحية[1]، كذلك قرأ أصبغ بن مالك بن موسى(ت304هـ/917م) القرآن الكريم من شيخه إبراهيم بن محمد بن باز حتى برع في قراءة نافع المدني[2].

كما لم تقتصر هذه الطريقة التعليمية في تعلم القرآن الكريم فحسب، بل هناك من شيوخ الأندلس من فضلوا استخدامها في مجالسهم العلمية، أمثال الفقيه الحافظ محمد بن يوسف بن مطروح القرطبي(ت271هـ/885م)[3]، ومنهم مسعود بن علي بن مروان البجائي الذي رحل لأجل الحج والتجارة خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، كان يقرأ عليه طلبته في مجلسه العلمي[4]، نجد أيضا مسعود بن علي بن مروان البجائي(توفي في منتصف القرن4هـ/10م) كان يقرأ عليه في المسجد الجامع ببجَّانة ويسمع منه[5].

إضافة إلى ذلك فقد عمد طلبة العلم إلى عرض قراءاتهم للكتب المشهورة التي يحفظوها على شيوخهم بالأندلس، فقرأ على محمد بن عبد الله بن القوق(ت307هـ/919م) شرح أبي عبيد وغير ذلك[6]، وكان حفص بن محمد بن حفص(ت325هـ/937م) يقرأ عند شيخه فضل بن سلمة المدونة ببجانة[7].

- **طريقة الكتابة:**

كانت مستعملة بالحجاز خلال القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، وهذا ما ذكره عبد الرحمان بن عبيد اللشبوني على أنه شاهد طلبة الإمام مالك وهم يكتبون في مجلسه العلمي[8]، بيد أنه وجدت رواية تفيد أن الإمام مالك كان ينهى طلبته من كتابة كل ما يسمعونه من رأيه، فالعلم عندهم كان يأخذ عن طريق السماع في غالب الأحيان[9]، الأمر الذي جعل من هذه الطريقة قليلة

---

[1] الخشني، المصدر السابق، ص77.

[2] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص153.

[3] عياض، المصدر السابق، ج1، ص447.

[4] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج2، ص827.

[5] المصدر نفسه، ج2، ص827.

[6] الخشني، المصدر نفسه، ص152.

[7] المصدر نفسه، ص77.

[8] المصدر نفسه، ص240.

[9] الضبي، المصدر السابق، ج2، ص427.

الانتشار بالأندلس، كونهم مالوا إلى تقليد ما كانوا يشاهدونه لدى شيوخهم بالمدينة، مع ذلك فقد وجد عدد من الأندلسيين من عملوا بهذه الطريقة التعليمية، فكان داود بن جعفر بن الصغير وهو أحد الأندلسيين الذين تشرفوا بلقاء الإمام مالك، ذكر أنه كُتب عنه زهاء ثلاثة آلاف حديث بالأندلس[1] ومنهم سعيد بن فحلون(ت346هـ/957م) الذي كتب واضحة عبد الملك بن حبيب وغيرها من كتبه[2]، كما اعتمدها محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) في مجلسه العلمي، ذكر أن كل من أحمد بن عبادة بن علكدة(ت332هـ/944م)[3]، إضافة إلى أحد طلبته يدعى زنباع كانوا يكتبون عنه[4].

- **الإجازة:**

من الطرق العلمية التي ظهرت وشاع استعمالها في الدراسات العليا بالمشرق منذ القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي[5]، عرفت هي الأخرى طريقها إلى الأندلس من خلال اتصال الطلبة الأندلسيين بعلماء الحجاز، حيث أجازوا للمتفوقين منهم بأن يحدثوا عنهم كتبهم ومروياتهم، وقد أخذت الإجازة شكلين، النوع الأول يكون مشافهة بأن يقول أجازني رواية كذا، أما النوع الثاني فهو عبارة عن كتابة بخط الشيخ تقر بسماح رواية كتابه، غير أن النوع الأول كان أكثر انتشارا واستعمالا في ذلك الوقت[6]، وحقيقة فقد حذوا حذوهم فور عودتهم إلى بلادهم وأصبح هذا التقليد العلمي من الطرق المستعملة لدى علماء الأندلس منذ بدايات القرن الثالث الهجري الثامن الميلادي، ويأتي في مقدمتهم الفقيه عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م) الذي تمادى في ذلك حتى وصف بالمتساهل في منحها، تذكر لنا الرواية أن أحد طلابه قصده من أجل الإذن له لرواية كتابه، فأجازه له على الفور بالرغم من أنه لم يسمعه منه، أو قرأه عليه[7]، فلنا أن نتخيل كم منح من إجازات لطلبته، خاصة أنه كان يحضر مجلسه العلمي عدد غفير من الطلبة من كل نواحي

---

[1] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج1، ص258.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص304.

[3] الخشني، المصدر السابق، ص25.

[4] المصدر نفسه، ص101.

[5] عياض، **الإلماع**، ص88.

[6] العاملي، المصدر السابق، ص ص11، 12.

[7] ابن الفرضي، المصدر نفسه، ج1، ص460؛ عياض، **ترتيب المدارك**، ج1، ص385.

الأندلس، ومن أشهر تلامذته الذين أجاز لهم رواية كتبه نذكر يوسف بن يحي المغامي (ت288هـ/901م) كان يروي عنه كتابه الواضحة وغيرها من مؤلفاته[1]، كما ذكر أن محمد بن أحمد العتبي(ت255هـ/869م) كان يروي كتاب تفسير القرآن إجازة عن عبد الرحمان بن موسى الهواري[2]، وقد سار المحدث الكبير محمد بن وضاح(ت287هـ/900م) على شاكلة الفقيه عبد الملك بن حبيب؛ فكان يجيز برواية كتبه، روي أنه لما حضرت ابن وضاح الوفاة وحضر عنده جماعة من طلبته قال لهم: ليحفظ عني من حضر وليعلم به من لم يحضر أنه كل من سمع مني وجالسني فقد أجزت له كل كتاب عني فليحدث به عني"[3].

فضلا عن الإجازة الشفهية فقد وجد خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، من كان يرى بالإجازة المحررة، ذكر أن محدث الأندلس يوسف بن يحي المغامي كانت تأتيه الكتب والرسائل من الأندلس وخارجها، يسألونه أن يكتب ويجيز لهم رواية علمه عنه[4]، كما صنع الفقيه عبد الرحمان بن يوسف الطليطلي سنة(314هـ/926م) مع ابن نعمة وأبو عبد الله بن سعادة فكتب لهما بإجازة رواية كتابه نيابة عنه[5].

كما يبدو لنا أن الإجازة في الأندلس خلال عصر الدولة الأموية لم تكن منتشرة، ودليل ذلك أنه لم تورد لنا المصادر سوى عن أسماء قليلة أخذت بالإجازة، ضف إلى ذلك فقد وجد بعض الأندلسيين من تشددوا في منحها، مثل ما حصل مع المحدث بقي بن مخلد(ت276هـ/889م) الذي رفض أن يجيز روايةً مصنف ابن أبي شيبة لصالح بن أيوب بن سليمان، ماجعل هذا الأخير يرويه عن هشام المؤدب(ت317هـ/929م)عن بقي بن مخلد[6]، وكان الفقيه أحمد بن خالد(ت322هـ/934م) من الأندلسيين الذين يرفضون أخذ العلم بالإجازة بدواعي تخوفه من انصراف الأندلسيين عن القراءة، والاكتفاء بإجازة الكتب[7].

---

[1] المقري، المصدر السابق، ج2، ص520.

[2] الخشني، المصدر السابق، ص235.

[3] المصدر نفسه، ص24.

[4] ابن الفرضي، المصدر السابق، ج2، ص934.

[5] الضبي، المصدر السابق، ج2، ص478.

[6] الخشني، المصدر نفسه، ص ص340، 341.

[7] المصدر نفسه، ص24.

3- الأثر الاجتماعي والفني:

لم تقف التأثيرات الحجازية على الجانب العلمي والفكري فحسب، بل تعدته إلى جوانب أخرى مسّت المجتمع الأندلسي، متمثلة في هيئتهم من لباس وغير ذلك، وكذا انتقال للموسيقى الحجازية وازدهارها بالأندلس.

أ- المظهر واللّباس:

من العادات الاجتماعية التي نقلها الرحّالة الأندلسيون العائدون من الحجاز إلى بلادهم والتي مست هيئتهم الخارجية نجد اللباس والهيئة الخارجية؛ فقد عمد محمد بن بشير القاضي(ت198هـ/813م) الظهور بهيئة جديدة لم يعهدها أهل بلده من قبل، حيث وصف زيه بارتدائه لملابس الخز بلون معصفر، وانتعل حذاءً صرّارا، كما طرأ على هيئته تغييرا أيضا إذ كان يفرق شعره إلى شحمة أذنيه ويصبغه ويكتحل ويضع الحناء في يديه، ويخرج فيصلي بالناس ويؤدي عمله كقاضي بتلك الهيئة[1]، وقد برر ابن بشير سبب تقليده للباس الحجازي بجعله اقتداء بأخيار التابعين في المدينة المنورة، فمحمد بن المنكدر(ت130هـ/748م) سيد قراء المدينة كانت له لمّة وهشام بن عروة(ت146هـ/763م)[2] فقيه المدينة كان يلبس المعصفر، وأن قاسم بن محمد(ت101هـ/719م)[3] فكان يلبس الخز، وقد أخبره شيخه الإمام مالك بن أنس بجميع ذلك[4] ويبدو أن اللباس الحجازي كان يستهوي الرحالة الأندلسيين إلى المشرق، فقد طلب أحد المرتحلين من الفقيه يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/849م) لمكانته الجليلة عند الناس أن يلبس العمائم أسوة بأهل المشرق، خاصة أن العمامة هي بمثابة التيجان لدى العرب[5]، إلا أنه لم يفعل ذلك كون فكرة تقليد المشارقة سبقه إليها محمد بن بشير كما أشرنا في لبس الخز ولم يتبعوه[6].

---

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص290.

[2] هو أبو المنذر هشام بن عُروة بن الزبير بن العوام، تابعي مدني مشهور من رواة الحديث، ولد سنة(61هـ/681م) وتوفي عام(146هـ/763م). انظر: ابن خليكان، المصدر السابق، ج6، ص80.

[3] هو أبو محمد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، من سادات التابعين وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة وله روايات كثيرة عن الصحابة توفي سنة(101هـ/719م). انظر: المصدر نفسه، ج4، ص59.

[4] المقري، المصدر السابق، ج2، ص144.

[5] الذهبي، **التذكرة الحفاظ**، ج1، ص137.

[6] الخشني، **قضاة قرطبة**، ص85.

كما نلمس ذلك التأثير أيضا في مجالس العلماء بالأندلس، فمن أهل الرحل الذين تأثروا بلباس أهل الحجاز الفقيه حبيب بن الوليد يعرف بدحون(توفي بعد سنة200هـ/816م) عاد من رحلة حجه فاتخذ طريقة لباس المشارقة بلبسه الوشي الهشامي في حلقته العلمية بجامع قرطبة، ونتيجة لتميزه بذلك اللباس الغريب طلب منه الأمير عبد الرحمان بن الحكم بتغييره ففعل[1].

وكان كلا من يحي بن يحي الليثي(ت234هـ/849م) وصاحبه عبد الملك بن حبيب(ت238هـ/852م) يتعمدان الظهور بهيئة حسنة تبرز مقامهما؛ حيث كان يحي الليثي يلبس الوشي القطني الرفيع غالي الثمن في الأعياد وعند الدخول على الأمراء، وفي مجالسه العلمية[2] واختار ابن حبيب لباس الخز والسعيدي[3]، وكان ذلك تيمنا بما شاهداه في شيخهما الإمام مالك بن أنس، وكبار أصحابه من بعده بالمدينة.

كما تحدث المقري حول ذلك رغم أن كلامه قصد به زمانه، في أن الأندلسيين قد تركوا العمائم وأن غالبيتهم كانوا حاسري الرأس لا سيما في شرق الأندلس، ولم يلبس العمائم إلا القضاة والفقهاء في غرب البلاد[4]، أما عن لباس نسائهم فكان قريبا من لباس نساء أهل المشرق؛ فغالبية الحرائر الأندلسيات كن يلبسن الحجاب وقد تشددن في ذلك[5].

ب-الغناء والموسيقى:

عرف فن الغناء والموسيقى ازدهارا بالأندلس خلال عصر الإمارة، وقد لعب تواصلهم الثقافي مع المشارقة من خلال الرحلات الحجازية عاملا هاما في رواج هذا الفن وازدهاره[6]، إذ شكل الحجاز بحاضرتيه مكة والمدينة بمثابة مركزين هامين لفن الغناء والموسيقى العريقة بالمشرق[7] خاصة أنه كان لا يتنافى مع القيم والأخلاق، ما جعل كبار علماء المدينة يبيحونه؛ فهذا مفتي

---

[1] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص228.

[2] عياض، المصدر السابق، ج1، ص ص312، 315.

[3] المصدر نفسه، ج1، ص383.

[4] المقري، المصدر السابق، ج1، ص222.

[5] أحمد أمين، المرجع السابق، ج3، ص492.

[6] أحمد ضيف، المرجع السابق، ص20.

[7] سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون، المرجع السابق، ص412-418؛ طه ذو النون، المرجع السابق، ص317.

المدينة عبد الملك بن الماجشون(ت213هـ/828م) كان مولعا بسماع الغناء والمعازف[1]، تذكر لنا الرواية أن أحد الشعراء المهتمين بهذا الفن يدعى ابن سرجون ألقى على مسامع الإمام مالك بن انس شيئا من الغناء:

سلوا مالك المفتي عن الهوى والغناء وحب الحسان المعجبات العوارك

فيفتيكم أني مصيب وإنما أسلي هموم النفس عني بذلك

فهل في محب يكتم الحب والهوى أثامٌ وهل في ضمه المتهالك

فأبدى الإمام مالك سرورا من قوله وضحك، وأفتى بجواز هذا النوع من الغناء[2].

كما انتقل الغناء والموسيقى الحجازية إلى الأندلس بقدوم عدد من المغنيين والقيان وأصبح هذا النوع من الفن الحجازي منتشرا في الأندلس[3]، كمثيلات الجارية العجفاء حملها التجار من المدنية وقدموا بها إلى الأندلس للأمير عبد الرحمان بن معاوية(138-172هـ/756-788م) التي كانت ماهرة في استخدام العود بالغناء لها أبيات تقول فيها:

بيد الذي شغفَ الفُؤاد بكم تفريج ما ألقي من الهمِّ

فاستيقني أن قد كَلفت بكم ثم أفعلي ما شئت عن علم

قد كان صرم في الممات لنا فعجلت قبل الموت بالصرم[4]

وقدم خلال عهد الأمير الحكم بن هشام(180-206هـ/796-822م) مغنيين بارعين من الحجاز يدعيان علون وزرقون[5].

ومع انتشار مظاهر الترف والإسراف لدى حكام بني أمية في الأندلس كما هو الحال عند عبد الرحمان الأوسط(206-238هـ/822-852م) الذي كان منغمسا في ملذاته، مولعا بالجواري وسماع الغناء[6]، فمن صور التباهي لديه أنه أمر ذات مرة جارية من جواريه لبس عقد من الجواهر بلغت قيمته عشرة آلاف دينار، فحاول الحضور من وزرائه وخاصته إنكاره عليه؛ لأن العقد كان

---

[1] عياض، المصدر السابق، ج1، ص210.

[2] المصدر نفسه، ج1، ص127.

[3] أوين رايت، **الموسيقى في الأندلس**، تر عبد الواحد لؤلؤة، ص804.

[4] المقري، المصدر السابق، ج3، ص141.

[5] المصدر نفسه، ج3، ص130.

[6] ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص47.

مدخرا للنائبة، فرد عليهم عبد الرحمان بقوله: "..إن لابِس العقد أنفس خطرًا وأرفع قدرًا وأكرم جوهرًا، وإن راق من هذه الحصباء منظرُها ولطُف إفْرندُها، لقد برأ الله من خلقه البشري جوهرًا تَعشى منه الأبصار وتَتيهُ الألباب، وهل على الأرض من شريف جوهرها وسَنيِّ زَبرجِها ومُستَلَذِّ نعيمها وفاتن بهجتها وأقَرُّ لعينٍ، أو أجمع لزينٍ، من وجه أكمل الله حُسنه، وألقى عليه الجمال بهجته"[1]، ثم طلب من شاعره عبد الله بن الشمر أن يقول شيئا حول الحادثة فأنشأ يقول:

أَتُقرَنُ حصباء اليواقيت والشَّذرِ إلى من تعالى عن سنا الشمس والبدر
إلى من بَرَت قِدْمًا يَدُ خَلقــهُ ولـم يَـكُ شيئًا غـيرُه أحـــدٌ يَـبْـري
فأكرِم به من صيغةِ اللهِ جوهرًا تضــاءلَ عنــه جوهرُ البَـرِّ والبـحـــر
له خلق الرحمانُ ما في سمائهِ وما فـوقَ أرضــه ومَـكَّنَ في الأمـــر[2]

وفي عهده استقدم إلى الأندلس عدد من المغنيات أشهرهن فضل المدنية كانت حاذقة بالغناء، وهي في الأصل جارية لإحدى بنات الخليفة هارون الرشيد، نشأت في بغداد ثم انتقلت إلى المدينة لتعلم الأدب والغناء حتى لمع اسمها بالمدينة المنورة، فاشتراها أحد التجار الأندلسيين رفقة قينات أخريات تمتعن بخصال حميدة مثل الجارية علم، وقلم وكلهن مدنيات بلغن درجة عالية من الأدب والتفنن في الغناء، حملن للأمير عبد الرحمان الأوسط الذي خصص لهن دار بقصره عُرفت بدار المدنيات، فكان أمير الأندلس يؤثرهن ويكرمهن لبراعتهن في الغناء، ولحسن خطهن وروايتهن للشعر وحفظهن للأخبار، وتمتعن بقدر كبير من الحسن والأدب[3]، وسرعان ما أصبحت صنعة الموسيقى والغناء فاشية في عهد عبد الرحمان الأوسط، ذكر أن جليسه الأديب عباس بن فرناس كان يحسن الغناء ويضرب العود ويغني[4]، واستمر الاهتمام بالغناء والقيان فقد اشترى أمير إشبيلية إبراهيم بن حجاج اللخمي(ت298هـ/911م) جارية تعرف بقمر، كانت في غاية الحسن والبهاء أتقنت الشعر والغناء والأدب[5].

---

[1] ابن الأبار، المصدر السابق، ج1، ص116.
[2] المصدر نفسه، ج1، ص117.
[3] المقري، المصدر السابق، ج3، ص140
[4] الزبيدي، المصدر السابق، ص268.
[5] المقري، المصدر نفسه، ج3، ص140.

أدى مسعى بني أمية بالأندلس في جلب أهل الطرب والأدب والمبالغة في إكرامهم، إلى تكوين أول مدرسة للموسيقى لتعلم الغناء على اختلافه من ضروب الألحان، وتعليم الشعر[1]، إضافة إلى انتقال بعض المظاهر الاجتماعية والفنية الأخرى[2].

[1] عبد الكريم العلاف، **الطرب عند العرب**، المكتبة الأهلية، دط، بغداد، 1963/1382، ص55.

[2] العبادي، المرجع السابق، ص113.

الخاتمة

توصّلنا من خلال هذه الدّراسة إلى مجموعة من النّتائج، والتي تدخل في إطار التّواصل الثّقافي بين القطرين المغاربي الأندلسي مع المشرقي الحجازي في سياق عملية التّأثير والتأثّر بين الجانبين، حاولنا تلخيصها في النقاط التالية:

1- ظلّت الأندلس على اتّصال مستمر مع الحجاز، والكثير من البلدان الإسلامية على غرار بلاد المغرب ومصر، واستمر ذلك طوال عصر الإمارة الأموية في الأندلس، ويعود الفضل إلى رحلات الحج والتجارة التي مدّت جسور التواصل وحافظت عليه، فالتجار كانوا يجولون ويتنقلون بين البلدان والأسواق الإسلامية بكل حرية ودون أي قيود، حتى راج هذا النشاط وازدهر، ليساهم في ربط علاقات، وحصول تقارب بين الرحالة الأندلسيين مع إخوانهم الحجازيين اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا.

أما الحج فقد كان أثره واضحًا؛ حيث حركت هذه الشعيرة الإسلامية العظيمة جل رحلات الأندلسيين نحو المشرق على اختلافهم طلبة وعلماء وعباد وتجار، مستفيدين من طرق ومسالك برية وبحرية منظمة في بعض الأحيان كانت تربط الأندلس بالمشرق الإسلامي، ومدفوعين بحماسهم الديني لزيارة مكة والمدينة، ساعدهم ذلك من تجاوز الصعوبات التي كانت تعترضهم في طريقهم إلى الحجاز.

2- من خلال البحث وفي إطار تقصّي التواصل الذي حدث بين الأندلس والحجاز، تبين أن الرحلات كانت تشدّ في اتجاه واحد، فأهل الأندلس هم من رحلوا إلى هناك، أما عن الجانب الآخر فلم تسجل طيلة عصر الإمارة بالأندلس غير رحلة واحدة، متمثلة في شخصية مدنية ليست بالمشهورة، وهو الشمير بن النمير الذي قدم الأندلس ومارس التأديب في عصر الأمير هشام بن عبد الرحمان، على الرغم من وجود إشارات تفيد قدوم مشارقة وحجازيين إلى الأندلس خلال تلك الفترة، ويعزى ذلك في أن التواصل الثقافي كان يحصل معظمه في الحجاز أو في الحواضر العلمية التي كانت تقع على طريقهم إليه، كالقيروان ومصر، الأمر الذي جعل استفادة الأندلسيين أعظم مقارنة بإخوانهم الحجازيين في إطار التبادل الثقافي بين العدوتين.

3- لقد اتّضح لنا أن جميع أطياف المجتمع الأندلسي رحلوا إلى الحج من طلبة وعلماء وتجار وصناع، حتى أن الصبيان وكبار السن أثبتوا حضورهم هناك، وكان المعيار الوحيد والأوحد هو قدرة الشخص على التجهيز للرحلة، كما أنها عمّت كل ربوع الأندلس، فقد رحلوا من قرطبة وإشبيلة وسرقسطة وطليطلة وإلبيرة وبلنسية وغيرها من مدن الأندلس الأخرى، رغم أن عاصمة الدولة قد استأثرت بقسط وافر من الرحلات الحجازية، ويعود سبب ذلك للتجمع السكاني العالي لتلك المدينة الكبيرة، خاصة أنها شكلت قطبا اقتصاديا وثقافيا مهما استقطب الأندلسيين من مختلف مدنها الأخرى؛ لملائمة الجو السائد هناك فاستقروا بها، وتبين لنا أيضا أن رحلة الحج كانت نابعة من إرادة صاحبها، فلم نجد نصوصا تفيد أن الدولة وقفت على العملية غير رحلة واحدة غير مباشرة حدثت في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي.

4- تمثلت أماكن التواصل الثقافي بين الأندلس والحجاز في المساجد ودور العلماء، كالمسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي بالمدينة، إضافة إلى الكثير من المساجد ودور العلم المنتشرة بالحجاز والبلدان القريبة منه، ووسيلة تواصلهم تمثلت في حضور مجالس العلماء والحلق العلمية وكتابة العلم وحفظه، وكذلك المجاورة في الحرم.

5- لم يسجل المؤرخون نشاط الأندلسيين العلمي في الحجاز؛ فلم تخبرنا المصادر سوى عن بعض الإشارات المبعثرة بين تراجم علماء الأندلس، والتي جاءت في الغالب مختصرة، صحيح أن الأندلسيين كانوا يرحلون من أجل تأدية الفريضة وزيارة الأماكن المقدسة مستغلين فترة تواجدهم هناك للسماع من علمائه في إطار علاقة الطالب بأستاذه، غير أن ذلك لم يدم طويلا عندما أصبحت الرحلة يصبوا من ورائها التحصيل العلمي؛ حيث تأخذ إطارا مكانيا وزمنيا أكبر، وتحصّل معرفة كثيرة، خاصة عندما أصبحت الرحلة بمثابة تقليدا علميا لدى أهل الأندلس، فقد سجلت لنا المصادر التاريخية المتخصصة إلى جانب تهافت الطلاب على الحجاز رحلات الكثير من شيوخ الأندلس وعلمائها إلى هناك، الذين شهد لهم المشارقة أنفسهم بتفوقهم العلمي، ما يدفعنا إلى القول أنه كانت للأندلسيين مشاركات فعالة في النشاط العلمي والثقافي بالحجاز خلال تلك الفترة.

6- لقد تبين لنا من خلال الدراسة مدى انتشار ظاهرة التنافس العلمي بين أبناء الأندلس خلال تلك الفترة، فالرّحلة كانت بمثابة معيارا يظهر مستوى صاحبها العلمي، خاصة أنه كان يرافقها في أغلب الأحيان لقاء كبار العلماء والرواية عنهم، وأحيانا أخرى إجازة رواية مصنفاتهم العلمية، كما لم تزد الرحلة من قيمة صاحبها في الأواسط العلمية فحسب بل وضعته في مكانة اجتماعية مرموقة، أكسبته احتراما وتقديرا لدى الناس، وأيضا حتى حكامهم جعلوا منها معيارا لتقلد بعض المناصب الساميّة في دولتهم، ومن صور ذلك رغبتهم وإلحاحهم على أهل الرحل في قبول منصب القضاء كما حصل من الفقيهين زياد شبطون، ويحي بن يحي الليثي من بعده، وليس أدل من ذلك في الحوار الذي سجلته لنا المصادر التاريخية عن الحديث الذي جرى بين عدد من الأندلسيين في طريق عودتهم إلى وطنهم حول المناصب التي يأملون تقلدها عند وصولهم إلى الأندلس.

7- أدى التواصل الثقافي بين الأندلس والحجاز إلى انتقال الكثير من العلوم والمستجدات المشرقية عبر الحجاز ودخولها الأندلس، ومن صور ذلك نقل الكثير من الكتب والروايات المشهورة على غرار موطأ الإمام مالك وكتب الثمانية، وأيضا دخول وسيادة مذهب أهل المدينة الذي حمله جلة من الرحالة الأندلسيين، ثم عمدوا على نشره حتى ساد الأندلس في عصر الإمارة الأموية، كما تسربت بعض العقائد الإسلامية مع حجاج الأندلس،كالفلسفة والمعتزلة، غير أنها لم تعرف انتشارا، نظرًا لتجذر المذهب المالكي في الأندلس والذي سعى إلى إضعاف الفرق والعقائد المخالفة.

8- ساعدت الرحلات الحجازية في نشر علوم أهل الأندلس، عن طريق نقل الكتب والروايات المشهورة لديهم وإدخالها إلى الحجاز، وأحيانا شاركوا بشكل فعال في الحياة العلمية من خلال جلوسهم للتدريس وعقد المناظرات وتأليف الكتب، وقد تعدى ذلك الحجاز إلى بلدان قريبة منه خاصة مصر وإفريقية.

9- ومن نتائج التواصل الثقافي بين الأندلس والحجاز ازدهار الحياة العلمية والفكرية في الأندلس، وتمثل ذلك في الانتشار الواسع للعلوم الشرعية سيما الفقه والحديث، ثم عمّت بقية العلوم الأخرى كاللغة والأدب والتاريخ وغيرها، مع بروز علماء أعلام بلغت شهرتهم

الأندلس وخارجها مثل الفقيه يحي بن يحي الليثي، والعالم الموسوعي عبد الملك بن حبيب والمحدث محمد بن وضاح وعلامة بقي بن مخلد وغيرهم.

كما بدأ يظهر روح الإبداع والنضج في إنتاجهم العلمي، الذي انعكس من خلال مؤلفاتهم كما ونوعا، فقد جادت أيدي الأندلسيين بمؤلفات كثيرة مسّت مختلف الحقول العلمية على غرار رواية يحي بن يحي الليثي للموطأ، وكتاب المسند الكبير لبقي بن مخلد وهو مؤلف هام في الحديث، بالإضافة إلى ظهور علماء الموسوعين في مجالات عدّة، واستمروا في رقيّهم العلمي طيلة عصر الإمارة الأمويّة.

الملاحق

- **ما قيل في الموطأ من الشعر**
- **جدول يظهر أبرز الثّورات التي ظهرت في عهد عبد الرحمان الداخل**
- **جدول حكام الأندلس خلال عصر الإمارة**
- **العلماء الأندلسيون الذين رحلوا إلى الحجاز خلال عصر الإمارة**
- **خريطة تظهر مدن وحواضر الأندلس**
- **خريطة طرق الرحلات إلى الحجاز**
- **خريطة تظهر موقع الحجاز وأهم مدنه**

الملحق رقم(01): ما قيل في الموطأ من الشعر

قول سعدون الورجيني[1]:

أقـــول لمـــن يـــروي الحـــديث ويكتـــب ... ويســـلك ســـبيل الفقـــه فيـــه ويطلـــب
إن أحببـــت أن تـــدعى لـــدى الخلـــق عالمـــا ... فـــلا تعـــدُ مـــاتحوي مـــن العلـــم يثـــرب
أتتـــــرك دارا كـــــان بـــــين بيوتهـــــا ... يـــــروح ويغـــــدو جبرئيـــــل المغـــــرب
ومـــــات رســـــول الله فيهـــــا وبعـــــده ... بســـــنّته أصـــــحابه قـــــد تـــــأدبوا
وفـــرق شـــمل العلـــم فـــي تـــآليفهم ... وكـــل امـــرئ مـــنهم لـــه فيـــه مـــذهب
فخلصـــه بالســـبك للنـــاس مالـــك ... ومنـــه صـــحيح فـــي المجـــسّ وأجـــدب
فـــــأبرى بتصـــــحيح الروايـــــة داءه ... وتصـــــحيحها فيـــــه داء مجـــــرب
ولـــو لـــم يلـــح نـــور الموطـــا لمـــن يـــرى ...بليـــل عمـــاه مـــا درى أيـــن يـــذهب
فبـــادر موطـــأ مالـــك قبـــل فوتـــه ... فمـــا بعـــده إن مـــات للخلـــق مطلـــب
ودع للموطـــأ كـــل علـــم تريـــده ... فـــإن الموطـــأ الشـــمس والغيـــر كوكـــب
هـــو الأصـــل طـــاب الفـــرع منـــه لطيبـــه ... ولـــم لا يطيـــب الفـــرع فالأصـــل طيـــب
هـــو العلـــم عنـــد الله بعـــد كتابـــه ... وفيـــه لســـان الصـــدق بـــالحق معـــرب
لقـــد أعربـــت آثـــاره ببيانهـــا ... فلـــيس لهـــا فـــي العـــالمين مكـــذّب
وممـــا بـــه أهـــل الحجـــاز تفـــاخروا ... بـــأن الموطـــأ فـــي العـــراق محبـــب
ومـــن لـــم تكـــن كتـــب الموطـــأ ببيتـــه ... فـــذاك مـــن التوفيـــق بيـــت مخيّـــب
فيعجـــب منـــه إذ عـــلا فـــي حياتـــه ... تعاليـــه مـــن بعـــد المنيـــة أعجـــب
جـــزا الله عنـــا فـــي الموطـــأ مالكـــا ... بأفضـــل مـــا يجـــزي اللبيـــب المهـــذب
لقـــد أحســـن التحصـــيل فـــي كـــل مـــا روى ... كـــذا فعـــل مـــن يخشـــى الأحـــدّ ويرهـــب
لقـــد فـــاق أهـــل العلـــم حيّـــا وميّتـــا ... فأضـــحت بـــه الأمثـــال فـــي النـــاس تضـــرب
ومـــا فـــاقهم إلا بتقـــوى وخشـــية ... وإذ كـــان يرضـــى فـــي الإلـــه ويغضـــب
فـــلا زال يســـقي قبـــرَه كـــلَّ عـــارضٍ ... بمنـــدفق ظلـــت غراليـــه تســـكب
وتســـقى قبـــورا حولـــه دون ســـقيه ... فيصـــبح فيهـــا بينهـــا وهـــو معشـــب
ومـــا بـــي بخـــلٌ إن تســـقى كسقيـــه .... ولكـــن حـــق العلـــم أولـــى وأوجـــب

[1] عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص104.

الملحق رقم(02): جدول يظهر أبرز الثّورات التي ظهرت في عهد عبد الرحمان الداخل

م	اسم الثائر	مكان خروجه وتمدده	سنة ظهوره	المصدر
01	يوسف بن حبيب والصميل بن حاتم	إلبيرة، قرطبة	(139هـ/757م)	ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص48.
02	يوسف بن حبيب	إشبيلية	(141-142هـ/759-760م)	ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص49، مجهول، أخبار مجموعة، ص88-92.
03	القاسم بن يوسف ورزق بن نعمان الغساني	إشبيلية	(144هـ/762م)	مجهول، المصدر السابق، ص92.
04	عبد الغافر اليماني	قرطبة	(144هـ/761م)	ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص50-55.
05	حيويه بن ملامس الحضرمي	إستجة، إشبيلية، ومناطق أخرى في الغرب	(144هـ/761م)	ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص51.
06	هشام بن عروة الفهري	طليطلة	(145-146هـ/762-763)	ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص53؛

				مجهول، المصدر السابق، ص92-95.
07	العلاء بن مغيث اليحصبي	باجة	(146هـ/765م)	ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص51، مجهول، المصدر السابق، ص93-95، ابن خلدون، التاريخ، ج4، ص157.
08	سعيد اليحصبي المطري	لبلة، إشبيلية	(149هـ/766م)	ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص53؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص157.
09	أبو الصباح بن يحيى اليحصبي	إشبيلية	(147هـ/764م)	مجهول، المصدر السابق، ص ص96، 97.
10	شقنا أو شقيا بن عبد الواحد البربري	في شمال شرقي وغربي الأندلس	(150-160هـ/769-777م)	ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص54، مجهول، المصدر السابق، ص97، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص158.
11	سليمان بن يقضان	سرقسطة	(158هـ/775م)	مجهول، المصدر

	الكلبي، والحسين بن يحيى الأنصاري			السابق، ص ص103، 104.
12	عبد الرحمان بن حبيب الفهري	تدمير	(161-163هـ/778-781م)	ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص56، ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص158.
13	إبراهيم بن شجرة	حصن مورور	(162هـ/779م)	ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص56.
14	القائد السلمي	طليطلة	/	مجهول، المصدر السابق، ص ص101، 102.
15	الرماحس بن عبد العزيز الكناني	الجزيرة الخضراء	(163-164هـ/779-780م)	مجهول، المصدر السابق، ص102.
16	عبد الرحمان الحسين بن يحيى الأنصاري	سرقسطة	(165-167هـ/781-783م)	ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص ص56، 57.
17	محمد بن يوسف الفهري، وأبو القاسم بن يوسف	طليطلة	(168-170هـ/784-786م)	مجهول، المصدر السابق، ص105؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص57.

الملحق رقم(03): جدول حكام الأندلس خلال عصر الإمارة[1]

م	الأمير الأموي	مدة حكمه
01	عبد الرحمان بن معاوية (الداخل)	(138-172هـ/756-788م)
02	هشام بن عبد الرحمان (الرضا)	(172-180هـ/789-796م)
03	الحكم بن هشام (الربضي)	(180-206هـ/796-822م)
07	عبد الرحمان بن الحكم (الأوسط)	(206-238هـ/822-852م)
05	محمد بن عبد الرحمان	(238-273هـ/852-886م)
06	المنذر بن محمد	(273-275هـ/886-888م)
07	عبد الله بن محمد	(275-300هـ/888-912م)
08	عبد الرحمان بن محمد(الناصر)[2]	(300-350هـ/912-961م)

[1] الجدول من إعداد الباحث.

[2] حكم عبد الرحمان الناصر في عصر الإمارة الأموية من سنة(300-316هـ/912-928م).

الملحق رقم(04): العلماء الأندلسيون الذين رحلوا إلى الحجاز خلال عصر الإمارة

1- الأندلسيون الذين كانت لهم رحلة إلى الحجاز وعاشوا خلال عصر الإمارة الأموية

م	أسماء المرتحلين	الموطن	تاريخ الوفاة	سنة الرحلة	دوافع الرحلة	المناطق التي رحلوا إليها	المصدر
01	معاوية بن صالح الحضرميّ	قرطبة أصله من حمص	158هـ 775م	155هـ 772م	الحج والتجارة	الحجاز	الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص158-162. الحميدي، جذوة المقتبس، ص500-504.
02	سعيد بن أبي هند	طليطلة	القرن: (2هـ/8م)	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص288. الحميدي، الجذوة، ص339. عياض، ترتيب المدارك،ج1، ص203.
03	سعيد بن عبدوس (الجُدَيّ)	طليطلة	180هـ 797م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز	الحميدي، الجذوة، ص334. عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص199.
04	حسين بن عاصم بن بن علقمة (العريان)	قرطبة	180هـ 796م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص380. الخشني، أخبار الفقهاء والمحدثين، ص73.
05	محمد بن إبراهيم بن مزين	أكشونة تقع غرب الأندلس	189هـ 805م	القرن: (2هـ/8م)	الحج	الحجاز	المقري، نفح الطيب، ج2، ص514.

06	يحيى بن مضر القيسي	قرطبة	189هـ 805م أو 190هـ 806م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ ، ج2، ص ص895، 896. الحميدي، الجذوة، ص561. عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص204. الخشني، أخبار الفقهاء، ص ص347، 348.
07	الفضل بن عميرة	تدمير	197هـ 813م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص393
08	محمد بن بشير القاضي	طليطلة أصله من باجة	198هـ 814م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص286-293. المقري، نفح الطيب، ج2، ص143.
09	الغازي بن قيس	قرطبة	199هـ 815م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز العراق الشام	الخشني، أخبار الفقهاء، ص291. عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص199، 200. الحميدي، الجذوة، ص475. ابن فرحون، الديباج، 314.
10	عبد الرحمان بن أبي هند	طليطلة	200هـ 816م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ ، ج1، ص 437. الحميدي، الجذوة، ص402.

11	حفص بن عبد السلام السلمي	سرقسطة	200هـ 816م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص215. الحميدي، الجذوة، ص283. عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص295.
12	عبد الرحمان بن دينار بن واقد الغافقي	قرطبة	201هـ 817م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز المشرق	ابن الفرضي، التاريخ ، ج1، ص438. الخشني، أخبار الفقهاء، ص239. عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص372.
13	زيد بن الحُباب بن الرَّيان العُكلي	قرطبة أصله من الكوفة	203هـ 819م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز مصر خراسان	الحميدي، الجذوة، ص315-317.
14	زياد بن عبد الرحمان اللخمي شبطون	قرطبة	199هـ 815م أو203هـ 819م أو204هـ 820م أو209هـ 824م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص279. الخشني، اخبار الفقهاء، ص95-98. عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص200. الحميدي، الجذوة، ص313. ابن فرحون، الديباج المذهب، ص193
15	حبيب بن الوليد المعروف بدحون	قرطبة	توفي بعد 200هـ 816م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز الشام	المقري، نفح الطيب، ج2، ص502.

16	طالوت بن عبد الجبار	قرطبة	/	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	المقري، نفح الطيب، ج2، ص639.
17	شبطون بن عبد الله	طليطلة	212هـ 827م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص348.
18	عيسى بن دينار بن واقد الغافقي	قرطبة أصله من طليطلة	212هـ 827م	185هـ 801م	الحج والعلم	الحجاز مصر	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص373. الخشني، أخبار الفقهاء، ص270. ابن فرحون، الديباج، ص279. الحميدي، الجذوة، ص433.
19	عبد الرحمان بن موسى الهواري	إستجة	/	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز مصر العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص439. الخشني، أخبار الفقهاء، ص234. عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص294.
20	حامل بن أخطل	ألبيرة	/	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	الخشني، أخبار الفقهاء، ص77.
21	عبد الرحمان بن عبيد الله الأشبوني	قرطبة أصله من لشبونة	/	القرن: (2هـ/8م)	العلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص438. الخشني، أخبار الفقهاء، ص240.
22	قرعوس بن العباس	قرطبة	220هـ 835م	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص621.

23	محمد بن خالد الأشج ابن مرتنيل	قرطبة	220هـ 835م أو224هـ 839م	القرن: (2هـ/8م)	العلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص632. الخشني، أخبار الفقهاء، ص111. الحميدي، الجذوة، ص81. ابن فرحون، الديباج، ص330.
24	محمد بن عيسى الأعشى	قرطبة	222هـ 837م	القرن: (2هـ/8م)	العلم	الحجاز مصر العراق	الخشني، أخبار الفقهاء، ص113.
25	محمد بن يحيى السَّبي ابن غازية	/	/	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص629.
26	محمد بن عبد الله المِطامطي	/	/	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص631.
27	مسلمة بن سليمان	قرطبة	/	القرن: (2هـ/8م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص822.
28	الحارث بن سعيد	قرطبة	221هـ 836م أو222هـ 837م	القرن: (2هـ/8م)	العلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص194
29	عبد الملك بن بن محمد بن زريق (زونان)	قرطبة	232هـ 847م	القرن: (2هـ/8م)	العلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص458.

30	يحيى بن يحيى بن كثير الليثي	قرطبة	234هـ 849م	179هـ 795م	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص898. الخشني، أخبار الفقهاء، ص348. عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص310. ابن فرحون، الديباج، ص431. الحميدي، الجذوة، ص566.
31	سعيد بن حسان الصائغ	قرطبة	236هـ 850م	177هـ 793م وأيضا 197هـ 813م	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ ، ج1، ص290. الخشني، أخبار الفقهاء، ص317. الحميدي، الجذوة، ص330.
32	عبد الملك بن حبيب السُّلمي	قرطبة أصله من ألبيرة	238هـ 852م أو239هـ 853م	210هـ 825م	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص459. عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص381. ابن فرحون، الديباج، ص252. الحميدي، الجذوة، ص407. الذهبي، الأعلام، ج12، ص102.
33	إبراهيم بن حسين بن خالد	قرطبة	249هـ 863م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص33.

34	عبد الرحمان بن إبراهيم بن عيسى بن بُرير	قرطبة	258هـ 872م أو 259هـ 873م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص441. عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص452. ابن فرحون، الديباج، ص241.
35	أبان بن عيسى بن دينار	قرطبة أصله من جيان	258هـ 872م	القرن: (3هـ/9م)	العلم	الحجاز إفريقية	الخشني، أخبار الفقهاء، ص40.
36	يحيى بن إبراهيم بن مُزين	قرطبة أصله من طليطلة	259هـ 873م	القرن: (3هـ/9م)	العلم	الحجاز مصر العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص901. الخشني، أخبار الفقهاء، ص370. عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص441. ابن فرحون، الديباج، ص436. الحميدي، الجذوة، ص552.
37	محمد بن الحارث بن سعيد	قرطبة	260هـ 874م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص454.
38	عبد الله بن زرقون المرادي	سرقسطة	/	القرن: (3هـ/9م)	العلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص371.

39	عبد الأعلى بن وهب بن عبد الأعلى	قرطبة أصله من فحص البلوط	261هـ 875م	القرن: (3هـ/9م)	العلم	الحجاز مصر إفريقية	ابن الفرضي، التاريخ ، ج1، ص474. الخشني، أخبار الفقهاء، ص258. عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص445. الحميدي، الجذوة، ص419.
40	محمد بن يوسف بن مطروح	قرطبة	271هـ 884م	القرن: (3هـ/9م)	العلم	الحجاز إفريقية مصر	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص447.
41	يحيى بن قاسم بن هلال	قرطبة	272هـ 885م أو 278هـ 891م	القرن: (3هـ/9م)	العلم	الحجاز إفريقية	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص904.
42	سعيد بن يحيى بن إبراهيم بن مزين	/	273هـ 886م أو 276هـ 889م	القرن: (3هـ/9م)	الحج العلم	الحجاز	ابن فرضي، التاريخ، ج1، ص292.
43	أصبغ بن خليل	قرطبة	276هـ 889م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز إفريقية مصر	ابن فرضي، التاريخ، ج1، ص150
44	بقي بن مخلد	قرطبة	276هـ 889م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر إفريقية العراق الشام خراسان	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص169. الخشني، أخبار الفقهاء، ص49. الحميدي، الجذوة، ص251.

45	محمد بن القاسم بن لبيب التدميري	قرطبة	276هـ 889م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز	الخشني، أخبار الفقهاء، ص138.
46	قاسم بن محمد بن سيار	قرطبة	277هـ 890م أو 278هـ 891م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن فرضي، التاريخ، ج2، ص597. المقري، نفح الطيب، ج2، ص50.
47	مطرف بن عبد الرحمان بن قيس	قرطبة	282هـ 895م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر إفريقية	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص833.
48	عمر بن مغيث بن أبي مغيث	طليطلة	285هـ 898م	القرن: (3هـ/9م)	الحج	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص542.
49	عبد الله بن مسرة	قرطبة	286هـ 899م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم والتجارة	الحجاز العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص376.
50	محمد بن عبد السلام بن ثعلبة الخشني	قرطبة	286هـ 899م	قبل سنة 240هـ 854م	الحج والعلم	الحجاز مصر العراق الشام	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص648. الخشني، أخبار الفقهاء، ص132. الحميدي، الجذوة، ص107.

51	محمد بن وضَّاح بن بزيغ	قرطبة	287هـ 900م	218هـ 833م	الحج والعلم	الحجاز مصر إفريقية فلسطين الشام العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص650. الخشني، أخبار الفقهاء، ص122. ابن فرحون، الديباج، ص338.
52	محمد بن أسامة الحجري	سرقسطة	287هـ 900م	/	الحج والعلم	الحجاز إفريقية	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص653.
53	إبراهيم بن نصر الجهني ابن أبرول	سرقسطة أصله من قرطبة	287هـ 900م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص40.
54	يوسف بن يحيى المُغامي	قرطبة أصله من طليطلة	288هـ 901م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر القيروان اليمن	الخشني، أخبار الفقهاء، ص382. ابن فرحون، الديباج، ص438.
55	يحيى بن عبد العزيز الخراز	قرطبة	/	252هـ 866م	الحج والعلم	الحجاز مصر	الخشني، أخبار الفقهاء، ص374.
56	يحيى بن عمر الكناني	/	289هـ 902م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر إفريقية	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص906. الذهبي، الأعلام، ج13، ص462.
57	محمد بن يحيى الليثي	قرطبة	/	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر إفريقية	المقري، نفح الطيب، ج2، ص149.

58	محمد بن حفص الرعيني ابن الرقاع	قرطبة	290هـ 903م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز إفريقية مصر اليمن	الخشني، أخبار الفقهاء، ص155.
59	وسيم بن سعدون	طليطلة	/	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ ، ج2، ص881. الخشني، أخبار الفقهاء، ص345.
60	قاسم بن عبد الواحد العِجلي	قرطبة	293هـ 906هـ أو 294هـ 907م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز، العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص601.
61	عبد الرحمان بن الفضل العتقي	تدمير	294هـ 907م	القرن: (3هـ/9م)	الحج	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص445. الخشني، أخبار الفقهاء، ص243.
62	عبد الله بن مسعود	طليطلة	/	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز إفريقية مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص373.
63	مسلم بن أحمد بن أبي عبيدة صاحب القبلة	قرطبة	295هـ 907م	259هـ 873م	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص819.
64	حامد بن أبي صلة	أشونة	/	القرن: (3هـ/9م)	الحج	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص195.
65	يحيى بن زكريا بن يحيى ابن الشامة	قرطبة	295هـ 908م أو 298هـ 911م	290هـ 903م	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص909.

66	يحيى بن عبد العزيز ابن الخراز	قرطبة	295هـ 908م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر القيروان	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص907.
67	محمد بن عبد الجبار	قرطبة	296هـ 909م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص660.
68	حمدون بن أبي الغصن	إلبيرة	297هـ 909م	القرن: (3هـ/9م)	الحج، العلم	الحجاز إفريقية	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص224
69	عبيد الله بن يحيى الليثي	قرطبة	298هـ 910م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والتجارة	الحجاز مصر العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص429.
70	كليب بن محمد بن عبد الكريم	طليطلة	300هـ 912م	291هـ 904م	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص623. الخشني، أخبار الفقهاء، ص107.
71	الخضر بن شامخ	/	300هـ 912م	292هـ 905م	الحج والعلم	الحجاز إفريقية مصر	الخشني، أخبار الفقهاء، ص85.
72	عبد السلام بن محمد بن عقبة	جيَّان	300هـ 912م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص488.
73	إبراهيم بن موسى بن جميل	تدمير	300هـ 912م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص42.
74	عبد الله بن وهب	طليطلة	301هـ 913م أو302هـ 915م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص381.

75	خالد بن وهب بن الصغير التيمي	قرطبة	302هـ 914م	القرن: (3هـ/9م)	الحج	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص238.
76	عبد الله بن عبد السلام ابن قلمون	قرطبة	302هـ 914م أو 308هـ 920م	القرن: (3هـ/9م)	الحج	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص371.
77	يحيى بن عبيد الله بن يحيى الليثي	قرطبة	303هـ 915م	/	الحج	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص910.
78	أحمد بن بَيطر	قرطبة	303هـ 915م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص69.
79	مفرج بن حماد بن الحسين بن المفرج	قرطبة	بداية القرن 4هـ/10م	القرن: (3هـ/9م)	الحج	الحجاز	المقري، نفح الطيب، ج2، ص643.
80	عبد الملك بن محمد بن بكر السعدي	قرطبة أصله من طليطلة	303هـ 915م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز إفريقية مصر العراق	ابن فرحون، الديباج، ص256.
81	محمد بن إبراهيم بن حيُّون (حنُّون)	وادي الحجارة	305هـ 917م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز إفريقية مصر العراق اليمن	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص666. الضبي، بغية الملتمس، ج1، ص79.

82	محمد بن أحمد بن سلام ابن الزَّرّاد	قرطبة	304هـ 916م أو305هـ 917م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص666.
83	غالب بن سلام	إلبيرة	/	/	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص580.
84	طاهر بن عبد العزيز الرعيني	قرطبة	305هـ 917م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز اليمن	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص358.
85	قاسم بن عبد العزيز	قرطبة	/	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص604.
86	عمران بن عثمان بن يونس	طليطلة	307هـ 919م أو317هـ 929م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص551.
87	محمد بن عبد الله الخولاني ابن القون	إشبيلية أصله من باجة	308هـ 920م	266هـ 879م	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص 673. المقري، نفح الطيب، ج2، ص243.
88	إسحاق بن إبراهيم النصري	قرطبة	311م 923م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص142.
89	قاسم بن أحمد بن جَحدر	طليطلة	311م 923م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر اليمن	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص604.
90	سبرة بن مذكر	ألبيرة	312هـ 924م	/	الحج	الحجاز	الخشني، أخبار الفقهاء، ص332.

91	قاسم بن عساكر	قرطبة	/	312هـ 924م	الحج والعلم	الحجاز المشرق	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص609.
92	أحمد بن عمرو بن منصور ابن عمريل	ألبيرة	312هـ 924م	/	الحج والعلم	الحجاز مصر	الذهبي، الأعلام، ج14، ص569.
93	أحمد بن موسى بن أسود	لشبونة	313هـ 925م	311هـ 923م	الحج	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص85.
94	ثابت بن حزم عبد الرحمان بن يحيى العوفي	سرقسطة	313هـ 925م أو314هـ 926م	288هـ 901م	الحج والعلم	الحجاز مصر العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص184. الخشني، أخبار الفقهاء، ص67. ابن فرحون، الديباج، ص168.
95	داود بن هذيل بن منان	طليطلة	315هـ 927م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص259.
96	يحيى بن يحيى ابن السمينة	قرطبة	315هـ 927م	/	الحج والعلم	الحجاز المشرق	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص913.
97	مسعود بن علي بن مروان	بجانّة	/	القرن: (3هـ/9م)	الحج والتجارة	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص827.

2- المرتحلين الأندلسيين إلى الحجاز الذين توفوا بعد عصر الإمارة الأموية:

م	أسماء المرتحلين	الموطن	تاريخ الوفاة	سنة الرحلة	دوافع الرحلة	المناطق التي ارتحلوا إليها	المصدر

98	محمد بن يزيد بن خالد	بجانة	317هـ 929م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز مصر	الخشني، أخبار الفقهاء، ص ص161، 162.
99	منتيل بن عفيف	الثغر	317هـ 929م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز افريقية مصر اليمن	الخشني، أخبار الفقهاء، ص201. الحميدي، الجذوة، ص524.
100	حسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي	إشبيلية	318هـ 930م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص200. ابن فرحون، الديباج، ص171.
101	عبد الله بن محمد بن حنين	قرطبة	318هـ 930م	/	الحج والعلم	الحجاز إفريقية مصر	الخشني، أخبار الفقهاء، ص228.
102	عيسى بن أيوب بن لبيب بن مُطرِّف الغسَّاني	إلبيرة	319هـ 931م	القرن: (3هـ/9م)	العلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص558. الحميدي، الجذوة، ص433.
103	محمد بن عبد الله بن مسرة	قرطبة	319هـ 931م	القرن: (3هـ/9م)	الحج	الحجاز المشرق	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص687.
104	الفضل بن سلمة الجهني	بجانة	319هـ 931م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز إفريقية	الخشني، أخبار الفقهاء، ص297.
105	أسلم بن عبد العزيز بن هاشم	قرطبة	319هـ 931م	260هـ 873م	الحج والعلم	الحجاز إفريقية مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص167.
106	محمد بن فطيس بن واصل	إلبيرة	319هـ 931م	257هـ 871م	الحج والعلم	الحجاز إفريقية طرابلس	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص689. ابن فرحون، الديباج،

	الغافقي					مصر العراق	ص344.
107	موهب بن عبد القادر بن موهب	باجة	/	القرن: 4هـ/10م	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص862.
108	عمر بن عبد الخالق	أهل الجزيرة	320هـ 932م	القرن: 4هـ/10م	الحج والعلم	الحجاز المشرق	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص544.
109	أحمد بن ذي القرنين بن لبيري	إلبيرة	320هـ 932م	/	الحج	الحجاز	الخشني، أخبار الفقهاء، ص26
110	أحمد بن خالد بن يزيد الجباب	قرطبة	322هـ 932م	القرن: (3هـ/9م)	الحج والعلم	الحجاز إفريقية مصر اليمن	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص76. الخشني، أخبار الفقهاء، ص17. الذهبي، الأعلام ، ج15، ص240.
111	محمد بن زكرياء بن محمد	قرطبة	322هـ 932م	274هـ 887م	الحج والعلم	الحجاز العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص692.
112	أحمد بن سعيد بن ميسرة المغافري	طرطوشة	322هـ 932م	القرن: 3هـ/10م	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص75.
113	عبد الوهاب بن عباس بن ناصح الثقفي	جزيرة خضراء	323هـ 933م	القرن: 4هـ/10م	الحج والعلم	الحجاز مصر العراق	عياض، ترتيب المدارك، ج1، ص458.
114	محمد بن مسور بن	قرطبة	325هـ 937م	268هـ	الحج	الحجاز	ابن فرحون، الديباج، ص408.

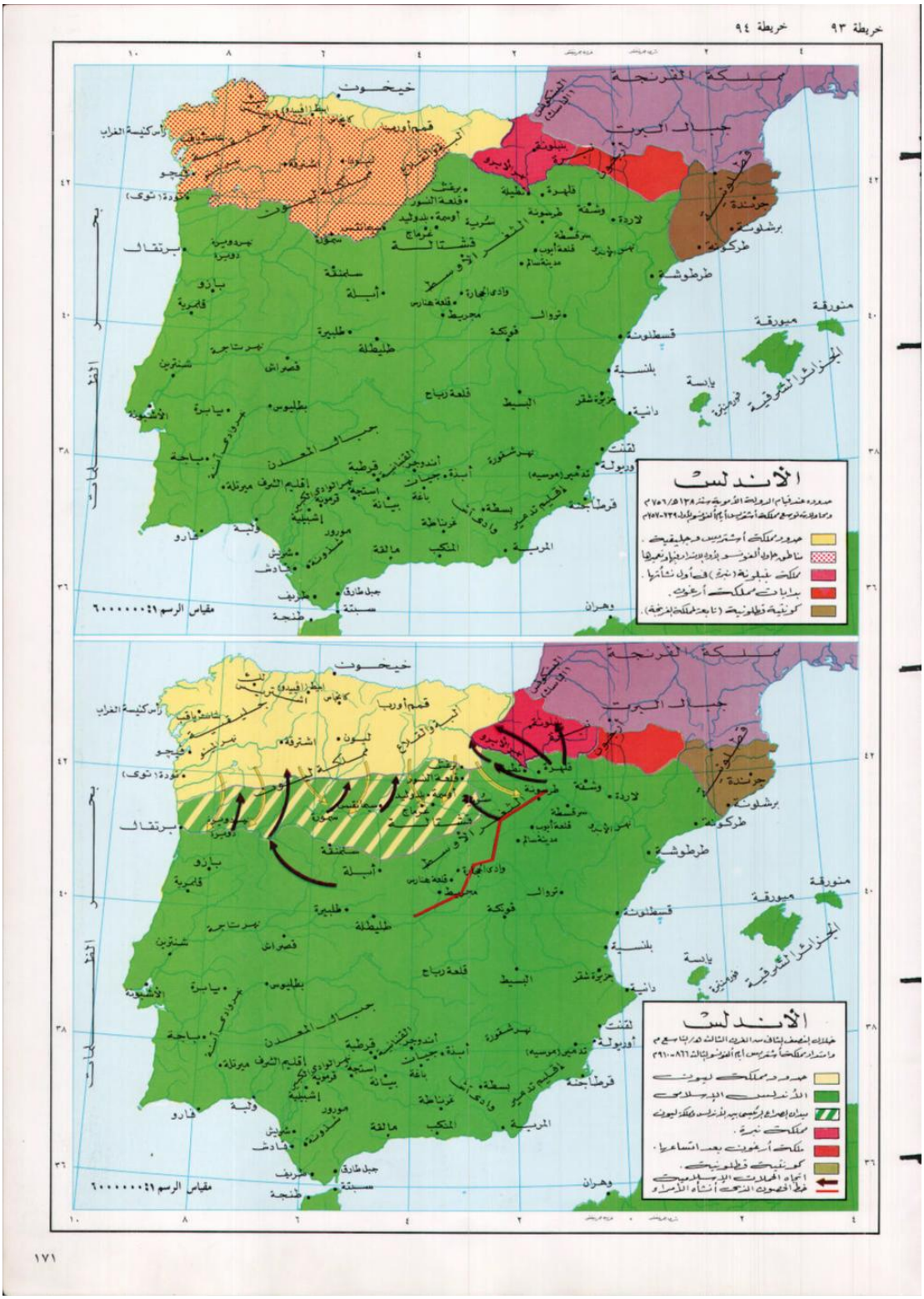
	عمر			881م	والعلم		
115	عثمان بن عبد الرحمان بن بُريد	قرطبة	325هـ 937م	القرن: 4هـ/10م	الحج	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص516
116	أحمد بن محمد بن سعيد بن موسى بن جدير	قرطبة	327هـ 939م	275هـ 888م	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص87.
117	محمد بن أصبغ بن لبيب	إستجة	327هـ 939م أو328هـ 940م	القرن: 4هـ/10م	الحج	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص702.
118	محمد بن إبراهيم بن عيسى الكُتَّاني	قرطبة	328هـ 939م	القرن: 4هـ/10م	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص700.
119	محمد بن إبراهيم بن عيسى الكتَّاني	قرطبة	328هـ 939م	/	الحج	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص700.
120	سليمان بن قريش بن سليمان	ماردة	(329هـ/ 940م)	(284هـ/ 897م)	الحج والعلم	الحجاز اليمن	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص340. الخشني، أخبار الفقهاء، ص333.
121	محمد بن قاسم	قرطبة	329هـ 940م	294هـ 906م	الحج، العلم	الحجاز إفريقية مصر العراق اليمن	الخشني، أخبار الفقهاء، ص171. الحميدي، الجذوة، ص130. الذهبي، الأعلام، ج15،

							ص254.
122	محمد بن عبد الملك بن أيمن بن مفرج	قرطبة	330هـ 941م	274هـ 887م	الحج والعلم	الحجاز إفريقية مصر العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص704. الحميدي، الجذوة، ص106.
123	أحمد بن عبادة بن علكدة	قرطبة	332هـ 943م	311هـ 923م	الحج والعلم	الحجاز إفريقية مصر العراق الشام بيت المقدس	الخشني، أخبار الفقهاء، ص25.
124	محمد بن فتح	وادي الحجارة	/	القرن: 4هـ/10م	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص738.
125	عبد الله بن الطفيل المعلم	قرطبة	/	القرن: 3هـ/9م	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص384.
126	حسن بن سعيد بن إدريس بن رزين	قرطبة	332هـ 943م	القرن: 3هـ/9م	الحج، العلم	الحجاز مصر اليمن	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص201.
127	عبد الرحمان بن محمد الصفواني	قرطبة	335هـ 946م	304هـ 916م	الحج العلم التجارة	الحجاز العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص446. الخشني، أخبار الفقهاء، ص242.
128	فضل الله بن سعيد الكرني	قرطبة	335هـ 947م	القرن: 4هـ/10م	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص595.
129	عبد الرحمان بن محمد الأموي	قرطبة	335هـ 947م	304هـ 916م	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص446.

130	محمد بن عيسى بن رفاعة ابن القلاس	رية	337هـ 949م	283هـ 896م	الحج، العلم	الحجاز افريقية مصر	الخشني، أخبار الفقهاء، ص176.
131	زكريا بن خطاب بن إسماعيل بن حزم الكلبي	تطيلة	337هـ 949م	293هـ 906م	الحج والعلم	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص270.
132	إسماعيل بن عمر بن ناصح المخزومي	قرطبة	338هـ 950م	القرن: 4هـ/10م	الحج	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص132.
133	محمد بن عبد الله بن يحيى بن أبي عيسى	إلبيرة	339هـ 951م	312م 924م	الحج والعلم	الحجاز إفريقية مصر	ابن فرحون، الديباج، ص361. الخشني، قضاة قرطبة، ص233.
134	أحمد بن واضح	بجانة	339هـ 951م	القرن: 4هـ/10م	الحج والتجارة	الحجاز العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص94. الخشني، أخبار الفقهاء، ص ص26، 27.
135	قاسم بن أصبغ البياني	قرطبة أصله من بيانة	340هـ 952م	القرن: 3هـ/9م	الحج، العلم	الحجاز مصر العراق	الحميدي، الجذوة، ص486. ابن فرحون، الديباج، ص321.
136	قاسم بن أصبغ الحجري	إشبيلية	/	القرن: 3هـ/9م	الحج العلم التجارة	الحجاز العراق	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص608.
137	محمد بن	وادي	/	رحل في بداية	الحج	الحجاز	ابن الفرضي، التاريخ،

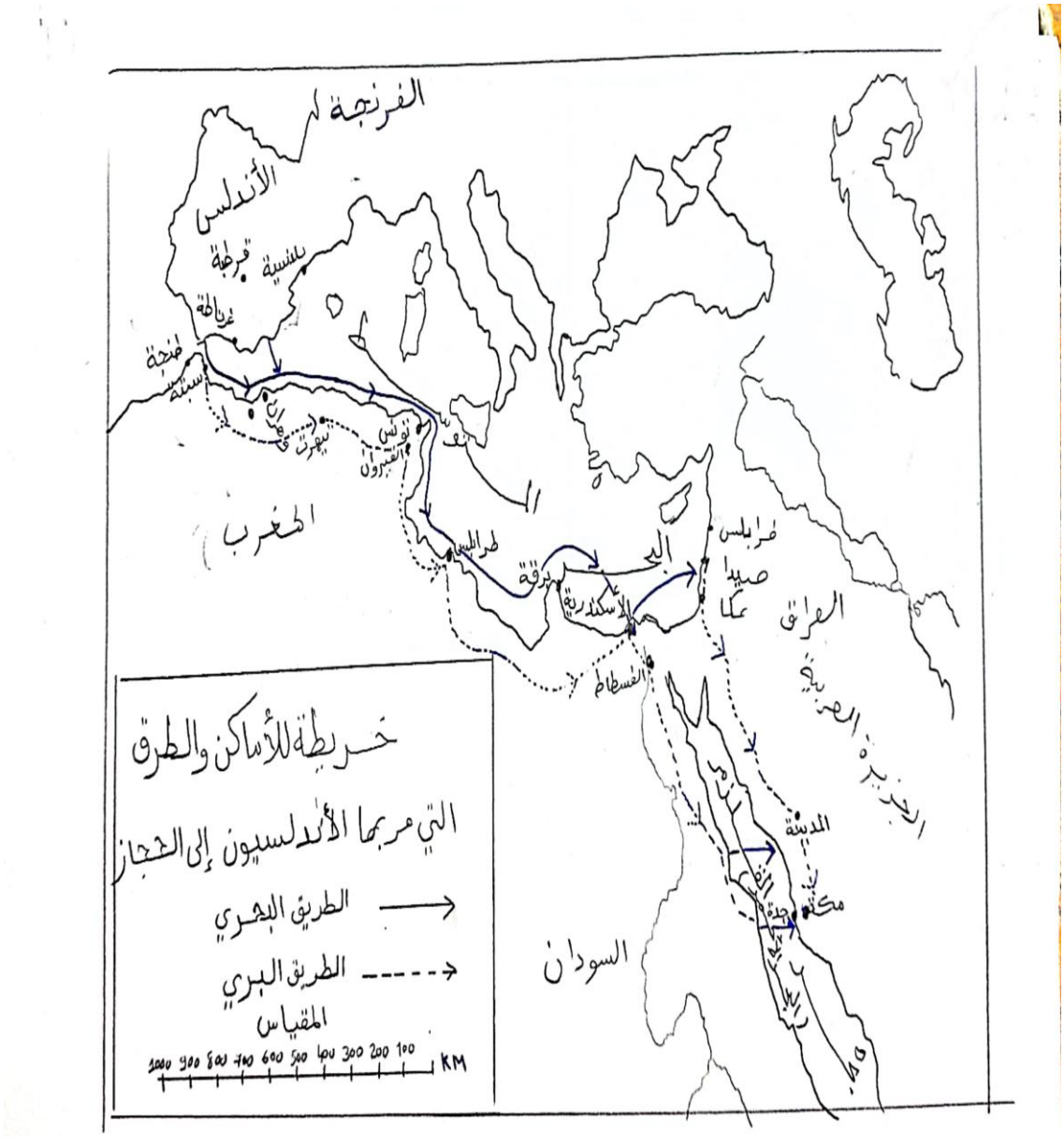
	فتح	الحجارة		القرن: 4هـ/10م	والعلم		ج2، ص738.
138	عبد السلام بن يزيد اللخمي	إشبيلية	توفي قبل: 350هـ 961م	القرن: 3هـ/9م	الحج، العلم	الحجاز اليمن	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص489.
139	منذر بن سعيد بن عبد الله البلوطي	قرطبة	355هـ 966م	308هـ 920م	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص845. المقري، نفح الطيب، ج2، ص21.
140	محمد بن معاوية الأموي	قرطبة	356هـ 967م أو 358هـ 969م	295هـ 908م	الحج، العلم، التجارة	الحجاز مصر العراق الهند	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص733. الحميدي، الجذوة، ص133. ابن فرحون، الديباج، ص404.
141	يحيى بن مجاهد بن عوانة	قرطبة	366هـ 977م	القرن: 4هـ/10م	الحج والعلم	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص918.
142	مسعود بن خيران	بجانَّة	371هـ 981م	القرن: 4هـ/10م	الحج والتجارة	الحجاز مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج2، ص827.
143	حباشة بن حسن اليُحصبي	قرطبة أصله من القيروان	374هـ 984م	القرن: 4هـ/10م	الحج والعلم	الحجاز إفريقية	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص236.
144	إسماعيل بن محمد بن إسماعيل ابن جنازة	سرقسطة	385هـ 995م	القرن: 4هـ/10م	الحج	الحجاز إفريقية مصر	ابن الفرضي، التاريخ، ج1، ص136.

الملحق رقم(05): خريطة تظهر مدن وحواضر الأندلس[1]



[1] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص171.

الملحق رقم(06): خريطة طرق الرحلات إلى الحجاز[1]



[1] الرسم من مرجع بتصرف.

الملحق رقم(07): خريطة تظهر موقع الحجاز وأهم مدنه[1]



[1] حسين مؤنس، **أطلس تاريخ الإسلام**، دار الزهراء للإعلام العربي، ط1، القاهرة، 1987/1407، ص56.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، برواية حفص.

أولا: المصادر

1- ابن الأبار أبي عبد الله محمد القضاعي(ت658هـ/1269م)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام هراس، دار الفكر، دط، بيروت، 1995/1415.

2- الأبشيهي محمد شهاب الدين(ت1346هـ/1927م)، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق محمد مهنا، مكتبة الإيمان، دط، المنصورة، 2006.

3- الأتابكي جمال الدين بن تغري(ت874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1413/.1992

4- ابن الأثير أبي الحسن علي الجزري(ت630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، تحقيق يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987/1407.

5- ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2012/1433.

6- الإدريسي أبو عبد الله بن محمد(ت559هـ/1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، دط، القاهرة، 1422/.2002

7- الأزدي أبو زكريا يزيد بن محمد(ت334هـ/945م)، تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، لجنة إحياء التراث، دط، القاهرة، 1967/1387.

8- الأزرقي أبو الوليد محمد(ت250هـ/865م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشيد صالح ملحسن، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، 1983/1403.

9- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم الكرخي(ت346هـ/957م)، مسالك الممالك، مطبعة بريل، دط، لندن، .1927

10- الأصفهاني أبي نعيم أحمد(ت430هـ/1039م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، دط، بيروت، 1416/.1996

11- الأصفهاني علي بن حسين أبو الفرج(ت356هـ/967م)، مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، منشورات شريف الرضى، ط2، إيران، 1416هـ/.1996

12- الأصفهاني أبو الفرج، الأغاني، دار الكتب المصرية، دط، القاهرة، 1347/.1929

13- البخاري أبي عبد الله إسماعيل(ت256هـ/870م)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط1، دمشق، 1423/.2002

14- ابن بشكوال خلف بن عبد الملك القرطبي(ت578هـ/1182م)، كتاب الصلة، تحقيق شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 1429/.2008

15- البغدادي أبو بكر أحمد الخطيب(ت463هـ/1071م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1425/2004.

16- البكري أبو عبيد عبد الله(ت487هـ/1094م)، معجم ما أستعجم من أسماء البلاد والمواضع، ج1، تحقيق مصطفى السقا، دار عالم الكتب، دط، بيروت، دت.

17- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، دط، القاهرة، دت.

18- البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن واندري فيري، دار الغرب الإسلامي، تونس، دط، 1992.

19- البلاذري أحمد بن يحيى(ت276هـ/892م)، فتوح البلدان، تحقيق شوقي أبو خليل، منشورات وزارة الثقافة، ط1، دمشق، .1997

20- البلقيني سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان(ت805هـ/1403م)، التدريب في الفقه الشافعي، تحقيق نشأت بن كمال المصري، دار القبلتين، ط1، المملكة العربية السعودية، 1433/2012.

21- البيهقي أبي بكر بن الحسين(ت458هـ/1066م)، الزهد الكبير، تحقيق عادل أحمد حيدر، دار الجنان ومؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت، 1408/.1987

22- التنوخي أبو المحاسن الفضل المعرى(ت442هـ/1051م)، تاريخ العلماء النحويين، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، دط، المملكة العربية السعودية، 1401/.1981

23- ابن تيمية تقي الدين أحمد الحراني(ت728هـ/1328م)، الفتاوى، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط3، المنصورة، 1426/.2005

24- ابن تيمية، تفضيل مذهب الإمام مالك وأهل المدينة وصحة أصوله، تحقيق أحمد مصطفى الطهطاوي، دار الفضيلة، دط، القاهرة، 1415/.2006

25- ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق عدنان زرزور، جامعة دمشق، ط2، دمشق، 1392/.1992

26- ابن جبير محمد بن أحمد الكناني(ت614هـ/1217م)، رحلة ابن جبير، دار صادر، دط، دت.

27- ابن الجزري شمس الدين بن الخير(ت833هـ/1429م)، غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق برجستراسر، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1427/.2006

28- ابن جماعة عبد العزيز بن محمد الكناني(ت767هـ/1366م)، هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك، تحقيق صالح بن ناصر الخزيم، دار ابن الجوزي، دط، 1422/.2001

29- الجمحي محمد بن سلام(ت231هـ/846م)، طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، دط، جدة، دت.

30- الجوهري أبو نصر إسماعيل(ت398هـ/1008م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أنس محمد وزكرياء جابر أحمد، دار الحديث، دط، القاهرة، 1430/.2009

31- ابن حبان محمد بن أحمد بن حاتم(354هـ/965م)، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق محمد بن منصور الشوري، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1416/.1995

32- ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد(ت853هـ/1449م)، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، دار الرسالة العلمية، ط1، دمشق، 1434/.2013

33- الحربي إبراهيم بن إسحاق(ت285هـ/899م)، المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، تحقيق حمد جاسر، دار اليمامة، دط، الرياض، 1389/.1969

34- ابن حزم عبد الرحمان بن أبي حاتم الرازي(ت327هـ/939م)، تقدمة الجرح والتعديل، تحقيق محمد بن علي البيضاوي، دط، دت.

35- ابن حزم وابن سعيد والشنقندي، فضائل الأندلس، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط1، 1968.

36- الحضيكي أبي عبد الله محمد السوسي(ت1189هـ/1775م)، الرحلة الحجازية، تحقيق عبد العالي لمدبر، دار الأمان للنشر والتوزيع، ط1، الرباط، 1432/2011.

37- الحلبي أبو الطيب عبد الواحد اللغوي(ت351هـ/963م)، مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، دط، القاهرة، دت.

38- الحموي ياقوت شهاي الدين(ت626هـ/1228م)، معجم البلدان، دار صادر، دط، بيروت، 1397/1977.

39- الحميدي عبد الله بن الزبير(ت219هـ/834م)، المسند، تحقيق عبد الرحمان الأعظمي، عالم الكتب، دط، بيروت، دت.

40- الحميدي محمد بن فتوح(ت488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 1429/.2008

41- الحميري محمد بن عبد المنعم(ت900هـ/1495م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984.

42- الحميري، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الجيل، ط2، بيروت، 1988/1408.

43- ابن حوقل أبي القاسم النصيبي(ت367هـ/977م)، صورة الأرض، مكتبة الحياة للنشر والتوزيع، دط، بيروت، 1992.

44- ابن خاقان أبو نصر بن فتح الإشبيلي(ت529هـ/1135م)، مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، تحقيق علي محمد شوابكة، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1403/1983.

45- ابن خرداذبة أبي القاسم عبيد الله(عاش في القرن3هـ/9م)، المسالك والممالك، مطبعة بريل، دط، ليدن، 1306/1883.

46- الخشني محمد بن حارث القروي(ت361هـ/971م)، أخبار الفقهاء والمحدثين، تحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الاعلى للأبحاث العلمية ومعهد التعاون مع العالم العربي، دط، مدريد، 1991.

47- الخشني محمد بن عبد السلام القرطبي(ت286هـ/899م)، طبقات علماء إفريقية، تحقيق محمد زينهم عزب، مكتبة مدبولي للطباعة والنشر، ط1، القاهرة، 1413/1993.

48- الخشني، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة وبيروت، 1410/1989.

49- الخطيب البغدادي أبي بكر أحمد(ت463هـ/1071م)، تاريخ مدينة السلام واخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من خير أهلها وورادها، ج1، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1422/2001.

50- ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد(ت808هـ/1406م)، مقدمة ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، دط، بيروت، 1421/2001.

51- خليفة بن خياط أبو عمر العصفري(ت240هـ/854م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، 1405/1985.

52- خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط2، الرياض، 1405/1985.

53- ابن خلكان شمس الدين أحمد(ت681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، دط، بيروت، 1398/1978.

54- الخوارزمي محمد أبو إسحاق(ت827هـ/1424م)، إثارة الترغيب والتشويق إلى تاريخ المساجد الثلاثة والبيت العتيق، تحقيق سيد كروي حسن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2000./1420

55- أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي(ت234هـ/849م)، كتاب العلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت ودمشق، 1983./1403

56- ابن خير أبو بكر محمد(ت575هـ/1179م)، فهرسة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة وبيروت، 1989./1410

57- أبو داود سليمان بن الاشعث(ت275هـ/889م)، سنن أبي داود، تحقيق صالح آل الشيخ، دار السلام للنشر والتوزيع، ط1، الرياض، 1999/1420.

58- الداوودي شمس الدين محمد(ت945هـ/1539م)، طبقات المفسرين، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، دت.

59- ابن أبي دنيا أبي بكر بن محمد(ت281هـ/894م)، إصلاح المال، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت، 1993./1414

60- الذهبي شمس الدين بن عثمان(ت748هـ/1374م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط3، بيروت، 1985./1405

61- الذهبي، تذكرة الحفاظ، تحقيق عبد العزيز بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، دت.

62- الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأمصار، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1988./1408

63- الذهبي، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، دط، بيروت، دت.

64- الرازي محمد بن أبي بكر(ت660هـ/1261م)، مختار الصحاح، مطبعة مكتبة لبنان، دط، بيروت، 1986.

65- الراعي شمس الدين محمد(ت853هـ/1450م)، انتصار الفقير السالك لترجيع مذهب الإمام مالك، تحقيق محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1981.

66- الزبيدي أبو بكر محمد(ت379هـ/989م)، طبقات النحويين واللغويينن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، مصر 1984.

67- الزجاجي أبو القاسم عبد الرحمان بن إسحاق(ت340هـ/952م)، مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، دط، القاهرة، دت.

68- الزركشي بدر الدين محمد(ت794هـ/1392م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق أحمد علي، دار الحديث، دط، مصر، 1427/.2006

69- الزهري محمد بن أبي بكر(توفي أواسط القرن 6هـ/12م)، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، دط، مصر، دت.

70- ابن الزيات يوسف بن يحيى التادلي(ت617هـ/1220م)، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد توفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، 1984/1404.

71- ابن سحنون محمد المالكي(ت256هـ/869م)، كتاب المعلمين، تحقيق محمد العروسي المطوي، الشركة التونسية لفنون الطبع، دط، تونس، 1972/1392.

72- ابن سعد محمد بن منيع الزهري(ت230هـ/845م)، الطبقات الكبرى، تحقيق زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، ط2، المدينة، 1987/1408.

73- ابن سعد، الطبقات الكبير، ج9، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2001./1421

74- ابن سعيد علي بن موسى المغربي(ت685هـ/1286م)، المغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، القاهرة، .1993

75- السخاوي محمد بن عبد الرحمان شمس الدين(ت902هـ/1492م)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، تحقيق أسعد الطرابزوني، دط، 1400/.1980

76- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، تحقيق فرانز روزنثال، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1407/.1986

77- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان(ت911هـ/1506م)، تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، تحقيق نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، ط2، بيروت، 1415/.1994

78- السيوطي، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد غسان نصوح الحسيني، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط2، المملكة العربية السعودية، 1434/.2013

79- السيوطي، طبقات الحفاظ، تحقيق مجموعة من العلماء، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983./1403

80- السيوطي، طبقات المفسرين، تحقيق محمد علي عمر، دار النوادر، دط، الكويت، 2010/1431.

81- الشاطبي أبى إسحاق إبراهيم بن موسى(ت790هـ/1388م)، فتاوى الإمام الشاطبي، تحقيق محمد أبو الأجفان، مطبعة الكواكب، ط2، تونس، 1406/.1985

82- الشافعي محمد بن إدريس المطلبي(ت204هـ/819م)، الأم، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب، دار الوفاء للنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1422./2001

83- الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى الحلبي، ط1، مصر، 1358./1940

84- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم(ت548هـ/1153م)، الملل والنحل، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركائه، دط، القاهرة، 1387./1968

85- الشيباني محمد بن الحسن(ت189هـ/805م)، كتاب الكسب، تحقيق أبو الفتوح غدة، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، 1417./1997

86- الشيرازي أبو إسحاق الشافعي(ت476هـ/1084م)، طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، دط، بيروت، دت.

87- ابن الصغير المالكي أو الحسن الزرويلي(ت719هـ/1319م)، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، دط، بيروت، .1986

88- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ/1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 1420./2000

89- ابن صلاح أبو عمر وعثمان الشهرزوري(ت643هـ/1246م)، علوم الحديث، تح نور الدين عتر، دار الفكر المعاصر ودار الفكر، دمشق وبيروت، دط، دت.

90- الضبي أحمد بن يحيى بن ضميرة(ت599هـ/1203م)، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط1، القاهرة وبيروت، 1410./1989

91- الطبري ابن جرير(ت310هـ/923م)، تاريخ الطبري، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، مصر، 1977.

92- الطيبي الحسين بن عبد الله(ت743هـ/1343م)، الخلاصة في أصول الحديث، تحقيق صبحي السمرائي، دار عالم الكتب، ط1، 1405/1985.

93- ابن ظهيرة نور الدين بن أبي بكر بن علي(ت986هـ/1579م)، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، ط5، 1399./1979

94- العاملي محمد بهاء الدين (ت1030هـ/1621م)، الوجيزة في الدراية، منشورات المكتبة الإسلامية الكبرى، ط1، قم، 1396./1976

95- ابن عبد البر أبو عمر يوسف النمري(ت463هـ/1071م)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبو الأشبال الزهري، دار ابن الجوزي، دط، المملكة العربية السعودية، 1414./1994

96- ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، لندن، 2017/1439.

97- ابن عبد الحكم أبي القاسم بن أعين(ت257هـ/871م)، فتوح مصر والمغرب، دار الذخائر، دط، مصر، دت.

98- ابن عذاري أحمد بن محمد(توفي نحو695هـ/1295م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وبروفينسال، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983.

99- العسكري الحسن بن عبد الله بن سعيد(ت382هـ/992م)، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق عبد العزيز أحمد، ط1، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، مصر، 1963./1383

100- ابن العطار محمد بن أحمد الأموي(ت399هـ/1008م)، الوثائق والسجلات، تحقيق شالميتا وكورينطي، المجمع الإسباني للعربية والثقافة، دط، مدريد، 1983.

101- عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي(ت544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1998./1418

102- عياض، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، دار التراث والمكتبة العتيقة، ط2، القاهرة وتونس، دت.

103- عياض، تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تحقيق محمد الطالبي، المطبعة الرسمية التونسية، دط، تونس، 1968.

104- عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق عبد القادر الصحراوي، ط2، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، المملكة المغربية، 1983/1403.

105- الفاسي تقي الدين محمد(ت832هـ/1429م)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998./1419

106- الفاكهي محمد بن إسحاق(توفي خلال ق3هـ/9م)، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق عبد الملك بن دهيش، دار الخضر للطباعة والنشر، ط2، بيروت، 1994./1414

107- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل(ت732هـ/1332م)، تقويم البلدان، تحقيق رينود وديسلان، دار صادر، دط، بيروت، دت.

108- ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين(ت799هـ/1397م)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون الجنان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996/1417.

109- ابن الفرضي عبد الله بن محمد الأزدي(ت403هـ/1013م)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة وبيروت، 1989./1410

110- الفلاس عمر بن علي(ت249هـ/863م)، كتاب التاريخ، تحقيق محمد الطبراني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، الرياض، 2015./1436

111- الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب(ت817هـ/1414م)، القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت، 2005./1426

112- الفيروزآبادي، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق حمد جاسر، دار اليمامة، ط1، الرياض، 1969/1389.

113- القارئ علي بن سلطان(ت1014هـ/1605م)، شرح نخبة الفكر في مصطلحات أهل الأثر، تحقيق محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم بن أبي الأرقم، دط، بيروت، دت.

114- ابن قدامة أحمد بن عبد الرحمان المقدسي(ت742هـ/1341م)، مختصر منهاج القاصدين، تحقيق شيخ سعيد العارف، دار إحياء علوم الدين، ط2، بيروت، 1997./1418

115- القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت671هـ/1273م)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنّة وآي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 2006./1427

116- القفطي جمال الدين(ت624هـ/1227م)، أبناء الرواة على أنباه النحاة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي ومؤسسة الكتب الثقافية، ط1، القاهرة، 1986./1406

117- القلقشندي أبو العباس أحمد(ت821هـ/1418م)، صبح الاعشى، المطبعة الأميرية، دط، القاهرة، 1914./1332

118- ابن القوطية محمد بن عمر(ت368هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة وبيروت، 1989./1410

119- ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد(ت751هـ/1351م)، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق مشهور بن حسن، دار ابن الجوزي، ط1، المملكة العربية السعودية، 2003./1423

120- ابن كثير عماد الدين أبو الفداء إسماعيل(ت774هـ/1373هـ)، البداية والنهاية، تحقيق مأمون محمد الصاغرجي، دار ابن كثير، دط، دمشق، 2015./1436

121- ابن كثير، مناقب الإمام الشافعي، تحقيق خليل إبراهيم ملاخطر، مكتبة الإمام الشافعي، ط1، الرياض، 1992.

122- ابن الكردبوس(ت خلال ق6هـ/12م)، تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الإسلامية، دط، مدريد، 1971.

123- الكلاباذي أبو بكر محمد بن إسحاق(ت380هـ/990م)، كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق أثرجون أربري ، مكتبة الخانجي، ط2، القاهرة، 1994/1410.

124- الماوردي علي بن حبيب البصري(ت450هـ/1058م)، الأحكام السلطانية في الولايات الدينية، تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، دط، القاهرة، 2006./1427

125- مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث ميغيل أسين، دط، مدريد، 1983.

126- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر امرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، ط2، القاهرة وبيروت، 1989/1410.

127- محمد بن سحنون(ت256هـ/870م)، آداب المعلمين، تحقيق محمد لعروسي المطوي، الشركة التونسية لفنون الرسم، دط، تونس، 1972/1392.

128- المراكشي عبد الواحد(ت647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، لجنة إحياء التراث العربي، دط، دت.

129- المروذي أبو بكر أحمد بن الحجاج(ت275هـ/889م)، أخبار الشيوخ وأخلاقهم، تحقيق عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، 2005./1426

130- المزني أبى إبراهيم إسماعيل بن يحيى(ت264هـ/878م)، مختصر المزني في فروع الشافعية، تحقيق عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1998./1419

131- المسعودي أبو الحسن علي(ت346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح كمال حسين مرعي، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 2005./1425

132- المقدسي محمد بن أحمد(ت380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق شاكر لعيبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط1، .2001

133- المقري أحمد بن محمد التلمساني(ت1041هـ/1632م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، دط، 1988./1408

134- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين(ت711هـ/1312م)، لسان العرب، دار صادر، دط، بيروت، دت.

135- ناصر خسرو أبو معين الدين المروزي(ت481هـ/1088م)، سفر نامة، تحقيق يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، مصر، .1993

136- الناصري أحمد بن خال السلاوي(1315هـ/1898م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري وأحمد الناصري، دار الكتاب، دط، الدار البيضاء، 1954.
137- النباهي أبي الحسن بن عبد الله بن الحسن(ت793هـ/1391م)، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق لجنة تحقيق التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، ط5، بيروت، 1403./1983
138- ابن نديم محمد بن إسحاق(ت385هـ/996م)، الفهرست، دار المعرفة، ط1، بيروت، 1978.
139- النووي يحيى بن شرف الدين(ت676هـ/1277م)، آداب الفتوى والمفتي والمستفتي، تحقيق بسام بن عبد الوهاب الجالبي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط1، دمشق، 1408/1988.
140- النووي، روضة الطالبين وعمدة المفتين، تحقيق زهير شاوش، المكتب الإسلامي، ط2، بيروت، 1416/1991.
141- النويري شهاب الدين أحمد(ت733هـ/1333م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترجيني، دار الكتب العلمية، دط، بيروت، دت.
142- النيسابوري أبو عبد الله محمد الحاكم(ت382هـ/992م)، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، تحقيق أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 1424./2004
143- ابن هشام عبد الملك التدمري(ت213هـ/829م أو218هـ/834م)، السيرة النبوية، تحقيق عمر بن عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط3، بيروت، .1990
144- الهمداني الحسن بن محمد بن يعقوب(ت336هـ/947م)، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، ط1، صنعاء، 1410./1990
145- الواقدي محمد بن عمر(ت207هـ/823م)، المغازي، ج2، تحقيق مارسدن جونس، مطبعة أكسفورد، دط، لندن، 1966.
146- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى(ت914هـ/1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي ومجموعة من الفقهاء، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دط، الرباط، 1401/1981.
147- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق(ت284هـ/897م)، تاريخ اليعقوبي، تحقيق عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط1، بيروت، 1431/2010.
148- اليعقوبي، البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422/2002.

ثانيا: المراجع

1- أجعد صالح محمد، الشورى في الكتاب والسنة وعند العلماء المسلمين، فهرسة الملك فهد الوطنية، ط1، الرياض، 1420/.1999

2- أحمد علي، الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام من نهاية القرن الخامس وحتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، دمشق، 1989.

3- أرسلان شكيب، الحلل السندسية في الاخبار والآثار الأندلسية، ج1، مؤسسة الهنداوي، دط، المملكة المتحدة، 2001.

4- أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط(500هـ/1100م)، ترجمة محمد أحمد عيسى ومحمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، دط، القاهرة، دت.

5- إسماعيل موسى، عمل أهل المدينة وأثره في الفقه الإسلامي، دار ابن حزم، ط1، بيروت، 2004./1424

6- الأشقر السيد محمد علي، لمحات من تاريخ القرآن، دار المحيط للمطبوعات، دط، العراق، دت.

7- الأشقر عمر سليمان، الوضع في الحديث النبوي، دار النفائس، ط1، الأردن، 1424/.2004

8- الأشقر عمر سليمان، مدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، دار النفائس، ط2، الأردن، 1981./1418

9- أطلس محمد أسعد، التربية والتعليم في الإسلام، مؤسسة هنداوي، دط، مصر، .2014

10- الأعظمي محمد مصطفى، دراسات في تاريخ الحديث النبوي وتاريخ تدوينه، المكتب الإسلامي، دط، بيروت، 1400/.1980

11- أمين أحمد، فجر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، مصر، 2012.

12- أمين أحمد، ظهر الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، مصر، 2013.

13- أمين أحمد، ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، مصر، 2012.

14- الأمين محمد والرحماني محمد علي، المفيد في تاريخ المغرب، دار الكتاب، دط، الدار البيضاء، دت.

15- الأهواني أحمد فؤاد، التربية في الإسلام، دار المعارف، دط، مصر، دت.

16- أوليري دي لاسي، الفكر العربي ومركزه في التاريخ، ترجمة إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني، دط، بيروت، 1982.

17- بالنثيا آنجل جانثالث، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، دط، بورسعيد، دت.

18- بروفنسال ليفي، تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية(711-1031م)، تحقيق على عبد الرؤوف البمبي وآخرون، المطبعة الأميرية، ط4، مصر، 2000.

19- بروكلمان كارل، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، دط، القاهرة، 1983.

20- بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1973.

21- بيضون إبراهيم، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة(92-422هـ/711-1031م)، دار النهضة العربية، ط3، بيروت، 1406/1986.

22- البيلي محمد بركات، الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، دط، القاهرة، 1993.

23- الترغي عبد الله مرابط، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، تطوان، 1420/1999.

24- جار الله رهدي حسن، المعتزلة، مطبعة مصر، ط1، القاهرة، 1366/1947.

25- آل الجراح محمد بن سليمان، كفاية الناسك لأداء المناسك، تحقيق وليد عبد الله المنيس، دار البشائر، ط1، بيروت، 1422/2001.

26- الجرجاوي زياد علي، التربية في صدر الإسلام خلال المرحلتين المكية والمدنية، ط4، 2008.

27- الجزائري طاهر(ت1337هـ/1919م)، توجيه الأثر في أصول الأثر، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط1، بيروت، 1416/1995.

28- الجعماطي عبد السلام، دراسات في تاريخ البحرية الإسلامية وعلوم البحر بالغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2012.

29- جلبي أوليا، الرحلة الحجازية، ترجمة الصفصاني أحمد المرسي، دار الآفاق، دط، القاهرة، 1999.

30- جواتياين، دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، ترجمة عطية القوصي، وكالة المطبوعات، ط1، الكويت، 1980.

31- الجيوسي سلمى الخضراء، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1999.

32- الجيدي عم، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، دار الهلال العربية للطباعة والنشر، ط1، الرباط، 1993.

33- حتاملة محمد عبده، ايبيريا قبل مجيئ العرب المسلمين، وزارة الثقافة الأردنية، دط، عمان، 1996/1416.

34- حتي فيليب، العرب التاريخ الموجز، دار العلم للملايين، ط6، بيروت، 1991.

35- حتي فيليب، تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، دط، بيروت، 1951.

36- الحجوي محمد بن الحسن الثعالبي(ت1376هـ/1957م)، الفكر السامي في تاريخ الفكر الإسلامي، تحقيق أحمد صالح الشعبان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1995/1416.

37- الحجي عبد الرحمان علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة(92-897هـ/711-1492م)، دار القلم، ط2، بيروت، 1981./1402

38- الحريري محمد عيسى، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها بالمغرب والاندلس(160-296هـ)، دار القلم للنشر والتوزيع، ط3، الكويت، 1987/1408.

39- حسين زكي محمود، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، دط، بيروت، 1981./1401

40- الحموي محمد ياسين، تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الترقي، دط، دمشق، 1945./1364

41- الخضر محمد حسين، بلاغة القرآن، دار النوادر، ط1، دمشق، 2010./1431

42- خليل عماد الدين، دراسات في السيرة، مؤسسة الرسالة، دار النفائس، ط13، بيروت، 1991./1412

43- أبو الخيل محمد بن إبراهيم، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري(275-300هـ/888-912م)، مطبوعات الملك عبد العزيز العامة، ط1، الرياض، 1995./1416

44- دهيش عبد اللطيف، الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولها، مطبعة النهضة الحديثة، ط1، مكة المكرمة، 1986./1406

45- دويدار حسين يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي(138-422هـ/755-1030م)، مطبعة الحسين الإسلامية، ط1، مصر، 1994./1414

46- ذنون طه عبد الواحد، نشأة تدوين التاريخ العربي في الأندلس، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، العراق، 1988.

47- ذنون طه عبد الواحد، الفتح والإستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، دار المدار الإسلامي، ط1، ليبيا، 2004.

48- الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم مكتبة لبنان، دط، بيروت، 1986.

49- رفعت إبراهيم، مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1، القاهرة، 1925./1344

50- روزنثال فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1983/1403.

51- ريبيرا خوليان، التربية الإسلامية في الأندلس، ترجمة طاهر أحمد المكي، دار المعارف، ط2، القاهرة، 1994.

52- الزاوي طاهر أحمد، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، دار الفكر، دط، بيروت، دت.

53- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002.

54- زكرياء فارس ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق محمد عبد السلام هارون، دار الفكر، دط، بيروت، 1989./1399

55- أبو زهرة محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، دط، مصر، دت.

56- زيادة نقولا، الجغرافية والرحلات عند العرب، الشركة العالمية للكتاب، دط، بيروت، 1987.

57- زيدان جورجي، تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، مصر، 2012.

58- سالم السيد عبد العزيز، المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، دط، الإسكندرية، 1986.

59- سالم السيد عبد العزيز، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، دط، الإسكندرية، 1999.

60- سالم السيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، دط، الإسكندرية، دت.

61- سالم السيد عبد العزيز، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، دط، بيروت، دت.

62- السباعي أحمد، تاريخ مكة (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران)، الأمانة العامة، دط، الرياض، 1419/1998.

63- السباعي مصطفى، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، دار الوراق والمكتب الإسلامي، ط2، 2000.

64- شاكر محمود، شبه جزيرة العرب عسير، المكتب الإسلامي، دط، دت.

65- شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، ط3، بيروت، 1983.

66- الشامي صلاح الدين، الرحلة عين الجغرافية المبصرة، منشأة المعارف، ط2، الإسكندرية، 1999.

67- الشاهدي حسن ، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، دط، الرباط، دت.

68- شبارو عصام محمد، الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة(92-897هـ/711-1492م)، دار القلم، ط2، بيروت، 1402/1981.

69- الشجاع عبد الرحمان، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، دط، صنعاء، 1425/2004.

70- الشريف أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، دار الفكر العربي، دط، الإسكندرية، 1985.

71- الشعراوي محمد متولي، الحج المبرور، مكتبة الشعراوي الإسلامية، دط، مصر، 1990.

72- بن شقرون محمد بن أحمد، مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، مطبعة النجاح الجديدة، دط، الدار البيضاء، 1406/1985.

73- شلبي أحمد، تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، دط، بيروت، 1954.

74- شمس الدين إبراهيم، مجموعة أيام العرب في الجاهلية الإسلام، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422/2002.

75- الشوري إبراهيم، أقوال المذاهب المختارة في الحج والعمرة والزيارة، دار العربية للنشر، دط، بيروت، 1393/1973.

76- ضيف أحمد، بلاغة العرب في الأندلس، مطبعة مصر، ط1، مصر، 1342/1924.

77- ضيف شوقي، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، دار المعارف، ط3، القاهرة، 1976.

78- ضيف شوقي، العصر العباسي الثاني، دار المعارف، ط2، مصر، دت.

79- ضيف شوقي، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط10، القاهرة، 1983.

80- الطالبي محمد، الدولة الأغلبية التاريخ السياسي(184-296هـ/800-909م)، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1415/1995.

81- طقوش محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، دار النفائس، ط3، لبنان، 1431/2010.

82- الطيباوي عبد اللطيف، محاضرات في تاريخ العرب والإسلام، دار الأندلس، دط، بيروت، دت.

83- عاشور سيد عبد الفتاح، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 1976.

84- عاشور سيد عبد الفتاح وآخرون، دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، دار المعرفة الجامعية، دط، القاهرة، 1996.

85- العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، دط، بيروت، دت.

86- العبادي أحمد مختار وسالم سيد عبد العزيز، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، دط، بيروت، 1969.

87- عبد الباقي أحمد، معالم الحضارة العربية في القرن الثالث الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، لبنان، .1991

88- عبد اللطيف عبد الكريم، الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، 1996./1416

89- بن عبود أمحمد، جوانب من الواقع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، المعهد الجامعي للبحث العلمي، دط، تطوان، 1987./1408

90- عتر نور الدين، الحج والعمرة في الفقه الإسلامي، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت، 1989./1404

91- العطار أحمد عبد الغفور، أحكام الحج والعمرة من حجة النبي وعمراته، ط1، بيروت، 1977./1397

92- العلاف عبد الكريم، الطرب عند العرب، المكتبة الأهلية، دط، بغداد، 1963./1382

93- علبي أحمد، ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد، دار الفرابي، ط3، بيروت، .2007

94- علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط2، 1993./1413

95- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس العصر الأول القسم الأول، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1997./1417

96- عيسى محمد عبد الحميد، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، ط1، مصر، 1982.

97- الغازي عبد الله الحنفي(1365هـ/1946م)، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام، مكتبة الأسدي، ط1، مكة المكرمة، 2009/1430.

98- الغلبزوري توفيق محمد، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس، دار ابن حزم، ط1، المملكة العربية السعودية، 2006/1427.

99- فروخ عمر، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، .1981

100- فروخ عمر، تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايين، دط، بيروت، 1964./1384

101- الفيلالي عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط2، القاهرة، 1999.

102- قنديل فؤاد ، أدب الرحلة في التراث العربي، دار العربية للكتاب، دط، القاهرة، 2002./1423

103- القوصي عطية، تاريخ الدول المستقلة في المشرق عن الخلافة العباسية، مكتبة دار النهضة العربية، دط، مصر، 1992-1993.

104- الكبيسي خليل إبراهيم، دور الفقهاء في الحياة السياسية والاجتماعية بالأندلس في عصري الإمارة والخلافة، دار البشائر الإسلامية، ط1، بيروت، 2004./1425

105- الكتاني محمد بن إبراهيم، سلفية الإمام مالك، تحقيق محمد ين علي الكتاني، دط، دت.

106- كولان، الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، ط1، بيروت ولبنان، 1980.

107- كونستيل أوليفيا ريمي، التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، دط، دت.

108- لقبال موسى، المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981.

109- لوبان غوستوف، حضارة العرب، ترجمة عادل زعتر، دار هنداوي للتعليم والثقافة، دط، مصر، 2012.

110- لومبار موريس، الإسلام في مجده الأول من القرن 2إلى القرن5هـ(8-11م)، ترجمة إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط3، المغرب، 1990/1411.

111- مارين مانويلا، ممارسات المسلمين الدينية في الأندلس بين القرنين الثاني والرابع الهجريين الثامن والتاسع الميلاديين، ترجمة يعقوب الدواني، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1999.

112- متز أدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج1، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، المركز القومي للترجمة، دط، القاهرة، 2008.

113- متولي مصطفى محمد، مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية، دار الخريجي للنشر والتوزيع، ط3، الرياض، 2004./1425

114- محايري أحمد صالح، تفسير ابن عيينة، المكتب الإسلامي، ط1، الرياض، 2005./1426

115- محمود أحمد بكير، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1990./1411

116- مدكور محمد سلام، المدخل للفقه الإسلامي، دار الكتاب الحديث، ط2، القاهرة، 1996.

117- مدني أمين، التاريخ العربي وجغرافيته، دار القوافل للنشر والتوزيع، ط2، الرياض، 2008/1429.

118- مرسي محمد الشيخ، دولة الفرنجة وعلاقاتها بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي(138-366هـ/755-976م)، مؤسسة الثقافة الجامعية، دط، الإسكندرية، 1981/1401.

119- المسند عبد الله بن علي، العلويين في الحجاز(132-203هـ)، دار المنار، ط2، 1993./1414

120- معمر نوري، محمد بن وضاح القرطبي مؤسس مدرسة الحديث بالأندلس مع بقي بن مخلد، مكتبة المعارف، ط1، الرباط، 1983./1403

121- ممدوح حسين، إفريقية في عصر إبراهيم الثاني الأغلبي قراءة جديدة، دار عمّار، ط1، الأردن، 1997./1417

122- موجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط1، 1998/1418.

123- مونتو جومري وات، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ترجمة حسين أحمد أمين، دار الشروق، ط1، بيروت والقاهرة، 1983/1403.

124- مؤنس حسين، شيوخ العصر في الأندلس، دار الرشاد، ط2، القاهرة، 1997./1417

125- مؤنس حسين، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الاندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية(711-756م)، دار العصر الحديث ودار المناهل، ط1، بيروت، 2002./1423

126- نافع محمد مبروك، عصر ماقبل الإسلام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، دط، مصر، 2018.

127- نور سيف أحمد محمد، عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وأراء الأصوليين، دار البحوث للدراسات الإسلامية، ط2، الإمارات، 1421/2000.

128- هيكل أحمد، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، دار المعارف، ط1، مصر، 1985.

129- وجدي محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، ط3، بيروت، 1971.

130- ولد ابّاه محمد مختار، تاريخ علوم الحديث الشريف في المغرب والمشرق، منشورات إيسيسكو، دط، الرباط، 1431/2010.

ثالثا: المراجع باللغة الاجنبية

1- Hussain Mones, Le Role Des Hommes De Religion Dans L'Histoire De L'Espagne Musulmane Jusqu à La Fin Du Califat,

Studia Islamica, No 20, Brill, 1964.

2- Roberto Marin Guzman, Ethnic Groups And Social Classes In Muslim Spain, Institute International Islamic, University Islamabad, Vol 30, no ½, 1991.

3- Eric Hilgendorf, Islamic Education(History And Tendency), Peabody Journal Of Edication, Vol 78, No 2, 2003.

4- Nuha khoury, The Meaning of The great Mosque of cordoba in **The** Tenth century, Vol 13, Brill, 1996.

رابعا: الرسائل العلمية

1- بوسعد طيب، العلاقات الثقافية بين الدولة الأغلبية والإمارة الأموية في الأندلس(184-296هـ/800-908م)، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة الجزائر2، 1435-1436هـ/2014-2015م.

2- بوعقادة عبد القادر، المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين(2-3هـ/8-9م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1423-1424هـ/2002-2003م.

3- الزغلول جهاد غالب مصطفى، الحرف والصناعات في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا في الجامعة الأردنية، الأردن، 1994.

4- الزوبعي نافع سليمان جاسم، لغة الإمام الشافعي، في مؤلفاته، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ جامعة بغداد، 2005/1426.

5- عليبي جلال، الحياة العلمية في الحجاز خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2005.

6- مطلق البير حبيب، الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف، رسالة جامعية، دائرة اللغة العربية، الجامعة الأمريكية، بيروت، ماي1965.

7- المومني محمد خالد مصطفى، الفقهاء وثورة أهل الربض في الاندلس،(180-206هـ/796-821م)، رسالة دكتوراه في التاريخ، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، الأردن، 1990/1416.

خامسا: المقالات

1- الجنابي قيس كاظم، التصوف الإسلامي في مكة المكرمة، الكلية الإسلامية الجامعة، دون مجلد، دون عدد، النجف، دت.

2- بوسعد الطيب، المذهب الحنفي في الأندلس(2-4هـ/8-10م)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد4، العدد8، جويلية-ديسمبر.2016

3- سعيد عبد الفتاح عاشور، العلم بين المسجد والمدرسة، مجلة المؤرخ المصري، دون مجلد، العدد7، جامعة القاهرة، جويلية.1991

4- بلبع محمد توفيق، المسجد والحياة في المدينة الإسلامية، مجلة عالم الفكر، المجلد11، العدد1، أفريل- ماي- جوان1970.

5- الكعبي عبد الحكيم غنتاب، التجارة في العصر الإسلامي الوسيط رؤية منهجية في الإشكاليات والمصادر، مجلة دراسات تاريخية، دون مجلد، العدد14، كلية التربية قسم التاريخ، جامعة الموصل، العراق، جوان2013.

6- أبو القاسم سعد الله، التبادل الثقافي بين مكة والمغرب الإسلامي، مجلة ثقافتنا، دون مجلد، دون عدد، دت.

7- حردان محمد نصيف، رحلة الحج عند الرحالة المغاربة التجيبي السبتي أنموذجا، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد23، العدد5، العراق، ماي.2016

8- بويوزان بونعيمي، فضل الحج على العلم في الغرب الإسلامي من خلال رحلات الحج من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، دون مجلد، دون عدد، مكة المكرمة، 1426.

9- علي صالح أحمد، الرواية والأسانيد وأثرها في تطوير الحركة الفكرية في صدر الإسلام، كلية الآداب، جامعة بغداد، دون مجلد، دون عدد، العراق، دت.

10- صبيح نبيل أحمد عامر، التربية في الإسلام ودور المسجد فيها، دون مجلد، العدد1، كلية التربية، جامعة قطر، 1982.

11- الزعبي مهران محمود، حركة محمد بن عبد الله النفس الزكية(الدعوة –التنظيم–دراسات)، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد43، العدد4، الجامعة الأردنية، الأردن، 2016.

12- الشويلي عصام كاطع داود ووجدان عبد الزهرة عبود، أنواع طرق المواصلات الإقتصادية بين الأندلس وبلدان المشرق الإسلامي، كلية التربية للبنات، العدد24، جامعة البصرة، جوان 2018.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنـــــــــــــــاويـــن	الصفحات
مقدمة	**16-1**
المدخل: جوانب عن أوضاع الأندلس من الفتح الإسلامي حتى قيام الإمارة الأموية(92-138هـ/711-756م)	**42-17**
أولا: التسمية والموقع الجغرافي للأندلس	**19-18**
1- التسمية	**18**
2- الموقع الجغرافي	**19**
ثانيا: جهود المسلمين في فتح الأندلس(92-95هـ/711-714م)	**24-19**
ثالثا: أوضاع الأندلس في عصر الولاة(95-138هـ/714-756م)	**34-25**
1- جهود ولاة الاندلس في مد النفوذ الإسلامي وإدارة البلاد	**25**
2- الفتن والنزاعات في عصر الولاة	**28**
3- تداعيات الثورات والصراعات بالأندلس خلال عصر الولاة	**32**
رابعا: قيام الإمارة الأموية بالأندلس(138هـ/756م)	**42-34**
1- استيلاء عبد الرحمان بن معاوية على السلطة بالأندلس	**34**
2- جهود عبد الرحمان بن معاوية في بسط نفوذ الدولة ومواجهة الصعاب	**36**
الفصل الأول: العوامل والاسباب المساعدة على رحلات التجارة والحج الأندلسي(2-4هـ/8-10م)	**94-44**
أولا: مفهوم الرحلة لغة واصطلاحا	**45-44**
1- معنى الرحلة لغة	**44**
2- معنى الرحلة اصطلاحا	**45**
ثانياً: أنواع الرحلات التي عرفها المسلمون	**46-45**
ثالثاً: عوامل وأسباب الرحلة الأندلسية إلى الحجاز(2-4هـ/8-10م)	**75-47**

1- عوامل دينية	**47**
2- أسباب سياسية	**55**
3- توفر الأمن والإستقرار السياسي في الأندلس	**57**
4- تحسن الأوضاع الإقتصادية في الأندلس	**60**
5- تشجيع حكام الأندلس للحياة العلمية	**64**
6- الإهتمام بالحج والطرق والمسالك التجارية المؤدية إلى الحجاز	**68**
7- ازدهار النظام التجاري في الحجاز	**72**
رابعا: الطرق والمسالك المؤدية إلى الحجاز	**85-75**
1- الطريق البحري إلى الحجاز	**75**
2- الطريق البري إلى الحجاز	**80**
خامسا: المصاعب والعقبات التي اعترضت رحلات الأندلسيين إلى الحجاز خلال الفترة(2-4هـ/8-10م)	**94-86**
1- فرض الضرائب والمكوس بالطرق والأسواق التجارية	**86**
2- ظهور الثورات والمحن بالحجاز(2-3هـ/8-9م)	**88**
الفصل الثاني: مكانة الحجاز العلمية والثقافية حتى نهاية القرن(3هـ-9م)	**156-96**
أولا: طبيعة الحجاز(التسمية والموقع)	**98-96**
1- تسمية الحجاز	**96**
2- الحدود الجغرافية للحجاز	**97**
ثانيا: الحياة العلمية والثقافية في الحجاز حتى نهاية القرن(3هـ/9م)	**137-99**
1- الحياة الثقافية في الحجاز خلال العصر الجاهلي	**99**
2- الحياة العلمية في الحجاز خلال القرنين(2-3هـ/8-9م)	**103**
3- مدرسة أهل الحجاز ومكانتها العلمية	**132**
ثالثا: المراكز والمؤسسات العلمية في الحجاز خلال القرنين(2-3هـ/8-9م)	**156-137**
1- المراكز العلمية	**137**
2- المؤسسات العلمية في الحجاز	**140**

3- النظام التعليمي في الحجاز	**152**
4- طرق ووسائل التدريس في الحجاز	**153**
الفصل الثالث: التبادل العلمي و الثقافي بين الأندلس والحجاز خلال عصر الإمارة الأموية بالأندلس(138-316هـ/756-928م)	**224-158**
أولا: رحلات علماء الأندلس إلى الحجاز خلال عصر الإمارة(138-316هـ/756-928م)	**183-158**
1- نظرة في طبيعة رحلات الأندلسيين إلى الحجاز	**158**
2- أنواع الرحلات	**168**
3- تكاليف الرحلات الحجازية ومدتها	**175**
ثانيا: التبادل العلمي بين الأندلس والحجاز(2-4هـ/8-10م)	**206-183**
1- انتقاء العلماء	**184**
2- الطرق التعليمية التي أخذ بها الأندلسيون العلم في الحجاز	**201**
ثالثا: صور التأثير الأندلسي في الحجاز من خلال رحلات العلماء (2-4هـ/8-10م)	**224-207**
1- في مجال العلوم الدينية	**207**
2- في المجالات العلمية الأخرى	**218**
الفصل الرابع: أثر التواصل بين الأندلس والحجاز على الحياة العلمية والثقافية بالأندلس(2-4هـ/8-10م)	**318-226**
اولا: تقلد العائدين من الحجاز للألقاب العلمية والمناصب بالدولة الأموية في الأندلس	**245-226**
1- الألقاب العلمية	**226**
2- تولية المناصب بالدولة	**232**
ثانيا: الازدهار العلمي والفكري بالأندلس خلال عصر الإمارة (2-4هـ/8-10م)	**301-246**
1- نقل المنتوج العلمي المشرقي إلى الأندلس(الروايات والمصنفات)	**246**
2- نقل المؤلفات الأندلسية إلى الحجاز وسائر بلاد المشرق	**255**

3- دخول الفقه المدني وسيادة المذهب المالكي الأندلس	**263**
4- بداية النبوغ العلمي الأندلسي وازدهار الحياة العلمية والثقافية (2-4هـ/8-10م)	**270**
ثالثا: أثر التواصل الثقافي بين الاندلس والحجاز على التعليم والمجتمع بالأندلس خلال عصر الإمارة(2-4هـ/8-10م)	**318-302**
1- المؤسسات العلمية في الأندلس	**302**
2- النظام والطرق التعليمية في الاندلس	**306**
3- الأثر الاجتماعي والفني	**314**
خاتمة	**323-320**
الملاحق	**353-325**
قائمة المصادر والمراجع	**377-355**
فهرس الموضوعات	**382-379**